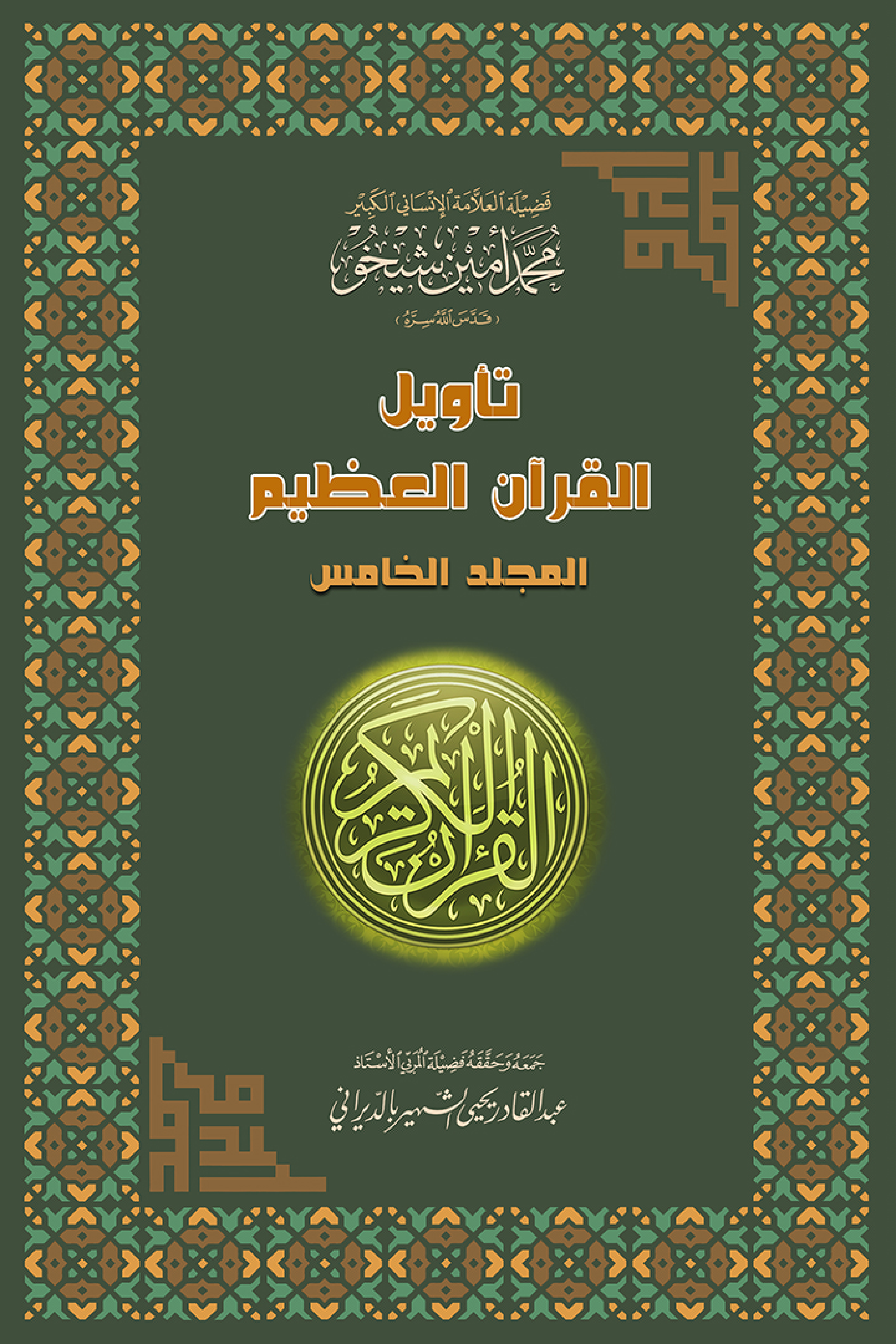
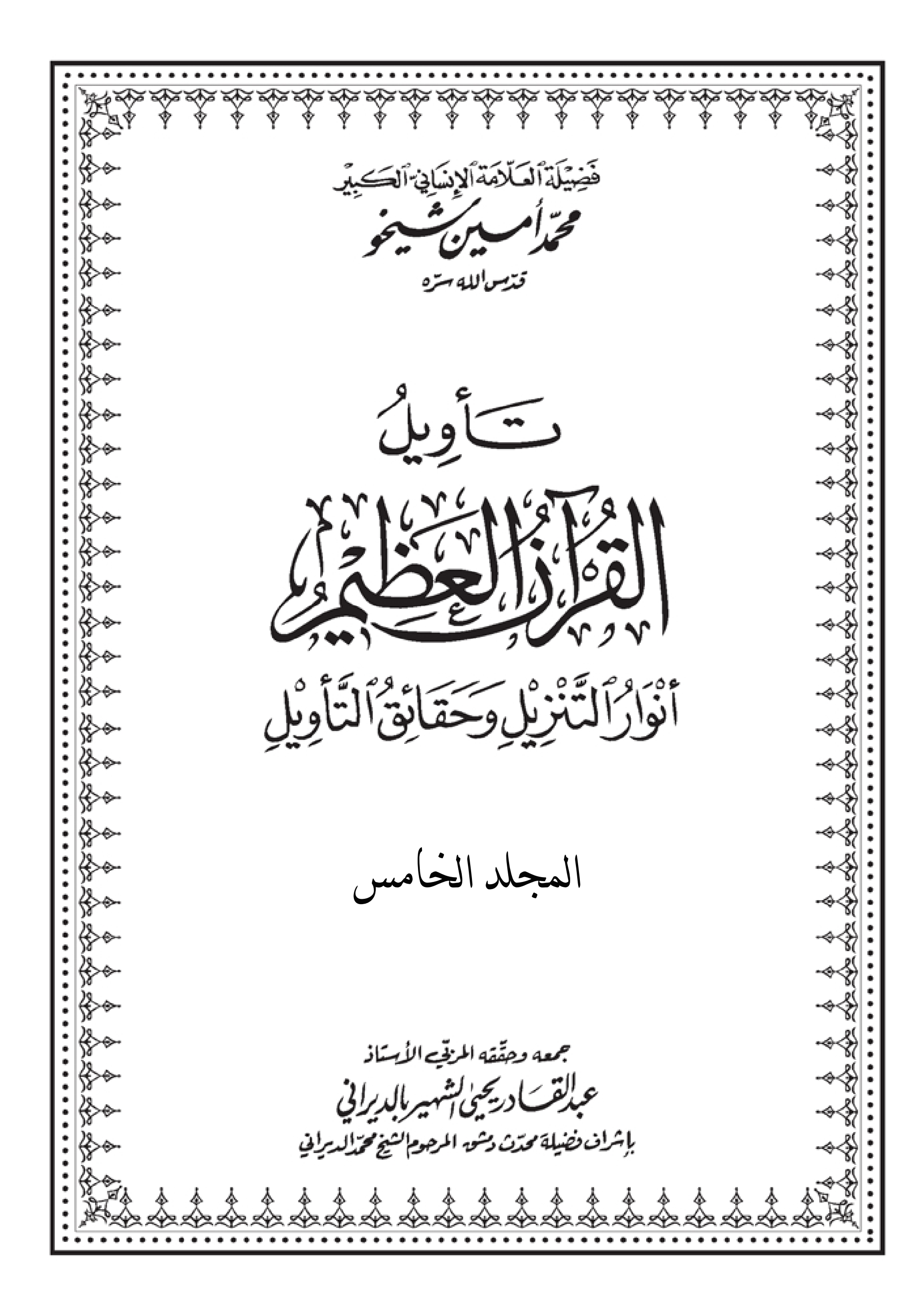


فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
(قدس الله سره)
تأويل
القرآن العظيم
المجلد الخامس
القرآن الكريم
جمعه وحققه فضيلة المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني



فضيلة العلامة الإنساني الكبير

محمد أمين شيخو

قدس الله سره

تأويل القرآن العظيم

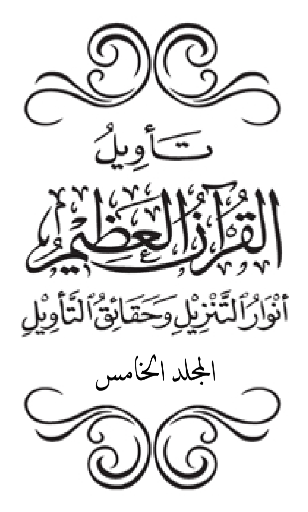
أنوار التنزيل وحقائق التأويل

المجلد الخامس

جمعه وحققه المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

بإشراف فضيلة محدث دمشق المرحوم الشيخ محمد الديراني


تأويل
القرآن العظيم
أنوار التنزيل وحقائق التأويل
المجلد الخامس

الإهداء

تنزيل من حضرة الله ورسوله العظيم إلى عباده

الصادقين المخلصين وللحقّ على الباطل ناصرين،

والذين يبغون وجْه الحقيقة والحقّ والدين،

ولو عارضت آراء المنحرفين، بل لو أُطبق ضدّهم

آل الثقلين .. من لا يخشون في الحق لومة لائم..

ولا ينزاحون عن طلب اليقين من ربّ اليقين..

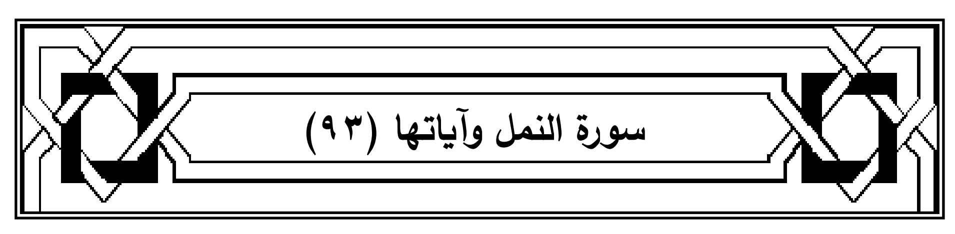
.. الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ..

ومن تكن برسُول الله نصرته إن تلقه الأُسْد في آجامها تجم



تلألأ الكون مسروراً بنشرتها .. نور الهدى قد بدا
من شمس الحقائق، فمحا عنَّا العمى .. فهل عجزت العلماء
أن تأتي بعطاء مماثل ؟! ..
عطاءٌ أشده وأدهش لكل عالم وفيلسوف ، فازدان
الوجود جمالاً ، وطابت الطقوس الصمّ بالشهود
والشهد ، إذ كانت قبله أشباحاً بلا أرواح،
وأوان بلا غذاء ، فجاء بالروح والريحان وجنّات النعيم ..
فيا أيها الناس قد جاءكم من الله نورٌ وشفاء .
بشراكم اليوم تزول الدسوس والشكوك والشبهات .
لقد تشرّفت العوالم بأسرها بأنوار التنزيل ، وتبيان فقه اليقين .
ختام المسك المحمدي

محتويات الكتاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾

يخاطب الله رسوله ﷺ بالمدح والثناء عليه لكي ترتبط نفوسنا بنفس المصطفى بروابط التعظيم والمحبة فيقول له:

١ـ ﴿**طسٓ..**﴾: **(ط)**: يا طاهراً من الذنوب، **(س)**: يا سليماً من العيوب، فقد بقي ﷺ إنسان الأزل في نشر من لم يزل، أي بقي على حاله الأوَّل مغموراً بالتجلِّي الأعظم وهو لا يزال على هذا الحال، فما وضع ﷺ بقلبه غير الله وما شاكل غيره، لم يغيّر أبداً وعلى هذا صار بهذه الدنيا سليماً من كل نقيصةٍ، فإذا اتّجه إليه الناس واتّجه إليهم ليستغفر لهم فبلمح البصر يمحو عنهم الصفات الدنيئة ويبدلها بصفات كاملة عالية، كما بدَّلَ سيدنا موسى للسحرة عندما عظَّموه وقدَّروه؛ بدَّلَ صفاتهم إلى صفات إنسانية كاملة.

﴿**..تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ..**﴾: جعلناك تنطق بها، فهذه الآيات المعجزة، وهي صفتا الرسول ﷺ موجودة في القرآن، والله عزَّ وجلَّ يحدِّثنا عنهما، وهي بحق آيات كبرى، وهذه التي فاض بها على البشرية، لذلك كان فضل رسول الله ﷺ ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطق بفم. فعندما تعقلها بما يبيّنه الله لك بالقرآن تقدِّره ﷺ فترتبط به، أي يتعلَّق قلبك بنفسه الشريفة وهو الكتاب المبين، فهو الذي يبيِّنها لك ويكشف لك عنها لتنتقل منه إلى تعظيم صاحب الأسماء الحسنى، الله جلّ وعلا.

﴿**..وَكِتَابٖ مُّبِينٍ**﴾: بيِّن الحكم ظاهر الأثر، هو ﷺ الكتاب المبين: يبيِّن لك عنها، أي عن صفاته، أي عن **(طسٓ)** وعن أسماء الله الحسنى، وهو يريك

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾

كمالات الله ويدخلك في مداخل ما كنت تدخلها، لأنك تأخذ من إنائه وتشرب من مشاربه ماءً طاهراً نقياً ذراته، وترى من سراجه ويَنصَبُّ في نفسك ما صُبَّ في نفسه على قدر صدقك وإيمانك واجتهادك.

٢ـ ﴿**هُدًى**..﴾: فكلّه بيان وآيات عن لا إلَه إلا الله، يهتدي بصحبة رسول الله ﷺ إلى الله وذلك إذا آمن بلا إلَه إلا الله. ﴿..**وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إن آمن يهتدي ويستبشر، بشرى بالخيرات بالدنيا والآخرة.

أيها الإنسان إن لم تحدث معك الآيات السابقة ولم تفهم القرآن ولم تصل للتقوى فاتبع طريق الإيمان الذاتي بالتفكير بالآيات وعندها حتماً ستفهم وتبصر كل شيء.

٣ـ ﴿**ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ**..﴾: يحسنون صلتهم بالله. بإيمانهم يُحفظون من الخروج عن الحدود، إذ يرون الله معهم دوماً، بهذا تتولّد ثقة بنفوسهم أن الله راضٍ عنهم عندها يصلُّون. إقامة الصلاة مع الرسول. هذا هو الإقبال، بعدها يقيمون الصلاة لغيرهم، إذاً بإقامة الصلاة تتبدَّل صفات النفس من السوء إلى الكمال وهذا معنى الزكاة. ﴿..**وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ**..﴾: فتزكو أنفسهم. فالزكاة: كل عمل يساعد على تزكية النفس. ﴿..**وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾: بما فيها من أجر وعقاب، هؤلاء هم الذين يوقنون بالآخرة.

٤ـ ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ**..﴾: لا يؤمنون أن الحساب آتٍ. ﴿..**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**..﴾: لإخراج ما في نفوسهم من شهوات. بإعراضهم كسبوا السوء. ﴿..**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**﴾: لا يرون ما في أعمالهم من شر، لا يرون ما سيعود عليهم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا..﴾

من اقترافهم هذا العمل، فالعمه: عدم رؤية النتائج، والعمى: عدم رؤية الأشياء.

٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ..﴾: هنالك لا يصيبهم إلا ما يزعجهم وينسيهم ما يسخطهم ويؤلمهم وهم الذين جنوا على أنفسهم، فهم لأنفسهم ماقتون، فلا يرضيهم إلا نار السعير.

﴿..وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ..﴾: بذاتهم. ﴿..ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾: لا خاسر أشدّ خسراناً منهم، لأنهم خسروا الحياة الأبدية.

٦- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ..﴾: هذا البيان.

﴿..مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: بكل الكون. فإن أردت الله وشئت الحكمة والعلم فالزم غرزه ﷺ تتلقى أوامر ربك ونواهيه بالنور والبهجة والسعادة والسرور، فمن لا يصلي مع الإمام ﷺ فهو في خسارة في كل لحظة من وجوده الغالي المكسِّب للخير الأسمى المثمر والنعيم.

٧- يريد الله أن يضرب مثلاً عن طريقٍ من طرق الإيمان، وهو طريق الرسل الذين اتبعوه، وهو التفكير بخلق الله وبالله من أنفسهم فاهتدوا إليه، ومَثَلُهم إبراهيم عليه السلام:﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا..﴾: كان يرعى مع أهله في سهلٍ ما، ولعل الوقت كان بارداً.

﴿.. سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ..﴾: ما شأنها. ﴿..أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ..﴾: حفنة من النار. ﴿.. لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾: نتدفأ عليها.

٨ - ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا..﴾: أراد الله ليمثل لموسى عليه السلام حال قلبه وهو مشتعل بحب الله، وهذه النار هي نار الحب والهيام والأشواق بلقاء الحبيب

﴿..نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

الأعلى جلَّ وعلا، هذه النار هي نار حبّه لله مثَّلها له الله صورة أمامه. ﴿..نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ..﴾: من هو مصطلٍ بنار الحب الإلٓهي "محمد رسول الله ﷺ"، وجد سيدنا موسى من سبقه لهذا الحب والهيام وذلك بعالم الحقائق لا بعالم الصور، فالرسول له حال وقال، بالحال رأى سيدُنا موسى رسول الله السابق الأسبق والمجلِّي في هذا الميدان ميدان حبّ الله، رأى سيدَ الخلق مصطلٍ بنار العشق والحب الإلٓهي. ﴿.. وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾: المرتبط به، كل من أحبك يصل إلى الله، يصبح المحب باباً إلى الله يعرج فيه من لاذ بجنابه، فالمرتبطون به ﷺ هم الرسل والأنبياء، وذلك بميثاق النبيين بأن يتَّبعوا ويلوذوا بالنّبي الأمّي ويؤمّوا إليه بنفوسهم. ﴿.. وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ما أعظم جلال الله.

٩ـ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ..﴾: المتكلم رسول الله ﷺ، يوجِّه سيدنا موسى إلى الله سبحانه وتعالى، فالرسول قاسم، والمعطي هو الله تعالى لذلك وجَّهه ﷺ لله، فصار مع الله تعالى عن طريقه ﷺ لأن ما سيناله سيدنا موسى من عطاءٍ لا يستطيع تحمله دون وسيط. أنّى لمخلوق بحاله الجسمي أن يتحمَّل هذا الثقل الجمالي العجيب، لذا كان الرسول الرحيم هو الملطّف والمعدِّل والقاسم لعطاء النفس بحسب تحملها وبأسمى تلقّيها دون الخروج عن ثوبها الجسمي والانجذاب لمحبوبها فتترك وظيفتها الدنيوية، إذ لو اشتهت البقاء عنده تعالى بذاك الحال الجمالي فأصرَّت ولها الاختيار لاستجاب لها ربها الرحيم، لكنها تخسر أعمالها التي فيها درجات رقيّها، لذا كان ﷺ هو الوسيط الأكمل يكسِّبك برحمته الكثير دون أي خروج عن الوظيفة التي خُلقت لأجلها. ﴿..أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾

لم يبقَ إلا الله مصدر حياة الكل وقيام الكل وذاب كل شيء في إناء الله الكريم فتمَّ الكسب العظيم والحب العميم.

(ٱلْعَزِيزُ):مصدر الوجود والنعيم والحب والبهاء والخير العميم.

(ٱلْحَكِيمُ):تبصرة للإمداد على الخلائق كلها من أزلها لأبدها، وتقسيم الإكرامات باستحقاقاتها لطالبيها، عندها تمّ بقاؤه ﷺ بالله بمشاهدته وبمشاهدة توزّع خيراته على خلقه، فأمكن استمرار الكلام ووعي النفس لوظيفتها وزيادة وسائل رقيّها.

١٠- ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ..﴾: الآية التي أعطاه إياها. ﴿.. فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ..﴾: من حركتها الشديدة، فخاف عليه السلام لأن نفسه الطاهرة النقية أبت أن يصدر منها إلا كل كمال وفضيلة ولأنه يعلم أن تلك الأعمال هي من الشياطين.﴿.. وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ.﴾: هرب ولم يلتفت. ﴿.. يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ.﴾: فنفسك الطاهرة لا يصدر منها مثل تلك الأفعال، وإن هذا ليس بسحر وإنما هي معجزة أيَّدتك بها لفرعون وملئه و: ﴿..إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: [١] فأنا اصطفيتك للناس بكلامي ورسالاتي، واصطنعتك لنفسي، فأنت بوادي الطهارة والكمال، لذلك أوحيت إليك لأنك بتلك الصفة العالية ونفسك تطوي معارج الكمال طيّاً، فأنا اخترتك رسولاً إلى فرعون وملئه، وأيَّدتك بتلك

١)-عندما رأى سيدنا موسى العصا تهتز كأنها جان، ظهر للوهلة الأولى أن في الأمر سحر، لذلك هرب ولم يلتفت من عظيم طهارة نفسه الشريفة التي تكره السحرة وأفعالهم القذرة، لذلك خاطبه الله تعالى: ﴿ ..يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ.﴾: فأنت طاهر النفس وليس للسحر والسحرة تأثير على ذاتك الطاهرة أو أذى وإن هذا الأمر ليس بسحر مطلقاً وإنما هو معجزة أيَّدتك بها.

﴿..إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ..﴾

المعجزة لتكون لهم آية، وإني لا يخاف لدي المرسلون لأنهم لا يسبقونني بالقول، وكيف يخطئون الطريق ويخافون وهم بأمري يعملون.

(..يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ): مما يدل على عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام. المرسلون أطهار فلن يؤذيهم شيء، بعد أن يُكلَّف الرسول بالرسالة لا شيء يؤذيه أبداً.

١١ـ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ..﴾: من غيرهم من الناس، وقع في المخالفة. ﴿.. ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ..﴾: فعل المعروف وأقبل على الله. ﴿.. فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: محى الله من نفسه ما علق بها.

١٢ـ الآية الثانية: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ..﴾: اليد: رمز الأعمال العالية العظيمة. ﴿.. فِى جَيْبِكَ..﴾: مركز النفس. ﴿.. تَخْرُجْ بَيْضَآءَ..﴾: فيظهر نور أقوى من نور الشمس، نور باهر مع بسط ونعيم. ﴿.. مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ..﴾:لايؤذي النفس ولا العين ﴿.. فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾:.خارجين عن طريق الحق.

١٣ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً..﴾: هذا كله طريق من طرق الإيمان بالله تعالى. ﴿.. قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بُهتوا فاحتالوا بالقول.

وهكذا كل امرئ إذا لم يسلك السبيل التي سنّها الله تعالى لهذا الإنسان، فلن يفيده أن يرى المعجزات وخوارق العادات ولن يجعله ذلك من عداد المؤمنين.

١٤ـ ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا..﴾: أنكروها استكباراً. ﴿.. وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ..﴾:

﴿..ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

أنفسهم علمت أن ذلك الحق ولكن لم تعقل ما فيها. ﴿.. **ظُلْمًا وَعُلُوًّا**..﴾: نكرانهم نتيجة ظلمهم واستكبارهم.

﴿.. **فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾: ألا تعلم ماذا كانت نهايتهم؟!

ثم هناك طريق آخر يضرب الله مثله لنا وهو تذكير المرء بالله ودلالته، المثل بلقيس:

١٥- ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا**..﴾: العلم بأسماء الله الحسنى.

﴿.. **وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾: **(وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)**: المؤمن شكور. عندما آمنت جماعتهم واتقوا، أعطاهم الله فضلاً كبيراً "لجماعتهم"، أي جعلهم طرقاً له سبحانه وتعالى ووسيلة بينه وبين عباده، فالإنسان دون رسول لا يصل لشيء، وإذا أعطى الغني فقيراً يرى هذا الغني نفسه أنه هو الفقير وذلك بسبب ما يعطيه الله تعالى على عطائه لهذا الفقير.

١٦ـ ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ**..﴾: ورث من أبيه النبوة والعلم والملك. ﴿..**وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا**..﴾: علَّمنا الله. ﴿.. **مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ**..﴾: إذن هو يعرف لغة الطير، وكل الرسل تتكلم معهم، لكن بزمن سيدنا سليمان عليه السلام كانت معجزة ظاهرة أمام الناس. لو آمن الناس كما آمنوا لفتح الله عليهم كنوز أسراره، فالخلائق مطلقة ومسخَّرة لوظيفتك، لإيمانك أيها الإنسان. ﴿.. **وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ**﴾.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا..﴾

١٧ــ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ..﴾: لعلَّــه عليه السلام ذاهب في أمر من أمور الملك.

﴿.. فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُفرَّقون ويُنظَّمون، يُوزَّعون صنوفاً وصفوفاً في إعدادٍ قتالي: قبائل، عشائر، طير، جن... إلخ

١٨–﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ..﴾: تلافت النملة أمرها وفكَّرت. ﴿..وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: دون علم منهم.

يريد الله ليُبيِّن أن النملة تفكِّر، وتفكِّر لما فيه خيرها وما يحفظها، أليس جديراً بالإنسان أن يفكِّر بما يحفظه في الآخرة؟!

١٩ــ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا..﴾: تبسَّـم عليه السلام لأَنَّ قولهـا بشـارة لـه، فالمخلوقـات صارت تشهد بكمال أصحابه حيث صار بقلوبهم رحمة على الخلق، وهذا الكمال وهذه الرحمـة ظهرت للكائنـات، لذلك كانـت هذه بشـارة لـه أن الفتوحـات سـوف تستمر وسيهتدي على يديه أناس كثيرون وسيدخلون في دين الله أفواجاً. ﴿.. مِّن قَوْلِهَا..﴾: الأنبياء عليهم السلام لم ينقطعوا عن الله، حالهم كحال عالم الأزل ولا شيء مخفيّاً عنهم، يرون الماضي والحاضر والمستقبل ماثلاً لهم، والله سبحانه وتعالى لم يخفِ عنهم شيئاً، لأنهم ما غيّروا, وبذلك الزمان كانوا يقولون: لا إلٰه إلا الله سليمان رسول الله، فما من نفس تطلب اللهَ تعالى إلا ويلبّونها مباشرةً نائمين كانوا أو مستيقظين.

النَّملة عندما تكلَّمت ذكرت اسم سيدنا سليمان وهذا شيء يخصُّه عليه السلام لذلك

﴿..وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

سمعها والتفت لها وشاهدها وغمرها بنوره، أما ما دون الرسل والأنبياء انقطعوا عن الله بسبب الشهوة، وأصبحوا محجوبين بالشهوات، والشهوات متمثلة على الأرض، فأصبحت الأرض وشهواتها حجاباً بينهم وبين الله.

﴿.. **وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ**..﴾: مُـدَّني بفضلك. ﴿.. **أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ**..﴾: **النعمة**: لئن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس، وهذه هي النعمة بالنسبة للرسل والأنبياء لما في قلوبهم من رحمة على الخلق، فجماعته كانوا مستقيمين بارتباطهم به ﷺ ولولاه لَما استقاموا. الحال القلبيّ من الله تعالى وهو ﷺ مهبط التجليات الإلٓهية، وبواسطته ﷺ صار أصحابه يعملون أعمالاً عظيمة.

﴿..**وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ**..﴾: **والديَّ**: سيدنا داود عليه السلام، "وكان الناس فئتين، فئة مرتبطة بسيدنا داود، وفئة ثانية مرتبطة بسيدنا سليمان". وأمه امرأة سيدنا داود حيث لها علاقة بهداية النساء، مؤمنة تقيّة مرشدة للنساء في زمنها ولها مقام عالٍ. ﴿.. **وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ**..﴾: هذا هو الشكر، أُقبل عليك يا رب وأعمل من الصالحات. ﴿.. **وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾: الذين صلحوا للعطاء الإلٓهي، الذين آمنوا بلا إلٓه إلا الله، أي أدخلني بنفوسهم حتى تحدث الرابطة.

٢٠- ﴿**وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ**﴾:في غمرة هذا الاستعداد الكامل للقتال أوقف عليه السلام المسير وأخذ يسأل عن الهدهد، فلمَ؟.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

الهدهد: الهدى جاء عن طريق ما هدّى.

العظيم لا يطرق إلا أشياء عظيمة، ولو طرق شيئاً صغيراً يكون وراء ذلك قصد عظيم، سيدنا سليمان عليه السلام كان وراء كلامه هذا قصد عظيم، فقد جمع الجيوش وهمَّ بالخروج لضرب سبأ وهم قوة ضاربة, ولم ينبِّئ أحداً من جيشه عن قصده. فجاء الهدهد وحقَّق المهمة بهدايتهم إلى الهدى، والله سبحانه أطلع سيدنا سليمان عليه السلام على الأمر، وبهذا الأسلوب حلّ وأنهى سيدنا سليمان عليه السلام القضية بالسلم دون حرب أو قتال، ولم يُقتَل أحدٌ وجاؤوه مسلمين. وهكذا يريد الله تعالى أن تأتي الناس للهدى دون قتال، لأن الله لا يحب القتال لعباده، والله يريد أن يعلمنا درساً من وراء هذه الآية، أن لا ننظر لكلام الرسول نظرة نقص، لأن هذه النظرة تُهلك صاحبها إذ تجعله يُعرض عنه ﷺ فيقع بالرذيلة.

٢١ــ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ..﴾: إن كان له مخالفات. ﴿..أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: يُبرِّئ من ساحته، بعذر واضح.

٢٢ـ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ..﴾: حتى جاء الهدهد. كذلك يضرب الله تعالى مثلاً كيف أن الطير بما جُبلت نفسه على الطهارة والخير يعلم المفسد من المصلح والمؤمن من الكافر. ﴿.. فَقَالَ..﴾: لسيدنا سليمان عليه السلام. ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ولكن كيف تكلم الهدهد مع سيدنا سليمان العظيم عليه السلام هكذا؟ الإنسان فقط هو الذي يقدِّر الرسول، أمّا الحيوان فلا يقدِّر الرسول لأنه غير مكلَّف، فالذي لا يقدِّر رسول الله ﷺ ليس له رقيّ ولا يصبح إنساناً ولا تحصل له ليلة القدر، والله يقول لنا بهذه الآية: إياكم أن تكونوا مثل الهدهد "حيوان"، فكل إنسان لا يقدِّر الرسول هو حيوان ولا يدخل الجنة،

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾

الذي لا يفكر لا يقدِّر الرسول، قدّر رسول الله حتى تخلص من الشهوات وتصبح صحابياً جليلاً.

٢٣- ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ**﴾: لها ملك وسلطان واسع.

٢٤- ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ**..﴾: لأنها تنير وتفيد. ﴿.. **مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ**..﴾: زيّن لهم حب الدنيا. ﴿..**فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ**..﴾: صدّهم عن الإيمان بالله وعن السعادة. ﴿.. **فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ**﴾.

٢٥- ﴿**أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**..﴾: أليس جديراً أن يسجدوا لمن خلقهم. ﴿.. **مَا وَيَعۡلَمُ تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ**﴾: يعلم ما تخفي في نفسك وما تعلنه من عمل.

٢٦- ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**..﴾: لا مسيّر إلا هو سبحانه. ﴿.. **رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ**۩﴾: رب التجلي العظيم.

٢٧- ﴿۞ **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾(١) : سيدنا سليمان عليه السلام يعطي البشر دروساً وعبراً عن طريق الطير. الطير مادة البحث ووراءه

١)- الفرق بين الكاذب والكذَّاب؟. الكاذب يصلي ويصوم ولكن لم يجعل لنفسه صلة مع ربه، كَذَبَ على نفسه، ما نظر "فكَّر" حتى يلمس الوجود الإلٰهي، لكنَّه مقرٌّ بالقرآن على غير بصيرة. أما الكذَّاب فإنه ينكر الكتب المقدسة.. ويشرب الخمر.. ويقع بالزنا.

﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي..﴾

بحوث عظيمة عالية. الكاذب لا يقدّر الرسول. إذا أطاع الإنسانُ الرسولَ دخل الجنة، والدنيا مجموعة طاعات إن طبّقها لا يقع بالمخالفة ولا بالشقاء.

٢٨ــــ ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ هكذا قال سيدنا سليمان عليه السلام للهدهد. ارمِ الكتاب واذهب لأي شجرة وانظر ماذا يقولون.

٢٩- ولمّا ألقي الكتاب إلى تلك الملكة وتبيَّنت ما فيه جمعت ملأها وعرَّفتهم بالأمر: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾: نظرت في الكتاب فأكبرته لسعة تفكيرها، ففكَّرت وعرفت فيه المنطق. (كِتَٰبٌ كَرِيمٌ): بشارة حسنة. نفس أصيلة في غير موضعها، لو لم تكن كريمة لما تقبَّلته بهذا القبول الحسن، ولما وقع في نفسها هذا الموقع النبيل ولمزَّقته كما فعل كِسرى.

٣٠- ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ليس من إرادة سليمان بل عن الله.

٣١- ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾: يدعو فيه إلى الله. هكذا تُخاطب المرأة لأن من طبيعتها الخُلقية الخضوع، هذا قانونها الطبيعي تؤتى من الأعلى فتستجيب.

٣٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا قَالَتۡ ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ

إذا الإنسان خاف من الموت صدق واجتمعت نفسه مع فكره، عندها يفكر ويشاهد الوجود الإلٰهي فتتشرب نفسه الكمالات, متى استوفى الكمال الكافي يقدّر الرسول ويشهد كماله العظيم فيتصاغر أمامه ﷺ وينهل من الله بمعيّته ﷺ.

﴿..مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ
شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ
فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

تَشْهَدُونِ ﴾.

٣٣- ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ..﴾: على الأمم، اختصاصنا الحرب ولا علاقة لنا بالسياسة. ﴿.. وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: لك الأمر وعلينا الطاعة والتنفيذ، الكلُّ مسلِّمٌ الأمر لها ومرتبطون بها.

٣٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا..﴾: أدركت قوة سليمان عليه السلام. ﴿..وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: وهؤلاء كذلك سيفعلون، وهكذا سيفعل سليمان إذا دخل بلادنا. (وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ): حقيقة، أيّد الله هذا الكلام.

٣٥- ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ..﴾: امتحاناً لغاية سليمان, لنرى هل يُشترى بالمال. ﴿.. فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: هذه ليست هدية، هذه رشوة. والسيدة بلقيس لها قبل إسلامها نيَّة الخديعة، قالت: إذا أُغري بالمال انتهى كل شيء. الذي يُشترى بالمال لابد أن ينكسر.

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ..﴾: رسلها. ﴿..قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ..﴾: من علم ومن جميل عطاءاته وكبير إغداقاته. ﴿.. خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: لم يقبل الهدية، لأن هدفها عدائي ومن ورائها الخديعة. "رسولنا سيدنا محمد ﷺ قَبِلَ الهدية عندما تكون للتهادي والتحابب".
بالازدراء والتعالي المبطّن بالرحمة من سيدنا سليمان أشعرهم بأنهم مكشوفون،

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ..﴾

ليتنازلوا عن قسط من كبرهم الأحمق ويبطئوا بالتمادي في الباطل ويصبح عندهم الإمكانية للالتفات للحق وأهله، وكان له ذلك فاهتدوا أجمعين.

٣٧- ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا..﴾: في المواجهة.

﴿.. وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: أعلن الحرب للسلم.

معنى اسم سليمان: من المسالمة أي لديه قوة كبيرة عظيمة لكنه عليه السلام لا يستعملها إلا للسلامة.

٣٨- فلمّا رجع المرسل وبيَّن لها وضع سيدنا سليمان عليه السلام تجاه هديتها وذكر لها مقالته، أزمعت على أن تأتي إليه بذاتها وقد عرَّفته بحضورها، ولمّا بلغ سيدنا سليمان عليه السلام أنها قادمة إليه التفت إلى من حوله طالباً منهم أن يأتوه بعرشها:﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾:

الحزم والجزم والقرار القطعي عند المرسلين لأن قولهم من الله تعالى.

حكم سيدنا سليمان عليه السلام هذا الحكم عندما شاهد الهدهد خوفهم وجبنهم وشاهد أن الكل مسلِّمون الأمر للملكة بلقيس، وأيضاً علم ذلك لأن المرسلين الذين أرسلتْهم الملكة كانوا بمثابة جواسيس لها، لَمَّا شاهدوا قوة سيدنا سليمان عليه السلام خافوا ورجعوا إلى بلقيس فأخبروا قومهم بما رأوا فثبَّطوهم، حرب معنوية، وعندما وجدت الملكة أن طريق المال لم يُجْدِ مع سيدنا سليمان لجأت لطريق آخر، لطريق الفِتن.

٣٩- ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ..﴾: معفَّر قلبه بالشهوات من عدم إقباله، أراد أن يحوِّل الناس إليه. ﴿..أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ..﴾: بتصميم وصورة العرش.

﴿..قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ..﴾

﴿..قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ..﴾: من الجلسة "من مجلسك هذا". ﴿.. وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾:وهنا تدخّل الذي عنده علم من الكتاب، لأنه يعرف مراد سيدنا سليمان ويعلم أنه عليه السلام يريده هو أن يأتي بالعرش رحمةً بالعفريت، لأنه ضعيفٌ أمام الفتن، وعند الملكة فتنٌ وإغراءاتٌ ونساء، أما المؤمن فبارتباطه لا يُفتن.

٤٠ـ ﴿قَالَ..﴾: المؤمن. ﴿.. الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ..﴾: الكتاب: ما كُتِبَ وما طُبِعَ من أسماء الله الحسنى، وما كُتِبَ من حقائق في نفس سليمان عليه السلام، وهذا المؤمن بارتباط نفسه بنفس سيدنا سليمان عليه السلام أخذ طرفاً من هذا الكتاب، وكان عليه السلام يصب في صدر أقرب الناس إليه ما صُبَّ في صدره الشريف، وصار لهذا المؤمن بارتباطه بسيدنا سليمان عليه السلام علم بأسماء الله الحسنى، أخذ طرفاً منها، صار التجلي الإلٓهي عليه بمقدار صدقه وإقباله. ﴿.. أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ..﴾: بما قلَّ من لمح البصر. ﴿.. فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ..﴾: سيدنا سليمان متوجّه إلى مملكة سبأ، والذي عنده علم من الكتاب شاهد بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام العرش، أي القصر بكل دقائقه وتفاصيله. ﴿.. قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ..﴾: أعظمَ سليمانُ عليه السلام فضل الله عليه فشكره. هذا يعني أنَّه حتى الرسل مخيّرون، وما نالوه ليس جزافاً بل بما عندهم من أهلية، (..وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾)[1] . طالما الإنسان له الاختيار يخاف، والرسول ﷺ أشدكم

١)- سورة الأنعام: الآية (٨٨).

﴿..وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾

خوفاً (..إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾)[1]. وسيدنا سليمان عليه السلام له الاختيار، والله يسيّره على حسب اختياره، وكانت على يديه تجري عجائب وغرائب. فالكفر هنا أن يعجب بنفسه وينسب الفعل لها، لكن (..وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ..)[2]: نسبوا الفعل لأنفسهم.

﴿.. وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾.

لكن هل العرش "القصر" نُقل كلُّه بأحجاره وبنائه وأثاثه؟.

الحقيقة ليس من المعقول أن يُنقل القصر، سيدنا سليمان عليه السلام متوجِّه بنفسه للعرش، المؤمن الذي عنده علمٌ من الكتاب مرتبط به عليه السلام، توجه لسيدنا سليمان فشاهد العرش عن طريقه عليه السلام، الرؤية عقلية نورانية ليس لها علاقة بالأجسام، رؤية نفسية قلبية، سرى عن طريق الرسول وشاهد العرش "عرش بلقيس" وصار يدلُّهم ويعلّمهم ويصوّر لهم كل شيء أثناء بنائه. الصحابة وصلوا لهذه الدرجة. وكذلك قضية "**يا سارية الجبل الجبل**"، كذلك الصلاة بالكعبة مع الإمام (..فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ..)[3]: لتجتمعوا برسول الله ﷺ. لكن لماذا طلب سيدنا سليمان ممن حوله هذا الطلب؟. ذلك حتى تكسب نفوسهم ثقةً بعملها، فالمؤمن سوف يشرف على البناء والكساء أيضاً بشكل كامل. هو عليه السلام مشاهد وهذه الآية حضٌّ لنا لتقدير الرسول، فالتقدير يوصل لهذا الشيء، لهذا المقام.

ولمّا رأى سيدنا سليمان عليه السلام العرش مستقراً عنده شكر الله تعالى على هذه

١)- سورة الأنعام: الآية (١٥).

٢)- سورة البقرة: الآية (١٠٢).

٣)- سورة البقرة: الآية (١٤٤).

﴿..قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

النعمة، ثم إنه أراد أن يمتحن ذكاء هذه الملكة ويسبر غور تفكيرها، لأن المفكِّر صافي الذهن يستطيع أن يتبيّن الحق، ومن المأمول منه أن يُذعن للحق ويرضخ إليه، لذلك أمر سيدنا سليمان عليه السلام أن يغيّروا لها بعرشها بعض التغيير:

٤١ـ ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا..﴾: أي ابنوا لها عرشاً واجعلوه مثل عرشها تماماً مع بعض التغيير. ﴿.. نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾: أي إذا كانت ذكيّة ستهتدي بأن هذا العرش ليس عرشها، لأنه ليس من المنطق والمعقول أن يُحمَل العرش، وإن كانت غبية لا تهتدي.

٤٢ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ..﴾: وعندما سألها. ﴿..قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَ..﴾: حصل لها الاستعظام، لذلك تفضل عليها بالزواج لأنها ذكية، وسيُخطط عن طريقها ليُدخل أهل اليمن بالإسلام دون إراقة دماء. لو كانت غبية لما تزوجها، ولو حدَّثَتْهم مباشرة عن إسلامها لرفضوا، ولكن سارت بما خطط له سيدنا سليمان بحذافيره فاهتدوا. ﴿.. وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا..﴾: أنها ستؤمن لأنها فكّرت وأنها ذات خلق كريم. ﴿.. وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: لله.

هنا بيان لطريق الإيمان الثالث وهو أن يبعث الله للمرء من ينبِّهه ويذكّره فيصحو من غفلته ويقبل على الله.

٤٣ـ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ..﴾: عندها القابلية لكن الدنيا شغلتها، غير أن الذي صدَّها عدم تفكيرها وعدم انتباهها لضلال ما كان يُعبد. ﴿.. إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾: اتجهت بكفرهم على غير علم.

٤٤ـ هناك طمع سيدنا سليمان عليه السلام في هدايتها، فأمرها بأن تدخل

﴿..قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الصرح[١]:

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ..﴾: رأت الصرح ونظرت إلى أرضه. ﴿.. حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ..﴾: حسبتها لشدة صفائها ودقّة صنعها ماءً. ﴿.. وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا..﴾: ليس فخذها كما دسَّت الشياطين. لئلا تبتل ثيابها. ﴿.. قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ..﴾: وفي هذه اللحظة استعظمت هذه الملكة التي أوتيت من كل شيء ما أوتيه سيدنا سليمان عليه السلام من الملك العظيم، واستصغرت واحتقرت نفسها بجانبه، ونظرت إلى سيدنا سليمان عليه السلام نظرة إكبار وإجلال، وهنالك وبهذه النظرة وبهذا التعظيم وإن شئت فقل بإقبال نفسها على نفس هذا الرسول العالية شهدت الحق وعاينته، فكانت نفسه عليه السلام لنفسها سراجاً منيراً رأت به عظمة خالقها وكمالات ربها، فاستسلمت لربها طائعة مذعنة. ﴿.. قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي..﴾: بعماي السابق عن معرفتك والإيمان بك قبل مشاهدتي لجلال ملكوتك. ﴿..وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جرى مع بلقيس كما جرى مع سحرة فرعون من الإيمان بعد الاستعظام. لقد شاهدت بمنظاره ما شاهدت، وانغمرت بنعيم جنّات سليمان بالنظر لوجه الله الكريم، فأشاحت محتقرة ملكها والدعاوى الباطلة القذرة، وأضحت في جنات النعيم، فتفضَّل عليها سيدنا سليمان بالزواج منها بغاية إسعادها وإسعاد قومها ولا مطلب له عندهم سواه. كل هذه الأمثلة السابقة ومنها مثل النملة ومثل الهدهد تبيّن أن

١)- الصرح: موضع أرضه من زجاج متقن الصنعة، شفّاف يشفُّ حتى يصف ما وراءه، ولشدة نقائه وصفائه لا تراه بل تلمسه لمساً حتى يحسبه الرائي ماء نقية صافية.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ..﴾

على الإنسان أن يفكر في مصيره وما سيؤول إليه أمره، هل هو إلى النعيم أم إلى الجحيم، وما الذي يجب عليه أن يعمله ليتجنَّب الهاوية ويسمو إلى الجنان.

٤٥- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾: منهم من آمن ومنهم من لم يؤمن.

الذين لم يؤمنوا قالوا ائتنا بعذاب من عند الله، فأجابهم:

٤٦ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ..﴾: تستعجلون بالعذاب. قالوا ليفعل الله بنا ما يريد. ﴿.. لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ..﴾: هكذا قبل أن تطلبوا الشفاء لنفوسكم!.. ﴿.. لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: يغفر الله لكم.

٤٧ـ ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا..﴾: تشاءمنا. ﴿.. بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ..﴾: ما تفعلونه معلوم عند الله. إن ما يحدث لكم من إنذارات، هو من عند الله وليس بي حول وقوة. ﴿..بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾.

٤٨ـ ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ..﴾: قبائل، هؤلاء الرهط ﴿..يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾: امتلأ إناؤهم وتوسع بالشرور, والخير الذي فيهم أضاعوه، ولم يبقَ عندهم إمكانية للرجوع إلى الله أبداً، والدليل:

٤٩- ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ..﴾: نقتله، ضاقوا به ذرعاً، قرروا قتل الرسول والمؤمنين الذين آمنوا معه، وأقسموا على ذلك بالله. يعرفون الله لكن

﴿..ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قولاً فقط (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ..)[1]. ﴿.. ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: لنبيتنه وأهله، لنقتل صالحاً وجماعته, مثلما حاولوا قتل رسول الله محمد ﷺ، حيث قررت اثنتا عشرة قبيلة قتله ليضيع دمه.

٥٠ــ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا..﴾: دبّــروا تــدبيرات. ﴿.. وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بأن يد الله فوقهم تسيِّرهم.

٥١ـ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ..﴾: التـدبير الـذي دبَّـروه لـرد الحق ماذا كان عاقبته. ﴿.. أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: دُمِّروا أجمعون، أي أنه لا إلَه إلا الله، لا فعَّال لا مسيِّر إلا الله، إنه حين يستحق فلان الخير يرسل الله تعالى إليه من حقَّ عليه أن يفعل الخير، وحين يستحق فلان العقاب يرسل الله عليه من يريد الله أن يخرج ما في نفسه من شهوة خبيثة، وحين يصطدمان يصلح أمر هذا بإخراج ما في نفسه ويصلح أمر الآخر بردعه وتنبيهه علَّه يرجع إلى الله.

٥٢ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه.

٥٣ـ ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: ما دام فيه خيرٌ جارٍ

---

١)- سورة لقمان: الآية (٢٥).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

فالله تعالى لا يتوفاه. وأنجينا المؤمنين المثابرين الذين لم ينقطعوا ولم يغيّروا الطريق.

٥٤ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ..﴾: وهم أوَّل من فعلها، هذه الشهوة ثبَّتها الله تعالى على صفحات الأنفس حتى يكون لها الأثر الأكبر في توليد الأعمال وإعطائها قيمتها، فكلما كانت الشهوة التي يضحّي بها الإنسان محبَّبة للنفس كلما كان العمل الناشئ عنها في نظر صاحبه عظيماً ولكان رقي النفس وتساميها بهذه النسبة كبيراً أيضاً، فهؤلاء قوم ذووا نفوس قوية لم يسبق لشعب من الشعوب في السابق مثل طاقاتهم وقوتهم فكانت فيهم طاقة استعلاء وقوة رهيبة لو استجابت للحق لدرَّت خيرات لا حصر لها، لو أنهم طهروا وضحّوا بهذه الشهوة الوسخة لسادوا الأمم ولهدوهم بمعية سيدنا لوط وسيدنا إبراهيم عليهما السلام، ولكنهم حوّلوها للمجاري "للشهوات السفلية"، كان الهدف تحويلها لقربات إلى الله بأعمال عالية تُبنى عليها جنات عُلا. ﴿.. وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: ضعة نفسكم وانحطاطها.

٥٥ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: تجهلون ما في عملكم من شر. انحطوا كثيراً وصاروا يعملون الفاحشة.

٥٦ـــ ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يظهرون أنفسهم وحالهم أنهم كذلك؛ قالوا ذلك لما يَعلمه كل من يقارف إثماً أنه على غلط وأن عمله خبيث.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ
فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ..﴾

ترى بحسب وجهتك بما هو مطبوع بنفسك، فاجتهد لتقبل على الله وتغرف من كمالاته لترى الحقيقة ولتزداد كسباً.

٥٧ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ..﴾: بالقدس، لمكاسب عظمى وأعمال كبرى بعد الثقة. ﴿..وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا..﴾: عذبناها على قدر ما يلزم وليس كعذاب قومها. ﴿..مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: تلوَّثت بحبها لقومها، هكذا زمننا معظمهن فحذار[1].

٥٨ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: جعل عاليها سافلها, وعادت عليهم شهوتهم بالسوء. لَمَّا فقدوا إنسانيتهم جاءهم مطرٌ معبّرٌ عما في نفوسهم من قسوة وبحسبهم وما يناسبهم بعد انقطاع الرجاء منهم.

٥٩ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ..﴾: عن طريقهم الشهود والحمد. ﴿..ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: مصير نفسك بيدك، أنت ووجهتك, وأنت حيث تضع نفسك, جنات عُلا أو مجارٍ "شهوات منحطة نتيجتها الذُّل والخسران"، يشهد حقيقتها المقرَّبون فيبكون وينتحبون لما ينتج عنها من نيران تطهير عند رجوع النفس لفطرتها الطاهرة عند الموت، ولات ساعة مندم.

كيف الوصول إلى الله وحلول تلك المنزلة الرفيعة؟. الطريق:

٦٠ـ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ..﴾: من هنا محاورة النفس بالخلوات على الطبيعة لعقل هذه الحقيقة. هكذا يتم الإيمان الغيبي الثابت. ﴿.. وَأَنزَلَ

---

١)- معظم نساء هذا الزمان تتعلق بأهلها ولو كانوا على سلوك غير قويم أو بوجهة الكفر.

﴿..مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ..﴾

لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ..﴾: بعقلها تملكها أبداً، مع تجلّي البهاء الرَّباني المتزايد المتسامي، ولا تتم إلا بالعلم والتضحية بالغالي لنوال الباقي. ﴿..مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ..﴾: هل من مسيِّر فعَّال مع الله يعينه على تسيير الأمور!. ﴿.. بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: هل تعادل غيره في الحب والطاعة؟!.

٦١- ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا..﴾: تستقرون فيها مدة من الزمن حيث فيها كل ما تحتاجون من أجل حياتكم. ﴿.. وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا..﴾: عيوناً كبيرة. ﴿..وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ..﴾: جبالاً تثبت الأرض، الله خلق الأرض وجعل لها الجبال تثبّتها في سيرها فلا تضطرب ولا تهتز، أفلا تفكر بهذه القدرة والعلم والرحمة؟!. ﴿.. وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا..﴾: بين الماء الحلو والمالح. ﴿..أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لو علموا لسَرَت نفوسهم بجناتها.

٦٢- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ..﴾: الإلَه، والبشر كلهم مقيّدون بضروراتهم. ﴿..إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ..﴾: الله تعالى الذي يكشف بالرياح والضياء والماء كل المضرَّات والمزعجات. ﴿..وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ..﴾: بعضكم خلف بعض. ﴿..أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تتذكرون فضله ولو قليلاً!.

٦٣- ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ..﴾: بنجوم السماء، من الممدُّ بالطاقات الضوئية المباشرة وغير المباشرة ووسائل تلقيها من بصر وإحساس؟!.

﴿..وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿..وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: تعالى بسماواته.

٦٤- ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ..﴾: بداية كل الأشياء مِن قِبَلِ مَنْ؟. هل من أحدٍ إلا الله؟. هل بمقدور مخلوق أن يخلق شيئاً غير ما خلق الله تعالى؟! شمس، نجوم، قمر، ثمار... هل من أحد يعيد الشمس من المغرب؟. القمر، الخلق، يخلق مماثلاً! شيء واقع، فمن المؤقِع؟. ﴿.. وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾: من المسيطر على الشمس، النجوم، السماء ليبني بواسطتها؟!. ﴿.. أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

٦٥- ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ..﴾: السامون الذين يَسْمُون بغيرهم وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام. ﴿..وَٱلۡأَرۡضِ..﴾: كل الناس. ﴿..ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ..﴾: مالك الملك هو العالم به، الممدّ له، هو أعلم بما يمدّ، ومن لا يملك لا يعلم، بل الفاقد مفقود. فمن تتبع؟... إذا رب العالمين لم يُطلع أحداً على الغيب فلا يعرف أحدٌ شيئاً، حتى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم لا يعرفون إلا إذا الله تعالى أطلعهم، سيدنا يعقوب عليه السلام لو عرف أن ابنه يوسف عليه السلام صار ملكاً، هل يحزن عليه؟. سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يعرف الملائكة (..وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ..)[1]. ﴿..وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: أين ومتى

---

١)- سورة البقرة: الآية(٢٥٥).

﴿..بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا
نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

تأتي المصيبة،ضربة "صدمة"، موت عزيز، مرض... ما عندهم شعور، أموات القلوب لا شعور لديهم لذلك يعصون الله ظناً منهم أن الله لا يحاسبهم. المؤمن لمس الوجود الإلهي، يعرف أن الله سيحاسبه. ﴿..وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: لأعمالهم، بالموت والحياة، للجزاء على أعمالهم يبعثون.

٦٦ـ ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ..﴾: هل علموا ما سيحل بهم في الآخرة؟. وهل علموا مصيرهم؟. الإيمان بالموت والإيمان بالسماء أقرب طريق للعلم بالآخرة. ﴿.. بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا..﴾: من الآخرة لأنهم ما شاهدوها. لأنه عُرْفٌ وليس علمَ يقينٍ مبنياً على الشهود. ﴿..بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾: ما جاهدوا بهوى أنفسهم فظلوا في العمى، (..فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾)[1]. البداية: نفس البيت هم منه قادمون، نسوا بيتهم!.

هؤلاء عجزوا عن علم الآخرة، ما وصلوا لها، اخترعوا وأبدعوا لكن كل اختراعاتهم وعلومهم لم تُمكِّنهم من معرفة ما يجري بعد الموت بلحظة! علمهم وحضارتهم لم يصلا بهم لشيء، والنبي ﷺ استعاذ من علم لا ينفع، يعرفون ظاهراً من الحياة الدنيا.

٦٧ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ..﴾: ما فكروا، نكروا. ﴿.. أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾: أما هكذا كانوا.

٦٨ـ ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

---

١)- سورة الحج: الآية(٤٦).

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ
﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: هكذا قال الأولون، نحن إن سرنا على هذا حُرِمنا من الدنيا وشهواتها.

٦٩- **﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾**: انظروا إلى الذين ذهبوا قبلكم كيف كان حالهم! ما التفتوا لفقير ولا لمسكين، ما نظروا لربك، هلكوا عن بَكرة أبيهم، انظروا حياة المسلمين وحياة المجرمين وداخِلِيَّتهم. هذا التنظيم الكوني البديع هل هو لحياةٍ قصيرة مشحونة بالآلام ومفاجآت الأحزان؟! كل هذا الترتيب لأمر تافه! أم سيبنى عليه أمر عظيم يتناسب مع عظمته؟.

٧٠- **﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ..﴾**: كان صلى الله عليه وسلم دوماً حزيناً على الخلق. **﴿.. وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾**: تدابيرهم ستزول وأنت تنتصر.

٧١- **﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾**: متى هذا الشيء.

٧٢- **﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم..﴾**: أصبح العذاب وراءكم، قريباً منكم. **﴿.. بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾**

٧٣- **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾**: ألا تفكر بفضله سبحانه وتعالى؟.

٧٤- **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾**: ما تُكِنُّ صدورهم من نوايا وما يعلنون من قول.

٧٥- **﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾**.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ
٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ
ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾

٧٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ..﴾: أكثر من الذي هم ﴿.. فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾:الحقيقة: إن رب العالمين يتكلم بالقرآن عن قصصنا نحن، والذي وقع مع بني إسرائيل وقع لنا، ومتى الإنسان آمن وصار له بصيرة يعرف ويرى أن هذه القصص تتكلم عنه.

٧٧ـــ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى..﴾: تهتدي بهذا الهدى. ﴿.. وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الإيمان كمال الإنسانية.

٧٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦ..﴾: يرى المناسب، ما يناسب الخلق ويعاملهم به. ﴿..وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ..﴾: مصدر الخيرات كلها. ﴿..ٱلۡعَلِيمُ﴾: يعلم كل إنسان وما يستحق.

٧٩ـ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ..﴾: سر بما يريك، رؤياك يا طاهر هي الحق. ﴿..إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾: لا تبالِ بالرأي الاجتماعي، عليه السلام يرى استهزاءهم النفسي واستنكارهم واستهجانهم، ولا يعبأ برضاهم أو سخطهم، لا يهمُّه في رضاء الله أحدٌ.

٨٠ - ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾: المَغْنِيُّ هو القلب لا الثوب، أنت تتمنى نجاتهم لكنهم لا يأتون إلينا، بل يبغون من لم يُخلقوا من أجله، من لا يفيدونهم أبداً ويحملونهم اليوم لا غداً، لا ينقذونهم أو ينفعونهم حقاً، أصنام تستمد ممنْ هم منه لا يستمدون، يُلهونهم ولا يَهدونهم. كل هذه الخلائق ما لم يطلبوا الوصول إليه تعالى فهؤلاء هم المقطوعون

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾

المتوجِّهون لغيرنا لا يسمعوننا، كلٌّ يسمع ما هو متَّجهٌ إليه، يتحركون بحركة الكون فبزواله ينقطعون وأبداً من الجنات لا يغرفون، بل هم هالكون ومن الله غير مالكين.

﴿..وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾:النفس لا تسمع إلا ما ترى، فالعبرة للقلب، فما فائدة الأذن إن كان القلب في صمم؟! فلن تتشرَّب النفس الكمال طالما وجهتها للأوحال, ما عليك إلا بسلوك سبيل الطهارة من الدنيء المسخَّر مهما بلغ. ففكِّر وانوِ وأَحسِنْ وثُرْ ليحق لك سماع ما أودع الله في شدو صوته الرحيم من حب إلّهي صافٍ لك, لترقى لمراتب العُلْويين وتعشق خيرك ومقامك العظيم، انستر به ﷺ وبربه تشفَ، ولا تُخفِ عيوبك فتتكشف يوم يقوم الأشهاد.

٨١ ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ..﴾: النفس غير الثوب الجسدي الفاني فهي باقية وأنت هي، فما لم تتخلّ عن الدنيا بالتيقن بالرحيل فلن تتخلى عن ثوبها، وهو حجاب، وبعد الموت انقطاع كلّي عنه، وقد كان كالسراب، وبه الهبوط للمسخَّرين بل أدنى، ولا ينقذها منه إلا شوقها لبارئ الأرض والسماء، ولا شوق بلا شهود، ولا شهود بلا معرفة، والفكر هو الكشّاف المُذَكِّرُ لها ببدايتها، وكونها لا شيء، والله المُمدّ بكل شيء، ثم اليقين بالزوال فالالتفات عن الزائل.

﴿..إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾: السماع عن طريق الإيمان بآياتنا, بعد الإيمان بالآيات الكونية والتعلم والترقي من صف لصف حتى الطيران المطلق والكسب الكثير، فيسمع من العظماء ويتيه بالجنان.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

٨٢ - ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ..﴾: عندما يقترب عذابهم، وقع قول إبليس: (..**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**)[١]: أُحَبِّبْهم بالدنيا وشهواتها حتى يقعوا فيها. ﴿..**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ..**﴾: مصنوعة من مواد تستخرج من الأرض. ﴿..**تُكَلِّمُهُمْ..**﴾: وهذا حدث منذ أكثر من قرن، السيارة فيها من الآلات والهواتف وغيرها تكلم الناس. ﴿.. **أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾: هذا هو السبب حيث لم توقن نفوسهم بالموت. الدابة خروجها يدل على أن الناس لا يؤمنون.

في كل زمان يوجد أمّة أو أمم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وعليهم الأمل المنشود معقود بإنقاذهم إخوتهم، أما إذا وقع قول إبليس: (..**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**) وصدَّق عليهم ظنّه، فاتَّبعوه وأصبحت كافة القوى الضاربة للشر[٢]، فأعمت الحضارة الإنسان عمَّا يحضّره العظيم رب العالمين، فأشاحوا عن بارئ السموات وأصرّوا وصُمُّوا وامتلؤوا بالخبث وأَبَوا الشهود والسماع والكشف، وأرادوا الطيران بأجسامهم لوجهتهم الإبليسية "خلقتني وخلقته[٣]"، فهنالك "ولهم الخيرة" يُطبِّق تعالى عليهم العلاج فيخرج خبثهم الذي سيكون فيه دمارهم، وبدلاً من أنك يا حبيبي "حبيب الله ﷺ" أنت تكلمهم لتسمو بهم وللجنات تكسبهم، تكون الدابَّة هي التي تكلّمهم "لقد داست السيارة كل الناس"، إذ وقعوا بالإبلاس وآمنوا بالناس ولم يؤمنوا برب الناس، ملك الناس، إلٓه الناس حتى أن منهم آمن فما آمن. إذ

---

١)- سورة ص: الآية(٨٢).

٢)- ميلها واتجاهها للشرور لا للخير.

٣)- لطفاً انظر كتاب عصمة الأنبياء، بحث: (سجود الملائكة الكرام لسيدنا آدم عليه السلام).

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوۡجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ
وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

مشوا وما مشوا، وما قدروا الله حقَّ قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء.

٨٣ - ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾: هنالك الطامة الكبرى والبَلِيَّة العظمى والله رحيمٌ، فهؤلاء لا يكلِّمهم الله ولا يهديهم إذ اتبعوا بني إسرائيل شبراً بشبر وهم مُعرضون، وحين يُفزَّع عن قلوبهم فيسمعون كلامه فهم عندئذ خجلون غير كاسبين، مؤاخذون لا مكرمون، بل بثياب التقصير محبوسون، فهذا الرب الرحيم يوقظنا وينبهنا لنربأ بأنفسنا عن هذا المستوى الفظيع مهما كلفنا الثمن، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه والله الغني.

٨٤ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

٨٥ - ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾.

٨٦ - ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: أَلَمْ يميّزوا بين أقواله ﷺ وأقوال العالمين؟. ألم يشاهدوا نورانيتهُ العظيمة ورأفته البالغة وحلمه الكبير وشجاعته وعلمه الذي لا مثيل له، وفهمه العالي الرفيع وحياته الحافلة بالكمال والعظمة والجلال وهو سراجهم المنير، فبدونه ﷺ فأنَّى يبصرون!.

٨٧ ـ ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾: مرتمين على الله.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

٨٨ - ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: هذا هو صنع الله الذي أتقنها وأبدعها على أكمل وجه وأتم تنظيم. هذه الجبال العظيمة الشامخة العالية المحمولة على ظهر الكرة الأرضية، تراها بعينك جامدة ثابتة لا تتحرك ولا تتزحزح، ولكنَّها بحقيقتها تدور مع دوران الأرض بحجمها الهائل العظيم كما تمر السحب المحمَّلة بأطنانِ المياه، تمر برفق ولطف دون أن تزعج أحداً، وهذه الجبال كالسحاب الحامل للمياه والخير والحياة.

كذلك هناك نفوس عظيمة راسخة رسوخ الجبال في محبة الله وعشقه، فهي في ثباتها كالطود العظيم، تلك هي نفوس السادة الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام، ووظيفتها تثبيت الناس على الإيمان، كالجبال التي تثبت القشرة الأرضية من الانسياح.

٨٩ - ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ..﴾: الذي يدلُّ دلالةً طيبة على الله. ﴿.. فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا..﴾: يضاعف الله له أجره حسب نيَّته. ﴿.. وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: عند القيامة والبعث.

٩٠- ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ..﴾: استحبُّوا كلَّ شيءٍ واجهوه في الدنيا وغرقوا فيه، فكان عليهم حجاباً بدل أن يؤمنوا بالله من خلاله، فأورثهم نار الحسرة والندامة تحرقهم حرقاً، فتجعلهم ينكبّون على نار الله الموقدة. ﴿..هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ..﴾

٩١- ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا..﴾: حرَّم القتل فيها في الجاهلية.

﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا..﴾: الدنيا حرَّمها لأنها حجاب وعذاب، الدنيا ملعونة، ملعون من فيها إلا ذكر الله وما والاه، والذكر بالمشاهدة، عندما تزيل الحجب التي بنفسك عندها تشاهد أسماء الله الحسنى كيف تنصبُّ على الخلق. فالدنيا للإيمان فقط، والله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ليؤمن الإنسان بالله، ويقدِّم الأعمال العالية التي بها جناته، وهكذا العهد مع الله سبحانه، لأن من شاهد الأدنى انحط، فعلى الإنسان أن يشاهد الأعلى، ومن عرف الخالق صَغُر المخلوق في عينه، والصلاة بحقيقتها كذلك وجهة إلى الله تعالى، وأي صورة بالصلاة تكون حجاباً بين العبد وربه. ﴿..ٱلَّذِي حَرَّمَهَا..﴾: لأنها لم تحمل التكليف، فهي أدنى من عطاء المؤمن. الله حرَّمها دون إيمان أو رابطة، ومَن أراد الدخول بها، عليه أن يلبس كما يلبس رجال الإطفاء ألبسة تقيهم من النار، ولكي يستطيع الإنسان فعل ذلك عليه أن يتردَّى برداء أبيه العظيم سيدنا إبراهيم عليه السلام لكي يحوز الارتباط بعد الإيمان. ﴿..وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ..﴾: ولله كل شيء، فلِمَ تتعلَّق بغيره وتتركه وتلحق الدنيا! أنت أيها الإنسان ليس لك شيء منها، لك الجنة. الله سبحانه وتعالى ما خلقك لها وإنما خلقها لأجلك.﴿ .. وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: المتكلم رسول الله ﷺ. العبادة لله وحده، لا يُسمع إلا القرآن الكريم.

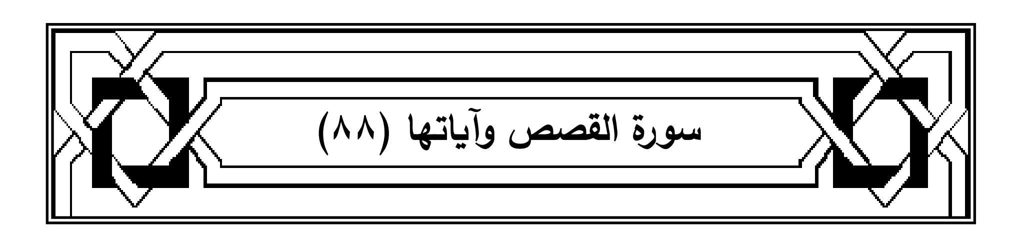
٩٢- ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ..﴾: الاختيار

﴿..وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ
فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

له، إن شاء الهداية سلك سُبلها. ﴿..وَمَن ضَلَّ..﴾: سمع وما طبَّق فما آمن. ﴿..فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾

٩٣- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ..﴾: قراءة الفاتحة في كل صلاة. ﴿..سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾.

والحمد لله رب العالمين



سورة القصص وآياتها (٨٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ①﴾

١ـ﴿ طسٓمٓ﴾: أصبحت طاهراً بإقبالك علينا، بعد التفكير واليقين أصبحت سليماً من كل العيوب وكذلك أصبحت محموداً عند الله والخلق.

إذن: ﴿طسٓمٓ ﴾: (ط): يا طاهراً لم تدنس نفسه بالدنيا، ولم تتلوث من أدرانها أبداً، وهو ﷺ في معارج الطهر يسمو محققاً ما خُلق لأجله من معرفة بالله وعدم الانقطاع عنه، في رقي متزايد وعروج في حضرة قدس الله مستمر متوالي وعِلْمٍ بطرفٍ من أسمائه الحسنى متعاظم متواصل لا يدانيه به أحد، وهو في مدرسة الطهر سالك وبإقباله على ربه سادر، وهذه مدرسة النبيين والمرسلين، فكان ﷺ فيها المعلّم والنبراس، فهو ﷺ النموذج الإنساني الأرقى لطالبي وجه الحق والحقيقة والمثل الأعلى والقدوة والنبراس لحاملي الأمانة، فالله يذكِّرنا دائماً بصفاته العليَّة الربانية. والرسول ﷺ نال منها مبتغاها وبلغ الحدَّ الأقصى الذي يمكن أن يبلغه إنسان، فكل من ارتبطت نفسه بنفسه الشريفة الطاهرة نقله في معرفة الله من حال إلى حال أعلى ومن رتبة إلى رتبة أرقى.

(س): أي يا سليماً ليس عليك شائبة ولم تتسم بميسم الخطيئة ولا العيب، لأنه ﷺ لم يتزحزح عن الله أبداً، وهذه شهادة الله فيه لأنه جاء إلى الدنيا ولم يتلوَّث بأوضارها أبداً، فهو بذلك سالم، وطالما أنه لم ينقطع عن الله أبداً ولم يزغ البصر إلى الدنيا طرفة عين، بل ظلَّ شاخصاً ببصيرته إلى الحضرة الإلّهية يستقي

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا..﴾

من الأسماء الحسنى ريّاً متواصلاً، فكان بذلك خُلُقه القرآن، ولازمته هذه الصفات العالية ولم تنفكّ عنه أبداً، فكان سالماً من الدنيا لأنه بالأصل سليم، فكلّ من اتّهم الرسول ﷺ بنقيصة أو نَسَبَ إليه الخطيئة فهذا الاتّهام مردود على صاحبه، لأنّ الله العظيم برّأه بوصفه أنه (سليم)، وعندما تعقل هذه الصفات الكاملة عنه عندها تحمده فترى أنه محموداً عند الخلق. (م): أي يا محمود، فرسول الله ﷺ طبيعته الكمال كيفما التفت مشربه الكمال، ونحن به نكمل ونستضيء.

٢ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: كشف لك الحق، هذه الآيات المطبوعة فيه، وتلك الآيات التي تحلَّت نفسه الشريفة بها، أي هذه الصفات من طاهر وسليم ومحمود هذه الصفات التي اتّصف بها ﷺ بإقباله على الله يبيّنها لك، فإن عقلتها وقدّرته عليه السلام وعظّمته نقلك إلى حضرة الله، فهو ﷺ الذي يريك كمالات الله وأسمائه الحسنى، وهو كتاب الغيوب، وهو الكتاب المبين الذي يبيّن لك عن كل ما كان مستغلق عليك وفيه ﷺ أضحى بيّناً واضحاً جليّاً. (ٱلْمُبِينِ): هذه الآيات تبيّن الحق، وكل من شاهدها نالها.

٣ـ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ..﴾: مما أعطيناه بالحق. ﴿.. وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ..﴾: وما أصبناه بالحق. ﴿..لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: ينتفع بهذا طالب الإيمان.

أحوال الناس اليوم وقصصهم نفس القصص التي جرت مع بني إسرائيل، والذي آمن وصار له نور من ربه يفهمها. فبكل عصر وزمان هناك فرعون وآل فرعون وبنو إسرائيل.

٤ـ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ..﴾: قتل وأجرم. ﴿..وَجَعَلَ أَهْلَهَا

﴿..شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ
وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

شِيَعًا..﴾: اتَّبع سياسة فرِّق تسد. ﴿.. **يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ..**﴾: لأنَّهم ما أطاعوا فرعون تماماً، وسلكوا مسلكاً مخالفاً لما يريده. ﴿.. **يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ..**﴾: أراه الله في المنام أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد ويقتله. وهذه الرؤية تحذير من الله لفرعون ليغيِّر سلوكه، لكن فرعون بدل أن يغيِّر ويتراجع ازداد في القتل والإجرام. ﴿..**وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ..**﴾: يستحق بنو إسرائيل مثل هذا، وهذه الإهانة ترجعهم إلى جادة الصواب. ﴿..**وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ..**﴾: عمل وسائلَ ليفتن النساء ويَذهب بحيائهن حتى يقعن بالفساد والرذيلة. ﴿.. **إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾: كل هذا ضمن قوانين. جعل للفساد قوانين، وخرج بذلك عن الإنسانية وأقام كل ما من شأنه أن يثير الفتنة بين الناس.

٥ــ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ..**﴾: استهان النَّاس أمرهم. ﴿..**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً..**﴾: يقودون النَّاس. ﴿..**وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ**﴾: يرثون الأرض. لا إلَه إلا الله. وهذا الشيء تحقَّق بعهد سيدنا موسى وبعهد سيدنا داود عليهما السلام.

٦ـ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ..**﴾: سيجعلهم خلفاء يحكمون إن ساروا بما أمر الله فأطاعوا سيدنا موسى عليه السلام. ﴿..**وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ**﴾: مما رأى فرعون في منامه أن رجلاً من بني إسرائيل سيقتله، كل قوَّتهم بلمح البصر وبضربة عصا من سيدنا موسى ذهبت.

٧ـ لَمَّا أذاق الله بني إسرائيل على يد فرعون وبال أمرهم وآن لهم أن يكشف

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾

الله تعالى عنهم ما هم فيه، أخرج هذا المولود الجديد الذي سيكون على يديه تدمير ما كان يصنع فرعون وقومه إذا لم يغيِّروا ما بأنفسهم ويرجعوا عن غيّهم وظلمهم وبغيهم، وبواسطته سيكون خلاص بني إسرائيل مما حلَّ بهم.

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ..﴾: في المنام. ﴿.. إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ..﴾: أم سيدنا موسى عليه السلام من المؤمنات العظيمات سمعت الوحي، سمعت كلام ربها. آمنت والله تعالى خاطبها، امرأة بلغت هذا المقام والرجال لم يبلغوه! كل إنسان لديه هذه الإمكانيَّة، متى زال الوقر والفحشاء يسمع الإنسان الكلام من المتكلِّم جلَّ وعلا. ﴿..أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ..﴾: خافت عليه، مؤمنة تقيَّة لها شهود وسماع، شاهدت حقيقة ابنها السامية العالية. شاهدت أنواره لذلك خافت عليه وحزنت على فراقه. ﴿..فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي..﴾: من فقدانه. ﴿..وَلَا تَحۡزَنِيٓ..﴾: من طول غيبته. ﴿.. إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ..﴾: وهذا ما حدث. من هذه القصة نستدل على أن الله هو المسيِّر لأمور الكون كله، لا إلَه إلا الله، لا يقع أمر إلا بإذنه. ﴿.. وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: نبي رسول.

٨ ـ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ..﴾: شاهدوه في اليم فأتوا به فرعون. ﴿..لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا..﴾: هكذا ظنّهم! المعاداة من الشيطان. الآية استفهامية؛ هل أرسله الله لقوم فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً؟! لا لم يرسله الله لهذا، أرسله رحمة بهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويدخلهم الجنة. لكنهم لم يؤمنوا فظنوا هذا وشاهدوا الصديق عدواً والعدو صديقاً. ﴿.. إِنَّ فِرۡعَوۡنَ

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾

وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾: بهذا الظن، جاء ﷺ ليسعدهم ويدخلهم الجنة. أخطؤوا بهذا الظن، وظَنُّهُم هذا رجع عليهم، فأُغرقوا ودُمِّرت بلادهم.

٩-﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ..﴾: آسية رضي الله عنها، زوجة فرعون عندما شاهدت سيدنا موسى قالت لزوجها: ﴿.. قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ..﴾: نقيّة طاهرة شاهدت بسيدنا موسى الحقيقة، ما اغترّت بالملك ولا بالمال والشهوات ولم تنشغل بهذا عن ربها. ﴿..لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا..﴾: استجاب فرعون لها، حيث ألقى الله تعالى محبة موسى ﷺ في قلبه، كل هذا من أجل أن يغيّر "فرعون" ويرجع إلى ربه عن طريق هذه المحبة التي وضعها الله بقلبه. لم يقتل فرعونُ موسى ﷺ، فالله الرحيم يجعل من السمِّ دسماً(١)، وهو سبحانه ليس بحاجة إلى قوتكم وليس بحاجة لشيء ولا لأحد ولكن يناله التقوى منكم. ﴿.. وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: لم يشعروا بما له من مقام عالٍ. ما عرفوا مقامه، شاهدوه طفلاً صغيراً كباقي الأطفال، لكن له حركات وأعمال غريبة. لو كانوا مؤمنين لعرفوه وعرفوا شأنه العالي، ولشاهدوا أنواره وحقيقته السامية، المؤمن بما له من نور يشاهد. غير المؤمن لا يشاهد حقيقة النبوة، كذلك لم يشعروا من قبل بسيدنا يوسف ﷺ فباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

١)- فالله الرحيم يجعل من السمّ دسماً: أي جعل من قلب فرعون المليء بالخبث والبعد عن الله تعالى جعله يميل بالمحبة لسيدنا موسى أثناء طفولته، ويربيه في قصره لعله يستفيد من هذه العلاقة للسمو والعلو، كما استفاد السحرةِ الذين كانت نفوسهم كلها سموماً وخبثاً وبلحظة التفاتٍ لسيدنا موسى العظيم ﷺ طهرت نفوسهم ودخلت على حضرة الله، ورأت الحق والحقيقة وأصبحت كلها طهارةً وسموّاً.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١ ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ..﴾

أما سيدتنا آسية زوجة فرعون، بإيمانها عرفت مقام سيدنا موسى عليه السلام وشاهدت حقيقته فأحبّته حبّاً عالياً، امرأة نقيَّة طاهرة تحسُّ وتقدِّر وتحبُّ أجمل خلق الله الجامع للكمال الصوري والمعنوي، والرجال لا يشعرون!.

١٠ـ﴿ **وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا..**﴾: لانشغالها على ابنها. ﴿.. **إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ..**﴾: من الفرح لما علمت أن فرعون التقطه، إذ أن الله بشَّرها بذلك وبردّه إليها وهنالك عادت لها طمأنينتها. ﴿.. **لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا..**﴾: لا إلـه إلا الله. ﴿..**عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾: حتى أن قلب الإنسان بيد الله، بالتجائها إليه سبحانه وتعالى ثبّتها وأراها مجريات الأمور وما سيجري فآمنت أن كل أفعال الله خير وسعادة، فازدادت إيماناً مع إيمانها.

١١ـ﴿ **وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ..**﴾: تتبَّعي أمره وما سيجري معه، فأم سيدنا موسى عليه السلام سارت بالقوانين ولم يعد للعاطفة النفسية فاعلية إلا ضمن قوانين فكرية بها الفلاح والنجاح، تماماً كنظام الكون، ومتى سلك المؤمن هذا السبيل فلا هزيمة أمامه. قالت أخته للنساء: أنها شاهدت صندوقاً في اليمِّ فأعلمنها بمستقرِّه، بعض الصديقات بتدبيرٍ ما أدخلنها القصر، فكانت بتقدير أحكم الحاكمين في اللحظة المناسبة عندما عجزت المراضع عن إرضاعه.

﴿.. **فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**﴾: دخلت بين النساء وما عرفن أنها أخته.

١٢ـ﴿ ۞ **وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ..**﴾: ذلك لأن كل شيء بيدنا. جاؤوه بعددٍ من المراضع فأبى وما ارتضى ثدياً، وكيف يرضع وقد كفَّ الله فمه عن الرضاع

﴿..مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٍ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ..﴾

وحرَّم عليه المراضع جميعاً. ﴿..مِن قَبۡلُ..﴾: من قبل أن تأتي أخته، فلما أتت: ﴿..فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٍ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾: وما أن جاءت أمُّه حتى أقبل عليها، وأخذ يرضع منها رضاعاً متواصلاً، ففرحوا بذلك أشد الفرح وكفّلوها إياه، وهكذا غلبت إرادة الله العظيمة الخيّرة وتمت فصول هذا الحدث العظيم، وعاد سيدنا موسى ﷺ إلى أمه، ولم ينجه تعالى من ذبح أعدائه فحسب بل أصبحوا حماةً له أيضاً، يكلؤونه بعيون الرعاية والمحبة والإكرام، ويغدقون عليه مادياً ومعنوياً، فكان منذ طفولته سيّداً على الجميع، كيف لا وهو متبنى الإله المزعوم فرعون. وهكذا يتولى تعالى الصادقين، فاصدق أيها الإنسان مع الله تعش من الدنيا بالجنات وتحظَ وتُحفُّ بالإكرامات الظاهرة والباطنة، وما خلقك ربك أبداً وتركك، فإن وجدت خلاف النعيم فاعلم أنك خالفت سنَّة من سنن الإنسانية وحُدت لطريق الهلاك، فارجع لربك يرشدك لخطئك فتنوي التغيير فيزول عنك كل هَمٍّ وغَمٍّ وسوء مصير وتغدو من المقرّبين.

كل ما يأتي الإنسان من سوء فهو من عمله لكنه لا يدري، فاصْفُ أيها الإنسان وفكر واصدق طالباً المعونة من الله يكشف لك انحرافك، فتغيّر فتلقى كُلَّ عِزٍّ وخيرٍ وإكرامٍ بعد زوال كلّ الآلام.

١٣ـ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ..﴾: كما وعدها تعالى، ردَّ سيدنا موسى ﷺ لأمّه وأعاده إلى أحضانها فأَمَّنَت واطمأنَّت. ﴿.. كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا..﴾: عندها قرَّت عين أم موسى به ﷺ. ﴿.. وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ..﴾: ذهب

﴿..وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ..﴾

الحزن عنها وعلمت أن وعد الله حق. ﴿..وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أنه سبحانه وتعالى هو الفعّال والمسيّر، لو آمنوا وساروا على الطريق التي بيَّنها الله لهم لغنموا من وجودهم وكسبوا علماً ورقياً وجناتٍ في الحياة وبعد الممات.

١٤ــ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ..﴾: بلغ سن الرشد. ﴿..ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا..﴾: حكماً مبنياً على علم وشهود، إنزال الأمور منازلها ووضع الحق في مواضعه، والحكم لا يكون إلا بعد العلم ورؤية الحق. ﴿..وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: كذلك كل من يسلك ويصبح من المحسنين نُعطه، والقصة التي ستأتي تبيّن إحسانه عليه السلام.

١٥ـ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا..﴾: كان خارج المدينة يفكِّر ويؤمن، وهكذا كل مؤمنٍ صادق لا يتعامل مع الله طلباً لإيمانه إلا خفيةً لصدقه بالطلب، لا للشهرة وليُقال فيضيع وجهته ويخسر صلاته ويكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، يريد عرض الحياة الدنيا. ﴿..فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ..﴾: رجل من بني إسرائيل من مريدي سيدنا هارون عليه السلام. ﴿..وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ..﴾: من القبط الكفرة. ﴿.. فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ..﴾: من شدة ثورة الحق بنفس سيدنا موسى كانت ضربته معبِّرة ساحقة ماحقة لباطل الظالم فقضت على باطله وعليه، وخرَّ القبطي المعتدي صريعاً ميّتاً. ﴿..قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ

﴿..إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

ٱلشَّيۡطَٰنِ..﴾: تخاصمكما من عمل الشيطان. إن اعتداء القبطي على الإسرائيلي من عمل الشيطان، فلما رأى سيدنا موسى ﷺ ما حلَّ بهذا الظالم بسبب ظلمه التفت إلى الإسرائيلي يعظه ويحذّره فقال: إن خصمك مات وحلَّ به ما ترى بسبب متابعته للشيطان فاحذر أن تطيعه في ظلم أحد لئلا يصيبك ما أصاب خصمك. ﴿.. **إِنَّهُۥ عَدُوٌّ..**﴾: للإنسان. ﴿..**مُّضِلٌّ..**﴾: يوقعه بالإجرام والفواحش ليحرمه من الجنة والسعادة. ﴿.. **مُّبِينٌ**﴾: وهذا الشيء واضح بيِّن حيث وسوس للقبطي وحرَّضه للاعتداء على الإسرائيلي.

١٦ـ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي..**﴾: بقتلي للقبطي فانكشف أمري وعرفوا بأني المطلوب. كنت بأمان والآن أصبحت بنظر فرعون مجرماً وصرت ملاحقاً، وبهذا عرَّضت نفسي للقتل والإعدام. لم يكن موسى ﷺ يريد أن يكون جباراً يقتل الناس، فحزن على عمله وطلب من الله أن يمحو من قلبه هذا الحزن. ﴿..**فَٱغۡفِرۡ لِي..**﴾: بهذا الضيق. وطلب أن يشفيه من تعلّقاته النفسية وصحبته ومحبته لأهله وأصحابه القدامى الظُّلاَّم في قصر فرعون. **(فَاغْفِرْ لِي)**: فحُلْ يا ربِّ بيني وبين فرعون واسترني عنهم، احفظني من شرّهم وأذاهم. ﴿..**فَغَفَرَ لَهُۥٓ..**﴾: حالَ الله سبحانه وتعالى بين سيدنا موسى ﷺ وفرعون وستر بينهما، فأرسله تعالى إلى سيدنا شعيب ﷺ وتعلَّم عنده ولم يستطع فرعون مسَّه بأذى، كذلك بهذا الضيق والحزن الذي أصاب سيدنا موسى زالت من نفسه كل متعلقاته القديمة أيام كان بقصر فرعون. ﴿.. **إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾: الفعَّال هو سبحانه وتعالى لا فعّال سواه. غفر له وأنزل في قلبه نعيماً عظيماً، لذلك قال

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾﴾

سيدنا موسى مخاطباً ربه:

١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾: يا رب لا أستطيع إلا نصرة الحق، دائماً مع الحق بما أنعمت عليّ وتفضَّلت، تفضَّلت عليّ بنعيم عظيم. بهذا العمل شفيتني فزالت من نفسي كل العلاقات الوديّة مع الشياطين من الإنس. ومن دعاء الرسول ﷺ:«**اللهم لا تجعل لكافر عليّ منّةً فيحبه قلبي**». «**اللهم ارزقني حبَّك وحبَّ من يحبك**».فيا أيها الإنسان، محبة المعرضين عن الله تورث الإعراض ومحبة الدنيا والكراهية والعداوة النفسية لله أرحم الراحمين بسبب التشرب النفسي اللاشعوري.فهذا نبي ورسول طلب من الله أن يشفيه، فما حالنا نحن إن تعلَّقنا بالأغيار؟!.اترك الدنيا وأهلها الأشرار عملاً وقلباً قبل الخوف والموت على جفاء وبُعدٍ عن رب العالمين.

١٨ـ ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ..﴾: فقط الذي لا فكر له لا يخاف، الأطفال يقفون أمام السيارة ولا يخافون. سيدنا موسى بقتله القبطي صار بنظر فرعون قاتلاً، وعند فرعون قانون وفي القانون القاتل يُقتل، وبهذه الآية يطلب سيدنا موسى عليه السلام من ربِّه العون والخلاص. ولكن مما يثبت صدق سيدنا موسى عليه السلام لنصرة الحق عودته لعمله البطولي في اليوم الثاني مضحيّاً بنفسه في سبيل نصرة الحق ورفع الظلم، فوقف ضد الباطل وأهله عن عمدٍ وسبق إصرار ولو كلَّفه ذلك حياته. ﴿.. فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾: قال للإسرائيلي: (**إِنَّكَ لَغَوِيّٞ**): لو لم يكن بنفسك شيء لما سلَّط عليك مثل هذا، غوي أي: مغيّر؛ كان سالكاً بطريق الحق

﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾

ثم غيَّر وسلك طريق الدنيا وشهواتها. هكذا قال موسى عليه السلام للإسرائيلي: أنت لست سائراً على الحق، أنت غيَّرت لذلك تسلَّط عليك القبطي الثاني، ولو لم تكن مستحقاً ما سلَّطه الله تعالى عليك وتغييرك هذا، **(مُّبِينٞ)**: ظاهرٌ من تسلطهم عليك.

١٩ـ﴿ **فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ..**﴾: سيدنا موسى. ﴿**..أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا..**﴾: يريد قتل القبطي الثاني وقلبه كلّه بكاءٌ وأنينٌ عليه، فرحمته عليه السلام وحنانه على الخلق عظيم بما اشتقَّه من حضرة الله. ﴿**.. قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ**﴾: ناقش القبطي الثاني سيدَنا موسى، قال له: إن ما أفعله من أمر أبيك فرعون، هكذا أمر وأنا أنفذ، وإن شئت الإصلاح يا موسى فقتلي ليس طريقاً للإصلاح، ولكن اذهب لأبيك فرعون فهو من يُصدر الأوامر واطلب منه أن يُلغي هذا الأمر ونعود مثلما كنَّا. ناقشه بالمنطق وسيدنا موسى يقبل المنطق، نظر بكلامه فوجده صحيحاً وشاهد أن طريق الإصلاح الصحيح ليس بقتله فتراجع. وبهذا العمل الذي قام به موسى عليه السلام مِنْ قَتْل القبطي خلَّص بني إسرائيل من ظلم فرعون وقتله أولادهم، حيث لم يبق هناك داعٍ لقتلهم، فالمراد هو قَتْلُ سيدِنا موسى والآن انكشف[١].

١)- إذ لَمَّا قتل سيدنا موسى عليه السلام القبطي المعتدي "الأول" انكشف أمره أنه من بني إسرائيل وأنه هو الذي يجب أن يُقتل، فهو إذن الطفل الذي رآه فرعون في الرؤيا... وهو الذي يُشكّل التهديد لملك فرعون...

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ..﴾

٢٠ـ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ..﴾: استكمل إيمانه اليقيني وهو في عروج متزايد من كمال لأكمل. ﴿..مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: لقد شاع في المدينة أمر قتل القبطي وتبيَّن أن موسى عليه السلام هو القاتل، فصمَّم فرعون وملؤه على قتل سيدنا موسى، وأراد الله أن يحفظ موسى ويخلِّصه من مكرهم وأذاهم، فساق له رجلاً مؤمناً اطَّلع على تلك المؤامرة وأخبر سيدنا موسى بها، وهذا كلّه يدلُّ على لا إله إلا الله.

٢١ـ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا..﴾: ترك الملك وذهب مهاجراً في سبيل الحق. ﴿..خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي..﴾: المهم، وأهمّ من كل مهم الالتجاء الحقيقي عند الشدة على الصائب[1] إلى الله تعالى، وهنا مفتاح كل مستحيل وكل صعب مهلك مستغلق، من أجل ذلك كان الإيمان وضرورته البالغة لكل الناس. ﴿.. مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لأنفسهم، فرعون وملؤه.

٢٢ـ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ..﴾: خرج من مصر وانتهى به المسير إلى بلاد مدْيَنْ. ﴿.. قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: الله كله رحمة وحنان وسوف يهديني لطريق النجاة والفوز. توجَّه سيدنا موسى لمدْين وهو نبي، فسرت أنواره قبل أن يصل إليها بجسمه الشريف.

٢٣ـ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ

١)- (على الصائب): عن إيمان يقيني وشهود.

﴿..وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾

وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ..﴾: دليل على تحجُّب المرأة وابتعادها عن الرجال. شعر سيدنا موسى بحرجهن وأن مصاباً هائلاً أصابهن إذ لم يسبق لهن أن وقفن مثل هذا الموقف، فسألهن: ﴿.. قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾: هنا إثبات الحجاب، وأنهما لم تخرجا إلا بعذر، كما جاء في الآية.

سيدنا شعيب عليه السلام نبيٌّ رسولٌ، أحسَّ بوجود سيدنا موسى عليه السلام وشاهد أنواره، لكن أثناءها لم يكن في بيته أحد من الرجال، لذلك أسرع بإرسال ابنتيه لهذا الهدف وبهذا العذر.

٢٤-﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا..﴾: سقى لهما سيدنا موسى وهو معرَّض لخطر الموت، ولم يلتمس لنفسه عذراً مبرراً للانصراف إلى همومه وغمومه، خالف الرأي الاجتماعي المنحط السائد، وهاجم الناس لنصرة نساء مستورات ليس فيهن مطمع لمرضى القلوب، واعتزَّ بقوانين الإلَه وأقدم على نصرة كلامه بكل فخر واعتزاز حين يخجل أهل الانحطاط من الاقتراب منهنَّ للعار الاجتماعي السافل. ﴿.. ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ..﴾: إلى ما تجلّى الله به عليه. التضحية سبب الرقي وبلوغ أعلى مقام. ولهذا خلق الله تعالى الناس وغرز فيهم الشهوات، ليكون لهم من مقاومتها في رضائه تعالى أرقى وأسمى المنازل. ﴿.. فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾: ضحى بحياته وهزم الرعاة، وقدَّم المساعدة لبنات نبيٍّ رسولٍ ودافع عنهن، إنه عمل كبير، وبه نال من الله تعالى خيراً كبيراً، لم يصبه الغرور والزهو بالذات والكبر، بل زاده عمله هذا افتقاراً إلى ذي الفضل والإحسان،

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ..﴾

فلم يتَّجه لذاته بل استعظم فضل الله عليه وسجد لربه حامداً متذلِّلاً مفتقراً متطلِّباً المزيد من عمل الخير.

٢٥ـ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ..﴾: الاستحياء: بالغ منتهى الحياء، برابطتها بأبيها سيدنا شعيب النبي العظيم امتلأ قلبها بالحياة الشريفة وتدفقت حياءً على مظهرها، فليس للشيطان إليها سبيل، وهي بين نبيّين، فانعدمت الصلات الأرضية. ﴿.. قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡ.﴾: كلام سيدنا شعيب عليه السلام هو كلام المكلَّف من الله تعالى، هنا طمأن سيدنا شعيب سيدنا موسى عليه السلام. ﴿.. نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لو أن سيدنا موسى ظلم القبطي بقتله لاشترك معه سيدنا شعيب بهذا الجرم إذ آواه وألجأه. وإن كلمة: (الظَّالِمِينَ) من سيدنا شعيب تبيِّن ظلم فرعون وقومه.

٢٦ـ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ..﴾: اقتحامه للسقاء وهو غريب وتعرضه لجميع الرعاء وهو وحيد. ﴿..ٱلۡأَمِينُ﴾: على الأموال والأعراض، وهذه شهادة بعصمة هذا النبي الكريم عليه السلام من بنات نبيٍّ رسول أسمى وأعلى وأشرف من أن يكذبن أبداً ما دمن في حصانته عليه السلام.

٢٧ـ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ..﴾: رغب سيدنا شعيب أن يجعل سيدنا موسى زوجاً لابنته لما رأى فيه من صفات، استعمال الصورة

﴿..عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ..﴾

والحقيقة،فالكُمَّل وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، أعمالهم كاملة بكافة الوجوه، وفيها نفع لابنة سيدنا شعيب عليه السلام أيضاً مع الاستغناء الكامل بالله، وعدم الاستغناء عن فضله تعالى. ﴿..عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ..﴾: والحجج: جمع حجة وهي السَنَة، إن أكبر طموح للرسل والأنبياء أن يبلغ الإنسان هذه الشهادة العليا، ألا وهي الحج، فيستنير بنوره تعالى وتتفتّح بصيرته فيرى الخير خيراً والشر شراً ويحصل له عرف بأسماء الله الحسنى. ﴿..فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا..﴾: أي أن مدّة الثماني سنوات هي المهر الذي كان متعارفاً عليه في ذلك الحين، والعشر سنوات لكي يعطي سيدُنا شعيب سيدَنا موسى علومه كاملة إذ أن سيدنا شعيب شاهد سيدنا موسى وصدقه وطموحه وأنه سيبلغ المنازل العليا، أي سيصبح من حملة العرش وأن رسالته ستبقى آلاف السنين. وما مثل الفرق بين الثمان سنوات والعشر سنوات إلا كمثل طالب نال شهادة جامعية أو أكمل دراسته حتى ينال شهادة الدكتوراه. ﴿..فَمِنْ عِندِكَۖ ..﴾: خيَّره حيث أن الاختيار له ولا إكراه. ﴿..وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: لك. أي ستنال ما تناله وتغرف ما تغرفه من علوم بالله تعالى خلال هذه السنوات ما يؤهلك لتتنزَّل عليك الرسالة.

٢٨ـ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ..﴾: أي أكون قد أدّيت المهر. ﴿..وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

٢٩ـ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ..﴾:

﴿..نَارًاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ..﴾

التجلي الإلهي. ﴿..نَارًا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا..﴾: هذه النار هي نار حُبِّه لله، مثَّلها له الله تعالى صورة أمامه. ﴿.. لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ..﴾:فلا بدَّ أن النار حولها من أوقدها أي ليسألهم عن الطريق. ﴿..أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾: تتدفَّؤون.

٣٠ـ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا..﴾: سيدنا موسى عليه السلام. ﴿.. نُودِيَ..﴾: أتاه النداء من قبل رب العالمين. ﴿.. مِن شَٰطِيِٕ..﴾: من شاطئ سيدنا محمد ﷺ، رسول الله بالأزل سما وعلا وأقبل على ربه إقبالاً فاق به كل السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، وقد شاهدوا سموَّه وسبقه وعلوَّه عليهم، وهم لم ينقطعوا عن الله لذلك هم بشهود دائمي، وميثاقهم أن يكونوا معه. قال تعالى: (وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾)[1] .

إذاً: الرسول النبيّ الأميّ هو الوادي الأيمن وسيدنا موسى على شاطئه. ﴿..ٱلۡوَادِ..﴾: لكل نفس وادٍ، والنفس تسري بوديان كثيرة، وسيدنا موسى بالوادي المقدس طوى. ﴿.. ٱلۡأَيۡمَنِ..﴾: هناك يُمن وأيمن والأيمن، وسيدنا موسى عليه السلام وصل لشاطئ الوادي الأيمن لذلك ظلَّ سيدنا موسى عليه السلام ألوف السنين يتلو

---

١)- سورة آل عمران: الآية(٨١).

﴿..فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾..﴾

كلام الله على الناس إماماً[1] . ﴿..فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ..﴾: مكان دخول الرسل والأنبياء على الله من الشجرة المحمدية، فلكلٍّ مدخل، سيدنا موسى ارتبط بسيدنا هارون أولاً ثم بسيدنا شعيب وبعدها بالشجرة المحمدية. ﴿..أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: تحويل من حال لحال ليسلِّمه الرسالة، مملكة رسول الله ﷺ حَوَتْ كل الجنان، وسيدنا موسى عليه السلام شاهد جمال وجنات رسول الله فهام به ﷺ، فقال له رب العالمين يا موسى أنت رسولي مثله، تعال عندي وأنا أعطيك، هو بالحال وأنت بالحال والقال، دخلت مقامه رفعناك وفتناك فتوناً.

٣١-﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾: سيدنا موسى عليه السلام بوادي الطهارة، بالوادي المقدس طوى، يطوي الكمال طيّاً فمن حال لحال أعلى، وهو بمحادثة مع الله تعالى وأثناءها جرت هذه الحادثة حيث انقلبت العصا لِحَيَّة، سيدنا موسى يعرف أن هذه من أعمال السحرة، والسحرة بوديان الانحطاط والنجاسة، لذلك خاف لأنه عليه السلام طاهر ويكره وينفر من هذه الأشياء، كمن استحم وخرج إلى الشارع فشاهد جيفة تراه يهرب من قذارتها وروائحها النتنة، لذلك وصف الله تعالى حاله وطهارته وطهارة الأنبياء صلوات الله عليهم فقال:

١)- انتقل جسماً عليه السلام، لكن وظيفته القلبيّة سارية دائماً وهو إمام العالم "يقيم الصلاة للمؤمنين والأتقياء" حتى ظهور رسالة سيدنا عيسى الذي تولى هذه الوظيفة، وأصبح هو الإمام ومن ثم حتى ظهور سيدنا محمد ﷺ.

﴿..ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ..﴾

(وَلَّىٰ مُدْبِرًا) خوفاً من النجاسة ومدبراً إلى الله بالتجاء حتى يبقى له هذا الحال العظيم مع ربه وتطول معه المحادثة.

٣٢ـ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ..﴾: ضع يدك على صدرك فتخرج بيضاء حيث الصدر مستقر النفس، اليد دليل العمل، والرسل والأنبياء الكرام أعمالهم كلها عالية. سيدنا موسى ؑ سيقف موقفاً عظيماً، سيقف أمام فرعون الطاغية، لذلك أمره الله تعالى بأن يتذكر أعماله العالية، فقال له اسلك، أي: سلّك في نفسك أعمالك العالية شيئاً فشيئاً "تذكرة"، وبهذه التذكرة نفسه تكسب ثقة كبيرة فتقبل على الله إقبالاً عظيماً. ﴿.. مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ..﴾: على الناظرين إليها، كل من ينظر إليها لا تؤذى عيناه رغم أن نورها أقوى من نور الشمس ومع ذلك جميعهم يستطيع النظر إليها، والله بهذه الآية رحمة منه أراهم شيئاً من نور الآخرة على يد سيدنا موسى لعلهم يؤمنون. ﴿..وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ..﴾: الجناح يطار به، فنفس رسول الله ﷺ الشريفة هي الجناح الذي يُطار به لله تعالى فهو يطير بالمقبلين بمعيَّته إلى الله، قال تعالى لرسوله: (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[1]. سيدنا موسى لا يستطيع تحمل هذا الإقبال العالي على الله تعالى لوحده دون منظم ووسيط، لذلك أمره ربه قائلاً: (وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ)[2]: أي: ارتبط برسول الله محمد ﷺ. وذلك حتى يستطيع التَّحمُّل، إذ ستحصل له رهبة عظيمة من لقاء الله سبحانه وتعالى.

١)- سورة الشعراء: الآية (٢١٥).

٢)- وهذه مشروعية ضم اليدين إلى الصدر في الصلاة تعبّر بحقيقتها عن الارتباط برسول الله ﷺ حتى تحدث الصلاة للمصلي على حقيقتها ويتم بمعيّة رسول الله ﷺ الدخول على الله.

﴿..مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ
كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ
﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا..﴾

﴿.. مِنَ ٱلرَّهْبِ..﴾: مشاهدات عظيمة كبيرة لها رهبة وعظمة في نفسه عليه السلام. ﴿..فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ..﴾: اليد والعصا. ﴿..إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: خارجون عن الحق.

٣٣-﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: المحادثة مع الله سبحانه وتعالى، سيدنا موسى قتل من قوم فرعون قتيلاً وعندما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون، قال سيدنا موسى لربه يا رب أخاف أن يقتلوني، وبهذا يطلب المعونة منه تعالى، الرسل والأنبياء دائماً مفتقرون إلى الله تعالى لا يرون لأنفسهم حولاً ولا قوة، وبهذا الخطاب يطلب عليه السلام من الله العون وتهيئة أسباب الهداية لفرعون وقومه.

٣٤-﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ..﴾: المؤمن يحب الخير للجميع. أثناء عودة سيدنا موسى من عند سيدنا شعيب طلب منه تعالى الذهاب إلى فرعون، فأحب عليه السلام أن ينال سيدنا هارون الخير والأجر من الله، فطلب من ربه أن يرسله معه ويرافقه. ﴿..رِدْءًا..﴾: وهذه الكلمة مشتقة من ردَّ ورأى، والمعنى أن سيدنا موسى عليه السلام طلب أن يكون سيدنا هارون معه ليردَّ عنه ما يراه من إعراض وكفر وانحطاط فرعون وقومه.

﴿.. رِدْءًا..﴾: ترتكز نفسي عليه حينَ توجهي للمعرضين فرعون وقومه بقصد هدايتهم، فأعمالهم السوء جعلت نفوسهم سوداء منحطة، وبكلام سيدنا موسى معهم سيضيق صدره عليه السلام من رؤية حالهم هذا فلا يستطيع الكلام، عندها ينظر بسيدنا هارون فيرى الأنوار والتجليات الإلٓهية والجمال عليه، وبهذا يستعيد

﴿..يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ ..﴾

قوته ونشاطه ويعود عليهم مرة أخرى، فسيدنا هارون بهذا الموقف بالنسبة لسيدنا موسى محطة للراحة واستعادة للقوى أو كالواحة وسط الصحراء أو كالزهرة يشمها في كل حين. ﴿.. يُصَدِّقُنِيٓ..﴾: ينطبع به الحق كلام الله، فالتصديقُ هنا ليس بالقول وإنما بالقلب، حيث سيخط سيدنا موسى أنواراً وتجلياتٍ وحقائق أسماء الله الحسنى في نفس هارون عليه السلام. ﴿..إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: فرعون وقومه.

٣٥ـ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ..﴾: الخير يستجيب له الله تعالى مباشرة، والشر يؤجله مالم يجزم المخيَّر. ﴿.. وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا..﴾: أنا معكما. ﴿.. فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾: قانون عام، (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ..)[1]. النصر لهم وملازمهم وكل من اتَّبعهم بإحسان، له هذا.

٣٦ـ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ..﴾: جاءهم من ربِّه ببيان عالٍ سامٍ منطقي، بيَّن أنه عليه السلام رسولٌ من عند الله. ﴿.. قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ما نظروا بكلامه، ببيانه، ما فكروا بدلالته، لو فكروا ما قالوا هذا.

٣٧ـ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ

١)- سورة المجادلة: الآية (٢١).

﴿..إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ..﴾

عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لأنفسهم، الذي ظلم نفسه ما عرَّفها على الله لا يفلح، لا يناله خير، الخير من الله، إن فكرت وآمنت صبَّ عليك الخيرات، قد أفلح المؤمنون.

٣٨ــ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ..﴾: سيدنا موسى عليه السلام نبي ورسول عظيم وكان متبنى فرعون، أثَّر فيه بأحواله وأنواره وبلغ فرعون معه عليه السلام أحوالاً قلبية عالية، وبهذا التأثير نوى فرعون الإيمان وطلب من هامان أن يبني له صرحاً، أي: بيتاً من طين فيه ألواح زجاجية صافية حتى يرى السماء وما فيها من آيات من خلال نوافذ الزجاج وهو جالس في هذا البيت، فهو رجل كبير بالسن، وللوصول للإيمان بالله لابد من النظر في السموات والتفكير بها. ﴿.. وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: تراجع عمَّا نوى وقال هذا عندما قام قومه "حاشيته" ووقفوا بوجهه، فخاف على ملكه وسلطانه أن يذهب منه، فقال إني لأظنه من الكاذبين، وقفوا ضده مثلما وقف ضدهم عندما تكلم معهم سيدنا موسى عليه السلام في اللقاء الأوَّل وأثَّر فيهم وشاهدوا عن طريقه ما شاهدوا من الحق.

٣٩ـ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ..﴾: استكبروا عن طاعة الله والرسول. ﴿..فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ..﴾: ما كان لهم أن يستكبروا، فلا فعل لهم ولا حول ولا قوة، جاؤوا عراة وسيخرجون عراة. وقد تبيَّن لهم أن سيدنا موسى مرسل من الله.

﴿..وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ
فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةًۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم
مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا..﴾

﴿..وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾: سبب استكبارهم أنهم ما فكروا بالموت والرجعة لعنده سبحانه وتعالى. لو فكروا بالموت لخافت نفوسهم واستطاعوا التفكير بالكون وآياته، لكن ما فكروا لذلك ظنوا هذا الظن.

٤٠- ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ..﴾: أغرقوا في البحر. ﴿..فَٱنظُرۡ..﴾: أيها الإنسان اعتبر بمن سبق. ﴿.. كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ما ساروا بالحق ظلموا أنفسهم، عصوا الله ورسوله فحرموا أنفسهم من السعادة والجنة وجاءهم الهلاك.

٤١- ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً..﴾: حسب طلبهم صاروا أئمة الكفر. ﴿..يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ..﴾: هكذا حالهم، كل من سار على نهجهم " بكل زمان فهو من آل فرعون " وسيلقى نفس مصيرهم، صاروا قدوة يهدون إلى النار لـمَّا ظلموا. ﴿..وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾:لا ينصرون لضرورة المداواة، ذهبوا للآخرة ولا عمل صالح لهم، فيحترقون والله يداويهم بالنار.

٤٢ــ﴿ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً..﴾: بعداً عن الله بسبب كفرهم وإعراضهم وإنكارهم. ﴿..وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾: بلباس أعمالهم القبيحة لنفوسهم، بسبب روائحهم النتنة وأمراضهم المضنية وعللهم الخبيثة، فتراهم أذلاّء منكسرين.

٤٣- ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ..﴾: التوراة، كان يتنزل من قبل الصحف. ﴿.. مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ..﴾: تنزَّلت التوراة على موسى عليه السلام

﴿..ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ
بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ
أَنشَأۡنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا
وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ
أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

بعد هلاك فرعون وملئه. ﴿..بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ربَّهم وأسماءه الحسنى.

٤٤-﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ..﴾: في مصر، لما أُغرق فرعون. ﴿.. إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: ما الذي جرى.

٤٥-﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ..﴾: تداولت الأيام. ﴿..وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ..﴾: الذين التجأ إليهم موسى ﷺ. ﴿..تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا..﴾: الآن. ﴿.. وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾: ولكنك مرسل مِنّا إلى الناس.

٤٦-﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا..﴾: حين ناجينا موسى، لَمَّا كلَّمنا موسى. ﴿.. وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ..﴾: أنزلنا إليك هذا البيان. ﴿.. لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ..﴾: نذير مثلك. ﴿.. لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: فضلنا عليهم فيؤمنون.

٤٧-﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ..﴾: ولولا عطفنا وحناننا على هذا الإنسان، حينما تصيبهم سيئات ما عملوا. ﴿..فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولاً..﴾: لولا بيَّنتَ لنا على لسان رسولك.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿.. فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: بك.

٤٨ــ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ..﴾: محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿.. ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا..﴾: بكلام الله. ﴿.. قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ..﴾: أرادوا منه المعجزات.﴿.. أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ..﴾: كفروا بعد المعجزات. ﴿.. قَالُواْ سِحۡرَانِ..﴾: لم يجدوا ما يبرر إعراضهم إلا أن قالوا سحران. ﴿..تَظَٰهَرَا..﴾: اتفق مع السحرة. ﴿.. وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴾.

٤٩-﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ..﴾: التوراة كلام الله، القرآن هذا البيان كلام الله، وكلاهما يهدي إلى الحق والسعادة والفضيلة، وكل قول لا يُقبل ما لم يرد بكتاب الله، هل من كتاب غير كتاب الله يدعو للمودّة والإنسانية والرحمة؟!. ﴿..أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: بطلبكم للحق.

٥٠-﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ..﴾: سبب إنكارهم وكفرهم أنهم لأهوائهم متبعون، يريدون الدنيا لا الآخرة. ﴿.. وَمَنۡ أَضَلُّ..﴾: لنفسه. أضل نفسه عن السعادة التي خلق من أجلها. ﴿.. مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ..﴾: لا يريد السير على كلام الخالق بل على كلام المخلوق لأنه يوافق هواه. ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذي ظلم نفسه، ما آمن، كيف يهديه الله؟! كالمريض الذي لم يذهب للطبيب فهل يخلص من علته؟.

﴿ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ.. ﴾

٥١- ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ.. ﴾: قول الله العظيم المُنزَّل على رسول الله ﷺ، فلم يبقَ لأحد من حجة، الصادق بطلب الحق والحقيقة يتبع ويهتدي، الكاذب ينكر. ﴿.. لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾: فضلنا وإحساننا عليهم فيقبلون على الله بمن جعله الله هادياً لهم وسراجاً منيراً.

٥٢- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾: لأن القرآن والإنجيل والتوراة كلهم سواء في الحق لكن القرآن أكثر تفصيلاً. كثيرون جاءهم الهدى آمنوا وانطبع الحق بنفوسهم.

٥٣- ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ.. ﴾: شهد لهم رسول الله ﷺ فآمنوا. ﴿.. قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ.. ﴾: شاهدوا بيانه، كلامه ودلالته من الله. ﴿.. إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴾: لله. كله رحمة، حنان، عطف. من آمن حقاً وبما انطبع في نفسه من الحق إذا سمع بكلمة عن رسول الله ﷺ صدّقها كل التصديق، إذ يجدها مطابقة لما في نفسه، فبكماله يشهد طرفاً من كمال رسول الله ﷺ، وبما اصطبغ به قلبه من الحق يرى الحق الذي جاء به رسول الله، فيصدِّق بكلمات الله ورسوله ويصدِّق بالحق وأهله.

٥٤- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ.. ﴾: في الدنيا والآخرة. ﴿.. بِمَا صَبَرُواْ.. ﴾: على أنفسهم، جاهدوا فيها وصبروا على إخوانهم حتى آمنوا. ﴿..وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ.. ﴾: يعامل الخلق كلهم بالإحسان، يقابل السوء بالإحسان، ولكل ما يناسبه وعلى حسب الحكمة. ﴿.. وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾: ينفقون من

﴿..وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ..﴾

علمهم ومالهم وجاههم، يعملون المعروف ليزدادوا إقبالاً على الله وصلاة.

٥٥ـ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ..﴾: الباطل، ألا كل ما خلا الله باطل. ﴿..أَعْرَضُواْ عَنْهُ..﴾: لأنهم عرفوا أن الدنيا فرصة ثمينة، فلا يضيّعون أوقاتهم باللغو الباطل، بل بفعل المعروف والإحسان والإقبال على الله. ﴿..وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: المؤمن يبتعد لئلا يلوث نفسه، الكافر نفسه كلها شهوات منحطة، تارك الصلاة لا خير فيه، المؤمن بغيته الله وما عنده، لذلك يبتعد عن اللغو وأهله ويترك بسلام.

٥٦ـ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ..﴾: من رحمته ﷺ بالناس يتطلب هدايتهم، فأخبره الله تعالى أن الاختيار للإنسان ذاته ولا إكراه بالدين. ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ..﴾: كل من شاء الهداية هداه الله، الاختيار بيدك أيها الإنسان، فما دمت مستسلماً لشهواتك غير طالب الهداية والحق بصدق فلا يمكن أن تهتدي. إن شئت الهداية والاستقامة، ووجد ربُّك فيك الصدق رزقك مشيئة الاستقامة وهداك إليه، وهذه الآية تبيّن عدل الله في خلقه ورحمته بعباده، فلم يخص سبحانه بفضله أحداً، بل جعل نيل الفضل والجنة متوقِّفاً على مشيئة الإنسان واختياره. ﴿.. وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: بطالبي الهداية لأنفسهم. أي الصادقون بالطلب الذين بصدقهم سيسلكون بطريق الحق لا يبدِّلون ولو أطبقت عليهم أمم الأرض، ولهؤلاء الصادقين الشأن والنصر.

٥٧ـ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ..﴾: ما لم يؤمن

﴿..أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ..﴾

الإنسان بالله إيماناً ذاتياً شهودياً يرى مع الله آلهة كثيرين، ويظن أن للمخلوق حولاً وقوةً وفعلاً؛ يقتل، يُفقِر، يَسجن، لو آمنوا بالله المسيّر ما قالوا هذا. ﴿..**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا..**﴾: رَدَّ أبرهة عن الحرم. حين يدخلون الحرم، يحرم القتل والنهب. ﴿.. **يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لا إله إلا الله ما آمنوا بها، إيمانهم نقلاً لا عقلاً.

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)[1].

٥٨-﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا..**﴾: حين تفاخرت في الزينة والمال فأفسدت. ﴿..**فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ**﴾: أين من سكن قبلك وحكم؟ ألا تفكر بمن سبق، هل من فعلٍ وحولٍ وقوةٍ لهم أما ماتوا؟ هو سبحانه وحده الفعَّال والمسيِّر، جاؤوا للدنيا وتمتَّعوا، أكلوا وشربوا وتزوَّجوا ثم ماتوا وتركوا كل شيء.

٥٩-﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ..**﴾: بإنكارهم الحق واتباعهم أهواءهم استحقوا الهلاك. ﴿..**حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا..**﴾: لا يهلكها ويدمّرها حتى يرسل لهم رسولاً ينذرهم ويبيِّن لهم. كل الأقوام التي أُهلكت كان فيهم رسول دلَّهم وأنذرهم، لكن لمَّا لم يستجيبوا جاءهم الهلاك. ﴿.. **يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا..**﴾: الدالة على لا إله إلا الله، بيَّن لهم كلام الله الحق، دلَّهم على الإيمان والتفكير، وبيَّن

١)- سورة يوسف: الآية(١٠٦).

﴿..وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ
فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن
وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

لهم أسماءه تعالى الحسنى وأنه لا ظلم في الكون. ﴿.. **وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ**﴾: لأنفسهم، ما ترك الله سبحانه لهم طريقاً للهدى إلا واتبعه معهم، بالإكرام والإنعام ما ساروا، كذا بالشدة ما ساروا وأنكروا، إذاً لابد من الهلاك.

٦٠-﴿ **وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ**..﴾: مال، منصب، جاه، مساكن، قصور، نساء. ﴿.. **فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا**..﴾: كلّهُ سيزول عنك وتتركه، مؤقت، ففتش عن الباقي. ﴿.. **وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ**..﴾: باقٍ ودائم، موجود لا حدّ ولا نهاية له. ﴿..**أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾:زين الله سبحانه الدنيا، وجعل ما جعل من زينة للنفس لا من أجل أن يغرق الإنسان بها وينسى ربَّه، هذه الزينة جعلها الله لتكون سبباً ووسيلة لك أيها الإنسان لتقبل بها عليه تعالى، حيث بجهاد نفسك بها إن كانت لا ترضي الله، تغدو أنت ذا وجه أبيض فتقبل على الله وبعملك العالي تنال الجنة.

٦١-﴿ **أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ**..﴾: رسول الله ﷺ وآله الكرام البررة لهم جنتان، جنة بالدنيا وجنة بالآخرة. ﴿.. **كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**..﴾: حبَّاب الدنيا طالبها أعمى عمَّا سواها من جنات وسعادة. ﴿.. **ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ**﴾: من سجن القبر ورعبه وآلامه، هذا الإنسان الذي كرَّمه الله على العالمين ورفع شأنه حتى فوق الملائكة ينقلب عبداً مجرماً جاثياً مكلّلاً بالعار على مشهد الخلائق يُحضر موجوداً، ما أعظمه من ذلّ وما أكبر حقارته يومئذ! هذا حال من تَمَتَّعَ بدنياه يُساق موجوداً إلى النار، لمَّا يرى دناءته

﴿..وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ..﴾

وما عمل من سوء ويرى ما ضيَّع على نفسه وما خسر مما أعدَّه الله له، هنالك تلتهب نفسه بنار الحسرة والندم فيطلب النار لتنسيه ما به من آلام، فَيُساق إليها.

٦٢-﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ..﴾: الذين كنتم تسيرون بدلالتهم، هذه عبادة الآباء والأجداد، ساروا على كلامهم دون مطابقته لكلام الله، أشركوا مع كلامه تعالى كلام الأجداد. ﴿.. ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾: أنهم أهل علم ومعرفة، فأنكرتم كلامي ودلالتي ورسولي وسرتم على ما شرّعوه لكم من دينٍ مالم يأذن به الله.

٦٣-﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ..﴾: هؤلاء هم الشركاء المزعومون الذين صَدَقوا للدنيا الدنيَّة وصمُّوا أبداً. الضالُّون المُضِلُّون المبتدعون المخترعون القادة إلى الدنيا أئمة النار. أعرضوا فلم يُقبلوا على ربهم أبداً، أما الفكر والمصير والنهاية المعروفة فلم ينظروا إليها بل عَمُوا عن مستقبل ما بعد الموت واندمجوا بالدنيا وسُرُّوا بها، تعشَّقوها ولم يلتفتوا لما سواها فضلُّوا وحبطت أعمالهم. ﴿..رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَغۡوَيۡنَآ ٱلَّذِينَ..﴾: زيَّنا لهم الدنيا وشهواتها فاتبعونا وساروا معنا في الضلال، كانوا نفوساً كالبهائم لا ترى إلا اللحظة الحاضرة ولذّتها، فلم يفيدوا من فكرهم الذي يؤدي لعقلهم والخشية من النتائج والعمل لها قبل حلول الوبال عند الموت. ﴿..أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا..﴾: شاهدوا كافة النفوس التي قضوا عليها، فحكموا بذلك على أنفسهم بأنفسهم وعلموا ما جلبوا عليهم من بلاء وتعس، لأن ذلك سبق وجرى عليهم واعترفوا بضلالهم وأنه سبب إضلالهم. ﴿..تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ..﴾: والآن اكتشفوا الحقائق وشاهدوا أنه ما كان أحد حقاً يحبهم حباً مجرَّداً بل لاستغلالهم،

﴿..مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

هنالك تبرَّؤوا. ﴿..مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾: نحن زيَّنا لهم فلحقونا لخبث نفوسهم اتبعوا أهواءهم. والحقيقة أنه لولا خبث نفوسهم ما تركوا الله واتبعوهم وساروا معهم، الخبيث يلحق الخبيث، هذا قانون.

٦٤ـ﴿ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ..﴾: كل واحد منهم ملتهٍ بآلامه وأوجاعه، فلا أحد يلتفت لأحد. وتبيَّن أن لا فعل لهم، من شاهدها في الدنيا فاز وأفلح، ومن لم يشاهدها إلا في الآخرة "بعد الامتحان" كان من الخائبين النادمين، وسبب ذلك العمى لعدم سلوك سبل الإيمان ومشاهدة الحق في غير أهله. ﴿.. وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ..﴾: رأوا أن لابد من دخولهم النار علاجاً لهم وجزاءً على ما فعلوا. رأوا العذاب عندما توجَّهت واشتاقت نفوسهم لعلاج النار للخلاص من الحسرات والعار الذي ظهر لهم وبان. ﴿..لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾: على هذه حسراتهم. لو أنهم تقبَّلوا الهداية وسلكوا مسالكها لوقوا ولكسبوا.

٦٥ـ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ..﴾: الله سبحانه وتعالى. ﴿.. فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: أتتكم آياتي تُتْلى على رسلي من أجلكم لسعادتكم فما عبأتم وما استجبتم وما آمنتم، بل لكلامي ورسلي أنكرتم.

٦٦ـ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ..﴾: الأخبار. من لا يسلك النظم والقوانين التي رسمها رب العالمين فأعماله حسرات عليه، ومهما كانت صورتها عظيمة فنواياها سقيمة أرضية حين تتكشف حقيقتها. إن لم ينجح بالمشاهدة هنا فأنّى له أن ينجح هناك. ﴿..فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يلتفتون لحبيب، لأم، لأب،

﴿..فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

لصاحب،لِتَبَيُّن زوال الفاعلية، فلا عطف ولاحبّ، كلّه كان من الله وهم لم يؤمنوا، فما أعظم خسارتهم وحسرتهم لأنهم لم يؤمنوا!.

٦٧ـ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ..﴾: الأساس: التوبة عن المنكر، عن المعاصي. التوبة: تغيير الوجهة، وإلاّ فكل عمل ظاهره لله، باطنه للدنيا الدّنية. ﴿..وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا..﴾: إذن لا يتمّ الإيمان وعمل الصالحات إلا بعد تغيير الوجهة بالتوبة. ﴿..فَعَسَىٰٓ..﴾: ما كل من دخل المدرسة خرج بالدكتوراه كثيرون ينقطعون. ﴿..فَعَسَىٰٓ..﴾: إن صبر وصلّى وصابر ورابط فاتّقى الله. "وقليل من عبادي الشكور". فهم بإتمام التطبيق من أصحاب اليمين، أو لابد من علاجه إلا المتقين طالبي التقوى. ﴿..أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: المبصرين، أهلاً للعطاء الإلٰهي.

٦٨ـ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ..﴾: أهكذا يقولون!. ﴿..مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ..﴾: ألم تكن لهم الخيرة؟!.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: يخلق العمل الذي يشاء تنفيذه. ﴿.. ۗ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: يختار للإنسان ما كان اختار الإنسان لنفسه.

﴿.. سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزَّه الله تعالى عن هذا بما أشركوا من قول مخلوق مثلهم، ينسبون إليه سبحانه الظلم لعباده.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى بالأزل عندما عرض عليهم الأمانة كان لهم الخيرة، لكن ضَيَّعوها بالشهوات والخيانة، لذا يخلق الله ما يشاء بناءً على ما بنفوسهم، أي: بما صمَّموا وأرادوا، وأنسب شيء لهم من أجل هدايتهم، فالموز

﴿..وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ..﴾

أنسب شيء لزراعته في الساحل، كذلك أنت أيها الإنسان وَضَعَكَ ربك بأحسن بيئة لك وبالزمان المناسب لك، ولو اطَّلعت على الغيب لرضيت واخترت الواقع، فعلى حسب وضعك يخلق لك ربك، فهذا الذي خلقه لك وأرسله وما تَلقَّاه وتجده من مرضٍ وفقرٍ أو عطاءٍ وإحسانٍ أنسب شيء لك، وعلى حسب حالك وما تستحق، فالأعمى أنسب شيء له العمى، والأعرج كذلك، وبهذا يزيل لك ربك كل العوائق والموانع التي تقف بطريق هدايتك ووصولك الجنة والسعادة.

وعلى هذا يكون ما نفهمه من هذه الآية الكريمة:

﴿ وَرَبُّكَ..﴾: يا محمد. ﴿.. يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ..﴾: فكل ما يجري هو أبدع ما يمكن، إذ ليس بالإمكان أبدع مما كان، إذ كلّه ضمن الحنان والحلم للرحمة وللعطف ابتغاء العطاء عند الانتهاء، أو الالتفات أو التوبة أو للبهاء. وإن لم يشاهدوا ذلك فلأن أحكامهم من مصدر عمى. إذن انظر بنور الله لوجه الله عندها تحكم، وتحمد ربك فلا تُعرض فتحكم غير الحق.

٦٩ـ﴿ وَرَبُّكَ..﴾: يا محمد ﷺ. ﴿.. يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يُعْلِمُك ويكشف لك ما تُكِنُّ صدورهم من نوايا وما يعلنون من قول.

ما تخفي وما تعلن أيها الإنسان معلومٌ عند الله ورسوله. إذن عليك بالرابطة والاستنارة لتكون لك الحجة على الناس، فلا ينطلي عليك مكر الماكرين وخبث المندسين، فترحمهم ولعلك تنقذهم.

٧٠ـ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ..﴾: صاحب الأسماء الحسنى، كله سبحانه رحمة، حنان، عطف عليك أيها الإنسان. ﴿.. لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ..﴾: لا فاعل غيره، عندها تصل لفاتحة الكتاب وتدخل في رحاب مولاك، مولى رسولك العظيم. ﴿.. لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى

﴿..فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا
تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن
رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾

﴿ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ..﴾: على كل ما يسوقه لخلقه. ﴿.. وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ..﴾: حكمه جارٍ على كل شيء بالحكمة والرحمة والحنان. ﴿..وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: بكل أموركم، كما تختار يعطيك.

٧١-﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ..﴾: فكِّر بهذا. ﴿..إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا..﴾: ليل بلا نهار. ﴿..إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ..﴾: هل من أحد غيره سبحانه يأتيكم؟!. ﴿..أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾: كلام هذا الإلٰه العظيم الرحيم بكم.

٧٢-﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ..﴾: نهار بلا ليل. ﴿..مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِ..﴾: هل من أحد غيره يستطيع؟! هل من مسيِّر غيره سبحانه يُسَيِّرُ الأرض ويُدوِّرها حتى يأتي النهار والليل؟!. ﴿.. أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾: ما في الكون من آيات، ألا تفكروا بهذا الكون العظيم لتعلموا أن لا إلٰه إلا هو، هو المسيِّر الفعَّال فتؤمنوا به سبحانه وتعالى.

٧٣-﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ..﴾: الليل لتسكن إلى الراحة بعد التعب، كم هذا الإلٰه رحيم بك، أليس بالليل النوم والراحة، لولا النوم ما حال الإنسان؟. والنهار لترى أعمالك. ﴿.. لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

﴿..وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا
مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا
كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ
وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا
تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ..﴾

تَشۡكُرُونَ﴾: بما قمتم به من أعمال صالحة تجعلكم تستطيعون الإقبال عليه سبحانه وتعالى.

٧٤-﴿ **وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ**﴾: أن لهم فعلاً وحولاً وقوة.

٧٥-﴿ **وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا..**﴾: أرسل إليهم من يدلّهم منهم بالشكل والهيئة والصورة، وما استجابوا. ﴿..**فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ..**﴾: أين أعمالكم؟! أروني أعمالكم الصالحة. ﴿.. **فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ**﴾: غاب عنهم في الآخرة افتراؤهم الباطل الذي افتروه بالدنيا، وليس لهم أن يقولوا إلا الحق.

٧٦-﴿ ۞ **إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ..**﴾: من بني إسرائيل. ﴿..**فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ..**﴾: بغى عليهم بما في قلوبهم من مرضٍ وحب دنيا استطاع أن يؤثر عليهم بما أراهم من ذهب ومال.﴿.. **وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ..**﴾: شاهد معجزات سيدنا موسى وسمع دلالة الله منه عليه السلام، ولكن بدل أن يفكر ويؤمن بربه أحب الدنيا والمال، هو اختار وصمَّم على ما اختاره والله أعطاه ما شاء لنفسه. ﴿..**إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ**﴾: بالدنيا وما فيها.

٧٧-﴿ **وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ..**﴾: اعمل المعروف والخير

﴿..وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ..﴾

والإحسان. إن آمن الإنسان بربه إيماناً شهودياً جعل الدنيا وسيلة لآخرته، صار يعمل المعروف والإحسان لا بغية لـه إلا رضـاء الله سبحانه وتعالى. ﴿.. **وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا..**﴾: فالإنسان الحق هو الذي يجعل دنياه مطيَّة لآخرته ووسيلة لفعل المعروف والخير. ﴿.. **وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾: الذين يفسدون قلوب الناس بحب الدنيا.

٧٨ـ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ..**﴾: ما رُزقته بفهمي وذكائي، أنا عملت وجمعت. فما قدّر نعمة هذا الرب الكريم وما تعرّف على مصدر هذا العطـــاء. ﴿..**أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ**﴾: يســـاقون سوقاً، فَلِمَ يُسألون وهم معروفون؟! كيف يُسأل وهو بحالة إسعافية؟! كالمريض المتألم وقد أحضرته سيارة الإسعاف وهو يصرخ من ألمه وذله وعاره، فهل يُسأل هذا أم يأخذونه للعلاج مباشرةً دون سؤال؟!.

٧٩ـ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ..**﴾: سار بالفساد بين الناس، أظهر غناه وما عنده ليفتنهم بالدنيا ويحوّلهم عن الله، ولتكون له الزعامة عليهم. ﴿.. **قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا..**﴾: مُحبُّو الدنيا. ﴿.. **يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ..**﴾: مالت نفوسهم إلى ما عند قارون من مال.

﴿..إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾..﴾

﴿.. إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: بهذه الدنيا وبما عنده.

٨٠ ـ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ..﴾: بلا إلـه إلا الله وأسمائه الحسنى. ﴿..وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا..﴾: ما أعدَّ الله لكم من جنات وسعادة خيرٌ من هذه الدنيا وما فيها وما عند قارون. ﴿.. وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: الذين صبروا عن شهوات نفوسهم وجاهدوا بأهوائهم، هؤلاء لهم العطاء من الله دنيا وآخرة.

٨١ ـ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ..﴾: لا ماله ولا دنياه نفعت حين البلاء ولم تمنع عنه ما حلَّ به، وجاءه البلاء بما قدمت يداه. ﴿.. وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾: عندها.

٨٢ ـ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ..﴾: تمنّوا ما عنده من مال ودنيا. ﴿..يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ..﴾: إذا فيه خير. ﴿.. لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: تعجّبوا كيف اشتهت نفوسهم ذلك، قالوا يا ويلنا لو كنا مثله لخسف الله بنا الأرض، الكافر مهما عمل واشتغل بالدنيا لا يفلح، أعماله لا توصله للسعادة بل بالدنيا شقي وبالآخرة نارٌ محرقة. الذي فكر وآمن وصار له صلاة هذا هو الفالح، بالدنيا سعيد وبالآخرة له نعيم وجنات.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ..﴾

٨٣ -﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا..﴾: كل ما فيها من سعادة وجنات ونعيم مقيم جعلناها: ﴿.. لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا..﴾: الذي يسمح لزوجه بالسفور والتزين أمام الرجال عمله هذا فساد لأنه بعمله هذا يجر المجتمع للزنا، كذلك لبس الذهب والحرير وبناء القصور والأبنية الضخمة إنما هو فساد لأنه يجر الفقراء لمثل هذا، فيسلكون السُبُل غير المشروعة لكسب المال. ﴿.. وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: التقي لابد أن يرفع الله شأنه ويعلي جاهه بالدنيا، وفي الآخرة له الجنة على ما قدَّم من أعمال صالحة عالية.

٨٤ -﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ..﴾: الذي يدلُّ دلالة طيبة على الله. كل من آمن بربه وأحب رسوله وارتبط به هذا صار كلّه خيراً لا يتكلم إلا بلسان الرسول، صار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدلُّ الناس على الإيمان والتقوى. ﴿..فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا..﴾: يضاعف الله له أجره حسب نيَّته، وفي الآخرة له أجرٌ عظيمٌ؛ عطاءٌ متنامٍ متزايدٌ لا ينقطع. ﴿.. وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ..﴾: كل من دلَّ دلالة رديئة، الذي ما آمن بربه ما صار له نور هذا أخذ عن الآباء والأجداد الذين قالوا: الأنبياء تخطئ، الله خلق هذا للنار وهذا للجنة. ويدلّون الناس عليها "السيئة" ويحسبون أنهم مهتدون. ﴿.. فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: له جزاء كفاعلها.

٨٥ -﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ..﴾: رادُّك في كل زمان وعصر لتعيد وتتلو القرآن على كل مؤمن. الرسول ﷺ وظيفته باقية

﴿..قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ..﴾

دائمة مستمرة، (..أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا..)[1]، ما من نفس تلتفت تجاه ربِّها حتى تأتي وظيفته صلى الله عليه وسلم معها، حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم، غابت صورته "جسمه الشريف" لكن حقيقته العالية "نفسه" باقية، ووظيفته تلاوة القرآن على كل مؤمن مصلٍّ حقاً يريد، فهو ﷺ يغمرك بالصلاة بأنوار وتجليات ربه ويقول لك الحمد لله، أي يتلو عليك الفاتحة وتشهد بنوره معانيها. ﴿.. قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: هو سبحانه يدلُّك عليهم ويرشدك لإنقاذهم وهدايتهم، يُعلِّمكَ بعلمه سبحانه.

كان رسول الله ﷺ يكرر القرآن فأخبره تعالى أن بإمكانه تبيانه كلما شاء فقد طبع في قلبه. رسول الله ﷺ نال من ربه الكثير، نال جنات كبرى وسعادة وشاهد من ربه ما شاهد من أسمائه الحسنى، فأحب واشتهى ما نال لإخوانه، فأرسل الله له القرآن وجعل تلاوته بمعيَّته على مرِّ الأجيال والدهور، لأن نعيمه ﷺ وسعادته بإنقاذ الخلق وهدايتهم، وبسبب رحمته أصبح هذا فرضاً عليه، وبهذا حقق الله تعالى طلب رسوله الكريم.

٨٦ ـ﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ..﴾: نظر ﷺ بأهل قريش فشاهد أن لا أمل فيهم وبهدايتهم، فهم كأرضٍ صخرية لا يمكن الزرع فيها، كذلك فهم لا يمكن أن يؤمنوا معه ولا طريق لهم للهداية، لذلك ما كان يرجو ﷺ أن يُلقى إليه الكتاب، لأن التنزيل من الله لأجل الناس وإرشادهم وهدايتهم لا من أجله ﷺ. ظلَّ معهم ثلاث عشرة سنة حدثت غزوة بدر ولم

١)- سورة البقرة: الآية (١٤٨).

﴿..إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ..﴾

يستجيبوا، ثم غزوتا أُحد والخندق، وظلُّوا على كفرهم وإعراضهم، ثم بصلح الحديبية وضعوا عليه شروطاً، وبغزوة حنين بعد أن كُسِرَ المسلمون أوَّل القتال انقلب أهل مكة على رسول الله، وقالوا: مكة عاصمة العرب، وقد ظن محمد ﷺ أنه لا يوجد من يدافع عنها. لذلك كُلّه كان ﷺ لا يرجو أن يُلقى إليه الكتاب. ﴿.. إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ..﴾: كل الخير من الرحمة، نتيجة الرحمة يتولّد العمل، ولولا رحمة الأب والأم لما احتملوا تربية أولادهم، فكيف بمن هو رحمة للعالمين وقد شهد الله به: (فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ..) [1]. وقد شرَّب الذين آمنوا معه هذه الرحمة، فما عرف العالم فاتحاً أرحم منهم. الكبار ما آمنوا لكن الصغار [2] آمنوا معه، الرسول لا يعلم الغيب، لا يعرف أن هؤلاء الصغار "الجيل الناشئ منهم" سيؤمنون وما ذلك كان بحسبانه، دلَّهم على الإيمان فآمنوا؛ دلَّهم على الإنفاق فأنفقوا، وعلى التفكير بالموت وبالكون ففكروا، حتى أيقنت نفوسهم بالموت وعقلوا لا إلّه إلا الله، فالاستجابة كانت من الذرية، وما كان أصحاب محمد ﷺ إلا شباباً. ﴿.. فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾: لن تكون. الآن بعد إيمان الصحابة أمره الله أن يَشُدَّ على أهل قريش، حيث كان ﷺ في البداية يلاطفهم، لكن الآن أمره الله بأن يحاربهم حتى يؤمنوا ويهتدوا.

٨٧ ـ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ..﴾: لن تُصَدَّ، هل هناك يد أخرى معه سبحانه؟! هو الناصر. ﴿..عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ..﴾: آيات الله: هي الآيات الكونية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار كلها آيات دالة على رحمته وقوته سبحانه وتعالى.

١)- سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

٢)- الجيل الثاني فهم من الشباب، "أبناءهم" وليس المسنين.

﴿..بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿.. بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَ..﴾: لكل شيء صورة وحقيقة، ولهذه الآيات الكونية حقيقة نالتها من الله تعالى، وحقيقة الآيات تنزل على كل من فكر بها وآمن بربه، صحابة رسول الله ﷺ شباب بسرعة آمنوا بالآيات وشاهدوا حقيقتها وأنوارها التي نالتها من الله، بعد إيمانهم هذا يتلوها عليهم رسول الله ﷺ ، لكن تلاوته ﷺ بالتجلي الإلٓهي وأسمائه الحسنى، يعيدها عليهم بأنوار كبرى وعظمة غير التي شاهدوها من قبل بإيمانهم الذاتي، فهم شاهدوا نورها، أما مع رسول الله ﷺ يشاهدونها بالتَّجلي العظيم، فينطبع الحق بأنفسهم وتصبح مُلْكاً أبدياً لهم لا تزول عنهم، وما من أحدٍ بمستطيعٍ أن يصدَّهم عن هذا الإيمان لأن الاختيار لهم، والمؤمن لا أحد يقف بوجهه أو ضده، فقانونه غير قانون البشر، وقوانين البشر لا تنطبق عليه. ﴿.. وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ..﴾: الرسول لا يدعو لنفسه، لا يدعو إلا لله، وكل ما جرى معه بحياته من قصص وما قام به من عمل لا غاية له فيه إلا رضاء الله، مقصده ربّه فهو في بحور الإلٓه العظيم، لذلك أمره الله بالتكلم عن قصصه والتحدث عن أعماله، إذ بهذه القصص التي يسمعونها منه يصبح لهم تقدير ومحبة له، وبهذا التقدير والحب يرتبطون به ﷺ، فهو مغمور بربه وهم بالتبعية يُغمرون بالله جلَّ وعلا وتتفتح بصائرهم، فقصصه وأعماله كلها تدل على الله، على لا إلٓه إلا الله، وبها يدعو إلى الله لا لنفسه، والله أمره بالتحدث عنها.

﴿.. وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: لن تكون من المشركين. اللا هنا نافية: نفت الشرك عن رسول الله ﷺ، أي: لا يمكن أن تقع أنت بالشرك، أنت لا يمكن أن تكون من المشركين. فهو ﷺ مغمور بنور ربه (والذي نفس محمد بيده).

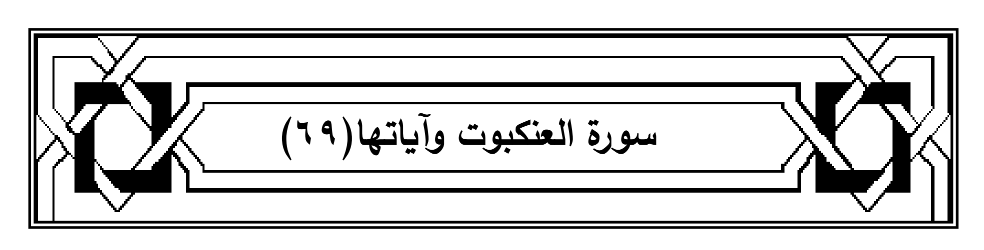
﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

٨٨ -﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ..﴾: أيها الإنسان، الخطاب انتقل من الرسول إلى المستمعين له ﷺ، أي: لا تسمعوا غير كلام الله، الذي يسمع عن غير الله هذا شرك، الذي يفتي من عنده لا من كتاب الله هذا شرك، كتاب الله لا تتركه وتأخذ من غيره من كتب الدسوس، اسمعوا لبيان رسول الله ﷺ، لا تتركوه وتتوجهوا لكلام غيره.

..﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ..﴾: لا مسيّر ولا فعّال غيره. ولا يأتيك بالخير ويسوقه إليك إلا هو سبحانه وتعالى.

﴿.. كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ..﴾: في الدنيا والآخرة، وما يناسبك يسوقه إليك بالحكمة. ﴿.. وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: غداً للسؤال والحساب والجزاء.

والحمد لله رب العالمين



سورة العنكبوت وآياتها (٦٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾

١ـ﴿ الٓمٓ﴾: أحمد، لطيف، محمود: بهذه الأحرف أراد الله تعالى أن يفكِّر الإنسان ليصل إلى سبب وجودها في القرآن، وضعها سبحانه وتعالى حتى يفكِّر الإنسان ويقول لنفسه كل شيء له معنى فما معنى هذه الرموز؟ ولماذا وضعها الله تعالى؟ يا أحمد الخلق، يا لطيفاً: إذ يعرج بالأنفس المرتبطة به بلطف، يا محموداً عندي وعند الخلق.

٢ـ قل لهم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾: لا يكفي أن يؤمن المرء كما آمن الناس من قبل، بل يجب أن يفكر هو بنفسه ويستنبط. الكل يقول أنا مسلم وأبي وأمي مسلمان، والحمد لله على نعمة الإسلام. يقولون الحمد لله أننا لم نخلق ببلاد الغرب عند النصارى وخلقنا ببلاد المسلمين، وهو يسرق وينهب ويزني ويقول غداً نبينا يشفع لنا، هذا الإيمان المنقول عن الآباء والأجداد لا قيمة له، فهو لم يحجزهم عن الوقوع في الشهوات والمحرمات، ولا فرق بينهم وبين من يصفونهم ويسمونهم كفاراً. أعمالهم وارتكاباتهم واحدة وعلى نفس المسرى "والكل بالهوى سواء"، وإذا كان الأمر كما يدَّعون فغداً الأجنبي والشيوعي يحتجون ويقولون لماذا لم يخلقنا الله ببلاد المسلمين؟ ولله الحجة البالغة! والحقيقة أن ليس للإنسان إلا ما سعى، لابد من السعي للإيمان وأن يؤمن حتى لا يفتن ويقع بالمحرمات.

﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ.. ﴾

٣- ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ..﴾: من صدق فمعلوم عند الله صدقه. ﴿..وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: سيظهر كذب الكاذب.

٤- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ..﴾: أيظن أن المؤذي يستطيع أن يفعل ما يشاء! الذي أعماله كلها أذى بأذى بالأموال والأعراض. ﴿..أَن يَسۡبِقُونَا..﴾: أن الله سبحانه غير مطّلع على عمله، ويسبق إرادة الله الخيّرة ويغلبها فيطفئ نور الله!.

(يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ) [1] . ﴿.. سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: يريدون أن يمحوا دين الله ويقضوا على الحق وأهله، حاولوا فما استطاعوا، وبالعكس الحق سوف يعمُّ ويهيمن على العالم وهذا قريبٌ. أعمالهم ونواياهم هذه ألا تسوؤهم؟ سوف تعود عليهم بالسوء والذل والشقاء بالدنيا قبل الآخرة.

٥- ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ..﴾: الصادق في طلب الحق. لقاء الله: التقوى، والتقوى هي مشاهدة وجه الله الكريم والتيقن من رحمته وحنانه ونوره. ﴿.. فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ..﴾: لابد وأن الله تعالى يوصله لطلبه، الإنسان إن صدق في طلب الحق والتقوى لابدَّ وأن الله تعالى يعطيه طلبه، وغير الصادق يصيبه العذاب، أمَّا إن كان صدقه قليلاً وضعيفاً فالله سبحانه يرزقه الصدق وذلك إن فكَّر بالموت، فإذا خافت النفس وتيقنت بالموت، يزول الحجاب بينها وبين الله.

١)- سورة التوبة: الآية(٣٢).

﴿..وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.﴾

الله سبحانه وتعالى لا يخبِّئ ولا يخفي ذاته عن أحد، لكن الإنسان جعل الدنيا وشهواتها حجاباً بينه وبين الله. فهو سبحانه وتعالى الأول والآخر والظاهر والباطن، معك بجسمك وبكل ذرة من ذراتك. ﴿.. **وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ**..﴾: لما تقول، السميع لقولك أيها الإنسان. ﴿.. **ٱلْعَلِيمُ**﴾: عليم بحالك وما يناسبه. لكن ما هو الطريق للوصول للإيمان والتقوى؟.

٦ـ﴿ **وَمَن جَٰهَدَ**..﴾: ابتعد عن الشهوات، لا يجاهد الإنسان إلا بعد الإسلام فالإيمان، لأنه صار أهلاً للجهاد. ﴿.. **فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ**..﴾: العائد لها وعليها. ﴿.. **إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾: لا يريد إلا سعادتك.

٧ـ ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**..﴾: بلا إلَه إلا الله، آمنوا أنه لا مسيِّر ولا فعَّال في هذا الكون غيره سبحانه. ﴿.. **وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ**..﴾: شرط الإيمان العمل الصالح لكل الخلقْ.﴿.. **لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ**..﴾: لنمحونَّ من أنفسهم ما يسوؤهم، لا نريهم ما وقع منهم من جهالة، وذلك بأن نجري على أيديهم أعمالاً عظيمة تغطي سابقتها. ﴿..**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾: ليس لهم إلا النعيم والإكرام.

٨ ـ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا**..﴾: لابد من الإحسان للوالدين، هم بدؤوك بالإحسان. ﴿.. **وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ**..﴾: إلا أن يأمراك بمعصية أو مخالفة، فليس لامرئ طاعة في معصية الله. ﴿..**إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: كل إنسان سيرى عمله وما

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ
نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ..﴾

سيعود عليه.

٩- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: يميلون لأهل الكمال. يدخلون في الآخرة الجنة متآلفين فيما بينهم، صالحين للعطاء الإلٰهي.

١٠- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ..﴾: في غزوة أحد وما حصل لهم من هزيمة. ﴿.. جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ..﴾: إن أصابه من الناس شيء، ظنَّ أن ما أصابه هو من الناس لا من الله (١)، لم ينظر إلى ما في نفسه من حب للدنيا. ﴿..وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ..﴾: وإن أصابكم حسنة. ﴿..لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ..﴾: قالوا كانت بسببنا نحن سعينا. ﴿..أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

١١- ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾: معلوم عند الله من آمن. ﴿..وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: سيظهر نفاق المنافقين.

١٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا..﴾: يدعون الناس إلى الخطيئة، الكافر يتمنى أن يسير الناس على ما هو سائر عليه. ﴿..وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ..﴾: كأن يقول فلانٌ: اذهب يا أخي وافعل كذا وكذا

---

١)- فالله تعالى صاحب رحمة وحنان بهذا الإنسان، يبعث له من الشدائد والمصائب بما صدر منه من عمل ليطهّر له نفسه وما فيها من حب الدنيا.

﴿..وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾
وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ
عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ..﴾

وحِمْلُ ذلك على رقبتي، فإني أحتمل ذلك أمام الله. ﴿..وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: لا يستطيعون حمل خطيئة امرئ.

١٣ـ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ..﴾: أي دلالتهم السيئة. ﴿..وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ..﴾: غير أنهم سيحملون أوزارهم وأوزار من دعوهم إلى الضلال. ﴿..وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: على الله بدلالتهم السيئة. وبالكذب أنهم يحملون الخطايا عنهم.

١٤ـ والآن؛ مثال عن الذين لم يفكروا: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ...﴾: أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا نوحاً رسولاً لهم. اسم نوح من النواح والبكاء، لرحمته عليه السلام وحنانه على قومه كان دائم البكاء، لأنه يرى ما سيعود عليهم سيرهم بالدنيا والآخرة. ﴿..فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ..﴾: جاءهم ليسمو بهم ويرفعهم، لكنهم ما استفادوا رغم أن الطريق مفتوحٌ لهم للسمو والعلو والرفعة بوجوده عليه السلام، لكن السناء ظلَّ من طرفه فقط عليه السلام. ﴿..إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا..﴾: بقي معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، المؤمنون الذين نجوا مع سيدنا نوح هؤلاء عمَّهم الله بالخيرات وصار التنزيل عليهم، وكان السلام عليه وعلى أمم ممن معه. كذلك عاموا على السفينة فوق الماء حين هلاك الكافرين. ﴿..فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ..﴾: الآخرون غرقوا. ﴿.. وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: لأنفسهم، لأنهم ما فكروا وما سمعوا كلام رسولهم.

١٥ـ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: آية دالة

﴿..وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ
ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا
وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا
فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ وَإِن
تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ..﴾

على رحمته وحنانه سبحانه بعباده، وهي مذكورة في الكتب السماوية والصحف.

١٦ـ ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ..﴾: أطيعوا الله، طبِّقوا أوامره. ﴿.. وَٱتَّقُوهُ..﴾: انظروا بنوره لتروا الخير خيراً وتسيروا به والشر شراً فتبتعدوا عنه. ﴿..ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ..﴾: العائد لكم، إن أطعتم وطبَّقتم عاد عليكم هذا بالخير والسعادة والعطاء. ﴿..إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

١٧ـ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا..﴾: أصناماً لا حول لها ولا قوة، لا تستطيع أن تحرك نفسها إن لم يحركها أحد. ﴿..وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا..﴾: كذباً. ﴿..إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا..﴾: إذا انقطع ماء المطر هل يستطيعون أن يُنزلوه، أو يخرجوا لكم الزرع والنبات لتأكلوا؟ هؤلاء لا يرزقونكم السعادة... ﴿..فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

١٨ـــ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الرسول ليس بيده شيء فقط يبلغكم ما يأمره الله به في التبليغ، ويبيِّن لكم نتائج سيركم.

١٩ـ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ..﴾: يقرِّع الله تعالى الناس، ﴿..يَرَوۡاْ..﴾: من الرؤية، والآية للحث على المشاهدة والرؤية. هذه للإيمان. ﴿..كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ..﴾:

﴿..ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾

الله سبحانه وتعالى بذاته يبدئ الخلق، يُبدِئه ضمن قوانين حتى تفكروا بها وتؤمنوا بربكم، هل الشجر ينبت لوحده؟ والذين أنجبوا أطفالاً، هل هم شقّوا لهم فتحة العين والأنف والفم؟ هل الشمس تجري لوحدها؟ والقمر... كذلك الأرض هل بذاتها تدور؟ من يسيّر الهواء والغيوم، وينزل الأمطار؟ الآية تقول: هل شاهدوا أن الله سبحانه هو الذي خلق ويسيّر ما خلق! وما هذه القوانين التي وضعها الله، إلا لتفكروا وتؤمنوا بالله المسيّر لمخلوقاته. ﴿..ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ..﴾: ترجع الخيرات كل عام. ﴿..إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: هيّن، كل هذا الخلق والإمداد والتسيير للكون سهل وهيّن على الله.

٢٠-﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ..﴾: انظروا لمن قبلكم أين هم الآن، أين السابقون من ملوك ورؤساء وأغنياء، الذين ملكوا الأرض وحكموها فما كان مصيرهم؟ أما ماتوا، أفلا تموت أنت؟ على الإنسان ألا يسير بهذه الحياة دون تفكير حسن لئلا يقع فيما وقع به غيره من هلاك. ﴿..كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ..﴾: إن آمن الإنسان وأحبَّ رسول الله الذي يدلّه على الله، أدخله ﷺ على الله سبحانه، هذه وظيفته. إن دخل الإنسان على الله يشاهد بدءَ الخلق الأول كيف صار، يشاهد الأزل وكيف عاهد ربَّه ألاَّ ينقطع عنه، يشاهد الآخرة وما فيها من جنات للمؤمنين، وما فيها من شقاء وآلام وحسرات ونار للكافرين، فيوقن أن هناك حساباً وعقاباً. ﴿..ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ..﴾: غداً، سيعيد خلق الإنسان بعد فنائه.﴿..إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: الإمداد والقدرة منه تعالى، تشاهد يد الله على كل شيء وترى كل شيء مما تطلبه. عندها لا تعتمد إلا عليه سبحانه.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ..﴾

٢١-﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ..﴾: فللإنسان الخِيَرَة. ﴿.. وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ..﴾: البلاء مُخصَّص والرحمة مُخصَّصة، كل من يريد الرحمة يرحمه الله، وإنما عليه أن يسلك سبيلها. ﴿.. وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾: يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك.

٢٢-﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ..﴾: أيها المعرضون عن الله. ﴿.. وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾: المخلوق ليس بيده شيء، لا حول له ولا قوة، كل ما خلق الله بحاجة إلى ماء، هواء، طعام، إمداد للقيام بالأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى. الذي بحاجة لا يستطيع فعل شيء، لا يستطيع نصر نفسه فكيف ينصر غيره؟!...

٢٣-﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ..﴾: ما نظروا، ما فكروا بالكون حتى يؤمنوا. ﴿..أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي..﴾: ظنهم بالله ظنّ السوء. ﴿..وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: على ما قاموا به من أعمال سيّئة.

٢٤-﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ..﴾: لسيدنا إبراهيم عليه السلام، بعد أن دلَّهم وبيَّن لهم طريق السعادة والنجاة: ﴿..إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ..﴾: قرَّروا قتلهُ ورميه بالنار. ﴿..فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ..﴾: ولكن لِمَ أذن الله أن يرموا رسوله بالنار؟.

السبب: سيدنا إبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يسمح لقومه أن يرموه بالنار. فالله تعالى أرسل لسيدنا إبراهيم ملَكاً ليُهلك القوم، لكن سيدنا إبراهيم لم يرضَ

﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ..﴾

وقال للملَك: علمه بحالي يُغني عن سؤالي. لم يرضَ سيدنا إبراهيم عليه السلام، عسى إن رأى قومه المعجزة يؤمنون، ومع هذا لم يؤمنوا. ﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ..﴾: دالة على لا إله إلا الله، وعلى رحمة الله وحنانه بخلقه، وهذه الآية بيان أن لا حول ولا قوة إلا بالله، لا نار تحرق، لا سيف يقطع إلا بإذن الله، كن مع الله يحفظك من كل سوء. ﴿..لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: لكل من يؤمن.

٢٥ـ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ..﴾: لأجل مصالح دنيوية، تارك الصلاة لا خير فيه، كل ما يبدر منه شر، وإن كان ظاهر عمله خيراً، لا يعمل إلا لغاية، إن زالت المصلحة لا يعمل. ﴿.. فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا..﴾: يظنون أنهم سيعيشون فيها أبداً. ﴿..ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ..﴾: ينكر بعضكم بعضاً. ﴿..وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا..﴾: اللعن هو البعد، أهل النار أعمالهم خبيثة، وروائح الفواحش التي وقعوا فيها مرعبة، روائح نفوسهم نتنة لذلك يبتعد بعضهم عن بعض. إذا دخل الواحد على الآخر فإن روائح الثاني تقتله. أما أهل الجنة روائحهم عطرة من إقبالهم على الله، وكل لحظة بإقبال جديد ومكاسب جديدة لذلك يتقاربون. ﴿.. وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ..﴾: المريض لابد له من دخول المستشفى للعلاج. ﴿..وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: لا أحد يقف بطريق علاجه.

٢٦ـ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ..﴾: لم يؤمن لسيدنا إبراهيم إلا سيدنا لوط عليهما السلام الذي بإقباله على الله صار له علم بأسماء الله الحسنى فصار يحكم بناء

﴿..وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾..﴾

على علم، فتركه بقومه يرشدهم علّهم يسمعون، لكنهم انحطوا أكثر من آبائهم وارتكبوا الفاحشة. ﴿..وَقَالَ..﴾: سيدنا إبراهيم. ﴿.. إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: وهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام من العراق إلى مكة حيث الكعبة، ليبحث عن أناس يسمعون الحق منه. قال في نفسه ليس من المعقول أن لا يكون على الأرض أحد يريد سماع الحق، لكن أين سأجدهم؟! فذهب إلى الكعبة حتى يبحث عنهم ويجتمع بهم، وهناك وجد أصحابه إذ أن الحج لا ينقطع، والصالحون لا ينقطعون، وهؤلاء إما أن يذهبوا للحج أو يتوجهوا للكعبة، والرسول يشاهد الأجسام والنفوس "الملتفتة إلى الله من الكعبة"، فهاجر إلى مكة وإلى بلاد الشام وصار معه مؤمنون.

﴿..إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ..﴾: تاركاً المنكر وأهله، ولو لم يهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام ويترك قومه لجاءهم الهلاك. فالقانون الإلٓهي: إذا نوى القوم لرسولهم الشر فالهلاك حتماً ينزل بساحتهم من الله تعالى، لذلك رحمة منه عليه السلام تركهم وهاجر وترك فيهم سيدنا لوط عليه السلام، الذي اتَّبع معهم أسلوباً آخر غير أسلوب سيدنا إبراهيم عليه السلام، لعلهم بهذا الأسلوب يسمعون منه عليه السلام.

٢٧-﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ..﴾: زيادة فضل. ﴿..إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ..﴾: لسيدنا إبراهيم، على هذه التضحية والرحمة والحلم على قومه، وهب له وأعطاه سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما السلام وجعلهم بصحيفته عليه السلام هم وأنوارهم وجناتهم. ﴿..وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ..﴾: وجعل لذريَّته النبوة إلى يوم القيامة. ﴿.. وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: للعطاء. والله سبحانه

﴿..وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا..﴾

وتعالى أظهر بقصة سيدنا إبراهيم حنانه وحنان رسله الكرام صلوات الله عليهم ورحمتهم بأقوامهم.

٢٨ـ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ..﴾: يأتون الرجال شهوة من دون النساء!. ﴿.. مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أوَّل أُمَّة قامت بهذا الفعل الشنيع "اللواط" مهلك الحرث والنسل.

٢٩ـ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ..﴾: ما يعود عليكم بالأذى والضرر. ﴿..فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ..﴾: الشهوة العمياء أعمتهم عن سماع الحق، وهكذا كل إنسان ما لم يفكِّر لا يستطيع أن يسمع، فكِّر بالموت حتى تخاف النفس، إن خافت لجأت للفكر عندها يرسم لها الفكر طريق النجاة والخلاص ويستطيع المرء التفكير الصحيح، ويستقيم على أمر ربه، حيث عرف وشاهد أن للكون خالقاً ومسيِّراً، ولابدَّ من السؤال والحساب.

﴿..إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: ما صدَّقوا سيدنا لوط عليه السلام، طلبوا الهلاك.

٣٠ـ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أيّدني بحجج أدحض باطلهم.

٣١ـ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ..﴾: تبشره بابنه إسحاق. ﴿..قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: ظلموا

﴿..كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٢﴾

أنفسهم بهذه الشهوة، وحرموها مما أعدَّ الله لها من نعيم مقيم.

٣٢ـ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَا..﴾: الملائكة غير مكلَّفين لذلك لا يؤاخذون مهما قالوا، وهم هنا أخذوا الأمر من الله تعالى، أي استندوا على العظيم سبحانه، لذلك قالوا لسيدنا إبراهيم: نحن أعلم بمن فيها. المؤاخذة على المكلَّف "الإنسان" إذا تكلم بمثل هذا. الصحابة الكرام عظَّموا الرسول ﷺ فآمنوا وصارت الفتوحات على أيديهم. ﴿..لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ..﴾: مع أولاده، بنات سيدنا لوط عليه السلام مُطبِّقات حدود الله وأسلموا لله عن طريق أبيهم سيدنا لوط عليه السلام، سلَّموا أمرهم إليه فلا مخالفة عندهم. ﴿..إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: اغبرَّت نفسها بمحبتها لقومها.

٣٣ـ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: اغبرَّت نفسها بمحبتها لقومها. زوجة نبي كان لها واردٌ قلبيٌّ، لكن بتعلُّقها بقومها وحبِّها لهم انقطع عنها واردها القلبي وابتعدت عن الله ورسوله الكريم "زوجها"، فأصبحت نفسها مظلمة سوداء مغبرّة، والله بهذه الآية يعظنا ويحذرنا قائلاً: (وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ..) [1]، إيَّاكم أن تركنوا لغير أهل الحق من المؤمنين، إن ركنتم لهم وتعلَّقتم بهم أصبحتْ ميولكم مثلهم، تميلون لما يميلون ويحبون من الفواحش، العبرة للقلب لا للجسم، والله ينظر لقلبك والمرء مع من أحب، وزوجة سيدنا لوط عليه السلام أحبَّت قومها والله تعالى

١)- سورة هود: الآية (١١٣).

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

نبّهها وحاول بكل الوسائل معها حتى تغيّر ويتحوَّل قلبها، لكنها هي لم تُرد.

٣٤-﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ..﴾: سوف يأتيهم البلاء، زلازل في الأرض وبراكين، خسف بهم الأرض، جعل عاليها سافلها، والذي هرب أصابه حجر من السماء. ﴿..بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: كل هذا ما كتبه تعالى عليهم، الله ما كتب على الإنسان إلا السعادة، لكن هم فسقوا وفسْقُهم عاد عليهم، وهكذا فكلّ أمة فاسقة مصيرها ما أصاب الأمم السابقة من الهلاك. الفسق يجرّ ويأتي بالبلاء.

٣٥-﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ..﴾: قراهم معروفة. ﴿..لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

٣٦-﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا..﴾: أرسل الله إلى أهل مدْين أخاهم سيدنا شعيباً عليه السلام، هؤلاء أوقعوا نفوسهم بإعراضهم وابتعادهم عن الله بالهمِّ والشقاء، وهو من رحمته بهم عليه السلام حمل آلامهم وشقاءهم المهلك حتى يخرجهم من الظلمات. ﴿.. فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ..﴾: أطيعوا الله، ففي طاعته تعالى السعادة. اسمعوا كلامه سبحانه. ﴿.. وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ..﴾: ما أعدّه الله لكم من جنات. كلَّمهم عليه السلام عن الآخرة ونعيمها وأنَّ الدنيا مدرسة وممرٌّ للآخرة. والعاقل لا يتعلق بها بل يجعلها مَطِيَّة للآخرة. ﴿..وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾: لا تبثُّوا الفساد بقلوب العباد، لا تزيّنوا الدنيا وتبنوا القصور والمزارع فتجعلوا الناس يتسابقون إلى الدنيا. والفقير يحزن فيلجأ إلى الغش والتلاعب،

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

وبهذا إفساد للنفوس. ما لهذا خلقكم الله تعالى.

٣٧- ﴿ فَكَذَّبُوهُ..﴾: ما صدّقوا كلامه، ما ساروا على هديه، ما طبقوا ما أمرهم به. ﴿.. فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ..﴾: جاءهم البلاء والموت، صارت نفوسهم ترجف خوفاً ورعباً لـمَّا شاهدوا أعمالهم ومصيرهم. وهذا حال كل من يموت معرضاً عن ربه، يرى ما ساق الله تعالى له من إحسان وما ساقه هو لنفسه وما جلب لها. ﴿..فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ..﴾: ديارهم أصبحت ديار سوءٍ وبلاءٍ عليهم، بعد الموت ساحت نفوسهم بأعمالها الخبيثة وبالأمكنة التي نفّذتها وارتكبتها بها. ﴿..جَٰثِمِينَ﴾: من شدة الرعب والفزع أرجلهم لم تحملهم، وظلُّوا على هذه الحالة ولم يتهيَّأ لهم من يدفنهم، والجسد بعد قليل سوف يفنى، أما نفوسهم فلا تفنى وستظل جاثية إلى يوم القيامة.

٣٨- ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ..﴾: تفنَّنوا بالبنيان، حتى أشادوا الأبنية والقصور الضخمة، جمعوا أموالاً كثيرة ولا فرق عندهم إن كانت من حلال أو حرام، غشّوا وجمعوا الأموال ومنعوها عن مستحقيها، ما نظروا لجانب ربِّهم ولا إلى محتاج، هَمُّهُم "بسطهم وكيفهم"، والآن أبنية ضخمة وقصور وناطحات سحاب، فهؤلاء: ﴿..وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ..﴾: زيَّن لهم حبَّ الدنيا، فما عملوا للآخرة، عملوا لمستقبلهم الدنيوي المنقضي وتركوا مستقبلهم الأُخروي الأبدي. ﴿..فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾: صدَّهم عن الإيمان بالله وعن السعادة. "حب الدنيا رأس كل خطيئة". ﴿..وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: تفنَّنوا بالعلم الدنيوي، وكذلك الآن. الله ما أرسلنا لأجل الدنيا بل

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ..﴾

للآخرة ونعيمها.

٣٩-﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾: سيدنا موسى بيَّن لهم كل شيء وجاءهم بالمعجزات، لكنهم استكبروا عن طاعته وطاعة الله بما لهم من شأن دنيوي، وكادوا لرسولهم موسى ﷺ. ﴿..وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ﴾: ما كانوا بعملهم هذا إلا تحت سمعنا وبصرنا. لم يعتبروا بالأقوام السابقة فأصابهم ما أصابهم، وكذلك نحن إن لم نعتبر فإنه مصيبنا ما أصاب الأمم السابقة.

٤٠-﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا..﴾: قوم لوط. ﴿..وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ..﴾: قارون. ﴿..وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا..﴾: قوم فرعون. ﴿..وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ..﴾: كل هذه الأقوام أرسل الله تعالى لهم رسلاً ودلُّوهم فما أطاعوهم، فما من أمة متروكة. ﴿..وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: بعدم اتِّباعهم.

٤١-﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ..﴾: اعتمدوا على غير الله، على مخلوق مثلهم لا حول له ولا قوة، والله بهذا المثل شبَّههم بضعفهم ووهنهم بالعناكب وبيوتها، والآن الذين اعتمدوا على تقنياتهم الحضارية

﴿..لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ..﴾

ومخترعاتهم المتقدمة وظنوا بأنفسهم الحول والقوة ولم يعتمدوا على الله شبَّههم الله لضعفهم ووهنهم بالعنكبوت، حيث أن الحكم في عالم العناكب للأنثى كما في زماننا فلذلك كان بناؤهم كبناء العنكبوت، وهذه الحضارة التي بنوها والتقنيات التي أشادوها لا تقيهم إعصاراً، أو طوفاناً، أو زلزالاً، أو بركاناً، أو موتاً، فما أوهن ما استكانوا إليه. ﴿..**لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾: لو صار لهم علم بالله لأدركوا قيمة هذا المثل.

٤٢ـ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾.

٤٣ـ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ..**﴾: الأقوام الماضية التي ما سمعت من رسولها ذكرها الله لنا. ﴿.. **نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ..**﴾: لكي يعتبروا ويغيّروا. ﴿.. **وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ**﴾: بلا إلّه إلا الله. والحقيقة لا يقدِّر أهل الإيمان إلا أهلُ الإيمان، ولا يعرف الفضلَ إلا ذووه، ولا يدرك عظمة ما في القرآن من عبر وأمثال إلا كلّ قريبٍ متحلٍ بحلية الكمال.

٤٤ـ﴿ **خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾: بالتفكير تصل إلى العلم.

٤٥ـ﴿ **ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ..**﴾: إلى كل الخلق. ﴿..**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ..**﴾: بيّن لِمَ يؤمن "الإنسان"، الصلاة... وكيف تكون...

﴿..وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾

﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ..﴾: الصلاة الحقيقية المبنية على الإيمان فيها أحوال ومشاعر وأذواق وإشراقات تمحو من النفس النقائص وتبدلها بالكمال، فيغدو المصلِّي الحقيقي إنساناً فاضلاً سامياً يكره السفالات والتعدي ميّالاً لحب الخير والتضحية والإحسان لكل الخلق بسبب ما يناله بصلاته من النعيم، مستغنياً عن الحرام مكتفياً بنعيمه الذي يناله بالصلاة وبالحلال معرضاً وكارهاً للحرام، فنعيم الصلاة الحقيقية للسالكين بطريق الحق بصدق يبعدهم عن الحرام وأهله ويغنيهم فينتهون عن الحرام من الفحشاء والمنكر، وخشية فقدان نعيمهم القلبي وحرمانهم منه فيبتعدون عن الحرام ويكرهونه بذاتهم من ذاتهم بسبب صلاتهم، لا جبراً ولا إكراهاً، هم من ذاتهم ينتهون وتَصِحُّ توبتهم. ﴿.. وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾: الصلاة الدائمة تكون برابطة الإنسان مع الرسول وبدونه ﷺ لا صلاة. ولابد للوصول إلى الرابطة من أن يَكْمُل الإنسان وتطهر نفسه، فيُدخله الرسول على الله ويشاهد هذا المؤمن أنوار الله وتجلياته وجناته. وهذه يصعب الوصول لها إلا في صلاة قيام الليل، فإذا قام الإنسان ليلاً وصلَّى ركعتين وصار يفكر في آلاء الله وآياته الكونية أو يقرأ ما تيسَّر من القرآن الكريم بتدبّر وإمعان حتى يشاهد حنان الله ورحمته وأسماءه الحسنى فهذا هو ذكر الله.

﴿..وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾: صار للمؤمن هنا ذوق وعشق. بالصلاة من يقول لك أيها المصلي (الله أكبر)؟ الذكر هو استعظام ومحبة الله وفيه دائماً عِلمٌ جديد ومشاهدات قلبية عليَّة، فالذكر لا يكون إلا بالشهود بمعية الرسول ﷺ وذلك بالارتباط به أو بالمرشدين الصادقين من بعده حيث يوصلون المرتبط بهم إليه ﷺ وبالرابطة به صلى الله عليه وسلم لا تبقى هناك فتنة ولا يؤثِّر على الإنسان

﴿..وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ..﴾

شيء من فتن الدنيا.

النهي يختلف عن المنع. النهي: هو أن يكره الوقوع بالمعاصي والشهوات المحرَّمة، بسبب ما ذاق هذا الإنسان من نعيم وسعادة وبما تشرّبه من ربِّه من كمال، فإذا فكر الإنسان بالكون وآمن بلا إله إلا الله وعقلها وعمل المعروف والإحسان تكسب نفسه كمالاً، وبهذا الكمال تحب رسول الله ﷺ وتشاهده عظيماً، وبهذا الحب ومشاهدة حقيقة رسول الله ﷺ ترتبط به فيدخلك على الله فتصبح بصلاة دائمة وبسعادة وسرور ونعيم لا يعدله شيء بهذا الكون، وبهذا لا يبقى ميل لشهوة منحطَّة. ﴿..**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ**﴾: أعمالهم كلّها محفوظة عند الله.

٤٦-﴿ ۞ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ..**﴾: من يهود ونصارى، ومن هؤلاء من سمع أن القرآن منطقيٌّ. ﴿..**إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..**﴾: لاطفه وآنسه، لا تتشاحن معه لئلا يبتعد عن الله أكثر. بالتشاحن يبعد أكثر عن الله فيهلك، بشِّرا ولا تنفِّرا، بالمعاملة الطيّبة واللطف والإنسانية، هؤلاء فيهم خير عظيم. ﴿..**إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ..**﴾: هؤلاء شدُّوا عليهم. ﴿..**وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ..**﴾: وأن التوراة حق والانجيل حق. ﴿..**وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ..**﴾: بيّن لهم أن سيدنا عيسى عليه السلام بشر، الأجنة من يخلقها؟!. ﴿..**وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾: لأنه كلّه رحمة وحنان وكلّ أسمائه حسنى.

٤٧-﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ..**﴾: من اليهود والنصارى. ﴿..**وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ..**﴾: الذين بزمنك.

﴿..مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿..مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الذين ما فكروا فما شاهدوا فضل الله عليهم.

٤٨- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ..﴾: لم تقرأ في كتاب من الكتب. ﴿..وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ..﴾: ولم تخطَّ بيدك كلمة واحدة فأنت لا تجيد القراءة والكتابة، وهذه الآية تبيّن أنه ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، فكيف يقولون أخذه ودرس عن غيره؟! فهذا يدل على أن القرآن من الله وحده. ﴿..إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الذين يحاولون إبطال الحق.

٤٩- ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ..﴾: الراسخون في العلم، فهم الذين رأوها وعقلوا حكمتها، العلم بلا إلَه إلا الله وبأسمائه الحسنى. هؤلاء إن تُليت عليهم هذه الآيات صدَّقوا لانطباع الحق في قلوبهم، مَثَلهم النجاشي وأبو بكر رضي الله عنه الذي انطبع الحق بقلبه قبل بعثة الرسول، فلمَّا أن كلَّمه الرسول قال له صدقت. ﴿..وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يرون الصورة بأعينهم ولا يرون الحقيقة بأنفسهم.

٥٠- ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ..﴾: طلبوا معجزة. ﴿..قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ..﴾: الأمور والآيات بيده سبحانه وما يجده مناسباً لخير الإنسان يفعله. ﴿..وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أبيِّن لكم وأنذركم من عذاب يومٍ عظيم.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٥٢ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣﴾

٥١-﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..﴾: هذا البيان العالي المنزَّل عليك ألا يكفي؟! أما هو دليل كافٍ على رسالتك؟!. ﴿..إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن يسمع هذا البيان فيطبِّق ويؤمن فيتذكر، الذي يُطَبِّق ويؤمن هذا يستفيد وهو له رحمة، أما غير المؤمن بعدم تطبيقه وعدم سيره لا يستفيد.

٥٢-﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا..﴾: هذا العلم وهذه الدلالة والقرآن شهادة من الله. ﴿.. يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ..﴾: ساروا على كلام الآباء والأجداد، ونكروا بيانه العالي. ﴿..وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ..﴾: بلا إلَه إلا الله. ﴿..أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: لفضلنا وعطائنا وما أعددنا لهم من جنات. بغير هذا الطريق وهذا البيان لا تصل إلى الله. والله منه الخير، والذي ما سار عليها ما وصل لله خسر خسراناً كبيراً.

٥٣-﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ..﴾: طلبوا من رسول الله ﷺ معجزة. ﴿..وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى..﴾: عندهم قابلية، لهم أجل مسمّى، هؤلاء سيفتحون العالم ومعظمهم صاروا أتقياء، لو استجاب الله لهم وبعث لهم معجزة ولم يؤمنوا لانتهت قضيتهم بالهلاك. ﴿..لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٥٤-﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ..﴾: يصرُّون، يريدون المعجزة. قال الله له: لا

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾

تُبالِ بهم الآن عليهم استحقاقات. هذا طريق هلاكهم لو استجاب لهلكوا، لو صدقوا فيها لكانت جهنم محيطة بهم: (..وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) [1]. ﴿..وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أليس حتماً على الكافر أن تحيط به الذلة والحقارة بالدنيا ثم بالآخرة؟!.

٥٥-﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ..﴾: نيران، زلازل، براكين، لا تبقي ولا تذر. ﴿..وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

٥٦-﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾: لا تتبع خطوات أهل الضلال، بل أطع الله ولو بمفردك وفتِّش عمَّن يسير سير الحق.

٥٧-﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: النفس خالدة لا تموت، فقط تذوق الموت ذوقاً، تنقطع الروح عن جسمها فتخرج النفس من هذا الجسد وترجع إلى بارئها بعد أن تترك الدنيا وكل ما فيها، فلماذا التمسك بها؟!.

٥٨-﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ..﴾: الخيرات. ﴿.. خَٰلِدِينَ فِيهَا..﴾: لا يبغون عنها حولاً، لا يتحوَّلون عنها، لا شيء يحوِّلهم عن هذا. ﴿.. نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: بنعيم دائم، أجراً لهم على ما قدّموه من أعمال عالية.

---

١)- سورة الأنعام: الآية (١٠٩).

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ
يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ..﴾

الذين سمعوا وآمنوا وقدّموا الأعمال الصالحة، هؤلاء المؤمنون يغرفون من العطاء الإلٰهي الذي لا ينتهي، هذا العطاء للنفس، والنفس تغرف من الله الكثير، وكل إنسان على حسب حاله وقربه يغرف، فالرسول ﷺ غرْفُه من ربه كبير. وغرف الأتقياء غير غرف المؤمنين، غرفهُم جارٍ دائم متواصل، أما المؤمنونَ فيغرفون غرفة وراء غرفة، والكل جالس بغرفته عند النبي ﷺ وبمعيّته.

٥٩ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ..﴾: هذا النعيم لمن صبر عن الشهوات وجاهد نفسه وهواها. ﴿..وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾: مستسلم إلى الله تعالى، يتوكَّل على الله ويصبر.

٦٠ـ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ..﴾: فلماذا أيها الإنسان تحمل هَمَّ رزقك؟!. ﴿.. وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ..﴾: لأقوالكم. ﴿..ٱلۡعَلِيمُ﴾: بحالكم وما يناسبكم.

٦١ـ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: تتحولون لغيره سبحانه وتعالى!، لو كانوا صادقين بقولهم ما تحوّلوا عنه، مالم يفكر الإنسان بالموت حتى يوقن به ويخاف فيفكر بهذا الكون ويؤمن بربه ويشاهد لا إلٰه إلا الله، فلابدّ أن يتحوَّل عنه ويفتن بالدنيا وما فيها من فتن وزينة.

٦٢ـ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ..﴾: يعطي هذا ويجعله غنياً، يعطيه بلا حساب. ﴿.. وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ..﴾: كذلك لهذا الإنسان يقدر عليه، لا

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا
بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ
﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ
كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

يوسع لـه ولا يعطيـه. ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٞ﴾: لأنـه عليم بمـا يناسـب هـذا الإنسان، فلو أعطى الكثير للذي قدر عليه لما سار بالحق وكفر، ولو قدر على من أعطاه الكثير لكفر، فهو سبحانه عليم بكل إنسان وما يناسبه.

٦٣ــ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ..﴾: ألا يحمد هذا المسيّر على هذه النعم؟. ﴿..بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.

٦٤ـ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞ..﴾: كل ما فيها إن تعلّقت به فهو لهو ولعب وضياع، أنت ما خلقت للهو واللعب وتضييع الأوقات بل لغاية عظيمة، خلقك الله لتعمل صالحاً وتدخل بعملك الجنة، فالدنيا مدرسة والذي يلهو ويلعب يرسب وتنحط منزلته وله غداً الندم والنار. ﴿..وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ..﴾: الحيـاة الأبديـة فـي الجنـة لا نهايـة لهـا، والـواو والنـون للديمومـة. بالآخرة انتهى التكليف فلا تقييد، هناك السعادة ولك ما تريد. (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ) [1].

﴿..لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾: ما أعدَّه الله لهم من نعيمٍ وسعادةٍ، لو شاهدوا ما لعبوا وما التهوا بالدنيا. اصبر على شهوات الدنيا، ولا تستطيع الصبر إلا إن

١)- سورة ق: الآية(٣٥).

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥۚ..﴾

سرت بالقانون عندها تسعد دنيا وآخرة [1].

٦٥-﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ..﴾: عند البلاء يدعو الله مخلصاً، لا يطلب إلا منه سبحانه. ﴿.. فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ..﴾: عندما أذهب عنهم الشدّة والبلاء وخلّصهم مما هم فيه. ﴿..إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾: يجعلون لغير الله فعلاً، ينسبون الفعل لغير الله، يقولون فلان خلّصنا، الطبيب شفاني، فلان رزقني وأعطاني، فهل هذا يليق بك؟!.

٦٦-﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ..﴾: من فضلنا. ﴿..وَلِيَتَمَتَّعُواْ..﴾: بهذه الدنيا. ﴿..فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾: نتائج تفريطهم، وما ستعود عليهم أعمالهم غداً.

٦٧-﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا..﴾: ألم يروا أن مكة بلد آمن لا يستطيع أحد أن يلمسها بسوء، فمن الذي جعل هذا؟! ﴿.. وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ..﴾: لا يقدر أحد على مسّها بأذى. ﴿..أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾: يزعم أن للناس فعلاً.

٦٨-﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥۚ..﴾: افترى من بعد أن بيّن الله تعالى له الحق على حقيقته، جاءه بيان

---

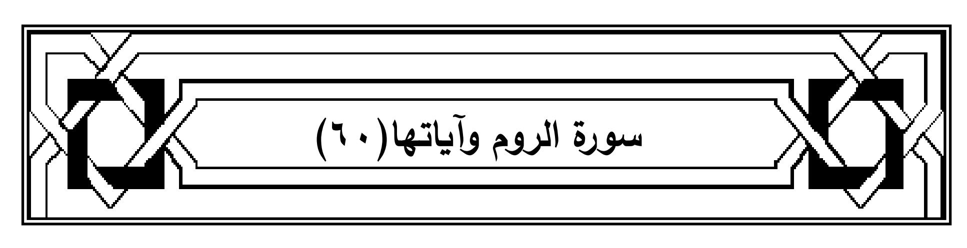
١)- لا تحصل السعادة إلا لمن صلّى الصلاة الصحيحة، حيث علم وشهد فيها عظمة ربه وسامي صفاته وتنزل القرآن على قلبه، هذا خرج من صنف الحيوان وانتظم في سلك بني الإنسان المتصف بالرحمة والإحسان والحنان، ومن مات ولم يصلِّ تلك الصلاة فقد أضاع حياته وخسر هذا العمر الثمين.

﴿..أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

من الله وكذَّب به. ﴿..أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: له الذل والحقارة دنيا وآخرة.

٦٩-﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا..﴾: استعن بالله ولا تعجز، ضَحِّ براحتك دوماً، واطلب القرب من الله بخدمة الخلق والإحسان لهم واعمل المعروف. جاهد الهوى والنفس، لا تعطِ نفسك هواها المهلك، ولكن لا تستطيع فعل هذا إلا إن سرت بالقانون الذي وضعه الله لك وهو التفكير بالموت، والتفكير صباحاً ومساءً بالكون وآياته، وقم الليل للصلاة. ﴿..لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا..﴾: يَهدِكَ الله طريق الحق "التقوى"، وهي الاستنارة بنور الله عن طريق رسل الله صلوات الله عليهم، فتصل للسعادة والجنة، عندها تصبح من المحسنين للخلائق كلِّهم، كلّك عطف وحنان ورحمة حيث صرت إنساناً. ﴿..وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ناصرهم، مؤيدهم، وسيجزيك الله على إحسانك بالإحسان.

والحمد لله رب العالمين



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾

١- ﴿الٓمٓ﴾: رموز خاطب الله تعالى بها رسوله ﷺ، يفهمها ويشاهدها كل من بلغ الكمال. (ا): أحمد، (ل): لطيف، (م): محمود.

الإيمان بالله أولاً ثم بالرسول ﷺ، والإنسان خُلق من أجل هذا الإيمان. بدايةً حتى يؤمن الإنسان بالله لابد من النظر في الكون حتى يقيم صلة مع الله، بعدها يتدرج في الإيمان والصلاة إلى أن يصل لدرجةٍ من الطهارة والكمال تجمعه مع رسول الله ﷺ فتنشأ الرابطة.

كل السور التي ابتدأت بالرموز مدنيَّة أو بأواخر العهد المكِّي، والسبب في ذلك أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لم يبلغوا بعد مبالغ الكمال التي تؤهلهم لمشاهدة حقيقة رسول الله وصفاته الكاملة وحدوث الرابطة معه ﷺ. مثال: الطالب في الصف الأول، هل تقول له [س+ع=٣]؟ هل المعلم يعلمه بالرموز وهو بهذا المستوى؟ لكن حين يبلغ درجة معينة ويستطيع أن يدرك معنى الرموز يخاطبه المعلم بها. لذلك فالصحابة الكرام لم يخاطبهم الله تعالى بالرموز إلا حين بلغوا مبالغ كبيرة في الإيمان، واستطاعوا بإيمانهم وكمالهم أن يشاهدوا كمال رسول الله ﷺ. وسبب تكرار الرموز في السور أنهم لم يقفوا عند حد معيَّن في الإيمان، كذلك دخول أفواج جديدة بالتقوى. أما الآيات المكيَّة فكلها تتحدث عن الكون وآياته والتفكير به.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ..﴾

٢ـ لا يعلم الغيب إلا الله، وقد أخبر تعالى حبيبه ورسوله ﷺ غيبيات وتحقُّق وقوعها فيما ذكره ﷺ بأنه مع هزيمة النصارى وكان دينهم إذ ذاك هو دين الله حين ضعفوا وانتصر عليهم المجوس عبَّاد النار حزن الصحابة الكرام، فبشَّرهم تعالى بأمر مغيَّب لا يعلمه البشر، أمر مستقبلي، بأن النصارى سوف ينتصرون ثانية على المجوس بزمن لا يتجاوز التسع سنوات وسيستردّون المسجد الأقصى كما سيتم عندها النصر على الوثنيين عباد الصنم وتُفتح مكة. وهذان خبران غيبيان فإن وقعا فهذا إثبات قاطع بأن القرآن كلام الله، وقد وقعا وهما من معجزات القرآن الكريم، وقعا بالزمن /٩سنوات/ كما أخبر الله وربح سيدنا أبو بكر الرهان على المشركين ليثبت لعبّاد الصنم أن هذا الكلام كلام خالق الأكوان، والقرآن كلام الخالق بلا ريب ولا شك ولا جدل. ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: قل لهم غلبت الروم، وهذا حدث بزمن الرسول ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم حيث احتل الفرس القدس، الصحابة الكرام ﭫ حزنوا لأن الروم أصحاب كتاب فأنزل الله:﴿..وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾(١).

٣ـ ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾: يعلم الله الغيب وما هو واقع وبيده سبحانه كل شيء، كل ذلك بالله؛ لا إله إلا الله.

٤ـ ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ..﴾: لم يحدد رب العالمين الوقت، لذلك عندما راهن سيدنا أبو بكر زعماء قريش على مائة جمل إن لم تعد القُدس إلى الروم خلال سبع سنين، وأخبر رسولَ الله ﷺ بهذا، فقال له الرسول ﷺ: لِمَ لم تراهن على

١)- سورة الروم: الآية .

﴿..لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

تسع سنين لأن كلمة بضع تحتمل ثلاث أو سبع أو تسع سنين، فرجع أبو بكر وزاد الرهان حتى مائتي جمل [1]، وفي السنة التاسعة استطاع هرقل إعادة واسترداد القدس. ﴿..لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ..﴾: حين غُلبوا وحين سيَغلبون، كله بإذن الله وإرادته، هزيمتهم ونصرهم بيد الله. ﴿.. وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: سيفتح الله على أيديهم مكة.

٥- ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِ..﴾: أي بفتح مكة، وقد فتحت في السنة التاسعة أيضاً، فالله سبحانه وتعالى أخبر رسوله ﷺ وقال له عندما تنتصر الروم على الفرس تُفتح مكة. وعندما فُتحت مكة كان ﷺ يقول لأصحابه ألم أقل لكم هذا. وبفتح مكة سقط حكم الجاهلية في الجزيرة العربية. ﴿.. يَنصُرُ مَن يَشَآءُ..﴾: من طلب النصر ينصره الله تعالى. ﴿.. وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كل ما يجري بين الناس ضمن رحمته.

٦- ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ..﴾: بنصر المؤمنين. ﴿.. وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا إلـه إلا الله وأن النصر بيده سبحانه (..وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ..) [2].

٧- ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا..﴾: لا يعرفون حقيقة ما يرتكبون، بل ظاهراً. ﴿.. وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾: لا يذكرون الموت.

---

١)- على مدة أقصاها تسع سنين.

٢)- سورة آل عمران: الآية (١٢٦).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

---

٨ - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم..﴾: على الإنسان أن يفكر. ﴿.. مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ..﴾: كل شيء فيها ضمن الحق والعدل. ﴿..وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾: منكرون ليوم الحساب؛ ما هم سيلقونه في الآخرة.

٩- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾: أولم يتفكروا فيمن سبقهم من البشر كيف آلت إليه عاقبتهم. ﴿.. كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ..﴾: رفعوها. ﴿..وَعَمَرُوهَآ..﴾: شيَّدوها. ﴿.. أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا..﴾: المشركون بزمن الرسول ﷺ. هذا العمران والترف فتنة وأذى للناس. ﴿.. وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: لا يظلم اللهُ الناسَ، ولكن أعمال الناس تعود عليهم.

١٠- ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ..﴾: ما يسوؤهم. ﴿.. أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ..﴾: ما يرون من المخلوقات [1]. ﴿.. وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

---

١)- فكل ما أمامهم من مخلوقات خلقها الله تعالى في هذا الكون لم يفكروا بها لتدلهم على المسيّر، على لا إله إلا الله، لم يصدِّقوا أن التفكير في مخلوقاته تعالى يوصل للإيمان به تعالى.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

١١- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ..﴾: هو الذي يخرج لكم الرزق من الأرض، من الشجر، هو من ينبت النبات ثم يعيده في العام المقبل وهكذا..﴿..ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: كلنا سوف نرجع إليه.

١٢-﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ..﴾: ساعة الموت، ساعة القيامة. ﴿..يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: خالون من كل خير.

١٣-﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ..﴾: ممن كانوا معهم في الحياة، من تابعيهم. ﴿.. شُفَعَٰٓؤُاْ..﴾: من يحمل عنهم شيئاً. ﴿.. وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾: انفض من أُشرِكَ بهم عمَّن مات، والذي كان يُشرِك بهم.

١٤- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾: ينفرون كلٌّ من الآخر لكراهة نفوسهم.

١٥- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾: بلا إله إلا الله. ﴿.. وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..﴾: بعد الإيمان لابد من العمل الصالح، الإنسان بعمله يدخل الجنة. ﴿..فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾: يتحوَّل عليهم النعيم أحوالاً.

١٦-﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..﴾: بلا إله إلا الله، ما نظروا بالكون حتى يروا أن الله هو المسيّر. ﴿..وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ..﴾: أنكروا الآخرة. ﴿..فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾: يسارعون إلى العذاب لما في نفوسهم من الألم.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ..﴾

١٧-﴿ **فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ..**﴾: ما أعظم فضله. ﴿**..حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾: فكر أيها الإنسان بالليل وفكر بالصباح كيف يتقلَّبان، ألا يستحق النوم التفكير.

١٨-﴿ **وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..**﴾: فيما يبدو لك من الخلق. ﴿**..وَعَشِيًّا..**﴾: وما هو خافٍ عليك. ﴿**.. وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾: ما ظهرت عليه من الحق.

١٩-﴿ **يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ..**﴾: الرشيم من البذرة اليابسة. ﴿**..وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ..**﴾: والنباتُ يُخرِجُ البذرة. ﴿**.. وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ..**﴾: يوم القيامة. ﴿**..تُخْرَجُونَ**﴾: كما أحيا الله الأرض بعد موتها كذلك ستخرج أنت.

أليست هذه الآيات بدليل على أن الله سيخرج الموتى يوم القيامة للحساب! فلمَ هذا الإنكار والآيات أمامك تدلك على هذا!...

٢٠-﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾: النبات من تراب، تأكله أنت فيأتي الولد من الغذاء.

٢١-﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً..**﴾: أليست آية تدل على صانع الوجود؛ تقارب الزوجين، كيف يهتم الزوجان ببعضهما ويتركان ما دون ذلك. ﴿**..إِنَّ فِى ذَٰلِكَ..**﴾: بالمودة

﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

والحب والرحمة. ﴿..لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ..﴾: لكم أيها المؤمنون. الخطاب للمؤمنين، هؤلاء يستطيعون هداية نسائهم إلى الله، أما إذا لم يؤمن الإنسان إيماناً حقيقياً شهودياً لا يستطيع هدايتها، عندها لا إيمان بل هلاك، وحديث رسول الله ﷺ أنه بآخر الزمان يكون هلاك الرجل على يد أهله أو زوجته أو ولده. ﴿..أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا..﴾: نفس مثلك مثلها، لكن رب العالمين حسب المؤهلات والمناسب جعلها ذكراً أو أنثى وألبس كل نفس الجسم المناسب لها فصار بينهما اختلاف نفسي وجسمي، والزواج رابطة نفسية أحلَّها تعالى، وهذه الآية تدعو المؤمنين ممن صارت لهم رابطة نفسية برسول الله ﷺ لهداية زوجاتهم إلى الإيمان. ﴿..لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا..﴾: تواضع وتنازل، قال لهم اسكنوا إليها ـ وليس فيها ـ ليهتدوا. غير المؤمن يسكن فيها كواقع اليوم، حتى أصبح المزاج جنسياً والكل يركض وراء المرأة حتى أصبحت هي القوَّامة.

٢٢ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ..﴾: اللغات. ﴿.. وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾: الذين آمنوا بلا إلٰه إلا الله.

٢٣ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ..﴾: فكِّر أيها الإنسان في النوم وقيمته وكيف يكون، هل يدري المرء كيف ينام؟ ما هذه الآية العظيمة؟! لا يستريح الإنسان أو المخلوق إلا بالنوم. ﴿..وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ..﴾: أنت لا تطلب إنساناً إلا لما يفيضه تعالى عليه من صورة أو عطاء. ﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾: يصغون للحق، تُصغي قلوبهم وليس آذانهم

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ
أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ
تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ويطبّقون ما يُتلى عليهم. هذا مَن طبّق بشغف وهيام وقوة حصل على السعادة وكسب الكمال وأعرض عن الانحطاط، أما مَن أصغى "بأذنه فقط" ونام بالشهوات غارقاً فيها فلا عليه سلام بل هو منبعٌ لِذَاته للآلام ومثواه العار والنار.

٢٤- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ..﴾: الآيات. ﴿.. خَوۡفٗا وَطَمَعٗا..﴾: إذا بدأ النبات بالنماء خاف الفلاح من انقطاع المطر عنه، وطمع بنزولها لبقاء نماء زرعه. تطمعون بالخير ونبات الزرع. ﴿.. وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ..﴾: تصبح الأرض جرداء يابسة خريفاً فيهطل مطر الشتاء فيحيي به الأرض ربيعاً فتعود ذات نضارة وخضرة وثمار وفواكه وزروع ومروج. ﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: ما فيها من خيرات.

٢٥- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ..﴾: فكر أيها الإنسان فكل شيء يقوم بما هو مطلوب منه بأمر من الله، ورؤية هذا الشيء لا تحتاج إلا لتفكير بسيط. ﴿.. ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ..﴾: يوم البعث. ﴿..إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾: تنبتون. كذلك دعوة رسول الله ﷺ. ﴿.. ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ..﴾: دعوة رسول الله ﷺ إذ دعاكم إلى الحق. ﴿..إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾: عنها، تخرجون عن طريق الحقّ. فَلِمَ الخروج عن الحقيقة والسعادة وإلى أين؟ أللشقاء والذل والحرمان!.

٢٦- ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾: كله عائد له بالإمداد والتسيير، كل شيء مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿.. كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: قائمون

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ ..﴾

مستمدون الخير والحياة منه، يطلبون العون من الله شاؤوا أم أبوا. هل يستطيع مؤمن أو كافر أن يستغني عن الهواء، الماء، الغذاء؟!.

٢٧ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ..﴾: ألا ترى النبات؟. تزرع البذرة فتنبت. ﴿..ثُمَّ يُعِيدُهُۥ..﴾: ثم تعود إلى الازدهار. ﴿.. وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾: لله أشرف الأعمال وأكملها وأتمّها.

الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بالأشياء التي نفهمها، قالوا من مات ورجع؟. قالوا إذا مات الإنسان وحلَّت به الآفات ارتاح، ما ميَّزوا بين الجسد والنفس. (..نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ..): النسيان [1]. (..أَنفُسَهُمۡ..) [2]. ما نظروا بنور الله، ظنوا الجسد والنفس واحد. إذن:﴿.. وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾: الذي خلق السموات والأرض أيصعب عليه إعادة خلق الإنسان مرة ثانية؟!. أيهما أصعب: خلقُ الإنسان أم خلق السموات والأرض؟!.

الخلق دائم جارٍ لا ينقطع, من البيضة تخرج الدجاجة ومنها تخرج البيضة وهكذا... وهذا أمام أعينهم, فلماذا يقولون: لا يُعاد خلق الإنسان مرة ثانية؟!. في كلِّ العوالم الخلقُ والفناء دائم، تُخلق أشياء وتفنى أشياء.

﴿..وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ..﴾: فكل شيء له الفناء عداه سبحانه فهو المتفرد بالبقاء. ﴿..ٱلۡحَكِيمُ﴾: وهو الحكيم بخلقه وما يناسبهم، وله وحده سبحانه الحكم والأمر عليهم.

٢٨ـ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ..﴾: لكم وللآخرين، هذا المثل هو:

١)– نسيانهم لله أنساهم أنفسهم، فما ميّزوا بين أنفسهم الخالدة وأجسامهم.

٢)– سورة الحشر: الآية (١٩).

﴿..هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿.. **هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ**..﴾: العبد هل يملك؟! ﴿..**فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ**..﴾: هل يشاركونكم في رزقكم وما تملكون؟. وكذلك هل تجد لله شريكاً فيما يدبّر من الأمور؟. يعني هل لأحد أن يكون شريكاً لله وقد خلقه الله تعالى؟!. ﴿..**تَخَافُونَهُمْ**..﴾: هل تحسب لهم حساباً، هل العبد كالمالك؟ لا. ﴿..**كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**..﴾: المملوك يخاف من المَلِك ولا يخاف من جندي مثله، كذلك أنت تحسب حساباً لإنسان مثلك لا لعبد عندك أنت مالكه، أنتم ألا تخافون الله! هو المالك سبحانه وأنتم لا تملكون شيئاً. ﴿.. **كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾: إن لم يفكر الإنسان فلن يعقل، وإن لم يعقل فلن يؤمن.

٢٩-﴿ **بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ**..﴾: ينسبون إلى الله ما هو براء منه، جعلوا للمخلوق فعلاً وجعلوه إلـهاً. ﴿.. **فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ**..﴾: أضلَّ نفسَه عن الله، حيث ما فكر وما سلك طريق الإيمان، هذا من يهديه؟!.﴿.. **وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ** ﴾.

٣٠- ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**..﴾: فكر واستقم. ﴿.. **لِلدِّينِ حَنِيفًا**..﴾: يجب أن تميل للحق لا أن تميل للباطل. ﴿.. **فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا**..﴾: فُطِرْتَ أيها الإنسان على الكمال. ﴿.. **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ**..﴾: المستعلي، المستقيم الذي يدين إليه الإنسان العاقل. ﴿.. **وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ**

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ
يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ..﴾

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا إلـه إلا الله. إذ شغلهم عرض الدنيا الزائلة عن النظر بآيات الكون، وهكذا فالمسألة مسألة إقبال وإدبار، فمن فكر وأناب وأقبل على الله تحلّت نفسه بالفضائل وطهرت من العلل وامتلأت بالكمال ومن استكبر وأعرض انحطَّت نفسه وتلوّثت بالعلل المعنوية والأدران.

٣١ـ ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ..﴾: راجعون تائبون إليه. ﴿.. وَٱتَّقُوهُ..﴾: انظروا بنوره لتروا الحقائق. ﴿..وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ..﴾: لأنفسكم، لا تنقطعوا عن الله. ﴿..وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: لئلا تكونوا مثل النصارى فتشركوا.

٣٢ـ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا..﴾: صاروا مللاً وجماعات. ﴿.. كُلُّ حِزۡبِۭ..﴾: جماعة. ﴿..بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾.

٣٣ـ كذلك لا تنسَ فضل الله، حتى إذا أصابك شيء دعوت! ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ..﴾: بلاء. ﴿..دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ..﴾: دعاء فقط دون إقبال ومعرفة. ﴿.. ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً..﴾: أنقذهم. ﴿..إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾: يجعلون لغير الله حولاً وقوة. فإلى ما أشركوا يتَّجهون فتنقطع نفوسهم عن الاستمداد العالي ويتمتَّعون بالانعكاسات العطائية على المشرَك به.

٣٤ـ ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ..﴾: بما أنعم الله عليهم، من فضله تعالى يأكلون وله ينكرون، بدل أن يسعدوا بما آتاهم الله يجعلونه حجاباً بينهم وبين منابع سعادتهم ويكتفون بالقليل المنقطع ولا يرون ربَّهم وتجلِّيه بل يرون حُجُبَهم. ﴿..فَتَمَتَّعُواْ..﴾: ما دمتم مصرِّين ومعاندين لما يعود عليكم بكل خير فكلوا

﴿..فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

نصيبكم بهذه الدنيا، الدنيا بالنسبة للآخرة مدة قليلة. فلكم مطلق الخيار ولا إكراه. ﴿..فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ستشاهدون ما خسرتم من فضلٍ أعدَّه الله لكم، ستظهر لكم الحقائقُ حين الموت وسترون كم ضيَّعتم وفرَّطتم، عندها الندم الذي لا ينفع.

٣٥- ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا..﴾: ليس لأحد سلطان على قلبك ونفسك، الله سبحانه وتعالى ما أعطى لأحد حولاً ولا قوة. الكل به وبإمداده وتسييره قائم، وهذا ينفي أحاديث الدجال وسلطانه قطعاً. ﴿.. فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾: هم جعلوا لغير الله فعلاً، بعدم إيمانهم جعلوا لله أنداداً فسمعوا منهم وأطاعوهم بما لم ينزل به سلطاناً.

٣٦- ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً..﴾: مطراً أو مالاً... ﴿..فَرِحُوا۟ بِهَا..﴾: يفرح بأن ذلك كان من كسبه. فرحوا بها لا بربِّها!. ﴿.. وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ..﴾: الله سبحانه كله رحمة وحنان، هم قَدَّمت أيديهم وعاد عليهم عملهم بالسوء. ﴿.. إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: ييأس.

٣٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ..﴾: الله سبحانه وتعالى هو الرزاق، يعطي من يشاء ويمسك عمن يشاء الرزق، كل أفعاله تعالى نتائجها خير لك. آمن من ثنايا الكون وأنت جزء منه، وارجع لنفسك إن أصابك مالا يرضيك فهو تنبيه رحيم لخطر جسيم، فلا تطلب أيها الإنسان إلا منه هو وحده الرزاق. ﴿.. إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن يرى بهذا آيات دالَّة على رحمة الله وحنانه بعباده. يرى أن الله لو بسط الرزق لمن قَدَرَ له لبغى

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ
فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ
ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ..﴾

وازداد إثماً وبُعداً عن الله ولأصبح لا أمل له بدخول الجنة، فالمؤمن يحمد الله على كل حال.

٣٨- ﴿**فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ**..﴾: كل قريب نسباً أو معرفةً. ﴿..**حَقَّهُۥ**..﴾: الذي وضعه تعالى بين يديك أمانة، ولا تسرف وتبذِّر به على مذبح الدنيا الدنيَّة المنقضية، فحقُّك كفافك، وما زاد لكسبك وشأنك العظيم. ﴿..**وَٱلۡمِسۡكِينَ**..﴾: من لا أب له ولا أُمَّ، وفقير. ﴿.. **وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ**..﴾: عابر السبيل الغريب. ﴿.. **ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ**..﴾: هو خير عظيم. ﴿.. **وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ**﴾: دنيا وآخرة.

٣٩- ﴿**وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا**..﴾: أعطيتم من مال أيها الأغنياء. ﴿.. **لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ**..﴾: لا يكثر عند الله. ﴿.. **وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ**﴾: إن فعل أكثر ضاعف له أكثر، أنت اعمل وهو يوسِّع عليك، بحسب النية تنال.

٤٠ـ ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ**..﴾: يوم القيامة. ﴿.. **هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ**..﴾: هل لهم حولٌ وقوةٌ؟. ﴿..**سُبۡحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾.

٤١- ﴿**ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ**..﴾: بدا وطغى. ﴿.. **فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ**..﴾: الجو والماء

﴿..بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ
سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ
﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ
يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

والطعام والعلاقات الاجتماعية والأسرية، الحياة ليست بحياة. ﴿..بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ..﴾: طلبتم سُبُل الإعراض فحلّت بساحتكم الأمراض، فذوقوا إصراركم. ﴿..لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ..﴾: (أعمالكم عمّالكم تُكال لكم ثم تكال عليكم)، كل إنسان عمله راجع عليه خيراً كان أم شراً.

﴿..لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ ما هذا البلاء والعذاب إلا من أجل أن يرجعوا إلى الله. لعلَّه يفكر ويعود عن هذا الطريق المرعب وتلك المثل العليا الأرضية "الرذيلة". انكشفت حقيقته فكانت كالسراب، حسبوا فيها الحياة والرفاه فإذا فيها السُّمّ الزؤام، فلعلَّ بعد الاكتشاف يتم الرجوع فالارتشاف ويشفى بالإقبال على الله.

٤٢ـــ ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾:عقّبوا أحوال الأقوام وأحوال الأفراد عظيمهم وحقيرهم تجدوا أن الشرك "عدم إيمانهم بلا إله إلا الله" سبب تعاستهم، الشرك أن تؤمن بأن مع الله فَعَّالاً آخر؛ أي تؤمن بأن للمخلوق قدرةً، يضرُّ وينفع، وهذا شرك وفيه يصل الإنسان إلى الكفر والضلال وإلى الشقاء.

٤٣ـ ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ..﴾: وجّه نفسك للحق المستعلي. ﴿..مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرقون، كلٌّ يقول نفسي نفسي.

٤٤ـ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ..﴾: يلبسه يوم القيامة كالثوب. ﴿.. وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾: يزرعون.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا..﴾

٤٥ـــ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: لا يحب لهم طريق الكفر لما فيه من شقاء وتعاسة عليهم.

٤٦ـ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ..﴾: تبشّر بالخير والمطر. ﴿..وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ...﴾: بهذه الرياح. ﴿..وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ..﴾: لتفعلوا الخيرات عن طريق التجارة. ﴿.. وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: الله على نعمه، خلقك لتعامل الخلق بالإحسان لتعود إليه وتنال السعادة غداً.

٤٧ـ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ..﴾: أصبحوا خالين من الخير. ﴿.. وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: في كل زمان ينصر الله المؤمنين ويُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم. ولو أن الإنسان استقام ولو بمفرده لرفع الله شأنه وحفظه وحماه من كل ضيق وشدة.

٤٨ـ﴿ ٱللَّهُ..﴾: صاحب الرحمة والحنان بك أيها الإنسان صاحب الأسماء الحسنى. ﴿..ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ..﴾: هو سبحانه بيده التسيير. لولا الهواء ما سيكون حالك! هلاَّ رأيت أيها الإنسان أن الله خلق الرياح ويرسلها بنظام كامل.. هل نظرت؟ هل فكرت؟ هل رأيت ما فيها من كمال؟ الكون كله كامل منظَّم خُلق من أجلك، وأنت أما جعل لك نظاماً لتسير عليه؟! ﴿..فَتُثِيرُ سَحَابٗا..﴾: تبخِّره

﴿..فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ
فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن
يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

من سطح الماء وترفعه. ﴿.. فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ..﴾: ينقله إلى حيث يشاء لينزل المطر. ﴿..وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا..﴾: قطعاً. ﴿.. فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ..﴾: حبات المطر. فكلمة "ودق" مشتقة من (ودّ) و (دقّ) أي الدقة، فالله الرحيم المحب لنا يوادنا ويهادينا بإرساله لنا الأمطار المفعمة بالحياة والتي بها المواسم ونتاجها بدائع الأطعمة والمشروبات بما وضع الله بها من خصائص تدبُّ الحياة على الأرض من بعد أن كانت خامدة، وتزدهي بالأزهار والورود والبنين والبنات والأنعام كلها من موادة الرحيم المحب لنا. وكذلك هذه الأمطار يلفتنا تعالى إلى كيفية نزولها بدقة وانتظام فلا تصطدم قطرة مع قطرة أخرى في السماء، فلو حصل ذلك لنزلت إلينا بشكل شلال وخرّبت المزروعات والثمار وجرفت التربة ولما استفاد منها بشر، بل لكانت وبالاً على الناس، ولكنها بلطف الله ودقة صنعه يرسلها لنا بدقة قطرة بعد قطرة برقَّةٍ ولطف فلا تزعج النبات الضعيف ولا تدمِّر الزروع والأشجار. فما أعظم حنان الله وعنايته بنا!.

وكذلك كلمة (ودق) يتضمن معناها الموادة والدقة والوقاية، فهي تقينا العطش والجوع والحرمان، فكم يحبنا تعالى. كل ذلك لتلتفت نفوسنا إليه سبحانه وتقدّر فضله ونعمه وهداياه فتنال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿.. يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يفرحون بنزول المطر.

٤٩-﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم..﴾: المطر. ﴿.. مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ﴾: ما فكروا فما قدَّروا، فظلّوا على ما هم عليه من الجحود والنكران.

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

٥٠- ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ..﴾: كل ذلك يدلُّ على رحمة الله بخلقه. ﴿.. كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ..﴾: ينبت النبات. ﴿..إِنَّ ذَٰلِكَ..﴾: الخلق من ثمار وأنعام وبنين وإعادة خلقهم كل عام دليل لك أيها الإنسان أن الله: ﴿..لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ..﴾: سيعيد خلقك مرة ثانية، كذلك إن أقبلت عليه يحيي قلبك بنوره تعالى. ﴿..وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: قادر سبحانه على هذا، والدليل خلق الكون وتسييره وإمداده سبحانه له.

٥١- ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا..﴾: بلاء على الناس والنبات، هذه الريح جعلت الزرع أصفرَ يابساً. ﴿.. لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾: الله سبحانه أرسل لهم هذا البلاء والعلاج ليرجعوا إلى الحق، لكنهم ما التفتوا. لا الرخاء أجدى معهم ولا الشدة جعلتهم يؤمنون ويغيّرون ما بأنفسهم. ولم يفكروا حتى يعرفوا السبب، ما قالوا أن هذا البلاء من أعمالنا ومعاصينا، فلنبدّل ونغيّر، بل ازدادوا كفراً، لذلك قال رب العالمين مخاطباً رسوله:

٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ..﴾: من ماتت نفسه. الذين لم يقيموا لأنفسهم صلةً بي "أصحاب القبور، الشهوات والهوى المهلك". ﴿..وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ..﴾: من أعرض عن الحق، فكيف يسمعونني على لسانك الطاهر الشريف. ﴿.. إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾: فإن لم يسلك الإنسان بذاته من ذاته بطريق الحق، ويسرْ على القانون؛ من التفكير بالموت حتى تخاف نفسه وتخشى على مصيرها ويفكر في بدايته وفي الآيات ويشهد أن لا إله إلاَّ الله شهوداً قلبياً، فلا

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ..﴾

فائدة منه مهما كلَّمته ونصحته.

٥٣- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ..﴾: لا تستطيع هداية الأعمى عن الحق. ﴿.. إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا..﴾: من يصغي إليك [1]. ﴿..فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾: فإنه يستسلم للحق ويذعن. يجب أن يطيع الإنسانُ بعد أن يؤمن، ليكون على بيِّنة من أمره.

٥٤- ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ..﴾: كنت نطفة. ﴿..ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ..﴾: شاباً. ﴿.. ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ..﴾: شيخوخة. ﴿.. يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾.

٥٥- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ..﴾: الذين لم ينالوا من الله شيئاً، لم يسمعوا من الرسل بل سمعوا من الخاسرين. ﴿.. مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ..﴾: لم نشعر إلا وذهب العمر، الدنيا مدة قليلة أما الآخرة لا نهاية لها، الدنيا لمحة بالنسبة إليها. ﴿.. كَذَٰلِكَ..﴾: هي كذلك. ﴿.. كَانُواْ..﴾: بالدنيا. ﴿..يُؤۡفَكُونَ﴾: يتحوَّلون.

٥٦-﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ..﴾: بأسماء الله الحسنى. ﴿.. وَٱلۡإِيمَٰنَ..﴾: بلا إله إلا الله. ﴿..لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ

١)- للإيمان طريقان، الأول يسمع فيفكر فيعقل، الثاني يرى بعينه فيفكر فيعقل.

﴿..فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

٥٧ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ..﴾: أنفسهم، ما دلُّوها على الله. ﴿..مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يوم القيامة لا يُعاتب الإنسان على ما قام به من سيّئ الأعمال وفعل، حيث لم يبقَ له طريق للرجعة والتغيير، ولا يستطيع أن يقدم أعمالاً صالحة تكسبه ثقة بنفسه فيقبل على الله، فما اكتسبه وناله في دنياه هو غاية ما وصل إليه ولن يستطيع أن ينال غير الذي ناله بالدنيا، لذلك لا فائدة من العتاب.

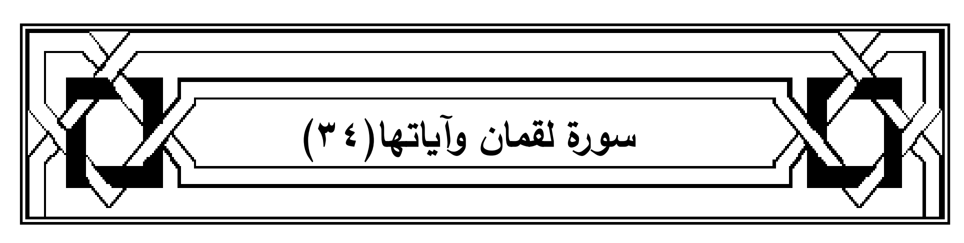
٥٨ـ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ..﴾: كل شيء بيَّنه الله لهذا الإنسان، ذكر له عن الأقوام الذين عارضوا وما ساروا بالحق وما أصابهم، وذكر الأقوام التي آمنت وما نالوه. ما فرّط الله تعالى في الكتاب من شيء، ولله الحجة البالغة. ﴿.. وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: ليردوا الحق. فلا فائدة من إرسال الآيات "المعجزات".

٥٩ـ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:الله سبحانه وتعالى كلّه رحمة وحنان على هذا الإنسان، يطبع على قلب المعرض المصرِّ على الرذيلة فلا يريه ما وراء عمله ليُخرج له شهوته من نفسه وما فيها من خبث، فتخرج الشهوة، ثم يرسل له بعد خروجها بلاءً بما قدّمت يداه من عمل لعله يرجع إلى الحق.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾

٦٠ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ..﴾: عليهم. ﴿..إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ..﴾: وعدك بالنصر. ﴿..وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: عندئذ لن يستخفَّ بك الذين لا يوقنون.

والحمد لله رب العالمين



سورة لقمان وآياتها(٣٤)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ..﴾

١ـ ﴿الٓمٓ﴾: خطاب من الله سبحانه لرسوله ﷺ.

(ا): يا أحمد الخلق، (ل): يا لطيفاً، من قربه ﷺ من الله صار لطيفاً يعرج بلطف بالخلق إلى الله. أي صار للعالمين شفيعاً، (م): يا محموداً عندي وعند خلقي.

الذين آمنوا بلا إلٰه إلا الله وصارت لهم التقوى هؤلاء يسمعون خطاب الله تعالى لرسوله ويشاهدون قدره ومقامه وعظمته ﷺ عند الله.

٢ـ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: سنتلوها عليك لأنك أهل لأن تبلِّغها لعبادي. بتلك الصفات العالية التي نالها ﷺ طُبِعَ في نفسه الشريفة الكتاب. ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: بك وبكل الخلق، حكمته سبحانه اقتضت أن ينزِّل عليك الكتاب، فأنت أحقُّ الخلق به وهم لديهم القدرة إن استعانوا بك وآمنوا بالله ليبلغوا التقوى ويتنزل عليهم الكتاب، ولهذا أنزلت عليك الكتاب من أجلهم. لكن مع الأسف لا يوجد من يفكر في الآيات ولا حكمتها، إذا ما فكر كيف يستعظم القرآن؟!.

هذا القرآن لا يمكن فهمه إلا للطاهر، الطهارة بالصلاة، الصلاة بالاستقامة والثقة، الثقة والاستقامة بعد الإيمان بلا إلٰه إلا الله والتفكير بالآيات، التفكير لا يتم إلا بعد ترك الدنيا، ترك الدنيا لا يكون إلا بالتفكير بالموت واليقين من فراق الدنيا. فهذا الكتاب لا أحد الآن يعرف الحكمة منه بسبب عدم تفكيرهم.

٣ـ ﴿هُدٗى﴾: ليهتدي الناس به إلى الله وينالوا السعادة والجنات. ﴿وَرَحۡمَةٗ

﴿..لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ..﴾

لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾: المحسن بإحسانه للخلق يصبح قريباً من الله ورسوله وأهلاً لنيل الإحسان. أهل الإحسان رحمة الله قريبة منهم بسبب إحسانهم للخلق، فالله يحب المحسنين.

٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾: لأنفسهم. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يفكرون بالكون ليؤمنوا بالله وترتبط نفوسهم برسول الله ﷺ ويعملون الصالحات ليتقربوا منه سبحانه وتدوم صلاتهم. ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الطهارة لأنفسهم، ولا تكون الطهارة النفسية إلا بالصلاة. ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾: هؤلاء أول الأمر فكروا بالموت حتى خافت أنفسهم واستقامت على أمر الله، بعدها فكروا بالكون وآياته فآمنوا، ثم بعدها فكروا بما أنزل الله على رسوله فعلموا أن الله قادر على أن يحييهم مرة ثانية، وعرفوا أنه لا بد من يوم سيسألون فيه عن أعمالهم التي عملوها بالدنيا.

٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾: هؤلاء يصلون لمعرفة المربي، مربيهم ومربي الكون كله. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: ينالون فضل الله عليهم بالدنيا والآخرة.

٦- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾: يكرهون سماع الحق بسبب حبِّهم للدنيا وللمعاصي ويُسرُّون بسماع الباطل من الأحاديث، هذا البيان أنزله الله علينا لنفكر ونعمل به، ففيه وحده السعادة ودخول الجنة وبغيره الشقاء.

﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: المعرض عن ربه يسير بغير كلام الله ليُضلَّ نفسه وغيره عن طريق الحق. ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: نصَّب نفسه مرشداً لغيره وهو بلا نور وليس على بصيرة من الله. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: لا يعبأ بكلام الله ورسوله،

﴿..أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

فهو لا يحقق لهم أهواءهم ورغائبهم المنحرفة التي توصلهم للهلاك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: الذل والحقارة لهم دنيا وآخرة.

٧- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾: وهذه الآن حاصلة بين الناس، فرسول الله ﷺ وضَّح لهم كل شيء، لكن ما سمعوا الحق منه وذهبوا لغيره، وإذا جاء من ذكَّره وأنذره وبيَّن له معاني كلام الله العظيم وما فيه من حقائق وبيان لم تأتِ البشرية بمثله وما سيناله إن اتبع الحق من العز والإكرام والجنات: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾: استكبر على رسول الله ﷺ، ولّى وجهه شطر الدنيا وشهواتها معرضاً عن هذا البيان وهذه الدلالة السامية. ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾: ينكرها ولا يريد سماعها، سمع بأُذُنِه ولكن لم يدخل شيء لقلبه، فقلبه ظلَّ في صمم. حب الدنيا من مال وجاه ونساء وبنين غطّى عليه وسدَّ عن النفس مسامعها. ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾: سدّاً، حبُّه للدنيا وشهواتها سدَّ عليه سماع الحق "حب الشيء يعمي ويصم" استغلق على قلبه بسبب ميله الأعمى للدنيا، فأمراضه وعلله جعلته يستحب الشرَّ ويكره الخير لنفسه. ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فالعذاب أنسب شيء له حتى يرتدع ويعود عن غيّه كذلك النار غداً له بشرى، كالمريض الذي يصرخ ألماً وجاء أحدٌ من أقاربه يخبره بدخول المستشفى والعلاج، فهذا الخبر بشرى لهذا المريض، كذلك النار بشرى لهؤلاء المعرضين.

٨ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالله، وآمنوا بما أنزله سبحانه على رسوله من بيان. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعد الإيمان العمل الصالح. ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾: جزاءً لهم على ما قدَّموا من أعمال صالحة.

﴿..خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ..﴾

٩- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مرتمون بأنفسهم عليها لا يبغون عنها حولاً. ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾: وعده صدق، وعدهم بالجنات ووفَّى سبحانه بوعده. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: هذا ما يريده لكم الله تعالى، أن تصلوا لهذا الكمال، ولن تصلوا إليه إلا بسيركم بكلامه وبيانه الحكيم المنزَّل على رسوله ﷺ، عندها تؤمنون به سبحانه فتنالون كمالاً فتعملون الخير والإحسان فتدخلون الجنة، ولكن كيف الوصول للإيمان؟.

١٠- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾: هذه فكِّر بها لتؤمن بالله، كيف أن السموات بغير عمد محمولة في هذا الكون. ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبال. ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾: لئلا تميد بكم وتضطرب في جريها "دورانها". ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: في الأرض. ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾: كل ما تحتاجه أيها الإنسان موجودٌ على الأرض، ففكِّر بفضل الله عليك. ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: لتشربوا وتسقوا أنعامكم وزرعكم. ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾: كل ما خلق الله نافع مفيد لا ضرر فيه ولا أذى عليكم.

١١- ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾: لكم، من أجلكم وأجل حياتكم. ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: الذين أشركتم بهم ولحقتموهم، هل المخلوق بمقدوره أن يخلق شيئاً لم يخلقه الله؟ هل يخلق لكم الماء والطعام والهواء؟ لو قطع الله عنكم هذا، ما مصيركم عندها؟!. ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم فما دلُّوها على الله، هؤلاء اتبعوا غير كلام الله، ظنوا أن للمخلوق حولاً وقوة وأنه يعزُّ ويرزق لذلك

﴿..فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

تركوا الله وساروا معهم. ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: ضلوا عن الحق والسعادة التي أعدَّها الله لهم.

١٢- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: علَّمه الله الحكمة من كل شيء أنزله عليه. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾: علَّمه ليدلّ الخلق عليها فيؤمنوا بالله. ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾: منكم أيها الخلق. ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: العائد عليها والسعادة والجنة لها. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بها "بالحكمة". ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: غنيٌّ عنكم ليس بحاجتكم بشيء، ويحمد على كل شيء سبحانه.

١٣- ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: سيدنا لقمان يرشد ابنه طالب التقوى. ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: لا تشرك بأوامره سبحانه أحداً، غير كلام الله لا تتبع وتسمع، فلا طاعة لمخلوق مع الله، الإنسان مهما علا إن لم يسر على كتاب الله لابد وأن يخطئ. أمَّا دلالة الله فكلها كمال. إذن اسمع كلام من يبلِّغك عن الله. ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: في أذاه عليهم، كبير في نتائجه إذ حوّلهم عن طريق السعادة إلى الشقاء.

من ينسب الفعل لغير الله هذا هو الشرك كذلك من يسمع ويتبع كلاماً مخالفاً لكلام الله. (..إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ..) [١]، بالشرك حتمية الوقوع بالمعاصي لوجود الدافع الغريزي الداخلي، وفقدان الوازع الخارجي "الإلَه".

١)- سورة المائدة: الآية (٧٢).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ..﴾

١٤ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾: إذ الإحسان لهما يجنب الوقوع بالشرك «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**» [١]، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأحد، فمن أنكر الفضل الإلٰهي الملموس عليه من أعظم الناس عليه فضلاً لا عجب أن ينكر فضل الله ويبقى عنه مشيحاً، فمن لم يسلك طريق الشكر فلن يصل للمنعم المغدق الحق، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾: وهذه المدة كافية للطفل ثم بعدها يستطيع المولود الاعتماد على المأكولات الأخرى، فحليب هاتين السنتين فيه كافة العناصر والمركبات الضرورية لبناء جسم الرضيع حيث يُصبح قادراً على هضم وتمثُّل ما يأكله من مأكولات بأسنانه اللبنية، ومن جهة ثانية فهاتان السنتان من الرضاعة كافية لإقامة علائق المودة والحنان بين الأم وابنها، فبهذه المدة تتوثَّق الروابط النفسية من رحمة وحنان ومحبة بين الطرفين وذلك ما يريده الله تعالى. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾: على هذا الفضل أن جعلت لك أبوين ووضعت في قلبيهما رحمةً وحناناً عليك كي يُربّيانك ويرعيانك وهذه من عيون رعايتنا بك. أنت انظر إلى فضل الله، اشكر نعمه عليك، الشكر؛ من عرف نعمة الله بالإيمان هذا يشكر ويعمل صالحاً. ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: رُدَّ إليهم المعروف كما بدؤوك به، لا تضجر منهما، لأنك إن فعلت المعروف ترقى ويرقى أبواك. ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: النتائج، المرجع إليه سبحانه ولك أيها الإنسان على معاملتهما الأجر العظيم من ربك.

١٥ـ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

١)- المعجم الكبير رقم/٨٠١٤/.

﴿..لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ..﴾

﴿تُطِعۡهُمَا﴾: الطاعة لله وحده، غير كلام الله لا تسمع ولا تطع أيها الإنسان ولو كانا أبويك. هل الأب خلق ابنه وركَّبه هذا التركيب البديع في بطن أمه؟ هل كان يعلم أهو ذكر أم أنثى؟ أم هو الذي يرزقه بالغذاء حتى نما وكبر؟ فمن الذي يدير الفصول الأربعة ويدير الكون كله وينزِّل المطر لينبت الزرع وينعقد الثمر ويُغلِّفها حتى تكون لهذا الولد؟ فهل للأب يدٌ وتصرُّفٌ في ذلك؟ فهل هو الذي صنع ابنه حتى يكون ملكه؟ هل هذا الولد صُنْعه أم صُنْعُ الله؟ ومن أخرج له من ثديي أمه الحليب الصافي النقي المناسب له وأمدَّه به إثر خروجه إلى هذه الحياة؟ فالذي يرزقنا ويسقينا وبالخير العميم يشملنا وبرحمته وعيون رعايته يكلؤنا هو أحق من كل مخلوق ولو كان أولي قُربى، ولله الطاعة وحده ولا شريك له، وللوالدين الإحسان لأنهما بدآك بالإحسان. هكذا يقول سيدنا لقمان الحكيم لابنه. ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾: لكن عاملهما بالإحسان، لعلهما بهذه المعاملة الحسنة يميلان للحق وبالمحبة لك، وبهذا تجر قلبهما للإيمان. ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: هذا اسمع كلامه وأطعه. لا تسمع إلا كلام رسول الله ﷺ فهو عن الله سبحانه. (من أناب): أعرض عن الدنيا الزائلة فاستأنس بالله تعالى واستأنس به الخلق. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: يوم القيامة. ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: كل عملك محصيٌّ عليك، سيبينه لك غداً، لا يضيع مثقال ذرة، لا جنة بلا عمل. من دون عمل لن تدخل الجنة، صلَّيت؟ صلاتك ماذا أنتجت لك؟ صومك، حجّك ماذا أنتج؟ بلا عمل لا تنال شيئاً، ألا يجب أن يكون بيدك شيء لكي تُقبل به على الله؟! هكذا يعظ سيدنا لقمان الحكيم ابنه.

١٦- ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾: الحديث عن العمل

﴿..مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ..﴾

الصالح والآية تقول أيها الإنسان إن زرعت ازرع جميلاً. ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: أبوك، أمك ولو كان قلبهما قاسياً كالصخر أنت اعمل كل جهدك ليؤمنا بالله فلعلهما بلفتة منهما إليك يصلحهما الله، أي ازرع ولو في صخرة والله لا يضيع لك عملك. ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: وإن كان أبواك عاليين، بالإيمان بتوجّه نفسك لهما تستفيد وتحصل لك الرابطة والمحبة حتى ولو كانت غير شعورية. ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: كافر وعامل والديه بالإحسان الله لا يضيّع له هذا العمل، يعطيه الله أجره بالدنيا من صحة ومال وجاه. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: هكذا يجب أن ترى أن الله محيط بالكائنات كلها من الذرات إلى المجرات فالإيمان شهود.

كذلك الآية تتحدث عن العمل السيئ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: قصور صخرية بغرف حجرية مغلقة إن ارتكبت بها. ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: "الطيران". ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أقبية السجون، أو نفسياً مع الشياطين والجن أو أي مكان. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: كيف لا وقيام هذه المخلوقات به تعالى وديمومتها بديمومة مناظرته جلّ وعلا لها، وإمداد الحياة بأنواعها لخروج الأعمال لحيّز التنفيذ من الحي الخالق الموجد الحافظ لها ولبنائها والذي بها تعالى هو محيط. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: نوره سارٍ بك دون شعور منك ومُشاهدٌ سبحانه لك ولعملك ولا يضيّع لك شيئاً. ﴿خَبِيرٌ﴾: بعباده سبحانه وما يناسبهم، فما حال الإنسان الظالم لنفسه يومها وقد تَبدَّى له إجرامه وما أتى من أعمال صغيرها وكبيرها؟!.

١٧- ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: اذكر فضل الله عليك لنفسك ومن ثم لعباده. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: دُلَّ نفسك وغيرك على الخير والفضيلة. اذكر فضله،

﴿..وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ ..﴾

حنانـه، عطفـه "إن لـم تـذكر الله كيف تتصل بـه" عرّفهم بـه، ذكّرهم بعطـف الله وحنانه لتحصل لهم الصلة به، حيث جُبلت النفوس على حبٍّ من أحسن إليها. ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الصلاة الصحيحة فيها حياة وسعادة للقلوب، بها تَغْنَى النفوس وترفل بالنعيم و بها ينتهي الإنسان عن فعل المنكر ويستطيع أن ينهى غيره عنه. ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: بعد الصلاة الصحيحة يستطيع المرء أن يصبر، إذ الصبر من أعلى المراتب الإيمانية. واعلم أن ما أصابك من مكروه هو مما قدَّمت يداك، من نفسك، أرسله الله إليك ليطهّر نفسك من ذنوبها وعللها فتسعد. يجب أن تقول هذا البلاء لإخراج ما في نفسي، فتُب واصبر وأقرَّ بنعمة الله في ذلك. صبر مع تقوى يُريك طريق معاملتهم الحسنة. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: هذا فعل المؤمن القوي بالإيمان وهذا حاله مع الله ومع الناس. على المرء أن يُخرج غشَّه من نفسه فلا يبتليه الله تعالى، الابتلاء لما في النفس، يأتي الابتلاء منها، بأخطائها يأتيها للتنقية والتطهير، لا بمجرد الإيمان تدخل الجنة بل لابد من التطهير النفسي، فيعلم أن ما أصابه منه.

١٨- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تلتفت لكلام الناس تجاهك، لا تهتم بكلام أحد من الناس فلن يضرُّوك ولن ينفعوك بشيء. خذ ما آتاك الله بقوة واذكر ما فيه، والذي يتعالى ويتكبر ويأكل حقوق الناس ويُصرّ على ذلك فقد عرّض نفسه لمواقف الذل. أعطِ كل صاحب حقٍّ حقَّه فتكون صاحب سلطان وإلاّ فسوف تتعرَّض للإذلال. ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: تمرُّ في هذه الحياة، تسير بلا قانون إلا اتباع الهوى أهواء النفس المتقلّبة، ولا تشعر بأهمية ما تحمل من أمانة كي تعطيها حقها، بل تخون ما عاهدت ربك عليه. لماذا لا

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾

تؤمن؟ فلديك فكر وآيات الكون بين يديك!.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾: يتخيَّل في نفسه العظمة، ويتخيَّل حاله أنه قوي، غني، وأنه عظيم له شأن. ﴿فَخُورٖ﴾: يفتخر بما ناله من دنياه. هذا المختال الفخور الله لا يحبه.

١٩- ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾: بكل أمر تمشي به انوِ نيَّة لله فيها خير لك وللناس، كأن توجّههم إلى الله وتحدِّثهم بما سمعت عن الله، وكذلك انوِ الإيمان والتقرّب إلى الله بكل أمر تسير به، لا تُسلِّم نفسك لأيٍّ كان، بل فكِّر قبل هذا. لا تكن تابعاً كأن تقول قال فلان وتكتفي دون تمحيص ورجوع إلى كتاب الله. ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾: صوت النفس الأمَّارة بالسوء، لا تسر بما تقوله لك وتأمرك به وتشتهيه بل اردعها عن معاصيها. غَضُّ الصوت أن لا يتكلم الإنسان بالباطل "أي لا يتكلم باللغو" المؤمنون الذين آمنوا بالله وانشغلت قلوبهم بآلاء الله وحب الله فهم لا يتكلمون إلا بما يوصل إلى الله، وكل حديث عن غير الله فهو لغو. ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾:ففي أصوات الحيوانات ما هو أقبح وأبشع، ولكنهم يصدرون أصواتهم ضمن الوظيفة والحاجة إلا الحمار فهو ينهق بلا حاجة ولا وظيفة، بلا جوع ولا عطش ينهق في منتصف الليل أو عند الظهر بلا سبب، فلا تكن أيها الإنسان مثله. والذي يتكلم دائماً بلا سبب فمن قلة الأدب "لسانك حصانك إن صنته صانك". على الإنسان أن يتكلّم ضمن التفكير وحساب النتائج الخيِّرة والحسنة على المستمعين لكلامه، ولا يتكلم ناطقاً بأهوائه بل ضمن النية الحسنة والكلام الموجِّه إلى منبع الخير "حضرة الله تعالى"، فهذا هو القول السديد الذي أوصانا الله تعالى به. قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾

لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا) [١].

٢٠- ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: غيبي! أليس هذا واقعاً مشهوداً ملموساً، الله الكريم سبحانه كلّه إحسان، كل ما في السموات والأرض من مخلوقات مسخّر لك أيها الإنسان ولأجلك خلقها الله، فكم أنت مكرَّمٌ عنده سبحانه، فانظر بإنعامات المنعم الحقيقي تحظَ به وتغنم مالم ينله مخلوق في الكائنات فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ﴾: تتنعَّموا بها. لقد آنسك الله بكافة خلائقه ومعطياتهم الثمينة. ﴿ظَٰهِرَةً﴾: لأجسامكم. ﴿وَبَاطِنَةً﴾: لنفوسكم، أفلا تكحِّل عين نفسك بجلال جماله وقربه بالتوجّه إليه من ثنايا عطاءاته وإنعاماته! و أرسل لكم من بمعيَّته تقبلون عليه سبحانه فتشفى نفوسكم

من عللها وسيئاتها التي تسوؤكم وتشقيكم، وتسعدون بهذه النعم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾: ينكر أن تكون الأمور كلّها بيد الله، لشركه بالله يراها بيد فلان وفلان، هذا الكون العظيم وتسييره وإمداده ألا يدلّ على أن الله بيده وحده كل شيء.﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾: لا علم له بالله وأسمائه، هذا ما فكَّر، ما آمن ليحصل له العلم بالله بقوته وعظمته وتسييره سبحانه. ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: جاهل ويجادل وينسب الظلم والسوء لله، يقول الله كتب على الإنسان الزنى وشرب الخمر والمنكر والإجرام وينسى قوله تعالى: (۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ

---

١)- سورة الأحزاب: الآية (٧٠-٧١).

﴿..وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ..﴾

بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) [1].

٢١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ارجعوا لكتاب الله لا لقول فلان وفلان، سيروا بما أنزل الله على رسوله ﷺ، فقط كتاب الله اسمعوا ، لا تطيعوا غيره سبحانه، الكتاب يأمركم بالسير بطريق الحق واتباع قوانين الهداية من استقامة على طاعة الله وتفكير بالكون وأعمال صالحة، بعدها تشاهدون الحقَّ وتستنير نفوسكم فترون الحقائق. ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾: رفضوا، ما ساروا بكتاب الله ودلالته لأنهم وجدوا أنها تخالف انحرافهم، لذلك ظلُّوا على عبادة الآباء والأجداد وهذه عبادة الأصنام. ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: ما جاءكم عن الآباء والأجداد إنما هو وحيٌ من الشيطان عدوكم الذي تَوعَّد بإضلالكم لتدخلوا النار، الكتب عن غير الله تنسب الظلم لله كما نسب إبليس غوايته لله، فكيف تسيرون بها!.

٢٢- ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يستسلم لله سبحانه، وهذا لا يكون بحقيقته إلا بعد الإيمان الشهودي بالله. ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: للخلق جميعاً. ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: رسول الله ﷺ، فإذا آمن الإنسان وأصبح كاملاً أحب سيد الكاملين ﷺ ولا يعود ينفك عنه بعد ذلك أبداً ولا يتراجع قط، وهذه هي الشفاعة، إذ هذا المؤمن الكامل يصاحب بنفسه نفسَ رسول الله فيدخل بمعيته ﷺ

---

١)- سورة النحل: الآية (٩٠).

﴿..وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ..﴾

على الله وينال منه سبحانه وتعالى الشفاء والكمال ومشاهدة أسمائه تعالى الحسنى. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: سيريه الله بعد ذلك آياته.

٢٣- ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: ما فكر بالكون فما آمن بلا إله إلا الله، هذا بعدم إيمانه يقع بالفواحش والإجرام لأنه لا يرى الله قريباً منه، رقيباً. ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾: لا تحزن عليهم، رحمته ﷺ بالخلق جميعاً لذلك يتمنى لهم الهداية جميعاً. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالدنيا سيرهم بيدنا، ويوم القيامة نحن لا نتركهم فلابد من علاجهم.﴿ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾: سنكشف لهم أعمالهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: عليم سبحانه بكل نفس وما يناسبها، هؤلاء صمَّموا على الكفر والشهوات والله يعطيهم ما أصرُّوا عليه، وبعدها لهم العلاج بالشدائد والمصائب لعلهم يرجعون للحق، فإن لم يرجعوا بهذه الشدائد والمصائب فلهم بعد موتهم عذاب القبر وأهواله، فإن لم يرجعوا بالقبر فلابد لهم من دخول النار علاجاً ودواءً لهم حتى يقبلوا على الله.

٢٤- ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: الآن نمتِّعهم بهذه الدنيا وشهواتها، فلا بد من ذلك لإخراجها من أنفسهم، فلهم الاختيار. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: يوم القيامة. إن لم يرجعوا للحق ويؤمنوا بالله بعد الشدائد والمصائب، فلابد لهم من العذاب الشديد.

٢٥- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: جميعهم يؤمن بالخالق ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة، فالكون دليل قاطع على وجود خالق. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا إله إلا الله، ولا

﴿..قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ..﴾

طرفاً من أسمائه الحسنى، فقط عرفوا أن هناك خالقاً لكنهم ما شاهدوا تجليه وتربيته وتسييره سبحانه لمخلوقاته، ولم يعرفوا أسماءه الحسنى.

٢٦- ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: كل ما فيهما عائد إلى الله بالإمداد والتربية والتسيير، فلا إلٰه إلا هو سبحانه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: غنيٌّ عنكم، وهو سبحانه يُحمَد على كل أفعاله وأعماله، فكلها خير لهذا الإنسان، وغداً المعرض يرى ذلك.

٢٧- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾: لو أن كل شجر الأرض أقلامٌ تكتب معاني كلام الله. ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: وإذا كانت البحار حبراً لهذه الأقلام. ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾: كل الخيرات والفوائد من البحار التي فيها الماء (..وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[1]، ولولا البحار والماء الذي فيها لكانت الأرض صحراء لا حياة فيها ولا خيرات، والله سبحانه بهذه الآية يخاطب الإنسان ويلفت نظره إلى ما سيناله من خير وجنات وسعادة أبدية بواسطة كتابه وبيانه المُنزَّل على رسوله الكريم وما فيه من فوائد لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ولكن الشرط أن يشاهدها ويعقلها، فإن عقل الإنسان معانيها نال هذا الخير والفضل العظيم والجنات، فبكلامه سبحانه المُنزَّل على رسوله جنات لا تنفد أبداً، وخيراتها لا تنتهي وتبقى لك أيها الإنسان دائماً وبتزايدٍ عليك، وكل هذا الشيء لا يناله الإنسان إلا إذا آمن بربه إيماناً شهودياً،

١)- سورة الأنبياء: الآية(٣٠).

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ..﴾

فالله سبحانه يقول: (..**قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ..**) [١]. ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ**﴾: بإيمانك به سبحانه عزتك ورفعتك أيها الإنسان، وبكلامه رُقيُّك وعُلوُّك. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: لذلك أنزل لكم الكتاب، لأجل أن تكونوا علماء وحكماء.

٢٨ـ ﴿**مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ..**﴾: كل هذا هيِّنٌ على الله سبحانه وتعالى. ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ**﴾: لأقوالكم. ﴿**بَصِيرٌ**﴾: بكم وبأعمالكم، وستجزون بها.

٢٩ـ ﴿**أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ**﴾: هذه فكِّر بها لتصل إلى الإيمان بالله، هذا الليل وهذا النهار ألا يدلان على دوران الأرض وكرويَّتها؟. هذا التسيير ألا يدل على الله؟. ﴿**وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ**﴾: سخرهما لك أيها الإنسان من أجل حياتك، فكم أنت غالٍ على ربك. ﴿**كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى**﴾: لكل منهما مكان شروق وغروب وبوقت معين وبنظام لا اختلاف فيه، هذا النظام ألا يدل على لا إلَه إلا الله!. ﴿**وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ**﴾: وستجزون بأعمالكم.

٣٠ـ ﴿**ذَٰلِكَ**﴾: ذلك الكون العظيم، وما فيه من آيات تدل على التسيير والتربية، كل ذلك يدلك أيها الإنسان إن فكرت به على أن الله هو المُسيِّر بالحق والعدل لكل ما يجري في السماء والأرض. ﴿**بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ**﴾: وهو سبحانه

---

١)- سورة فصلت: الآية(٤٤).

﴿..وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ..﴾

الفعّال وحده المتصرّف بهذا الكون، تصل إلى هذا وتشاهده إن فكرت كيف أن الله يولج الليل بالنهار، عندها تؤمن بلا إلـه إلا الله. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: انظر حال من سار على غير كلام الله أمماً وأفراداً وما وصلوا إليه من إجرام وشقاء، لا فعل لغيره سبحانه ولا أحد بمستطيع أن يدفع عنك شيئاً، ولا أن ينفعك ويعطيك ويمنحك.﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾: به تعلو نفسك أيها الإنسان وترقى في معارج القدس والطهارة والجنات والسعادة. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: مهما رأيت من فضله، ففضله أكبر وأكبر، ومهما بلغت ورأيت من رحمته وحنانه فهو أرحم وأحن، ولا حدَّ ولا نهاية له ولأسمائه الحسنى، فله سبحانه أسلِمْ.

٣١ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: انظر إلى هذه الآية التي تحمل السفن في البحار.﴿ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: لولا القدرة التي وضعها الله في الماء لما سارت السفن عليه فما هذه القوة الدافعة لها بهذا الماء اللطيف؟!. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: الدالة عليه، لتؤمنوا به وتسعدوا. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: دالَّة على قدرةٍ وعلمٍ ورحمةٍ من الله عليكم. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: هذه الآيات يراها الإنسان بالإيمان بمعيّة رسول الله ﷺ، ولن يصل إليها مالم يصبر عن الشهوات، ويشكر الله على فضله؛ وذلك بالعمل الصالح.

٣٢ـ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: إن جاءهم العذاب والمرض والشدة. ﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: عندها يلتجئون إلى الله وينسون من أشركوا بهم مع الله. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: خلَّصهم من الشِّدة. ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ﴾:

﴿..وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ..﴾

اغتنم فرصة الراحة والرخاء من بعد الشدَّة والبلاء وجدَّ في التعرُّف إلى الله تعالى حتى اهتدى إليه ووصل إلى الإيمان الصحيح، وهنالك تغمَّده الله برحمته وغمره بفيض من برِّهِ وإنعامه فجعل يشكر الله على ما ساقه إليه من قبل لأنه وجد أنَّ منْعه تعالى هو عين العطاء، وبلاءه وشدائده كانت لنفسه خير علاج ودواء وسبباً في ذلك الرخاء، ولله الحمد على كل حال. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: ينكرها. ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: هذا الذي يختر كفره إذا مرض أو... ثم لا يلبث بعد ذلك أن يعود كما كان وترجع نفسه إلى عكرها. ﴿كَفُورٍ﴾: راجع لكفره.

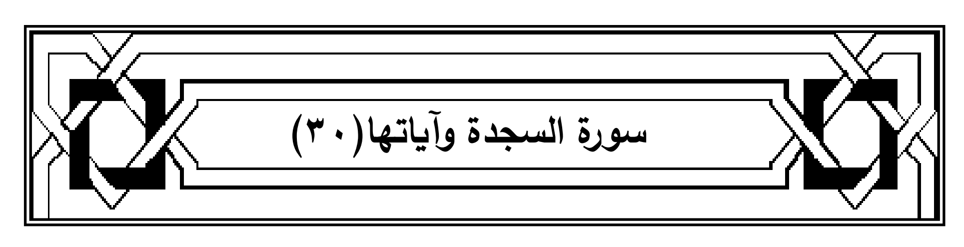
٣٣- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: ابتعدوا عن المنكرات والمعاصي، واسلكوا طريق الإيمان واسعوا للوصول إلى النور لكي تتفتح بصائركم وتعملوا الصالحات وتدخلوا الجنات. ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا﴾: حين الموت ويوم القيامة. ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾: كل إنسان وحمله على كتفه، ولا أحد ينفعك عندها أيها الإنسان إلا إيمانك وعملك، فلا الابن بمغنٍ عن أبيه شيئاً ولا الأب كذلك بمغنٍ عن ابنه شيئاً، وكلُّهم يقول نفسي نفسي. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: وعدكم بالجنات فلا تضيِّعوها بالمعاصي والشهوات. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: لا تخدعكم لذائذها وتُحوِّلكم عمَّا أعدَّه الله لكم من جنات وسعادة كبرى لا نهاية لها. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان لا يخدعكم، سواءٌ كان من شياطين الجن أو شياطين الانس.

٣٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: ساعة موتك أيها الإنسان لا يعلمها إلا

﴿..وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾

هو سبحانه، ولابد لك من هذا اليوم فاعمل له. ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾: الماء والحياة عليكم من السماء. ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: من ذكر أو أنثى، فهو الخالق لهما. ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾: ما سيحدث لها وما سيصيبها. ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ﴾: تدفن. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾: بكم.

والحمد لله ربِّ العالمين



سورة السجدة وآياتها(٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ.﴾

١ـ ﴿الٓمٓ﴾: (١): يا أحمد الخلق، صفة الحمد صفة ذاتية تنبع من نفس صاحبها، فكلما فكَّر الإنسان أكثر حمد الله أكثر، وليس أكثر من رسول الله حمداً لله، فهو ﷺ لم يترك تفكيره في هذه الدنيا لحظة واحدة، لذلك كان أحمد خلق الله لله سبحانه. (ل): يا لطيفاً، هو صلى الله عليه وسلم دائماً مع الله لا ينقطع عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وكل من التفت إليه بالتقدير والمحبة والتعظيم صار بالتبعيَّة وبمعيَّته مع الله، فرسول الله ﷺ بلطف كبير منه يُدخل نفسك أيها المؤمن على الله ودون شعور منك، فترى نفسك معه سبحانه وتعالى تسبح بجلاله وعظمته وأسمائه الحسنى. هذا بعد الشعور بأحوال جميلة جليلة وأذواق وإشراقات قلبيَّة وهيام بالله بالصلاة. (م): بهذا، أي بحمدك لي، وبلطفك بإدخال أنفس عبادي عليّ صرت محموداً عندي وعند عبادي المؤمنين، وغداً حين كشف الحجاب في الآخرة وتبيان الحقائق، الكل يحمدك على هذا ويعرف فضلك.

٢ـ وبعد أن خاطب الله تعالى حبيبه في مطلع هذه السورة الكريمة بأسمى وأعلى صفات الحمد والثناء اتّجه هذا الرسول الرحيم لأداء وظيفته وتبليغنا بأن هذا البيان كلامه تعالى أمره بتبليغه:﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: فمن أين تُهدى إليك النعمة العظمى الباقية المُبقية المُسعدة أبد الآبدين، الآن وبالقبر للنجاة من أهواله، والقيامة وما بعدها؟ رسول الله ﷺ بتفكيره المتواصل وتضحياته الكبرى

﴿.. لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ..﴾

وأعماله العظمى استحق الكتاب فأنزله الله عليه. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:رسول الله ﷺ يبلغ الناس: هل هناك مماثل لي يستحق أن ينزّل عليه الكتاب؟ لا شك لمؤمن أنه الحق من عند الله ويرى الحق أن يتنزَّل القرآن عليك، فهو ﷺ من شدة رحمته بالخلق طلب هدايتهم جميعاً، لهذا أنزل الله سبحانه الكتاب عليه بالحق والاستحقاق، فلا خروج بهذا التنزيل عن الحق والعدالة. ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالقنا ومربينا ومطعمنا هو الذي أنزل القرآن عليه، هذا الكتاب فقط الذي يربط البشرية كلّها على تعدد جنسياتها وقوميَّاتها لا سواه وبه يصبح المرء أخ لأخيه الإنسان يعامله معاملة الأخ للأخ، والله يدعونا للإيمان به والالتفات إليه بالتعظيم والتقدير والمحبة لننال عن طريقه صلى الله عليه وسلم الجنات الأبدية السرمدية التي عاهدنا الله تعالى أن نأتي إلى الدنيا ونناله‍ا، فالمائدة الربانية عنده ﷺ.

٣- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾: جاء بهذا القرآن والبيان من عنده لا من عند الله. سبكه من عنده بكلام مرتّب، فهو عبقري سبق أهل زمانه وجاء ببيانه وهو ليس رسول الله، ولكنه رسول نفسه غايته أن يحكم ويسيطر على العالم. يقولون ذلك ولا ينظرون، يقولون ولا يقارنون، يقولون دون هدف أن يؤمنوا. ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: هذا القرآن من عند الله، فكما صنْعه سبحانه لا أحد يستطيع ان يأتي بمثله، كذلك كلامه لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، فلو كان من عند غير الله لأتوا بمثله ولوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وهذا ما لم يحدث ولن يحدث. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾؟: ألم تتتالى الرسل والأنبياء قبلك؟ ألم يبشِّروا بك؟ أولست مذكوراً عندهم في التوراة والإنجيل فَلِمَ الانكار؟!.

﴿..لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: بهذا البيان الذي أرسلته لك لترشدهم به لعلَّهم يسلكون طريق الإيمان ويهتدون فيخلصون من العمى الذي أوقعوا أنفسهم به ويخرجون منه إلى النور والجنات. ولكن كيف الطريق للإيمان بالله إيماناً قلبياً شهودياً؟.

٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: هذا هو الطريق؛ ليفكِّروا بخلقي العظيم حتى يهتدوا، ليفكروا بتلك السموات والأرض وما فيهما من آيات دالة على رحمة وحنان وقدرة وعلم من الله. إن فكروا آمنوا هذا الإيمان العالي واهتدوا. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: من العوالم. ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: جعل للأرض أربعة فصول وليل ونهار، يؤم إليهما خلق طعامنا وشرابنا وتربيتنا. فهذه الحقيقة الجارية السارية أنت وحدك تنبِّئهم بها عن لساني وبذلك تثبت أنك رسولي فيطيعون أمرك الذي هو في الحقيقة أمري. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: تجلَّى على الخلق بالحياة والتربية والإمداد، وبدونه سبحانه لا حياة لهذه المخلوقات. فالحياة والروح والإمداد والطعام والشراب المادي "للأجسام" والنفسي "للقلوب" منه تعالى وحده. ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: مصيركم الحتمي بعد انتقالكم إليه والآن وأبد الآبدين فلا تتَّجهوا إلى غيره فتخسروا خيراتكم الأبدية، واستشفعوا بنفوسكم به تعالى ولا تنقطعوا عنه فتموتوا ولن تهتدوا إذن أبداً، إذ لا يدوم لك سواه ولا يغنيك عنه أحد، فالذي رافقك وربّاك ونمَّاك في بطن أمك هو الذي يبقى معك بعد انتقالك من هذه الدنيا، وكما غمرك في هذه الدنيا بالحياة والطعام والشراب سيغمرك أيضاً بعدها بحياة دائمية. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: ألا تفكرون ولو قليلاً بهذا الكون لتؤمنوا به سبحانه!.

٥- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: يدبِّر أمر معيشتك وهدايتك،

﴿..يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

خلقك فقط للهداية، وكل شيء خلقه سبحانه لهذه الغاية أيها الإنسان، خلق الله تعالى لك هذا الكون ليس للأكل والشراب فقط، وإنَّما لتفكِّر بما فيه من آيات فتهتدي إليه سبحانه. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: ولرحمته تعالى بك جعل رسوله الكريم وسيلة لك لتعرج نفسك بمعيَّته ﷺ إليه سبحانه، فرسول الله ﷺ نفسه مع الله دائماً لا تنقطع عنه ليلاً ولا نهاراً، وبمعيَّته يكون العروج إلى الله والصلاة والاقبال عليه سبحانه ونوال الجنات. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: ما تناله بلحظةٍ أيها المؤمن مع رسول الله ﷺ من خيرات وجنات وعلوم ومعارف، هذه اللحظة خيراتها لا تُعدُّ ولا تُحصى. فباللحظة التي يُدخلك بها على الله تنال خيرات وعلوم وجنَّات أكبر وأعظم مما يناله رجلٌ عَبَدَ الله ألف سنة لوحده [1]. ولو كان بالصلاح والكمال وبكامل إمكانياته وبكل صدقه وبقي يرقى على هذه الحال ألف سنة.

٦ـ رسول الله ﷺ يقول للمؤمن بالصلاة عندما يدخل بمعيَّته على الله ويشاهد بنوره الحضرة الإلٓهية: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: يُشهده ﷺ هذه المشاهدة القلبية وهذا هو الإيمان الشهودي اليقيني، يُريه ﷺ حضرة الله عن شهود، معه ﷺ تتعلَّم علوم الآخرة، ولا يبقى هناك شيءٌ مخفيٌّ عنك من حقائقها فتصبح عالماً بكل شيء. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما هو حاصل في الدنيا الآن، تعلمه على حقيقته.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الخير منه تعالى وحده للرسول وللإنسان وللخلائق، فلا تطلب الفضل من غيره سبحانه فتوقع نفسك أيها الإنسان بالشّرك. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: رباك

---

١)- لوحده: أي لم يرتبط برسول الله ﷺ، لم يعبد الله بمعية رسوله ﷺ بل عبده لوحده.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ
نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾

ورحمك بأن أرجع لك البصر بعد العمى وأحلَّك بالنعيم والهناء بعد الشقاء، ألا تحمد الله على هذه النعمة! خلقك لهذا المقام، لتنال جنَّاته وتسعد وتستقر بها.

٧ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: أعطى كل مخلوق ما يناسبه من أعضاء لأداء وظيفته في هذا الكون، وأعطى الإنسان الفكر ليهتدي به إلى ربّه، فلا تضيّع هذه النعمة بعدم تفكيرك، فتشقى وتخسر. ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ﴾: آدم عليه السلام. ﴿مِن طِينٍ﴾: كان عليه السلام خلقه من طين، تجلَّى عليه سبحانه فأصبح إنساناً. خلق الله تعالى جسم الإنسان من تراب أي من الأرض لتكون هناك موافقة بينه وبين الأغذية التي فيها بناء جسمه وعليها نماؤه فمنها نشأ وإليها يعود. فبم يعتز ويتمسك!.

٨ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: أولاده. ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: كنت بصلب أبيك مع ملايين النطاف، ضعيف مهان لا تُرى بالعين، خلقك وأحياك وسوَّاك ومنحك الجسم والقوة وأعطاك التفكير، فكم فضل الله عليك أيُّها الإنسان كبير، ألا تفكر بهذا لتحمده سبحانه.

٩ـ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: جعله كامل الخلقة. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾: نفخ فيه الحياة. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: انظر وفكّر بفضل الله عليك بهذه النعم، لولاها ما حالك؟ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾: لا تشكرون الله على هذه النعم إلا قليلاً! فكروا بها وبهذا الكون العظيم لتؤمنوا وتعملوا الصالحات، هذا هو الشّكر. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾: ربكم على هذا الفضل!.. ألا تشكره ولو قليلاً!.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا..﴾

١٠- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: هل نُخلَق بعد الموت، كما يقول لنا؟ هل من المعقول أن يُعاد خلقنا مرة ثانية بعد أن تبلى أجسامنا وتختلط ذراتها في التراب ولا يبقى أثر لها؟! ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾: لأنّهم ما آمنوا بالله منكرون ليوم فيه الحساب، ومنكرون ما سيلقونه في الآخرة من سؤال وعقاب.

١١- ﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾: لابدّ من هذا اليوم، الملك الذي وضع الروح عند مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا وتكوّنه من نطفة هو الذي يسحبها بأمرٍ من الله عند الموت، فهو المُوكَّل بك أيُّها الإنسان بهذه الوظيفة. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾: للسؤال والحساب.

١٢- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: هذه هي جهنَّم. ففي الآخرة يرى الإنسان المعرض إحسان ربِّ العالمين له وفضله وكيف كان يقابل الإحسان بالإساءة، عندها ينكِّس رأسه من الذل والعار ويحترق بنار جهنم والندامة على ما ضيّع من جنات أبدية. ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾: الآن عرفنا الحقيقة، حيث شاهدوا حقيقة أعمالهم وأنّها كلّها سيّئة. ﴿وَسَمِعۡنَا﴾: سمعوا الصَّيحة، سمعوا كلام الحضرة الإلَهية، لكن لا يستطيعون الإقبال عليه سبحانه بسبب خجلهم. ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: أيقنَّا أنَّ الجنَّة بالعمل الصالح، لكنهم كاذبون بهذا الادِّعاء لأنَّهم ولو عادوا إلى الدنيا فلن يفكِّروا ولن يؤمنوا بـ "لا إلَه إلا الله" ولن يعملوا الصالحات.

١٣- ولكنكم كنتم تقولون: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾: أن لو شاء

﴿..وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ..﴾

الله لهدى كل نفس... فالله لم يكتب لنا الهداية... نسبوا كفرهم وضلالهم لله، لكن الحقيقة أن مشيئة الله بالهداية متوقفة على اختيار الإنسان وصدقه بالطلب، فكل من سار بطريق الهداية وصدق هداه الله إلى الحق والحقيقة، وصار له نورٌ من ربه وتفتَّحت بصيرته، والطريق لهذا أولاً: فكِّر بالموت، هذا أساس لكي تستطيع ترك الدنيا وشهواتها، ثانياً: الاستقامة على أمر الله، ثالثاً: اجعل لنفسك خلوات محدَّدة صباحاً حين الفجر ومساءً حين الغروب لتفكِّر بآيات الله من الكون، رابعاً: اعمل الخير والمعروف قدر المستطاع، إن وجد الله بك الصدق الكافي هداك وتجلَّى عليك بنوره فتصبح من المهتدين. ﴿**وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي**﴾: متى حقَّ القول من ربِّ العالمين؟ لمَّا تعهَّد إبليس بإضلال النَّاس وتوعَّد لهم قائلاً: (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ**) فردَّ الله تعالى عليه: (**قَالَ فَٱلۡحَقُّ..**): كلامك هذا صحيح تستطيع إغواءهم لأنَّني أعطيتهم الاختيار، فهم مخيَّرون بالسَّير بالحق واتِّباعه أو بالسَّير معك واتباع طريق الرذيلة والإجرام. (**..وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾**): كل من سار ومشى على ممشاك له جهنَّم، كل من خسر الجنَّات بسيره معك فله علاج "جهنَّم بنفسه". (**لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾**)[1]: كالطّالب الذي هرب من المدرسة والثاني تبعه، الثاني يُطبَّق عليه قانون عقوبة الهروب مثل الأول.

إذاً حق القول مني أي للذي تبعك.

﴿ **لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ**﴾: قال تعالى جهنَّم ولم يقل النَّار، هناك فرق بين نار جهنَّم ونار الله الموقدة، جهنم: عذاب النَّفس وسببه أن الله رشَّح هذه النَّفس لمقام

١)– سورة ص: الآية (٨٢ ـ٨٥).

﴿..مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾..﴾

عالٍ وجاهٍ كبيرٍ فضيَّعته بسبب سيرها المنحرف وحبّها للدنيا ومعاصيها ورذائلها فخسرت هذا المقام والجاه العظيم، هناك وعندما تشاهد عظيم خسارتها يحيط بها لهيب الحسرة والنَّدامة ولا يُطفئ هذه النَّار النَّفسية إلا نار الله الموقدة، فنار جهنَّم نابعة من حسرات النفس وعارها، أما نار الله فهي رحمة بهذه النَّفس حتى تنسى وتتحوَّل عن نيرانها الجهنَّمية التي لا تطاق، مثل هذه النفس كمثل رجل شرب الخمر فَسَكِر وغاب عن وعيه فقام إلى أهله وزوجته وأبنائه وذبحهم جميعاً، ولمَّا رجع إلى وعيه شاهد إجرامه وما فعل بيديه أمامه، تُرى ما حال هذا الإنسان وما أكبر عذابه! وهل من شيء أصعب عليه مما يجده في نفسه من حسرة وندامة؟ كذلك هو حال الكافرين، فالنَّار مستشفى لهم، حالهم كمثل مريضٍ أصابه الألم فدخل المستشفى، فليس له إلا المسكِّن [١] ليخفِّف عنه آلامه، كذلك النَّار لهؤلاء لتخفف عنهم ما هم فيه. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الجن مكلَّفون مثل الإنس، ولهم الاختيار بالسّير بالحق أو عدمه. ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: من الإنس الذين نسوا الله.

١٤- ﴿فَذُوقُواْ﴾: المعرض عن ربه لمّا يرى ما قام به من سفالة ورذيلة، يُلقي بنفسه بالعذاب ليتخلَّص مما بها من نار الحسرة والندامة والخسارة على ما ضيَّع وفرط. ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾: لحقتم الدنيا وشهواتها وما آمنتم بالله فنسيتم السؤال والحساب. ﴿إِنَّا ﴾ نَسِينَٰكُمْ؟: لا نحن لا ننساكم،حضَّرنا لكم الدواء المناسب. ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾: على طول، ما كان يخلد إليه في دنياه من شهوات محرَّمة ومعاصٍ يزيد حريقه وحسرته في الآخرة. ﴿بِمَا

١)- المسكِّن: المقصود به مسكّن الألم شديد الفعالية.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾
أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: عملكم السيّء الذي قمتم به بالدنيا عائدٌ عليكم الآن بالنَّار.

١٥ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: ببيانك هذا. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا﴾: طالبين الفضل منه سبحانه. ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يسبِّحون أنفسهم بفضل ربهم. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾: عن طاعة الله ورسوله.

١٦ـ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: لا ينامون الليل إلا قليلاً. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾: من ناره. ﴿وَطَمَعًا﴾: بجنَّته وفضله. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: ينفقون في سبيل الله ولا يبخلون مما آتاهم الله من علم ومال وجاه وقوة.

١٧ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾: من نعيم وجنَّات وسعادة لا نهاية لها. ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: تقرّ نفوسهم بهذا، بالسعادة والنَّعيم فلا يبغون عنه حولاً، فلا شيء يحوّلهم عن جنَّاتهم والسعادة. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: الجنّة بالعمل الصالح، والعمل الصالح بعد الإيمان، والإيمان بالتّفكير، ففكِّر أيُّها الإنسان لتؤمن بالله وتنال منه سبحانه كمالاً فتعمل صالحاً.

١٨ـ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: هل عملهما وسيرهما واحد؟ المؤمن يدعو إلى الفضيلة والفاسق يدعو إلى الرذيلة، هل عمل الإثنين متماثل؟!. ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾: عند الله وعند النّاس ولا يستوون في الدنيا ولا في الآخرة، فالمؤمن له الجنّات والفاسق بالنّدامة والحسرات والنّار.

١٩ـ ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الذين فكروا بالكون حتى آمنوا بلا إلّه إلا الله.

﴿..وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعد الإيمان الأعمال الصالحة. ﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: تأوي إليها نفوسهم لما فيها من سعادة ونعيم. ﴿نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: لكل واحد منهم منزلة في الجنّة، ومنزلته على حسب إيمانه وما قدم من أعمال عالية صالحة.

٢٠- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾: خرجوا عن طريق الحق والفضيلة ووقعوا بالرذيلة.﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: هم بذاتهم يأوون إليها، يأوون بأنفسهم إلى النَّار ويطلبونها علاجاً ودواءً لما فيهم من أمراض أصابتهم ببعدهم عن الله وعدم إيمانهم ولما قدموه من أعمال سيئة، وكذلك لتُحوِّلهم عمَّا في أنفسهم من آلام وحسرات وندامة على ما خسروه من جنَّات، فهي مكان إكرامهم، كما أن المريض مكانه المستشفى. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ﴾: من النَّار، لمّا ينسوا آلامهم الجهنَّمية يخرجوا منها.﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: يُعادون إليها بعد خروجهم منها وذلك لمّا ترجع إليهم آلامهم النفسية ويشعروا بها ويتذكروا خسارتهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: لتطهر نفوسكم. ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: كنتم بالدنيا تكذبون بها.

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾: هذا مراد الله سبحانه من الشدائد، يُرسل لهذا الإنسان أقلّ ما يستحقّ من جزاء على ما قدَّم من أعمالٍ سيئةٍ، كلّ هذا ليسير بالحقِّ وبطريق السَّعادة والجنَّات فينالها.﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: لعلَّ هنا تبيِّن بوضوح أنَّ الاختيار مطلق لهذا الإنسان. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾:عن طغيانهم وقسوتهم وظلمهم ولؤمهم وليخلعوا

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ..﴾

ثياب البهيميّة الشيطانيّة ويرتدوا ثياب الإنسانيَّة، فإن آمنوا واستأنسوا بالله وصلّوا، أصبحوا إنسانيين حقّاً متقيدين بشريعة الله ولغدت الأرض جنات، وهذا مراد الله من خلقه.

٢٢- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: لنفسه. فلا الملحد ولا الشيوعي ولا الكافر أو عباد النار أو الصابئ بأظلم منه، إذ وصل لمنبع الحياة وصدف عنه فحسرته أعظم. مرشح لرتبة كبرى وهبط...ما أعظم هبوطه!.. إذ سيُسرِّي قلبه بالدنيا ويتدثر بحجبها منطوياً مبتعداً عن منابع النور والحق والحقيقة فينغمس في المكر والانحراف والزيغ عن الحق. ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: دُعي ليفكِّر بالكون وآياته ويؤمن بلا إلّه إلا الله فما آمن. والكائنات كلها تشهد له دالة على بارئها المنعم المغدق المتفضل عليها وعليك، فهلاَّ طلبت؟ هلاَّ نظرت؟ هلاَّ دقَّقت للوصول إلى الحقيقة؟ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: فما نظر فيها ولا فكَّر بها ليؤمن بالله، هذا الذي ما آمن بالله هل من أحد أظلم لنفسه منه؟! فالذي سمع وأعرض عن الله ورسوله هذا عذابه في الآخرة أعظم وأشدّ من غيره.﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: سنخرج من قلوب المجرمين ما فيها من خبث.

(المنتقم): يظهر ما بنفسه عند حلول الفرصة، فرحمته تعالى اقتضت إعطاءهم ما إليه صاروا، فبالدنيا يرغبون بالشهوات وغداً بالآخرة يشتهون العلاجات فلهم كل ما يشتهون، والله تعالى يأسف عليهم لأن الذي طلبوه من الدنيا له حدٌّ ونهاية وفيه متعة وخسارة ثم الخسارة الكبرى، اشتهى لهم السعادة والجنان فأبوا إلا ما ارتؤوا، فأعطاهم منّة منه وفضلاً.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة. إحساناً عليهم كما آتيناكم

﴿..فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

القرآن وتمّ إحساني عليكم. ﴿فَلَا تَكُن﴾: أيُّها الإنسان كبني إسرائيل الذين لم يعبؤوا ولم يقدِّروا فلم ينهضوا من ذاتهم للتحقيق فالإيمان الذاتي بمن بيده مقاليد الكائنات. خطاب لكل من يسمع القرآن. ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: من دوماً أكرمك ويكرمك وأبداً لا يتركك وهو أبداً ملاقيك، لو علمت لو دقَّقت فآمنت "لو علمت لما انقطعت" فلا تدع فكرك جامداً ونفسك بالأغيار خامدة، اسعَ للإيمان واسلك مسلك البداية والنهاية واستعظام من بيده مقاليد الكائنات، إن لم ترَ نفسك ضعيفاً فلن ترَ القويّ ولن تلتجئ إليه ليطهّرك وبالكمال يتحفك وبالمقربين يُحبّك لتعيش في جنات لقائهم وتكسب جليل الأعمال وترقى لمكانتك العظمى. فلا تمرَّ بمضافة دون التعرُّف على المضيف وشكره لتعرفه فتحظى دوماً بعطائه. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إحساناً عليهم كما تمَّ إحساني عليكم. أنزل الله على موسى الكتاب ليسير بنو إسرائيل به ويطبِّقوه ويهتدوا إلى الله تعالى، وأنتم كذلك الآن يا عبادي، أرسلت لكم رسولاً ومعه الكتاب.

٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: بدلالتنا يهدون الخلق إلى الله، حيث أصبحت الناس تؤمُّ إليهم ليهتدوا بهم إلى الله. ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾: صبروا عن الشهوات المحبَّبة فتولَّدت ثقة كبرى بنفوسهم فاتَّجهت بصدق ودارت دواليب فكرهم بالصواب والحق الذي لا يعاب. صبروا عن الحرام حتى جاءهم حلال. ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: أضحى القرآن بوجهتهم الصادقة منبعاً مشهوداً لقلوبهم يعيشون في آياته بعقولهم ويستغنون به حباً وهياماً عن المخلوقات، للنظر بعين الحُبِّ للخالق، فاستغرقت نفوسهم بعطاءاته المباشرة من ينابيعه المغدقة المونقة بعطور وأنوار النعيم المقيم. فكانوا يفكِّرون بها ويؤمنون بما

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ..﴾

وراءها فوصلوا إلى اليقين. حيث من خلالها آمنوا وشاهدوا لا إلٓه إلا الله فتيقَّنت نفوسهم برؤيته وبرؤية أسمائه الحسنى سبحانه.

٢٥ـ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾: كل إنسان وعمله أمامه بين يديه، وسيعطيه الله حقَّه على ما قدَّم وعمل. ﴿**فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: اليهود، وكذلك الآن لمّا ما آمنوا بالله اختلفوا وصاروا شيعاً. لو آمنوا بالله الإيمان الحقيقي لأمّوا لله والرسول، ولما أمّوا لبعضهم البعض، ولما اختلفوا فيما بينهم، ولكن بإعراضهم عن طريق ودلالة رسول الله ﷺ أعرضوا عن طريق موسى وعيسى عليهما السلام واتَّجهوا للعصبيات الأرضية الإبليسية فحلَّ بهم الدمار والتعس والخسران.

٢٦ـ ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ**﴾: أولم يفكِّروا لِمَ أهلكنا الأمم السَّابقة؟ أهلكناهم لمَّا ما آمنوا بالله وعصوا الرسول، وبهذا انحطَّت أعمالهم فجاءهم الهلاك. ﴿**يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ**﴾: سكنوا ديارهم من بعدهم. ﴿**إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ**﴾: لهم ليعتبروا بغيرهم. ﴿**أَفَلَا يَسْمَعُونَ**﴾: الحق ويسيرون به ليخلصوا وينجوا مما حلَّ بمن سبقهم.

٢٧ـ ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ**﴾: الطريق للخلاص من الهلاك الإيمان بالله، إذن ليفكِّروا بفضل الله عليهم، وبنعمة الماء كيف يسوقه الله تعالى. ﴿**إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ**﴾: الأرض الصَّلبة التي لا زرع فيها ولا حياة بها. ﴿**فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ**﴾: ما حالك وما مصيرك أيُّها الإنسان لو

﴿..أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

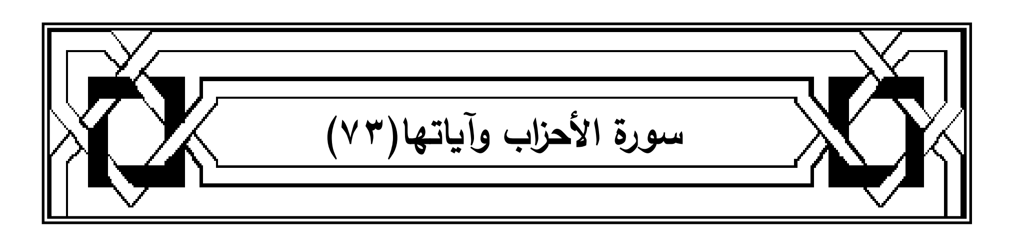
جعت ولم تجد طعاماً تأكله وماء تشربه أفلا تموت؟. ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾: هذا الفضل عليهم، ويفكِّرون به ليؤمنوا بالله فيصبح لهم نورٌ منه سبحانه وتتفتَّح بصائرهم.

٢٨ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾: متى هذا اليوم الذي تدّعون أننا سنشاهد فيه كل شيء عملناه وسنحزن ونندم على ما خسرنا من جنَّات هي خير من هذه الدنيا ولذائذها التي نحن فيها. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أنَّ هناك آخرة وسؤالاً وحساباً فأرونا هذا.

٢٩ـ ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾: عند الموت، ويوم القيامة. ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾: كل النفوس تؤمن بهذا اليوم لكن لا ينفعها إيمانها، حيث لم يبقَ لها عمل تستطيع القيام به. ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يوم القيامة لا يُؤخَّر عنهم العذاب لئلا يثور عليهم عذاب أنفسهم فيزدادوا آلاماً وأوجاعاً، حالهم عندها يصبح كمريض أُخِّر عليه الدواء المسكِّن، فكم يشعر ويعاني هذا المريض بالآلام والأوجاع؟! كذلك هؤلاء حالهم لو أخِّرت عليهم النار.

٣٠ـ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾: هؤلاء أعرض عنهم حيث قلوبهم مليئة بالخبث ولا يريدون التوبة ومُصرُّون على ما بأنفسهم، لذلك أعرض عنهم ولا تلتفت إليهم. ﴿وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾: سيحل بهم الهلاك.

والحمد لله ربِّ العالمين



سورة الأحزاب وآياتها(٧٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ..﴾

١ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: التقوى هي الاستنارة الدائميَّة بنور الله سبحانه وتعالى، ورسول الله ﷺ دوماً في رقي من تقوى لتقوى أعلى، ولكلِّ أمر استعانة بالله واتّقاء جديد يتناسب والمشكلة التي يواجهها، فالتقوى في توسُّع وازدياد لا حدّ ولا نهاية لها فهو ﷺ في رقيٍّ وسموٍّ لا توقف لهما. والله تعالى لا نهاية له، وتقواه لا نهاية لها أبداً سرمداً ولكلِّ أمر تقوى جديدة ، إذن فَرُقِيُّه ﷺ متتالٍ متوالٍ دوماً. والسادة الرسل والأنبياء الكرام لا ينقطعون عن حضرة الله تعالى طرفة عين لا بالليل ولا بالنَّهار، فهم صلوات الله عليهم دائماً نفوسهم مع الله مستنيرة بنوره سبحانه، ورسول الله ﷺ سيّدهم ونورهم. إذن فلم هذا الخطاب من حضرة الله لرسوله بآية:﴿..ٱتَّقِ ٱللَّهَ..﴾: وما سببه؟.

سبَبُ هذا الخطاب أن عادة التبني كانت شائعة ومنتشرة في الجزيرة العربية، ولا يكاد يخلو بيت من بيوتها إلا وفيه متبنى، والمتبنى إنسان غريب عن العائلة، فهو ليس ابناً، وبهذا يشتهي أمَّه بالتبني وأخته المزعومة، وكذلك الأمر فهم يشتهونه، ولهذا صار التبني سبباً في شيوع الفاحشة وانتشار الزنى في كل بيت يحويه. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى وحين يموت الأب فالمتبنى يرث أمواله ويضحِّي بأمِّه وإخوته، ويسلب أموالهم ليرميهم بالفقر والذل حيث لا رحمة بقلبه عليهم كرحمة الإبن الحقيقي بالنسب، هذا ما كان يحدث في الجزيرة العربية،

والرسول يرى شرور هذه العادة على المجتمع وما تعود به على أصحابها من ضرر وأذى، فكان ﷺ يتمنى إلغاءها وزوالها لكنه لا يتكلم بكلمةٍ أو يُقْدِم على عمل إلا بأمرٍ وإذنٍ من الله سبحانه. في الجزيرة العربية قبائل كثيرة، منها من أسلم ومنها من لم يُسلم بعد، فإذا ما قام صلى الله عليه وسلم بإلغاء عادة التبني فسوف تهبّ هذه القبائل بوجهه وتقف ضده، وكذلك المنافقون، لذلك بقي رسول الله ﷺ ينتظر أن يأتي الأمر من ربِّه لإلغائها، فهو ﷺ يعلم أن الله لابدَّ وأن يأمره بإلغائها ولكن بالوقت المناسب، وبهذه الآية الكريمة جاءه ﷺ الأمر من ربِّه: أن تزوج من زينب مُطلَّقة زيد "مُتبنَّاك"، ولكن ولئلا يقاومك أحد اتَّق الله أي: خلِّ قلبك معي واستنر بنوري فأنا سأعطيك عطاءً رهيباً وتجلّياً وأنواراً ومدداً كبيراً وعظيماً لهذه المعركة التي ستقوم بها مع الكافرين والمنافقين لكي تسحق شياطينهم سحقاً فلا يستطيع أحدٌ مقاومتك. وبهذا المدد والعطاء الكبير والتجلي العظيم من الله على رسوله لم يستطع أحد أن يقاومه ﷺ أو أن يتكلّم بكلمة ولم يقف أحدٌ ضدَّه، فلقد سحق شياطينهم سحقاً، فنزل الرعب بقلوبهم، وحدث مع الكافرين والمنافقين ما حدث مع شياطين الجن لما جاء رسول الله ﷺ، حينها قالوا: **(وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا)** (١)، **(وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا)** (٢). كذلك بخطاب الله تعالى لرسوله الكريم بهذه الآية﴿ **ٱتَّقِ ٱللَّهَ**﴾: بشرى له ﷺ ولفت نظر، أي: انظر إلى ما سيجرّه لك عملك هذا من مكاسب وخيرات عظيمة تعود عليك، حيث بإصلاحك هذا نزعت تلك الشرور والآثام من كل بيت من بيوت الجزيرة العربية، فصار ذلك عملٌ لك وبصحيفتك يا رسولي.

---

١)- سورة الجن: الآية (٨).

٢)- سورة الجن: الآية (١٢).

﴿.. وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾
وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الذين ما آمنوا وما استسلموا لله. لا تسكت على باطلهم. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: أو ما يسمى بالطابور الخامس، هؤلاء جاهدهم واغلظ عليهم حتى يسلموا، تحوَّلْ عليهم بالمدد الذي أمدُّك به فلا يستطيعون مقاومتك، حنانك ورحمتك لا تظهرها لهم، هذا المظهر لا يناسبهم بل هؤلاء اشدد عليهم وهدِّدهم، فلكل إنسان معاملة تناسبه، أناس بالرحمة والحنان وأناس بالشدة والقوة، وهؤلاء الكافرون والمنافقون لا يناسبهم إلا الشدة، لذلك لا تسكت لهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: بمعاملة الخلق جميعاً، وأنا ربُّك أُلبسك الثوب المناسب لكل واحد منهم، فأنا العليم بهم وبنفوسهم الحكيم بما يناسبهم.

٢ـ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: لطهارة نفسه وعفَّتها ولشرفه وَجدَ ﷺ صعوبةً بتطبيق هذا الأمر بالزواج من زينب، لكنه ﷺ عازمٌ على التطبيق لذلك قال له ربُّه اتبع ما أوحيت لك، أي: طبِّق ما آمرك وتزوج من زينب رضي الله عنها، وأنا ربُّك أعينك على هذا، فلا تسأل على أحدٍ منهم، ولا تبالِ بما سيُقال عنك من أنها صغيرة بالسن وأنت كبير وتزوجت منها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: الله تعالى مرَّر أهل الجزيرة العربية بتجارب كثيرة وبأحداثٍ حتى عاينوا ضرر عادة التبني وأذاها عليهم، مما جعلهم عن خبرة منهم يدركون مضارها وينفرون منها.

أما المؤمنون الذين مع رسول الله ﷺ فبإيمانهم صار بقلوبهم كمالٌ، وبكمالهم أصبحوا ينفرون من الخبث والرذيلة، ويكرهون هذه العادة ويتضايقون منها، والله تعالى عليم بحالهم، وأن نفوسهم أصبحت مهيَّأة لتقبل هذا الأمر عن كمالٍ وخبرةٍ

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ..﴾

منهم، حيث شاهدوا نتائج التبني الضارة وما في تلك العادة من شرور فنفروا منها، لذلك أنزل الله الأمر على رسوله بإلغائها وذلك بعد أن تهيَّأت كل النفوس لتلقّيه.

٣- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: هو ﷺ دائماً متوكِّل على ربِّه، وهذا الخطاب من الله لرسوله لصعوبة الأمر على نفسه ﷺ من شدَّة طهارته وكماله، أَمَرَهُ الله سبحانه وتعالى بالانصراف عنهم جميعاً والتوجّه إليه بالكليَّة، فكلمة توكَّل أي: سلِّم نفسك لي، لا تلتفت لأحد غيري، وهذا ما يسمى بالفناء بالله سبحانه. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: أنا أدبِّر لك الأمور كلها، أنت فقط عليك أن تسلِّمني نفسك بالكلِّيَّة وتنصرف عنهم وأنا أتوكل لك بكل شيء.

٤ـ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾: هذا لم يجعله رب العالمين، أي ما جعل ميل النفس للدنيا وشهواتها والآخرة وجناتها معاً، فالدنيا والآخرة لا يجتمعان بقلبٍ واحدٍ فميل النفس إما للدنيا وإما للآخرة. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: وكانوا بالجاهلية يهجرون نساءهم، حيث الرجل يعطيها ظهره ولا يقربها أبداً ويعاملها كأمّه. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾: المتبنى شخص غريب عن العائلة وليس ابنها، إنما الإبن هو الذي خرج من صلب أبيه.

﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: هذا ادّعاؤكم لا قول الله، ما ادَّعيتم به باطل يوصل للرذيلة والشقاء، والله تعالى لا يرضى به. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾: كلامه فقط الحق، فهو سبحانه أعلم بعباده وما يناسبهم لسعادتهم.

﴿..وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ..﴾

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: كلامه يوصل للسعادة، إن سرتم بكلامه وطبَّقتم أوامره صرتم بالسعادة والجنات.

٥- ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾: ردُّوهم لهم، ردُّوا المتبنَّى إلى أبيه الحقيقي. ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾:هذا الشيء إن فعلتموه خلصتم من الشقاء وصرتم بالسعادة. ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾: إن كنتم لا تعرفونهم. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ﴾: عاملوهم كأخوة لكم في الدين، فما هو مُحرَّم عليكم محرَّم على هؤلاء الأدعياء، فشرع الله مطبَّق على الجميع. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: في الماضي. ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: ما تصرُّون عليه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: يغفر لكم ما وقع منكم في الماضي من أعمال، ويشفي نفوسكم مما حلّ بها من أدران، كل هذا رحمة منه سبحانه بكم.

٦- ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: واجبٌ عليك أيها المؤمن ومن الفرض أن تُسلِّم نفسك لرسول الله، فهو ﷺ أولى بك من نفسك، أرحم بك من نفسك ومن أمك وأبيك. فالله تعالى بهذه الآية يرشدك إلى طريق السعادة والهداية، يقول لك: سلِّم نفسك لرسولي حتى تحيا، فحياة النفس تبدأ بك حينما تُسَلِّم نفسك له ﷺ، عندها تستنير فتسير إلى ما لا نهاية في جنات النعيم والحياة والسعادة، ودائماً في رقي. ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: بعد انتقاله ﷺ لا يجوز أن تتزوج أزواجه لأن الإسلام يرفع المنازل ولا يخفضها، وبزواجهن من غير النبي تنخفض منزلتهنَّ الإيمانية وتتدنى، لأنه لا يوجد أعلى وأرقى وأكمل وأسمى من

﴿..وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾﴾

رسول الله ﷺ. كذلك التعامل مع ملك اليمين التي تأتي بالحرب، إن كانت ابنة ملك فلا يتزوجها إلا أمير المؤمنين، إذ أن الإسلام يُعِزُّ ولا يُذِلُّ ويرفع المنازل ولا يخفضها. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: كلّنا من رحمٍ واحدٍ من أمّنا حواء، وأبونا واحد آدم عليه السلام، فالبشر كلهم إخوتك وهم أولوا أرحام لك، لكن هذا سكن قريباً منك وذاك سكن بعيداً عنك. ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾: لا تميّز أحداً عن أحدٍ بالمعاملة أيها الإنسان، فالكلّ أَولى بالمعاملة الحسنة والتعاطف والرحمة والإنفاق والتواضع. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾: الله تعالى خصَّص بهذه الآية الكريمة المؤمنين والمهاجرين أي إن هؤلاء أَولى بالمعاملة الطيبة، وحَذَّرنا من معاملة الكفَّار، لأن الجاهل الكافر إذا عاملته وساعدته تكون قد ساعدته على الضلال والغي، ويستعمل مساعدتك له ضد المؤمنين، لذلك فالإحسان لهذا الكافر أن تمنع عنه المساعدة ليعود للحق. ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾: الكفار الذين جاؤوا لعندكم وشعرتم بميل نفوسهم لكم بالمحبة والتقدير ولكنهم ما هاجروا ولا آمنوا بعد بالله، هؤلاء وإن هُم على هذا الحال أحسنوا إليهم وقدِّموا لهم المساعدة إن استجاروا بكم. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾: إن أقبلت على الله أيها الإنسان يُسطِّر بقلبك الرحمة والحنان فتعمل بهما. ﴿مَسۡطُورٗا﴾: لقد ذكر الله لكم هذا في القرآن وكيف تعاملونهم وذلك بقوله تعالى: (إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾

جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا)[1] هؤلاء استثناهم الله وأمركم بمعاملتهم بالإحسان[2].

٧- ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾: هذا ميثاق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، أمرهم الله سبحانه أن يَؤُمُّوا جميعاً إلى النبي الأُمِّي ﷺ وأن يكونوا معه وتحت لوائه وطاعته، وأن يتابعوه بكل شيء لأن كلَّ التعاليم والأوامر الإلٰهية والجنات تأتي على رسول الله ومنه ﷺ إليهم، قال تعالى: (وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ

١)- سورة النساء: الآية (٩٠).

٢)- ونفهم من هذه الآية الكريمة: (إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ..): أيّ قريب لمعاهد لك هذا اتركه. (..أَوۡ جَآءُوكُمۡ..): ولم يؤمنوا بعد. (..حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ..): هؤلاء جعلوكم كقومهم وساووكم معهم وبسعرهم لكن لا يزالون محتارين بين السير مع قومهم الكفار أو السير معكم، فنفوسهم لا تزال معلقة بقومهم. (..أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ..): إن ما عاملتموهم أيها المؤمنون بالإحسان وقلتم عنهم أنهم كفار فهذا تعدٍّ منكم عليهم، فإن قاتلتموهم فسوف يُسلِّطهم الله عليكم وينصرهم لأنكم خالفتم كلام ربكم، فأنتم بذلك تقاتلونهم لدنيا لا من أجل الله. (..فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ..): شيئاً فشيئاً. (..فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا): لا تلتفتوا إلى السيئات التفتوا إلى الحسنات، إن مالوا لكم بالحب فباذلوهم وأعطوهم، لا تقولوا عنهم أنهم كفار، فهؤلاء صاروا أولياءكم فاعملوا كل الوسائل ليهاجروا إليكم ويهجروا قومهم ويؤمنوا بالله.

﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ)[1].

٨ ـ ﴿لِّيَسۡـَٔلَ﴾: الله سبحانه وتعالى. ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾: حينما عرض الله تعالى الأمانة على سائر المخلوقات بعالم الأزل، طمع جميعهم بالكسب العظيم والنوال الكبير جزاء حملهم الأمانة، ولكن تراجعت سائر النفوس خوفاً وخشية الخسارة الكبرى إن هم نقضوا العهد، وبقي الإنسان ثابتاً؛ قَبِلَ حمل الأمانة وتصدَّى لها دون سائر العالمين طرّاً، فأكبر الله مغامرته وأثنى عليه. فقد كان حينها صادقاً بالعهد الذي قطعه على نفسه ألاّ ينقطع عن ربِّه، ولما دبَّ الله الشهوات في النفوس وسلَّمهم الحرية في الاختيار هناك من أعرض عن ربِّه وغاص بالشهوات محجماً عن الإقبال على الله. والله الرحيم لم يدع هذا الإنسان في غفلته سادراً بل أرسله إلى الدنيا وبعث له رسلاً يدلّونه، والكون ليفكِّر به ويرجع إلى ربِّه ويعود عن إعراضه إلى الإقبال ومن الجفاء إلى الوفاء ويستبدل الخيانة بأداء الأمانة، وأهداه جميع الملكات ليعود لصدقه الأزلي عندما قال ‹**أنا لها يا رب**› وعاهد على الوفاء، عندها كان صادقاً حقّاً، ولكن لم يُعِرْ لهذا بالاً ولم يلتفت لإكرام خالقه. وفي الآخرة يسأل الله: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾: أي يسأل الذين كانوا صادقين بحمل الأمانة دون سائر الكائنات كيف أضاعوا هذا الصدق الأزلي، وما الذي حوَّلهم عن الوفاء بالعهد إذ كانوا صادقين، لم استبدلوه بالكذب والخيانة وقلَّة الأمانة؟!. ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: إذن هؤلاء كانت نتيجتهم الكفر والنكران. أعدَّ لهم النَّار ليتحوَّلوا بها عمَّا في أنفسهم من آلام وأوجاع لا تطاق، فنار الله أخفّ مما في نفوسهم من نيران جهنمية.

١)- سورة آل عمران: الآية (٨١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ..﴾

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: لا تنسوها دائماً اذكروها، رسول الله فيكم؛ هذه هي النعمة الحقيقية، فهو ﷺ الوحيد الذي يستطيع أن يصل بنفوسكم إلى الله تعالى وجناته، وبدونه لن تستطيعوا الوصول لله تعالى ولا الإقبال عليه، حيث بمعيته ﷺ حين يُدْخِل نفوسكم على الله تشفى من عللها، وتعيشون بسعادة متنعِّمين بهذه النعمة، فهل من شيء أكبر من هذه النعمة عليكم بخيرها!.

إن اجتمعتم على هذه النعمة "رسول الله ﷺ" لا أحد يستطيع مسَّكم بضرر، ودائماً النصر والغلبة لكم، كما حصل للمؤمنين من نصر في غزوة الأحزاب، ورجع الذين كفروا من هذه الغزوة أذلاّء حقراء مرعوبين مهزومين. الخير كله من الله، أنتم آمنوا به سبحانه لتنالوا الخيرات وترقوا وتكسبوا الجنَّات، فيُنعم الله عليكم بهذه النعمة "رسول الله ﷺ".

في هذه الآية خطابٌ من الله تعالى لنا نحن، فالله يقول لنا: كما أنَّ المؤمنين زمن رسول الله ﷺ أيَّدهم الله ونصرهم على عدوهم وأنعم عليهم لمّا آمنوا، كذلك أنتم.

﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾: اليهود أثاروا العرب قاطبةً وحرَّضوهم على قتال رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، وأغروا قريش بتمور خيبر لتلك السنة، الأحزاب معهم المال والسلاح، فجاؤوا لحرب المؤمنين، وحيث أنهم مؤمنون معتزون بالله سبحانه لذلك نصرهم الله على الأحزاب. وأنتم كذلك اعتزُّوا بالله واجتمعوا على هذه النعمة ينصركم الله. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾: بقليل من الهواء انتصرتم، أليس هذا صحيحاً؟ ألم ينصركم الله عليهم؟!. ﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾:

﴿..وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

أرسل تعالى ملائكة بثَّت في قلوب الكافرين الرُّعب والذعر فانهزموا. فالمؤمنون دائماً مؤيَّدون بالنصر من الله بكل زمان ومكان. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: أيها المؤمنون. ﴿بَصِيرًا﴾: بكم، لأن أعمالكم ونواياكم عالية لأجل هذا نصركم.

١٠ــ ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾: حاصروكم من كل الجهات وبهذا انكشف إيمانكم. ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ﴾:خوفاً. ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾: فئة جبَّنوا وارتعبوا وظنوا بالله الظنون، خافوا من كثرة الأحزاب. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: هؤلاء الفئة حالهم كحال بني إسرائيل مع سيدنا عيسى عليه السلام لمَّا جاءهم، فالكلّ واعدوه وعاهدوه على النصر والقتال في سبيل الله، وما أن تحركت دولة اليهود ضدَّه عليه السلام حتى تخلّوا عنه، ولم يبقَ معه إلا الحواريون الأحد عشر مؤمناً. كذلك فعل بنو إسرائيل مع سيدنا داود عليه السلام لمَّا رأوا جيش جالوت الكبير بالعدد والعُدد خافوا وجبّنوا وقالوا (**..لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ..**)[1]: هربوا وتركوا سيدنا داود عليه السلام في المعركة لوحده مع فئةٍ قليلةٍ من المؤمنين، لذلك:

(**لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ**)[2].

وهؤلاء الذين كانوا مع رسول الله ﷺ بغزوة الخندق لمَّا رأوا الأحزاب وعددهم خافوا وجبَّنوا، السبب: ما آمنوا بالله إيماناً حقيقياً شهودياً، فما شاهدوا أن الفعل بيد الله سبحانه بل شاهدوا الفعل لجيش الأحزاب، وقالوا: خذلنا الله والرسول،

---

١)- سورة البقرة: الآية(٢٤٩).

٢)- سورة المائدة: الآية (٧٨).

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾

والقوة والسيطرة للأحزاب.

١١- ﴿هُنَالِكَ﴾: حينها. ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: امتُحِنُوا بهذه المعركة وهذا العدد من المشركين؛ هل يريدون الدنيا وشهواتها أم الآخرة وجناتها؟ هل يَرَون الفعل بيد الله سبحانه أم لغيره؟. ﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾: حلَّ بهم البلاء، حيث الأحزاب من جهة، واليهود خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ من بعد أن عاهدوه، وكل هذا كان بلاءاً وامتحاناً من الله ليشفي قلوبكم أيها المؤمنون.

١٢- ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾: الذين ما آمنوا بالله. ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفوسهم مريضة بحب الدنيا وشهواتها من حب للمال، للنساء وللبنين ويفضلونها على الله ورسوله، لكن هل هذه الدنيا وشهواتها تدوم لهم؟! ألا وإنهم سيتركونها بالموت، فلمَ التمسك بها وتفضيلها على الآخرة؟! فالدنيا ذاهبة عنهم وهم سيذهبون عنها.

المؤمنون بخروجهم للجهاد تحصل لهم صلة بالله، إذ بتركهم الدنيا وخروجهم للحرب حيث الموت والبرد والخوف والجوع والمشَقَّات، بهذه التضحية تحصل لهم الصلة بالله فتشفى قلوبهم من حب الدنيا، لذلك خاطب الله المؤمنين قائلاً: (ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [1]: (ٱنفِرُواْ خِفَافًا..): من الدنيا، اتركوا الدنيا وشهواتها وأخرجوها من نفوسكم "كبُّوها". (..وَثِقَالاً..): بالإيمان، حيث بخروجهم للجهاد يكسبون بأنفسهم كمالاً وطهارة، وإن لم يخرجوا ويعملوا الصالحات فلن

١)- سورة التوبة: الآية (٤١).

﴿..مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ..﴾

تحصل لهم صلة بالله، وبذلك تبقى بنفوسهم العلل والأدران والأمراض النفسية من صفات الخِسَّة والقسوة والطمع والتعدي. فهؤلاء المنافقون لأنهم ما آمنوا بالله إيماناً حقيقياً ما صار لهم إيمان عقلي شهودي فوقعوا بالنفاق، لذلك خاطب الله تعالى المؤمنين مُحذِّراً إياهم من عدم الإيمان، هذا وبيَّن لهم أنهم إن لم يصلوا للإيمان الشهودي فما هم عليه الآن من إيمان فكري ليس بإيمان حقيقي، قال تعالى: (۞ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ..**)[1]. هؤلاء المنافقون لمَّا رأوا جيش الأحزاب وعدده قالوا: ﴿**مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ**﴾: أي بالنصر. ﴿**إِلَّا غُرُورًا**﴾: كذباً، الرسول بيننا وسوف نُغْلَب، لذلك هربوا من الحرب.

١٣- ﴿**وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ** ﴾:يا أهل المدينة المنوَّرة. ﴿**لَا مُقَامَ لَكُمْ**﴾: حيث أصبحت مكشوفة من كل الجهات للعدو. ﴿**فَٱرْجِعُوا۟**﴾: اتركوها واهربوا، أنقذوا حياتكم حيث العدو من كل الجهات. ﴿**وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ**﴾: يستأذنونه بتركهم المعركة ورجوعهم لأهلهم. ﴿**يَقُولُونَ**﴾: ادَّعُوا: ﴿**إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ**﴾: قالوا له ﷺ: نساؤنا وأطفالنا وأعراضنا لا أحد عندهم يأتيهم بما يحتاجونه ونخشى عليهن من أن يُظلمن أو أن يصل الكفار إلى بيوتنا فيتعرَّضوا لنسائنا بالسوء وليس هناك من يذود عنهن ويحفظ شرفهن وعرضهن، لذلك نريد الرجوع إليهم لندافع عنهم. ﴿**وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ**﴾: قالوا ذلك كذباً وزوراً. والحقيقة: أن هذا

---

١)- سورة الحجرات: الآية (١٤).

﴿.. إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ..﴾

عذر واهٍ، فبيوتهم كبيوت المؤمنين بالمدينة بأمان والعدو أمامهم ولا صحة لكلامهم. ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: هرباً من الحرب وخوفاً من الموت ورجوعاً لدنياهم. يخاطبنا الله تعالى ويحذرنا نحن بهذه الآيات ويقول لنا: أنتم لا تكونوا مثلهم، دائماً اذكروا نعمة الله عليكم لئلا يحدث لكم ما حدث معهم وتقعوا بالنفاق.

١٤ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: هؤلاء المنافقون مهما بيَّنت لهم ومهما أمدَّهم الله به عن طريقك، إن لم يؤمنوا بالله إيماناً شهودياً يبقَ الضعف والخوف والجبن بقلوبهم ولا يستطيعون الخلاص منه، ولو دخلوا عليهم واستعمروهم واستحيوا نساءهم ونشروا الفساد في كل مكان. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: قلوبهم كلها فتن، مفتونة بالشهوات، لذلك عند الشهوة يسرعون إليها ويسيرون مع الكفار لأنهم يلبّون لهم انحطاط نفوسهم، وينسون عداوتهم وتسليطهم عليهم. ﴿لَآتَوْهَا﴾: بقوة، عندما يرون الشهوات يصبحون كالأسود فلا يهمهم شيء ومن أجلها يضحُّون بحياتهم ويموتون، عكس ما كانوا عليه بالإسلام حيث كانوا ضعفاء أمام الحق. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾: لا يسألون عن شيء ويقعون بالفتن مباشرة، وإذا كان هذا عملهم إذن: يموتون بعد ذلك مباشرة إذ أنهم نالوا مطلبهم "شهواتهم" وليس لهم طلب ثانٍ، وما أفادت معهم الشِدَّة وتسليط الأعداء ليغيّروا وجهتهم عن الدنيا للآخرة، إذن: لا يتمتَّعون بالدنيا بعد ذلك إلا قليلاً.

١٥ـ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: عاهدوه عن طريق رسوله ﷺ وذلك في بداية سيرهم معه ﷺ ، عاهدوا الله أن: ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾: أن يؤمنوا وينصروا الحق.

﴿..وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولاً ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ
أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ
بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞
قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا
قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ
كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ..﴾

﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولاً﴾: عهدهم بالأزل مسؤولون عنه، وكذلك عهدهم بالدنيا مع رسول الله ﷺ مسؤولون عنه، ولو آمنوا واتقوا لمحا الله لهم كل شيء، لكن لأنهم ما آمنوا ونكثوا عهدهم صاروا مسؤولين عن عهدهم وخيانتهم لكلا العهدين؛ بالأزل وبالدنيا مع رسول الله ﷺ.

١٦- ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ﴾: الهروب من الحرب لا يخلِّصكم من الموت إن جاء أجلكم. ﴿إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾: الآن. ﴿وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾: لابدَّ أن يأتيكم الموت، هذه الدنيا ولذائذها قليلة أمام ما أعدَّه الله لكم من لذائذ وجنات ونعيم.

١٧ـــ ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾: تولونه أمـوركم. ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾: ينصركم ويخلِّصكم مما أنتم فيه من شدائد.

١٨ـــ ﴿۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ﴾: احـذروا قـد يكشـفكم الله. ﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ﴾: الحرب. ﴿إِلَّا قَلِيلاً ﴾

١٩- ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾: هؤلاء لا خير فيهم للمؤمنين، لا ينفعونكم بشيء ولا ينصرون الحق لأنهم ما آمنوا. ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ﴾: أمر القتال. ﴿رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾: خائفون

﴿..فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ..﴾

مرعوبون من الموت، قالوا ما انتهينا من غزوة أحد إلا وجاءتنا غزوة الخندق وبها نهايتنا وموتنا. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ﴾:انتهت المعركة وذهب الخطر عنهم. ﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: تكلَّموا عليكم وصاروا يحتجُّون وينتقدون. ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾: لا يذكرون خيراً فيكم أبداً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾: لو آمنوا ما قالوا هذا. ﴿فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: ذهبت أعمالهم وانحطَّت. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: النصر على الأحزاب. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾: هيِّن، فلا فعل لغيره سبحانه.

٢٠- ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْ..﴾: من رعبهم وعدم الاستناد النفسي "القلبي" إلى الله لفقدان الصلة به تعالى. ﴿.. وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ..﴾: بسبب الخوف المسيطر عليهم، يتمنّون لو أنهم أقاموا صِلاَتٍ مع أعدائكم ليأمنوا على أنفسهم، فهؤلاء لا فكر ولا عقل نامٍ لديهم. ﴿..يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡ..﴾: عن أخباركم وما أصابكم. ﴿.. وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: إيمانهم بالدنيا وحبّهم لها أكبر بكثير من إيمانهم الغيبي غير التحقيقي "التصديق".

٢١- ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾: بكل مجابهة كبيرة أو شدَّة عظيمة أو مرض أو... ذكرى للمؤمن المرتبط برسول الله، فقد جابه ﷺ أعظم منها، فرسول الله ﷺ طريق للخلاص مما أنتم فيه، وهو قدوة إن سرتم على ما سار عليه وطبَّقتم ما يأمركم الله به خلصتم من كل ما يسوؤكم ويهمُّكم.

﴿..لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ..﴾

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾: الإقبال عليه سبحانه. ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: ونوال الجنات. ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: فَكَّرَ بصنعه سبحانه وتعالى حتى عرفه وعرف رحمته وحنانه. جلس يفكِّر بآلاء الله ولقائه في الحقول وفي المقابر وفوق الجبال ووراءها وعلى الأنهار والبحر ومع النجم والقمر والشمس والغيوم ثم أخيراً مع الإمام.

٢٢ـ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾: المؤمنون طموحهم عالٍ وعظيم، فهانت عليهم الصعاب، إيمانهم بالربِّ الكريم المحيط رب العالمين جعلهم يسيحون على كل العالمين. هؤلاء المؤمنون هم الذين فكروا حتى آمنوا وصار لهم يقين بالله والرسول، لما رأوا الأحزاب ما خافوا ولا جبّنوا لأنهم يعرفون أن الله سبحانه بيده كل شيء. ﴿قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: وَعَدُونا بالنصر عليهم، وتمَّ النصر. ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾: بهذا الثبات ازدادوا بمعرفة الله وأسمائه الحسنى ونالوا من جنَّاته، لم يطرأ عليهم أبداً وهنٌ أو خوفٌ أو فزع بل ازدادوا قوةً وإقبالاً وهيبة، وعاشوا بالنعيم والاطمئنان. السبب: ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: لله والرسول، حيث لهم يقين وشهود لله عن طريق سراجهم المنير رسول الله ﷺ. استسلامهم بارتباطهم الكلّي برسول الله ﷺ سلَّموا لشديد القوى، فليستسلموا له تعالى فبه يقاتلون وبه يناضلون، فمن يواجه الله!...

٢٣ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾: بكل زمان. قبل الارتباط القلبيّ برسول الله ﷺ أشباه الرجال، كن مع الرجل تكن رجلاً. ﴿صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: عاهدوا الله على الإيمان والتقوى وصدقوا. ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾:نالوا

﴿..وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ..﴾

الشهادة. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: الشهادة في سبيل الله. ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾: بالرابطة والإخلاص للرسول ﷺ والصدق مع الله، لأنهم مؤمنون ما بدَّلوا بل ازدادوا قوةً وإيماناً.

٢٤ـ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ..﴾: لهذا خُلقت (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً..)[1]، كلّ كمالات رسول الله ﷺ بصدقه العظيم ولا صدق مع الدنيا ولا صدق بلا خوف، فمتى خافت النفس من الفراق والذلّ صدقت وحصل التفكير الصائب. ﴿..وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ..﴾: كل إنسان وعمله. ﴿..إِن شَآءَ..﴾: إن ما تابوا سيرجع عليهم عملهم. ﴿.. أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ..﴾: إن رجعوا للحق وساروا بالإيمان. ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: كل أفعاله تعالى للمغفرة، ليغفر لهم ذنوبهم ويشفيهم من عللهم. لكي يعاملهم تعالى بعد الغفران باسمه الرحيم ويعطيهم الجنات. لأنه تعالى رحيم لا يريد لهم دخول النار ويريد لهم السعادة والجنات.

٢٥ـ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا..﴾: رجعوا مخذولين. ﴿.. وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ..﴾: لم يكلِّفهم فوق طاقتهم فردَّ الله الأحزاب عنهم. ﴿..وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: لا شيء يحول دون إرادته.

٢٦ـ ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ..﴾: اليهود الذين خانوا

١)- سورة الأنعام: الآية (١١٥).

﴿..مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

عهدهم مع رسول الله ﷺ. ﴿..مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ..﴾: من رسول الله ﷺ، فخرجوا من ديارهم. ﴿..فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: منهم من قاتلتموهم وقتلتموهم وانتصرتم عليهم ومنهم من أُخِذ أسيراً.

٢٧- ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ..﴾: جعلها غنائم لرسول الله ﷺ الذي كان النصر بسببه وبوجهه ﷺ. ﴿..وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: كل شيء عنده بقدر وبالوقت المناسب يجريه.

٢٨- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أطلقكن. من هنا يظهر سمو الإسلام والحرية للمرأة ومَنْحِها كل القيم الإنسانية الاختيارية بالمنطق والإقناع من مصدر قوة لا إجبار ولا إكراه عندها يكون الوازع ذاتي عندهن، فليست المرأة بمتعة ولا شهوة ولا أداة بل هي مخلوق مكرَّم، إن أرادت وإلا فلها اختيارها، بفراق جميل لعلّه بالمستقبل يثمر. وتلك هي الرحمة والإنسانية الحقَّة.

تحمل هذه الآية الكريمة تحذيراً وتهديداً من الله تعالى لزوجات رسول الله ﷺ قبل الوقوع، فالآية الكريمة تبيّن موقف زوجاته الشريفات وتحذِّرهن وذلك عندما عزم رسول الله ﷺ على التسرِّي بالسيدة مارية القبطية لِمَا رأى ﷺ عندها من الاستعداد للإيمان والأهليَّة للتبليغ عنه بما تتمتع به من ذكاء وفطنة تجعلها أهلاً لتبليغ بنات جنسها أوامر ربِّها عن رسول الله ﷺ. لذلك أراد صلى الله عليه وسلم التسري بها إذ ستبلغ من بعد هذا التسري بما لديها من استعدادٍ للإيمان مبالغ

﴿..وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

الإيمان العالي بمعيَّته ﷺ فتصبح زوجة من أمهاتنا. وحقاً هذا ما كان فبعد أن كانت جارية غدت بزواجه منها ﷺ مثلهنَّ. فعندما عزم ﷺ على التسري بها تولَّد في قلوب زوجاته الطاهرات غيرةً منها وأوَّلهنَّ السيدة عائشة والسيدة حفظة رضوان الله عليهن، والله تعالى لم يرض لهنَّ هذا الحال من الغيرة على جسمه الشريف ﷺ لذلك خاطبهن قائلاً: ﴿..إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا..﴾: هل تردنَ الجسم أم الحقيقة؟ فجسمه ﷺ كباقي البشر أما حقيقته سامية عالية، حبّه لله عظيم، وبهذا الحب والإقبال يستطيع ﷺ سحب الكائنات وجرّها إلى الله بلمحة واحدة، وهو أهون عليه من طرفة عين، فهو للعالمين أرسله الله، ولما سمعت زوجاته الشريفات هذا الخطاب والتهديد من حضرة الله لهنَّ في قوله تعالى: ﴿..فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾: تراجعن وصبرن على ما في قلوبهنَّ من غيرة على رسول الله ﷺ، وبهذا الصبر صار لهنَّ التجاء إلى الله سبحانه ومغفرة، فارتفعت منازلهنَّ ومراتبهنَّ عند الله، لذلك خاطبهنَّ بعد توبتهنَّ ورجوعهنَّ عن معارضة رسول الله ﷺ مادحاً إياهنَّ بآية: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ..) [١].

٢٩- ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأَخِرَةَ﴾: الجنات والسعادة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾: للصابرات على أمر الله، حيث بالصبر إحسان لأنفسهنَّ. ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾: وذلك الأجر بمعيَّة رسول الله ﷺ حيث بطاعته ينلن من الله فضلاً كبيراً.

١)- سورة الأحزاب: الآية (٣٢).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا
مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ..﴾

٣٠- ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾: كيف زوجاته الشريفات، وهنّ مع رسول الله ونفوسهنَّ تسبح بجناته ﷺ يقعن بالفاحشة؟!.

هذا ما لم يحدث ولن يحدث، لكن إذا ظللنّ مُصِرَّات على موقفهنَّ من زواجه من سيدتنا مارية فالرسول سوف يطلقهن، وبطلاقهن تنقطع رابطة نفوسهنَّ معه ﷺ وبهذا الانقطاع عنه قد يقعن، حيث فعلن الكبيرة، تركن وضحَّين برسول الله ﷺ ولم يسألن عنه، وبهذا لا يبقى لهنَّ قيمة عند الله "تنحط منزلتهن"، وقد يخطر على البال سؤال كيف أن زوجاته الشريفات بعد انتقاله ﷺ لم يحدث معهن هذا الشيء؟ السبب لأن الطلاق يقطع الرابطة القلبية بين الزوجة والزوج، فتزول المحبة ويحلّ محلها البغض والكراهية، أما بحال الوفاة تبقى المحبة وتستمر الرابطة النفسية، وهو ﷺ وظيفته دائمة عليهنَّ بحياته وبعد انتقاله، وترقيته لهنَّ بمنازل القدس بعد انتقاله تستمر، لذلك دائماً نفوسهنَّ بعروج معه ﷺ بحياته وبعد انتقاله، فهذه الآيات لها مُناسبة حتى نزلت "أسباب نزول" وهي معارضتهن لزواجه ﷺ من مارية، ولولا هذه المناسبة لما نزلت هذه الآيات.

٣١- ﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: من تصل منكنَّ للتقوى وللصلاة الدائمة بالله. ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾: حيث كسبت بصلاتها كمالاً عظيماً فلا بد وأن تعمل صالحاً. ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾: أجركن مضاعف. ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾: حياة سعيدة في الدنيا والآخرة فلا نغص ولا شقاء يُصيبكنَّ.

٣٢- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: نَلْنَ هذه القيمة وهذه

﴿..إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ..﴾

العظمة عند الله بسبب زواجهنَّ من رسول الله، ولولا زواجهن منه ﷺ ما نلْنها. ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: المرأة كلها عورة حتى صوتها، فلا يحقُّ لها حين التكلم مع الرجال بحال الضرورة أن تترك صوتها على طبيعته، لكي لا يكون للشيطان مجال أن يدخل على مرضى القلوب. ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: مُحبُّ الدنيا وشهواتها يطمع بها، لذلك عليها حين التحدُّث مع الرجال أن تُخشِّن صوتها. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: اللازم فقط تكلَّمْن به، وهذا الخطاب والقانون ليس فقط لزوجات رسول الله ﷺ وإنما ضمناً لنساء المؤمنين كافة [١].

٣٣- ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: لأن فيها عملكن الثمين المنتج ألا وهو تربية البنين والبنات وإعداد جيل للمستقبل صحيح في الجسم والعقل. لا تخرجن إلا بحال الضرورة. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾:خروجهن بالحشمة. ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لأنفسكنَّ حتى تستطعن تطبيق ما آمركنَّ به من أوامر. ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الطهارة لها، وطهارة النفس لا تكون إلا بالصلاة. ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: بكل الأوامر، طَبِّقنها. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: هذه الأوامر رحمة منه سبحانه عليكم ليطهِّركم.

٣٤- ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾: عليكنَّ من الله عن طريق رسوله ﷺ.

---

١)- جاء التخصيص في هذه الآية لنساء النبي لأن زلّة عالم بهلاك أمة، فنساء النبي بلغن درجة عالية، فهنَّ أسمى وأعلى وأرقى نساء العالمين والمسؤولية هنا أكبر وأعظم، فالآية تخصصهن لأنهن قدوة للنساء المسلمات لعظيم خطر زلتهنَّ ومنه يُعمَّم على نساء المسلمين بالتبعية.

﴿..فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ..﴾

﴿فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: إذن لا يحق للمرأة أن تخرج من بيتها وتذهب لسماع الدرس في الجامع. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾: بكم. ﴿خَبِيرًا﴾: بنفوسكم، لذلك أنزل لكم هذه الآيات.

٣٥- ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾: شفاءً لهم. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: لهم الجنة.

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: والقول الفصل في هذه القصة أن زينب رضي الله عنها عندما أصبحت شابة استشارت رسول الله ﷺ في أمر زواجها فأشار عليها ﷺ بالزواج من زيد بن حارثة، وقد شقَّ على زينب رضي الله عنها وعلى أخيها عبد الله أن تكون أخته القرشية تحت عبدٍ رقٍّ اشترته خديجة وأعتقه رسول الله ﷺ، لكن الله تعالى الذي عَلِم في زينب تلك الأهلية لتحقيق هذا الأمر الصعب، أراد أن يبطل تلك الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبيّة وحدها، وأن يدرك

﴿..وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ..﴾

الناس جميعاً أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فأنزل الله الآيات على رسوله ﷺ مبيّناً لزينب وجوب الطاعة. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: لا يطيع أوامرهما. ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاً مُّبِينًا﴾: ضلَّ عن الحق والسعادة، وهنالك أذعنت زينب وأخوها لأمر الله، وتزوج زيد منها.

٣٧- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي بنعمة الإيمان. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بأن أطلقت أساره وأعتقته، ثم اتخذته ابناً. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: حيث لم يطب العيش بين السيدة زينب وزوجها، واشتكى زيد ذلك لرسول الله ﷺ أكثر من مرة واستأذنه في طلاقها، فكان ﷺ يأمره بأن يمسك عليه زوجه. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: أي وتخفي ما أدركته مما سيوقعه الله من التشريع منتظراً الوقت الذي سيبديه الله فيه لعباده.

أدرك رسول الله ﷺ ضلال ما كانت عليه العرب من اعتبار المتبنّى كالابن من النسب، وعرف ما ينشأ عن هذا الاعتبار من دخول المتبنى على عيال الإنسان وحريمه وما يجرّه هذا الالتصاق بأفراد الأسرة من المفاسد والوقوع في الزنى وضياع الأنساب. كما عرف الحكمة الإلٓهية من أمره تعالى زيداً بالتزوج بزينب، وأدرك أنه لابدّ أن يأمره الله تعالى بعد تطليق زيد زينب بأن يتزوج ﷺ بها ليهدم تلك الاعتبارات القديمة الخاطئة، وأن يبين للناس أنَّ المتبنى إنّما هو امرؤ غريب عن الأسرة يجوز لمن تبناه أن يتزوج بزوجته بعد طلاقها منه بخلاف الابن من النسب. كل ذلك عرفه ﷺ غير أنه ما كان يُبدي شيئاً من أوامر التشريع إلاَّ بعد نزول الوحي.

﴿..وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ..﴾

﴿ **وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ**﴾: تجد الصعوبة في بيان ذلك للناس. وصف تعالى الحالة القائمة في نفس رسول الله ﷺ وما كان يجده من الصعوبة في الإقدام على هدم تلك العادة الجاهلية المتأصِّلة في التبني قبل نزول الوحي. ﴿**وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ**﴾: فلمّا أنزل الله الأمر عليه بوجوب التزوج بزينب بعد طلاقها من زيد وانقضاء عدّتها أقدم ﷺ على تطبيق الأمر الإلٓهي عن طيب نفس لأنه يعلم أن الله أحقّ أن يخشاه. ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا**﴾: وقد تزوج منها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدَّتها بأمر من الله، وخلَّص ﷺ أهل الجزيرة العربية من شرور هذه العادة وما كانت تجرُّه عليهم من فواحش وأضرار ودمار للأسرة والمجتمع.

٣٨- ﴿**مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ..**﴾: أنّى لنبيٍّ يشاهد الحقائق بنور الله أن يعبأ أو يبالي بالصور وهو يرى أن الفعَّال هو الله وحده. ﴿..**مِنۡ حَرَجٖ..**﴾: مانع. بيَّن تعالى أن الرسول لمَّا جاءه الأمر الإلٓهي بالتزوج بزينب رضي الله عنها تقبَّل ذلك عن طيب نفس منه ودون أدنى تردّد على الرغم مما فيه من الصعوبات. ﴿.. **فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ..**﴾: من تشريع إلٓهي، طالما هذه وظيفة المكلَّف، والمأمور بها من أرحم الراحمين، وأن ذلك ممن سنَّ الشرائع العليم تعالى بالطبائع وفيه رضاه، بل وفي ذلك إنقاذ الناس من الخزي والفحشاء والمنكر، وأنه ﷺ عن الدنيء عازف فلا حرج عليه فيما فرض الله له.

﴿..وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ٱلَّذِينَ ﴿٣٨﴾ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ..﴾

﴿..سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ..﴾: من الأنبياء. ﴿.. وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: فليست المسألة بمحمد ﷺ بل بالله، وليست التشريعات منه ﷺ فلا يصدر أمرٌ عنه، إذ أنه ﷺ وحيٌ يوحى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾)[1]. فهذا الأمر الإلٰهي بالتزوج من زينب رضي الله عنها واقع لابد منه.

٣٩- ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾: وصف الله تعالى جرأة الرسل في تطبيق الأوامر الإلٰهية وعدم تردّدهم وخشيتهم من أحد. هم نجوم أفلاك الحقيقة وشموس اليقين، قدوة البشر ومهبط الوحي الأمين، وهم الذين لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون، والله الهادي لطريق الخير بلا شذوذ. الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم هم مبلِّغون للخلق ما يأمرهم الله به من بلاغٍ وأوامرٍ لهم. ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾: من الناس. ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: يحاسب ويدافع عنهم وينصرهم، لابد أن يجزيهم الله على عملهم بما يتناسب ومواقفهم العالية.

٤٠- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: رسول الله ﷺ ليس له أولاد ذكور، فكيف تقولون: أن زيداً متبناه وهو ابنه والرسول أبوه! وهو ﷺ لا ولد له. ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: كلامه وأعماله ﷺ كلّها بوحيٍ من الله، قدِّروه عظِّموه تَعْظُموا، هو لا يمشي بقوانينكم الخرقاء البائدة الفاسدة، بل يسنّ من عند الله

[1]- سورة الحاقة: الآية (٤٤ ـ ٤٦).

﴿..وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ..﴾

العليّ الكامل سُنن الخيرات والسعادة والنصر، فهو رسوله لذلك تزوج من زينب رضي الله عنها. ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: رسول الله ﷺ قال لهم على لسان حضرة الله أنا خاتم النبيين، أعلاهم ومحيطٌ بهم جميعاً، ولو أتوا بمثل ما تقولون من أن التبني من عند الله لأتوا بهذا التشريع عن طريقي ولعلمت أنا بهذا. فكيف تقولون وتدَّعون أن التَّبني منزَّل من الله؟!. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾: الله سبحانه يُعْلِمني بكل شيء، فكلامكم وادعاؤكم لا صحة له.

(عَلِيمًا): أشار تعالى إلى علمه بأن البشرية مهما امتد بها الزمن لم يبقَ لها أمر من أوامر التشريع إلا وبيَّنه لها على لسان رسوله الكريم فلذلك لا نبي بعده وهو خاتم النبيين.

(عَلِيمًا): ليعلّمكم إن سلكتم وصدقتم ما لم تكونوا تعلمون. الطريق:

٤١ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾: ذكّروا أنفسكم بمواطن الإقبال على الله "بالشهود"، التذكر يكون لشيء رآه الإنسان من قبل. المؤمن آمن شاهد ربه، شاهد الحقائق، هذا المؤمن لا يستطيع أن يعيش بلا غذاء قلبي لذلك دائماً يعمل لئلا تنقطع نفسه عن الله.

٤٢ـ ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: الاختيار لكم والأمر عائد لكم إن شئتم، التفتوا لله حتى يتجلَّى تعالى بأسمائه الحسنى عليكم فتروي النفس بما يصحبها من نعيم وسعادة وجنات وأنوار، أغدقوا من سنا أسمائه الحسنى على قلوبكم تتيهوا فخاراً، وتحيا نفوسكم علواً وترقى ببهاء الله وتتسع آفاقها وتسجد هابطة في بحار تجليات حبيبها محبّها، فتشهد آفاقاً لم تكن تعلمها، وتنغمر في ماء غدق تُفتن به فتوناً، وتطوي في معارجها مرتشفة من معين المحيط الأكبر اللامتناهي.

﴿..بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ..﴾

ولكن كيف يتم هذا التسبيح؟.

من الذي يقول لك سبّحوه؟ هو السراج المنير ﷺ. إذن: عن طريق رسول الله ﷺ وبصحبته القلبيَّة يتم هذا التسبيح. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: حين الدخول والخروج، ببداية كلّ أمر كن معه، استغرق به لا تدخل لعملك وأنت غافل عنه جلَّ وعلا، لا تدخل دارك دون ذلك ولا تخرج فارغاً، لا تدخل مجلس الأصحاب أو الأعداء إلا به تعالى "تربت يداك". دلُّوا الخلق على الله وسبِّحوا أنفسكم به سبحانه.

﴿ بُكْرَةً﴾: صباحاً تكون النفس صافيةً من مشاغل الدنيا فبسرعة تتجه إلى آلاء الله وإلى الله.

﴿وَأَصِيلاً﴾: مساءً. فكلمة أصيلاً مأخوذة لغوياً من الأصل. إذ الإنسان بالأصل نفس بلا جسم، فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان. ولكن بانقطاع الإنسان عن ربه وعن نوره بقي مرهوناً بجسمه وبالأنوار المادية، ونفسه المسكينة في ظلام مسجونة، وطالب الإيمان في المساء وعند غروب الشمس إن فكّر وخاف من الظلام وأنه أيضاً سيغرب ويذهب عنه جسمه بالموت ويبقى نفساً مجرّدة وهو على ما هو عليه لم يستتر بنور ربه وسينزل القبر، فإذا خافت النفس ظلام القبر ووحشته وصَدَقت بالساعة المسائية وطلبت النجاة من الله يرسل الله لها رسوله بنوره فتستنير وتطمئن، أما المؤمن الواصل، للموت عاشق وأكبر درجات فرحه لحظات خروجه من الدنيا للتفرّغ لشهود المحبوب.

٤٣ـ كيف لا و: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: فمن علِمت حبَّه أحببته، ومن كان لك بكليّته فكن له بكليّتك، فلمَ تنقطع عنه تعالى، أوَ إرادياً؟!... حذارِ، تذكر دوماً مواطن إقبالك عليه ونِمِّها وحذار من سوء البذار بنفسك، دوماً ارتبط بباب الله ﷺ وارتع برحماته وفضله وعطاءاته تكن أسعد

﴿..لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا..﴾

الناس. ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من ظلمات الناس الذين كنتم تدلُّونهم على الله وترشدونهم. ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إن أردت النجاة من كل تعس وغبن وألم فهو تعالى دوماً يريد، فإن اشتهت نفسك قربه تحتَّم القبول ووقع السبح النفسي بجلال جمال كمالات الله. ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾: رحمة منه سبحانه يتجلّى عليهم ويخلِّصهم من كل ما يسوؤهم. ليس رحيماً بالصحابة الكرام فحسب بل ذلك لكل مؤمن بكل زمان، فكل من التجأ لجانب الله وقاه وأسعده وعلاّه وبالجنات العلا موئله ومثواه، فمعاملاته تعالى للمؤمن تختلف بكل الوجوه عن المعرض، إذ يستره تعالى ويرعاه وسيكرمه بما لم يكرم به أحداً من العالمين.

٤٤- ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾: الأمان عليهم إلى أبد الآبدين. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾: خالياً من كل ما ينغِّصهم، فهم في حياة وسعادة متزايدة ودائمية.

٤٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: بهذا الشرف العظيم والحبّ الكريم يخاطب بارئنا حبيبه ﷺ المرضي المحمود، هذه وظيفته ﷺ يتنبَّأ الحقَّ من ربِّه ويريك إيَّاه. فأطع رسول الله علّك تحظى بما حظي بمشاهدة نبوَّته. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾: (إِنَّآ): بصيغة الجمع تتضمن أنوار ورحمات وبحار فضل وإحسان وحنان الله وتجلِّيات العلا بأسمائه الحسنى.﴿ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾: شاهداً لهم لآيات الكون، ولكن لمن يشهد رسول الله ﷺ وكيف يشهد؟ يشهد للذي آمن بالله واستقام فصلَّى، يشهد لمن فكَّر بالموت حتى خافت نفسه، وخاف من النتائج التي ستعود عليه من سيره بغير الحق، وخاف النار في الآخرة، هنالك طلب الحقَّ والحقيقة، فنظر في الكون وآياته وفكر به فشاهد ربَّه من خلاله، ورأى الله معه، قريباً منه رقيباً عليه

﴿..وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

ومشاهداً له فاستقام، وباستقامته على طاعة ربِّه يحصل لنفسه ثقة بأن الله راضٍ عنها فتؤمن به سبحانه، وبمعيَّة رسول الله ﷺ تُقبل على الله، هذا المؤمن يشهد له رسول الله ﷺ التربية لهذا الكون والتجلي الإلّهي عليه والخلق والخالق والإمداد بالأنوار، ويشهد له أسماء الله الحسنى وكيف أن الله متجلٍّ على الكون بعلمه ورحمته وقدرته. ويشهد للمؤمنين إيمانهم فيمزجه رحيقاً واسعاً أبيّاً دائماً سرمدياً لا تبغي النفس عنه حولاً. ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: لمن فكّر وشاهد، للذي آمن يبشره بالجنة، بشارات مشهودة ذوقيَّة يعيها القلب المؤمن الصادق. ﴿وَنَذِيرًا﴾: للمعرض الذي ما فكر فما آمن، ينذره من مصائب الدنيا وعذاب القبر والنار.

٤٦. ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: للمقبل، يعرج فيه إلى الله «**إنما بُعثت معلّماً**» [١]، «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [٢]. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: لمن تولَّدت في نفسه ثقة يُقبل، بإذنه: الطاهر يدخل، لا يكون هذا إلا إذا سار الإنسان بالقوانين التي رسمها الله له وبيَّنها على لسان رسوله ﷺ، وهي التفكير بالموت والاستقامة على أمر الله والتفكير بالكون عندها يأذن الله لرسوله. فليس في قلبه ﷺ إلا الله، والجسر لا يقوم إلا بطرفين، فمن لم يصدق فلن يأذن الله لرسوله بإضاعة عمره الثمين معه للسدى مع من لن ينتفع اليوم ولا غداً. ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: هذا المؤمن صار له رسول الله ﷺ سراجه ونوره يرى به الحقائق، يرى الخير خيراً والشر شراً، صار يرى بعين القلب حقيقة الدنيا، وهذا المؤمن يفدي رسول الله ﷺ بكل شيء، لأنه يرى أن الفضل والجنَّات والنوال الذي جاءه كان عن طريقه ﷺ، وبسببه.

---

١)- سنن ابن ماجه ج١ رقم/٢٢٩.

٢)- أخرجه أحمد والحاكم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾

٤٧- ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: بما سينالونه من عطاء كبير بسبب إيمانهم وأعمالهم. ﴿ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾: لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الدنيا مجموعة طاعات إن طبَّقها الإنسان وصل ونال الجنات.

٤٨- ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: لا تسكت لهم. ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾: لا تهتم بما يقولون. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: لك، وكيلاً على الكون كلِّه بالتسيير والإمداد والتربية.

٤٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: عقدتم عليهنَّ ولم تدخلوا بهنَّ، ولم تنشأ العلاقة الزوجية من مودة ورحمة. ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾: إن أراد الرجل إلغاء العقد وحلّه ليس عليها عدة الطلاق. ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطها ما يجبر خاطرها، وقد جاء التفصيل في قوله تعالى: (لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ.): عليك أن تقدّم لها ما تَجْبُرُ به خاطرها، بعقدك عليها ثم طلاقك منها تكسر خاطرها ولذلك متّعها، أي: أكرمها على حسب حالك ريثما تتأهل وتتزوج. (..حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ) [1]: إن كنت من أهل الإحسان هكذا تفعل.

---

١)- سورة البقرة: الآية (٢٣٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ..﴾

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: دون تفرقة ودون خصام يجب أن تكون سموحاً. فلا تختلف معها ولا تأخذ كلّ ما أعطيتها إياه من مهر أو هدايا أو ما شابه ذلك، فلتكن معاملتك إنسانية تجبر خاطرها وتجعلها مسرورة لا مكسورة الخاطر.

٥٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾: به ﷺ وصلنَ للكمال وصارت نفوسهنَّ أجمل وأحلى ما خلق الله، وهذه الآية تعني أن زواجه ﷺ منهن جميعاً كان بأمر من الله له، ولو لم يأمره ربُّه بالزواج منهنَّ لظل على سيدتنا خديجة رضي الله عنها ولم يتزوج بعد انتقالها، لكن تطبيقاً لأمر الله وطاعة له تزوَّج منهنَّ. ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾: شرط الزواج دفع المهر والأبدية، ورسول الله ﷺ دفع المهر لهنَّ، وهذه الآية تنفي ما قيل عن زواجه من زينب رضي الله عنها من أنه لم يدفع لها مهراً. ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾: أي النصر كان بوجهه ﷺ فقط، لذلك تَزوَّج ملك اليمين ممن كنَّ زوجات زعماء أقوامهم أو بنات لهم. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾: فقط، حيث كان الإسلام بذاك الوقت ضعيفاً ولا يجوز التزوج من الكافرين وأصحاب الكتاب. ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: هذه مؤمنة عالية هامت بحب النبي وطلبت من الله هذا الطلب، ليس لها تعلّقات بجسمه الشريف، هدفها سامٍ ونيّتها عالية، والله لم يجبرها على الزواج بل جعلها مشروطة إن أرادت هي وأراد رسول الله ﷺ، هذه المرأة كلّما ذُكِر رسول الله ﷺ أمامها ثارت نفسها حباً، فالنبي كل شيء بحياتها وهو هدفها وطلبها، لذلك حقٌّ على الله سبحانه أن يحقِّق لها طلبها.

﴿..إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ..﴾

﴿ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: خالصة له فقط، لأنه ﷺ هو الوحيد الذي يستطيع أن يرقّيها بالإيمان والتقوى وغيره لا يستطيع. **﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾**: قد علمنا المؤمنين حيث وصلوا لدرجة عالية من الإيمان والتقوى فأصبحوا مع رسول الله لا ينقطعون عنه ﷺ وبهذا الحال العالي لا يتعلّقون بالأجسام، وبهذا السمو لا فتنة. **﴿مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾**: أي رُباع، أربع فقط للمؤمنين، هذا ما فرضه الله عليهم، فلا يكلِّف الله تعالى نفساً فوق طاقتها، فالطاقة البشرية كما حدَّدها ربُّ العالمين لا تستطيع أن تقوم بواجباتها لأكثر من أربع زوجات وأربعين ولداً، لأن الأب مسؤول عن تربيتهم تربية كاملة، فالمسؤولية كبيرة، والنتائج عليه خطيرة إن لم يحسن التربية "التربية الصالحة" فالنار مصيره، وإن أحسن فالجنة مأواه.

ولكن كيف تزوَّج رسول الله ﷺ بأكثر من أربع زوجات؟.

* لقد تزوّج ﷺ من **السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام** قبل الرسالة وقد بلغت من عمرها أربعين عاماً وتزيده عمراً ﷺ خمس عشرة سنة، فما تزوج غيرها إلا بعد وفاتها رضي الله عنها وكان قد تخطى الخمسين من العمر.

* أما **السيدة سودة بنت زمعة عليها السلام**، فهي لم تكن ذات قسط من الجمال أو الثروة أو المكانة الإجتماعية، وتزوج رسول الله ﷺ منها بعد أن غدت منقطعة في تلك الديار النائية من بعد أن توفِّيَ زوجها في سبيل الله وهي لن تعود لأهلها الذين كانوا لا يزالون على الكفر.

* وما تزوج **بعائشة وحفظة رضي الله عنهما** إلا توثيقاً لعرى الارتباط بين الصديق والفاروق اللذَيْن كانا له بمثابة الوزيرين.

* ولم تكن زوجه **زينب بنت خزيمة عليها السلام** حين تزوج بها ذات جمال وشباب، وإنما كانت زوجاً لعبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر فعوَّضها ﷺ عن زوجها بزواجه منها إكراماً لها، وكذا كان أهلها على الكفر.

* ولقد تزوج من **أم سلمة عليها السلام** حين استشهد زوجها في أحد فلما أمضت عدَّتها خطبها رسول الله ﷺ فاعتذرت لكثرة أبنائها وكونها تخطَّت سن الشباب، فتعهَّد لها رسول الله ﷺ بالعناية وتربية أبنائها.

* وقد كان بزواجه ﷺ من **زينب بنت جحش عليها السلام** هدم تلك الاعتبارات القديمة الخاطئة من اعتبار المتبنى كالابن في النسب وما يجره هذا الالتصاق بأفراد الأسرة من المفاسد والوقوع في الزنى وضياع الأنساب.

* وكان في زواجه من **جويرية بنت الحارث المصطلقية عليها السلام** إسلام قومها بني المصطلق بعد أن كانوا على عداء تام مع المسلمين، حتى أن أباها الحارث زعيم بني المصطلق لَمَّا علم بإكرام وفادة ابنته وهي بالأسر جاء مسلماً مذعناً لرسول الله ﷺ حتى قيل: ما كانت امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية.

* وبمصاهرته ﷺ لأهل مصر بزواجه من **ماريَّة القبطية عليها السلام** تمَّ إنقاذ الإسلام بعد ستة قرون من الفناء الحقيقي، فزواجه منها ﷺ كان فيه ربط سياسي إنساني مع النصارى. فأهل مصر كلهم أقباط ثم صار منهم المسلمون وبقي منهم الأقباط وهم الذين نهضوا لنصرة الإسلام مع الملك الظاهر.

* وسبب زواجه ﷺ من **صفيَّة عليها السلام** بنت حيي بن الأخطب "زعيم بني قريظة" لأنه لا يجوز زواج ابنة زعيم بالكفر إلا من زعيم بالإسلام إذ الإسلام يرفع شأن الإنسان.

* وكان زواجه ﷺ من **ريحانة بنت القريظة عليها السلام** التي أسلمت فأعتقها ﷺ ثم تزوجها لتوثيق عرى الارتباط مع الذين آمنوا من اليهود سادةً

﴿..لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ..﴾

وعامَّة ولتقريب وتأليف قلوب اليهود للإسلام والسلام.

* أمّا زواجه **بأم حبيبة عليها السلام بنت أبي سفيان،** كان سبباً مباشراً بإسلام أبيها زعيم قريش وبالتالي حفظ دماء القرشيين الذين آمنوا فيما بعد.

فزواجه ﷺ من زوجاته كلّهنَّ زواجٌ إنسانيٌّ ولغاياتٍ عاليةٍ إنسانيةٍ، وقد عملت زوجاته الشريفات مرشدات لنساء المؤمنين بحياته وبعد انتقاله ﷺ ولم يظلمهنَّ بزواجه لهنَّ لأنه أدخل نفوسهنَّ على الله، فعاشت بالجنات لذلك لم يخطر على بالهنَّ بعد انتقاله ﷺ بالتزوج من غيره، لأنهنَّ محصَّناتٌ بالنور والجنات والسعادة والشيء الذي ينَلْنه عن طريقه ﷺ لا ينَلْنه من شيء آخر في هذه الدنيا، إذاً فطاقاته ﷺ النفسيَّة تختلف عن طاقات البقية من بني البشر من الرجال جميعاً، وبسبب استطاعته الكبيرة هذه وطاقاته العظيمة أمره الله بالتزوج من هذا العدد للإنقاذ والإرشاد وللسير قُدماً بمركبة الإسلام في العالم أجمع.

﴿ **لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ**﴾: هؤلاء المؤمنون سَمُوا وعَلَوا بالإيمان لذلك لا يمكن أن يظنوا بك أيَّ ظن لأنهم يعرفون كمالك وسموَّك وأنك لا تتعلَّق بامرأة وتترك ربّك. ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾: شافياً رحيماً، دائماً سبحانه يرحمهم ويرقّيهم من حال لحال أعلى، فالشفاء والعطاء عليهم مستمر لا ينتهي وقد بلغوا هذه المنزلة بالدنيا.

٥١- ﴿۞ **تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾: الله سبحانه أعطى لرسوله رتبة عالية سامية لما في نفسه الشريفة من كمال، أعطاه حرية التصرّف والصلاحيّة ليمنح كل زوجة من زوجاته حسب ما تستحق، فإذا ما اشتهت إحداهنّ الكمال والأُخرى لم تشتهه، يستطيع أن يغيّر

﴿..فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ..﴾

ويبدِّل، فهي عندما تتنازل لغيرها من زوجاته ترقى والثانية تستفيد وترقى، وهذه الصلاحيَّة من الله لرسوله لما في نفسه من كمال وعلم ومعرفة بأحوالهن النفسية.

﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾: كل ذلك بأمر من الله فلا جناح عليه ﷺ بفعل ذلك. ﴿**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ**﴾: أدنى وأقرب لهن حيث بهذه التضحية يحصل لهنَّ القرب من الله وتقرّ أعينهن بالإقبال عليه سبحانه من حال لحال. ﴿**وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ**﴾: بتطبيقهنَّ أمر الله والرسول كلّهن يرضين، وذلك بالذي نَلْنَه منه ﷺ. ﴿**وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ**﴾: من كمال. ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا**﴾: بنفوسكم. ﴿**حَلِيمًا**﴾: عليكم.

٥٢ـ ﴿**لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ**﴾: من بعد نزول هذه الآية عليك، السبب لأن زوجاته الطاهرات الشريفات أصبحن كافيات لإرشاد نساء العالم، وهذه الآية دليل على أن كل شيء قام به رسول الله ﷺ كان بأمر من ربه. ﴿**وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ**﴾: في حال الطلاق أو الموت، وهذه شهادة من الله لزوجاته الطاهرات أنهنَّ أصبحن كاملات، وجاءت هذه الكلمة: ﴿**تَبَدَّلَ**﴾: ولم تأتِ: (تُبَدِّل) لأن الرسول لا يُبَدِّل الله بشيء من الدنيا، فهو ﷺ لا تعلُّق له بالنساء ولكن زوجاته هنَّ اللاتي يتقلَّبن به "رقيّاً"، وهو ﷺ يتقلَّب بربه ويقلِّبهن بالجنات من حال إلى حال.

﴿ **وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾: ولو أعجبك جمال نفوسهن من إقبالهن على الله لا يحقّ لك، وإن كنّ أهلاً للإرشاد ومؤمنات ونفوسهن أجمل من نفوس زوجاتك لكنَّهن لسْنَ أصلح منهنَّ للدلالة على الله وإرشاد نساء المؤمنين، والدليل أن هناك

﴿..إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾

أجمل منهنَّ قوله سبحانه وتعالى: (**عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا**)[١]، ولكن لماذا لم يسمح الله له بالزواج؟ السبب لأن الله تعالى مطَّلع على الآجال والمدَّة الباقية في حياته الشريفة ﷺ لن تكون كافية مع هذه الزوجة الجديدة، فرسول الله ﷺ اقترب أجله، والمدة المتبقية من حياته الشريفة غير كافية لتتخرج زوجاته الجدد من عنده مرشدات، لذلك لم يسمح الله تعالى له بالزواج، فالرسول يتزوج ليربيها ويعلّمها الدلالة على الله تعالى وهي تعلّم النساء، فالمدة غير كافية لكي يتخرجن من عنده مرشدات، ولا تكفي للتشرب القلبي المغني وانعقاد الرابطة القلبية معه إذ بعد انتقاله ﷺ لا يحق لهن الزواج من غيره وسيكون في هذا ظلم لهن لا يرضاه تعالى. علماً أن زوجاته أهليَّتهن أعلى وهنَّ كافيات للإرشاد، لذلك لم يسمح الله تعالى له بالزواج بنزول هذه الآية الكريمة.

﴿**إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ**﴾: بحالة واحدة فقط يجوز وهي إن جاءت ملك يمين من الحرب وزوجها أو أبوها كانا زعيمين وملوك قوميهما وعندها القابلية السريعة لتكون مرشدة بهذه الحالة يتزوجها الرسول ﷺ لأن الإسلام يُعزُّ ولا يُذلُّ، وهذه الآية لم تنطبق على النبي بعد نزولها وإنما انطبقت على أصحابه من بعده.

﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا**﴾: عينه سبحانه دائماً على الخلائق لا يغيب عنه شيء مما في نفسك، لكن لا يتدخل باختيارك أيها الإنسان وكل شيء مُسجَّل عنده (**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**)[٢].

---

١)- سورة التحريم: الآية .

٢)- سورة آل عمران: الآية .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ..﴾

٥٣- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: والطعام هنا ليس المقصود فيه ذلك الطعام المادي من مأكل ومشرب، فليس بيت النبي بمطعمٍ أو فندق، إنما المقصود بالطعام في الآية الكريمة الغذاء النفسي، فكما للجسم غذاء لديمومة الحياة، كذلك للنفس غذاء لتواصل الحياة القلبية وعدم الانقطاع عن الله، وهذا الغذاء تجده عند رسول الله ﷺ وفي مجالسه التي هي روضة من رياض الجنة، تُنال بها العلم والمعرفة والنعيم القلبي الذي يروي النفس ريّاً ويغنيها عن الدنيا الدنيَّة وملذَّاتها وبهرجها الزائل المنقضي المحرَّم، فهذا الغذاء القلبي عند رسول الله ﷺ دائمي لما بعد الحياة الدنيا وبه تنال الجنات والمكرمات وهو الغذاء الحقيقي الباقي للنفس.

والله يُعلِّم المؤمنين آداب الدخول على بيت رسول الله ﷺ، فالرسول لديه مشاغل وأعباء كبيرة فلا يجوز الدخول إلى بيته إلا ضمن مواعيد محدَّدة ونظام وضمن الإذن والأدب، وهذا النظام لم يكن معروفاً عند العرب في الجاهلية حتى جاء الإسلام ونزلت هذه الآية الكريمة لتعلِّم المسلمين النظام في أيام أو أوقات الدروس النظامية، كساعة حضور درس الجمعة ودرس قراءة القرآن وحفظه ووقت كتابة دروس الوحي وغيرها فبذلك يهذِّب طباعهم ويشذِّب عاداتهم ويقوِّم الاعوجاج.

﴿غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: ليكن همّك الحقائق والعلم والمعرفة ولا يكن نظرك إلى الصورة من أثاث البيت وبنائه وفرشه وزينته فهذه الأمور الشكليَّة والصور لا يعبأ بها إلا من خفَّت همَّته وضعفت عزيمته، أما أصحاب الطموح العالي فهم ينظرون إلى اللُّبِّ ويتركون القشور والسفاسف من الأمور، يفكرون ويعقلون ما

﴿..وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ..﴾

يتلى عليهم من العبر والقصص النبويّة والآيات. ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ﴾: ضمن دعوة من قبل رسول الله ﷺ وضمن الأنظمة المذكورة أعلاه للدروس. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾: أي إذا استفدت أنت ونلت مرادك وعثرت على غذائك القلبيّ وانتهى الدرس فافسح المجال لغيرك واترك المجال لرسول الله ﷺ ليتفرغ لشؤونه ومهامه الجسام الخاصّة وأمور الأزواج والأبناء، فهو رحمة للعالمين قاطبة، ويؤسِّس لبناءٍ عظيم يدوم قروناً، فلديه من المشاغل الكثرة فلا تعرقل مسيرة الأمّة بجلوسك، كما لزوجاته رضي الله عنهن لكل واحدة يوم تتشرب به العلوم والمعرفة لتكون هادية لبنات جنسها من المؤمنات.

﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾: الرسول ﷺ رحيم ولطيف وحليم يؤانسك ويلاطفك، من حنانه الشديد لا يتكلم بكلمة أو يُلمِّح بوجوب الانصراف خشية أن يُجرَحَ أحدٌ أو يُعرض فيهلك. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾: هذا الشيء يثير عليه بسببك حفيظة زوجاته بحقهن، فالوقت عند رسول الله ﷺ ثمين جداً والثانية من الزمن لها قيمة، فلا تقتل وقت النبي فهذا يؤذيه، والرسول رحيم وحليم وحنون. ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾: لا يقول لأحد انصرف خشية أن ينكسر خاطره، وبالتالي ينقطع عن رسول الله ﷺ وبذلك يكون قد انقطع عن الله لأن رسول الله هو حبل الله المتين. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: الله يبيِّن الحق ويضع النظام الكفيل بسعادة البشرية جمعاء أفراداً وأمماً ولتدوم السعادة قروناً. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: هذا قول الله تعالى الذي هو أعلم بقوانين العباد وسبل خيرهم، وهو المحبُّ الرحيم بهم يأمرهم بالحجاب ويبيِّن

﴿..ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ..﴾

حكمته لنساء الرسول ﷺ اللواتي هنَّ قدوة لنساء المؤمنين ليتبعوهن بالحجاب.

فإذا وفد وافد لبيت رسول الله ﷺ ولم يجد أحداً "لم يكن فيه سوى النساء" بيَّن الله نظام الحديث أن يكون ضمن الحاجة وأن يكون من وراء حجابٍ ساترٍ لمحاسن المرأة كلها، فلا يتلوَّث القلب بجرثوم الشهوة المهلكة، ويبقى من المرأة حديثها الذي هو من وراء حجاب، ويجب أن يكون الحديث جدّياً للغاية وحازماً. ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: لطهارة القلب من أن يتلوث بجرثوم الشهوة في حال معاينة محاسن المرأة وجمالها، فالحجاب الغاية منه سلامة القلب وطهارة النفس.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: المؤمن لا يصدر منه هذا العمل الشنيع، المؤمن حريص أشدّ الحرص على عدم مضايقة النبي وإيذائه. ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: لا يجوز لأحد من المؤمنين أن يتزوج إحدى نساء النبي من بعده. هذا لأن الزواج إنما هو رابطة نفسية كما في عقد القران: (زوجتك نفسي بنفسي لنفسك)، وبهذه الرابطة النفسية ينهض القويُّ بالضعيف إلى مدارج الإيمان، ويأخذ الرجل المؤمن بيد المرأة إلى الجنات ويشرِّبها من مشربه العالي ويغدق عليها بما أنعم الله عليه من العطاءات والجنات، فهو شفيعها ليصل بها إلى رضاء الله والجنَّات، وهكذا صنع رسول الله ﷺ من زوجاته الطاهرات داعيات إلى الله مرشدات لبنات جنسهن المؤمنات، وأنقذهن من الظلمات إلى النور، فمن هو أسبق من رسول الله ﷺ وأعلى منه حتى يأتي من بعده ويشرِّب أزواجه من التجليات الإلٓهية العظمى أكثر مما شرَّبهن رسول الله ﷺ؟!...

﴿..إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ..﴾

طبعاً لا يوجد أحد أعلى وأعظم من رسول الله ﷺ، والإسلام ليس فيه انخفاض بل دوماً للعلوِ والسموِّ والرفعة ولا يرضى بالتراجع، لذلك حُرِّم على المؤمنين الزواج من زوجات رسول الله ﷺ من بعده تحريماً على التأبيد. ﴿**إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا**﴾: مخالفته عظيمة جداً. فبعد أن كانت تأخذ من أعلى باب وأعظم نوال عن طريق سيد الرسل والأنبياء تنخفض مرتبتها وتأخذ من أحد المؤمنين! هذا لا يرضى الله به أبداً.

٥٤- ﴿**إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا**﴾: يعلم ما تخفون وما تبدون من الرضى وعدمه فلا شيء يخفى عليه سبحانه.

٥٥- ﴿**لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ**﴾: هؤلاء الذين سيذكرهم الله لا يكلمونهن من وراء حجاب ولكن في اللباس والحشمة. ﴿**فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ**﴾: آباؤهنَّ. ﴿**وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ**﴾: أولادهن. ﴿**وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ**﴾: أخوها. ﴿**وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ**﴾: أولاد الأخ. ﴿**وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ**﴾: أولاد الأخت. ﴿**وَلَا نِسَآئِهِنَّ**﴾: نساء المؤمنين فقط يجتمعن بهنَّ، أما نساء الكفار فلا يجوز لهنَّ الاجتماع معهنَّ والكشف أمامهنَّ، لأن عرض الكافرة رخيص عليها ولا قيمة له بنفسها كذلك أعراض غيرها من النساء، لذلك فهي تنقل صفاتهنَّ وتصف أشكالهنَّ لأزواجهنَّ الكفار، ولئلا يحدث هذا فتشيع الفتنة حرَّم الله على نساء المؤمنين الاجتماع بنساء الكافرين. ﴿**وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ**﴾: سمح الله للمؤمنات بالاجتماع بملك اليمين ولو كانت كافرة، السبب لأنها أسيرة وطاقاتها مكبوتة فلا يخرج منها أذى، ويجب أن تجتمع بنساء المؤمنين لتتعلم منهنَّ أمور الدين وتشاهد كمالهن فتميل بنفسها لهنَّ ولله

﴿..وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾﴾

وللرسول. ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾: لتكن غايتكن دائماً رضاء الله والعروج بأنواره وتجلياته وجناته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾: مشاهد لكم بكل شيء.

٥٦ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: المدد والنور والتجليات السامية ينبوعها حضرة الله على مهبط التجليات الإلۤهية حضرة النبي العظيم، ومنه ﷺ تنتقل إلينا من جنابه العالي الرفيع بالروحانية المحمدية العظمى.

فالله المصلي المتجلي المعطي وهو ﷺ (القاسم) بأسمى صلاة وصلة ونوال، فكن دائماً مع رسول الله ﷺ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾: أوصلوا نفوسكم به، اربطوا نفوسكم بنفسه الشريفة كي تصبحوا مع الله. فهو تعالى دائم الصلة والاتصال بالتجلّيات القدسية على النبي، فهو ﷺ باب الله ومن أتاه من غيره لا يدخل، لذا يأمرنا تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ﴾: اخضعوا لأوامره التي يبيّنها لكم عن حضرة الله. ﴿تَسۡلِيمًا﴾: تاماً مطلقاً. إذا أردت النوال والعطاء من الله تجده عند النبي، فهو الطريق إلى الله، والحياة القلبية لك من الله.

٥٧ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يتكلمون عليهم بالسوء، يتكلَّمون بما لا يليق بهم ولا بكمالهم، كمن يقول إن الله كتب على أناس الجنة ودخولها وكتب على آخرين النار ودخولها هكذا بلا سبب. ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: هؤلاء لهم البعد عن السعادة والجنات وعن الله ورسوله، ولا نصر لهم على الكفار لأنهم مثلهم بسبب ظنهم السيّئ هذا بالله ورسوله، فهم لا يستطيعون الإقبال على الله والارتباط "الاستشفاع" برسوله ﷺ. ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾: في الدنيا معذَّبون، وإن لم يتوبوا ففي الآخرة كذلك لهم عذاب مهين أمام

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾﴾

الخلائق على ما قالوا وادَّعوا به بما لا يليق بحضرة الله تعالى ورسوله ﷺ.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾: بشيء ما فعلوه واتهموهم به ظلماً [١].

﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾: احتمل فوق جرمه جرماً آخر من أثر البهتان على المؤمنين. ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾: هؤلاء مصرّون على الشَّر ومصمِّمون عليه وهذا واضح من خلال كلامهم واتِّهامهم المؤمنين.

٥٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾: الحجاب هو حجب الرؤية بالكليَّة وانعدام المشاهدة، وهذه الآية دليل واضح قاطع على أن وجه المرأة عورة ولا يرضى الشرع بكشفه وسفوره، إذ لو سمحت هذه الآية بكشف الوجه لَعُرِفن، والله يقول: ﴿.. ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ..﴾أي: لئلا يعرفن، وهذه الآية شملت حجاب نساء المؤمنين جميعاً من القمة، أي: نساء رسول الله ﷺ الطاهرات إلى كافة المؤمنات بكل زمان إلى نهاية الدوران، وهي حجّة على كل من يفتي بسفور المرأة وكشف وجهها.

---

١)- الله تعالى عادل ولابد إلا أن يكون هناك أشياء وأخطاء خفيّة على هذا المؤمن، فالمؤمن مُبتلى يُعجّل الله له العقوبة. لكن المؤمن القوي له ثقة بالله يلتجئ له فيريه ذنبه فيتوب، فإن تاب فطريق الإقبال مفتوح حيث الشفاء، عندها يُظهر تعالى براءته بين الناس، ثم يعود على أخيه الإنسان الذي تكلَّم بالسوء عليه، فيردّه عن ضلاله كما هو بدايةً كان سبباً في تنبيهه إلى ذنبه.

﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ..﴾

٦٠. ﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾: المنافقون سمعوا الحق من رسول الله ﷺ وتركوا عبادة الأصنام وساروا بالإيمان وضحُّوا، إلاّ أنهم لم يؤمنوا بالله الإيمان الحقيقي الشهودي فتراجعوا حتى وقعوا بالنفاق، وهؤلاء المنافقون صاروا بعد ضعفهم ونفاقهم يعملون ضدَّ الإسلام وضدَّ المؤمنين. ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: حبّ الدنيا وشهواتها. ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: أو ما يسمونهم الطابور الخامس، وهم الذين أشاعوا بغزوة أحد خبر مقتل رسول الله ﷺ، هؤلاء إن لم ينتهوا ويتراجعوا عن أعمالهم ضدَّ الإسلام والمؤمنين، لنأمرنَّك بحربهم. ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾: تقتلهم لا من أجل أرض ولا عرض، لذلك نصره الله عليهم وجعلهم أتقياء وأدخلهم الجنّة، هؤلاء يخافون من رسول الله ﷺ ولا يحسبون حساب أحد غيره لذلك جاء التهديد من الله إليهم بأنه ﷺ سوف يأتي لتأديبهم ولكلٍ حسب ما قام به من أعمال، فالقاتل يُقتل، والسارق تُقطع يده، والزاني يُجلد ويُنفى.

كل إنسان يُغرى بالشيء الذي بنفسه، ورسول الله ﷺ ينفتن ويُغرى بالحق بإصلاحهم وتقويم الخطأ بضربهم والقضاء على الرذيلة وإحلال الفضيلة، والحق خلاص المسلمين منهم ومن أذاهم. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: يخرجون من البلاد طرداً. وهذا ما حدث لليهود **(لا يقوم في الجزيرة العربية دينان)**.

٦١. ﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾: مبعدين عن الله ومن قِبَلكم لاستحبابهم وعمالتهم للأدنى، للكفار. ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾: كلمة الثقافة مشتقة من ثَقَفَ، أي: شَذَّب وهَذَّب وسَوَّى طباعه، والإنسان جاء للدنيا ليهيِّئ نفسه ويثقفها ويهذبها، والنفس لا تتثقَّف وتتهذّب وتتغير طباعها إلا بالإيمان بالله ورسوله، لذلك خاطب الله

﴿..أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ..﴾

المؤمنين بهذا الخطاب، أي: عندما تصبحوا أعلى منهم وذلك لا يكون إلا بالإيمان والتقوى عندها ينطبع الحق والحنان والرحمة في نفوسكم عندها تكونون قد ثقفتموهم ولكم النصر عليهم، يُقاصَصون بغية إصلاحهم وإلاّ: ﴿**أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا**﴾: حذّرهم، وهكذا حُكْم عُبّاد الأصنام والنار لأنه لا منطق لديهم، لكن هذا التهديد من الله تعالى عن طريق رسوله أفلحَ بهؤلاء المنافقين المرتدين إلى وثنيتهم، حيث من بعده تابوا وساروا بالحق وآمنوا بالله.

٦٢ـ ﴿**سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ**﴾: كل الأنبياء والمرسلين ساروا على هذا القانون الإلٰهي. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة على كرّ الدهور ومرور الأجيال أن يحيد عن سنتهم وأن يهادن المنافقين أعداء الدين بل يحاربهم بكل سلاح، إذ هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله فأنى يؤفكون. ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا**﴾: لأنه تعالى عكسهم، فهو سبحانه للإحسان وهم للإساءة، فلا مكان لهم لديه تعالى إلا في مثوى النيران. هذا الحكم قانونٌ سارٍ إلى نهاية الدوران، عُبّادَ الأصنام يُقتَلون لأنه لا منطق لديهم.

٦٣ـ ﴿**يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ**﴾: والتي بها رعب وأهوال وتصفية هؤلاء المنافقين المرجفين. ﴿**قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾: عندما تكلم رسول الله ﷺ للمؤمنين الذين آمنوا بفكرهم فقط من أجل أن ينهضوا للإيمان والتقوى، حين تكلَّم معهم عن ساعة البلاء كلُّهم تمنَّى وقوعها وبدؤوا يسألون عن وقتها، وبدلاً من أن ينقذوا أنفسهم أخذوا يسألون عنها فقط ولا يستعدّون للوقاية من بلائها. فهل أيها السائل تهيأت لتنجو من هذا الهول العظيم، وهل وصلتَ نفسك بمن هو فوق الحوادث وبه وحده الأمان عند هلاك الزمان؟ هل كسبت في إيمانك خيراً إذ لا ينفع

﴿..وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ
سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ
فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا
سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ
لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ..﴾

نفس إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل! كذلك أجابهم الرسول ﷺ: **﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾**: أيها السائل.**﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾**: ساعة موتك قد تكون قريبة قبل الهلاك العام، وأنت أيها السائل لم تؤمن، فما مصيرك عندها وماذا أعددت لها؟!.

٦٤ـ **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾**: لكلٍّ عذابٌ بسعر، على حسب ما قدَّم من عمل يجزى به.

٦٥ـ **﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾**: من آلامهم وخزيهم يخلدون إليها. **﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾**: لا يجدون من ينصرهم ويخلِّصهم مما هم فيه.

٦٦ـ **﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ﴾**: أمرنا الله بالإيمان فما آمنا، الكافر غداً يتمنى أنه لو أطاع وآمن وعمل الصالحات ليدخل الجنة. **﴿وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾**: رسول الله ﷺ بيَّن لنا كل شيء عن الله فما أطعنا وما طبَّقنا.

٦٧ـ **﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾**: هؤلاء هم السبب بعدم طاعتنا لك، سِرنا بكلامهم حتى وصلنا لهذا المصير. **﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾**: ضللنا طريق السعادة بعدم الإيمان.

٦٨ـ **﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾**: لأنهم كانوا سبب ضلالنا، لكن لكلٍّ منهم ما يناسبه وما يستحق وعلى حسب ما عمل وقدَّم.

٦٩ـ **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾**: وهم اليهود لا

﴿..فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

تكُن مثلهم، لَمَّا ذهب سيدنا موسى عليه السلام ليأتِيَ بالتوراة لبني إسرائيل جاء السامري وتكلَّم مع بني إسرائيل وغرَّر بهم وخدعهم، قال لهم إن موسى نسي أن يقول لكم أن المال ضروري فهو الذي يجعلنا أقوياء، فيجب علينا أن نعمل من أجل الحصول عليه والتنعُّم به، وبهذا القول ميّل قلوبهم لحبِّ الدنيا والمال وحوّلهم عن الوجهة للإيمان بالله والرسول، وبهذا آذى رسول الله موسى عليه السلام. وكذلك بنو إسرائيل لم يطبِّقوا بقوة عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة (..قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ) [1]. فجوابهم هذا إيذاء له عليه السلام وقولهم: (قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا..) [2] وفي هذا إيذاء له أيضاً. ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾: لما رجع سيدنا موسى إلى قومه أصلح ما خرّب السامري وثَبُتت براءته مما اتهمه به.﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾: بإيمانه وأعماله الكبرى صارت له الرفعة والوجاهة، كذلك الذين اتَّهموا رسول الله ﷺ وقالوا عنه أنه أخطأ بقضية (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ) [3] وعاتبه الله، وقصة تأبير النخل وغيرها، فقد آذوا رسول الله ﷺ بهذا القول، والله سبحانه وتعالى نفى ذلك الادِّعاء والاتِّهام عن رسوله ودافع عنه وبرّأه مما اتهموه به، فقال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [4].

كذلك الذين قالوا عن رسول الله ﷺ أنه أخطأ بأسرى بدر، فالله تعالى برَّأه من هذا الاتهام بقوله سبحانه: (لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ

١)- سورة البقرة: الآية (٦٧).

٢)- سورة الأعراف: الآية (١٢٩).

٣)- لطفاً انظر كتاب (تأويل جزء عمَّ) للعلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو "تأويل سورة عبس".

٤)- سورة القلم: الآية .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾

عَذَابٌ عَظِيمٌ) [١]، ولم يقل سبحانه لمسَّكَ، فالخطاب بهذه الآية ليس لرسول الله ﷺ وإنما للمؤمنين الجدد الذين لا يعرفون قانون الأسر [٢]. كذلك قالوا عن سيدنا آدم عليه السلام أنه عصى ربَّه، فبرَّأه الله مما قالوا بقوله تعالى: (**..فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا)** [٣]. طعنوا وشكُّوا بالرسل والأنبياء جميعاً والله برَّأهم وقال عنهم: (**..بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ)** [٤].

الذين يتكلمون بالسوء ويطعنون بالأنبياء الكرام معنى هذا أنهم طعنوا بالله، لأنه سبحانه هو الذي اختارهم. هؤلاء لسان حالهم يقول إن الله اختار أناساً ليسوا أهلاً للتبليغ والإرشاد وهاهم يخطئون. وأيُّ شكٍّ بالرسول يجعل الإنسان لا يستطيع الإقبال على الله، لأن هذا الشك حقيقته شكٌّ بالله سبحانه.

٧٠. ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**﴾: أقبلوا علي باختياركم واستنيروا بنوري بمعيّة رسولي من طرق إيمانكم وبتضحياتكم. اعملوا الخير والمعروف حتى تحصل لكم الصلة بالله وتطهر نفوسكم فتدخلوا بمعية رسول الله ﷺ على الله ويحصل لكم نورٌ ترون به الحقائق. ﴿**وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا**﴾: إن تكلَّمتم بالحقائق عن شهود ونور من الله تُسدُّ طرق الشيطان فلا يعد له مدخل عليكم. لا تتكلموا إلا بكلام الله الذي يبيّنِه لكم على لسان رسوله ﷺ، فقط تكلموا بالقرآن. قل أشهد أن لا إلَه إلا الله وأنت على ما تقول مشاهد. لا تقل زوراً أشهد، قل ناقلاً هذه

---

١)- سورة الأنفال: الآية (٦٨).

٢)- لطفاً انظر كتاب (حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين) للعلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو

٣)- سورة طه: الآية (١١٥).

٤)- سورة الأنبياء: الآية (٢٦-٢٧).

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا..﴾

الدلالة وأنت عليها بنور محمد ﷺ شهيداً تثمر لك ثماراً ليوم الدين.

٧١- ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: هذ البيان يدلُّكم على فعل الخير والمعروف. ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾: التي في نفوسكم، وما وقع منكم من آثام في الماضي الله سبحانه يشفيكم منها فلا تتذكرونها. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: كل من سار وطبَّق وجاهد بهوى نفسه وفكَّر بالكون وآمن هذا أطاع. ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾: فاز بالجنة والسعادة الأبدية. هؤلاء صحابة محمد ﷺ في كل زمان.

٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾: وما فيهن من أنفس، وما اشتملن عليه من مخلوقات. ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾: عرض الله تعالى على المخلوقات جميعها في الأزل الأمانة وهي حرية الإرادة والاختيار، عرض على هذه المخلوقات "الأنفس" أن يملِّكها الاختيار وأنه سبحانه سيخرجها من دار ليس فيها أعمال إلى الدار الدنيا لتعمل الخير والمعروف باختيارها، وبهذه الأعمال ترقى في الجنات من جنة لجنة، وبيّن الله تعالى لها خطورة الأمر إن جاءت إلى الدنيا وما استنارت بنوره ولم تعمل صالحاً فإنَّ لها النار علاجٌ ودواءٌ، فأبت النفوس حملها وخافت إلا فئة واحدة غامرت هذه المغامرة العظيمة ورضيت وعاهدت ربَّها ألا تنقطع عنه طرفة عين. ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾: تمنُّوا حملها لكن خافوا من الخسارة. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ (١): بمحض إرادته لم يجبره

---

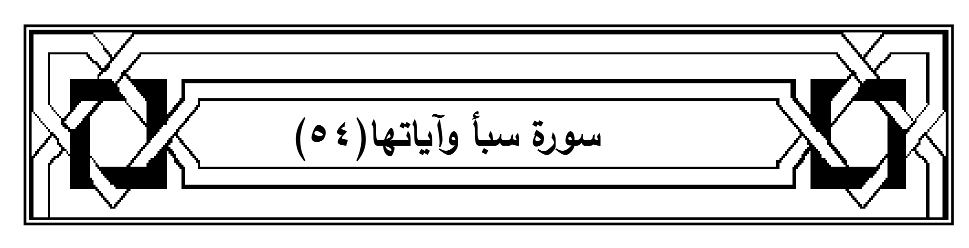
١)- كلمة الإنسان: تتضمن كِلا الإنس والجان، لأن كلمة إنسان تعني كل من استأنس بالله واتصل به، فكان الجن الذي حمل الأمانة متصلاً مستأنساً بالله، فالجن حين حملهم الأمانة تشملهم كلمة إنسان فهم المكلفون وكانوا عند حمل الأمانة صادقين بعهدهم مع الله، ألا ينقطعوا عنه تعالى وعن نوره.

﴿...وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾

أحد، كذلك الجن حملوها.﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾: هذه الآية لا تعني إثبات الظلم والجهل للإنسان، إنما هي كلمة مدح وإكبار، وقد جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري محذوفة أداته زيادة في تقرير المعنى المراد، وإنها تقول: أكان الإنسان ظالماً لنفسه بعهده هذا مع ربه وقبوله الاختيار؟ وهل كان جاهلاً ما وراء حمل الأمانة من الجنّات؟ أم أنه عرف ما وراء ذلك من سعادة لا تتناهى فتقدَّم وغامر وكان بذلك أكرم المخلوقات؟ لا لم يكن ظالماً لنفسه لأنه عرف ما وراء حملها من سعادة وجنات لا تتناهى وعلو منزلته بين جميع الكائنات.

٧٣- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾: الذين ظنوا بالله ورسوله ظن السوء، ظنهم السوء هذا أوصلهم إلى الإشراك بالله، وهذا الشرك جعلهم يقعون بالسوء والأعمال المنحطة. ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾: دوماً يفرّغ لهم إعراضهم لعل ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: على من آمن وأقبل فيشفيه ويعطيه، يرجع عليهم بالخيرات. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾: لكل من سار بالحق، فكَّر وآمن وعمل صالحاً، يغفر له ويرحمه.

والحمد لله ربّ العالمين



سورة سبأ وآياتها(٥٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا.. ﴾

١ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: يُحمد على كل فعل وعطاء، فعن حضرة الله لا يصدر إلا كل خير، فهو سبحانه لا يعامل الخلق إلا بأسمائه الحسنى. ﴿لِلَّهِ ﴾:المسيّر لخلقه المطاع في كل شيء، فهو سبحانه المسيّر للإنسان لكن حسب اختياره وبالحق وبالاستحقاق، ومسيّر الخلق كافة. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كل ما في السماوات وما في الأرض عائد له بالتسيير والإمداد وجميع الخلق راجع إليه سبحانه بالتربية. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: حين ينكشف الأمر، في الآخرة الكل يحمد الله على ما ساق لهم وأعطاهم وما أعدَّ لهم من جنة أو نار. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: كل ما يسوقه الله لك أيها الإنسان فهو محكم وكامل ومناسب لك، حَكَم به لأجل شفاء نفسك مما فيها من أدران، فهو سبحانه طبيبها، يسوق لك ما يسوقه لينقذك من النار وتدخل الجنات. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بكلِّ الكون وبك أيها الإنسان. خبير بالأنفس ويعلم كل تقلُّباتها ويعاملها حسب المناسب وبما فيه خيرها وسعادتها.

٢ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من ماء ونبات. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: أيضاً من ماء ونبات. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: المطر. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: من بخار الماء، فكل ما يجري في الكون بعلمه سبحانه.

﴿..وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾

كذلك نحن أرسلنا الله لهذه الدنيا لتعود نفوسنا إليه وتستوطن به سبحانه وترتع في جناته السرمدية، لكن من الناس من ولجت نفوسهم في الأرض واستوطنت بها وبملاذِّها، ومنهم من فكر وآمن وخرجت نفسه من الدنيا إلى الله سبحانه، كذلك أنزل الله من سماواته العلا نفوس الرسل والأنبياء الكرام لينقذوا الناس ويرفعوهم إلى الله، فآمن بهم أصحابهم واتّقوا وعرجت نفوسهم بسماواتهم العليَّة.

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾: بالمؤمنين. ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾: يغفر لهم ما في أنفسهم من علل وأمراض ليدخلوا الجنة، الذين ساروا بالتفكير هؤلاء شفاء نفوسهم بالرحمة والحنان والعطاء لا بالمصائب والعلاجات وليس لهم من الله إلا الإكرام، لذلك تقدَّم بهذه الآية الكريمة اسم الله الرحيم على اسمه الغفور على خلاف ما ورد ذكره بغيرها من آيات القرآن الكريم وفق الترتيب: الغفور الرحيم.

٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين ما آمنوا قالوا: ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: أنكروا القيامة والبعث والحساب. ﴿قُلۡ﴾: لهم يا محمَّد، رَدَّ عليهم صلى الله عليه وسلم.﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾: لابد منها. ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: بإقبالي على ربي سبحانه وتعالى أشهدني يوم القيامة والآخرة وما فيها من جنات للمؤمنين ونارٍ للعاصين، وكل ما هو غائب عنكم الآن أنا أعلمه، فما أقوله لكم وأخبركم به هو عن شهود ويقين ولابدَّ لكم أن تصلوا إليه. ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾: علمي من الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء، فهو سبحانه أراني وأشهدني وعلَّمني هذه العلوم. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾: مكتوب على كل ذرة أين وجهتها إذا صار البعث، كالجنود

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٞ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾

إذا صوّت البوق.

٤- ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: كل واحد وعمله راجع عليه، هؤلاء بالدنيا عملوا الصالحات فلا بد أن يجزيهم الله على أعمالهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ﴾: شفاء لنفوسهم. ﴿وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾: عطاء عظيم القدر، نقي.

٥- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾: يجادلون دون رغبة في الحق. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٞ﴾: عذاب متواصل دنيا وآخرة، بالدنيا شقاء وبالآخرة ليس لهم إلا جهنم والنار عليهم متزايدة مستمرة.

٦- ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: العلم بلا إلٰه إلا الله، وأسمائه الحسنى. ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: يرون ما يدلهم الرسول عليه فيه الخير والسعادة، فلقد حَلُّوا بها "الآيات" وعاشوا بجناتها ونعيمها. هؤلاء يعلمون ترابط الآيات ويفقهون معانيها. ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: بتطبيقهم لكلام الله آمنوا ونالوا كمالاً منه سبحانه فحسنت أعمالهم وعلموا أن ما أنزله الله على رسوله ﷺ يوصل إلى طريق الإنسانية والسعادة، فحمدوا الله الذي أوصلهم للصراط المستقيم "رسول الله ﷺ" فهو الطريق لهم إلى الله، وهو ﷺ الذي يوصلهم إلى الجنات.

٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يستهزئون. ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تناثرت رفاتكم. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٖ جَدِيدٍ﴾: يدَّعي أنه سيعاد

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

خلقنا مرة ثانية بعد أن نصبح تراباً. قالوا هذا لأنهم ما آمنوا، هؤلاء فقط يؤمنون بالمحسوس والملموس أي بالمادة بهذه الدنيا فقط وينكرون ما وراءها من حقائق.

٨ ـ ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كل الخلق تعترف أن هناك خالقاً، لكن حيث ما آمنوا بلا إله إلا الله لم يحصل لهم نورٌ من الله ليروا به الحقائق، لذلك كذَّبوا وأنكروا أن يكون بيانه ﷺ من عند الله. ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾: مُرْتَجٌّ عليه الحق. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: الذين ما فكروا بالموت لتتيقن نفوسهم من فراق الدنيا وتخاف فيؤمنوا بما بعد هذه الدنيا، هؤلاء لو فكروا بالموت لما أنكروا واستهزؤوا، بل لخافوا، عندها يستطيعون التفكير بالكون للوصول إلى الإيمان بلا إله إلا الله، لكن بسبب عدم تفكيرهم أوقعوا أنفسهم بالشقاء، فهم: ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: دائماً مُنغَّصون ومُعذَّبون بدنياهم وبالشقاء والإجرام، وغداً بالآخرة ليس لهم إلا عذاب النار بسبب ما قاموا به من أعمال سيئة. ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: بعيدون عن السعادة.

٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أفلا يفكرون بما يرون من الخلق من يصرِّفها؟. وكل هذا من أجلهم رحمة بهم وحناناً عليهم ليلتفتوا إلينا ويسعدوا، ألا يدل هذا على أنَّنا:﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾: تنشق.﴿ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾: بالزلازل. ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: عذاباً. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: فما حالهم ساعتها، وهل من أحد يستطيع أن يخلِّصهم مما حلَّ بهم إلا الله؟. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لهم دالَّة على رحمتنا وحناننا وقوتنا. ﴿لِّكُلِّ

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ..﴾

عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: يعتبرُ المنيبُ الراجعُ إلى الله بهذه الآيات التي في هذا الكون.

١٠ـ انظر أيها الإنسان إلى ما يعامل الله تعالى به المؤمنين الطائعين وانظروا إلى ما نالوا من ربِّهم من كمال خرجوا به للناس﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾: هؤلاء نالوا بفضل تفكيرهم وإيمانهم فضلاً وأصبحوا أئمة. ﴿يَـٰجِبَالُ﴾: فيا علماء بني إسرائيل، كبار القوم ورؤساؤهم، وهم الذين صار لهم رابطة قلبية بسيدنا داود ﷺ. ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾: أوبوا الخلق وأرشدوهم إلى الله بمعيته ﷺ. ﴿وَٱلطَّيْرَ ﴾: ويا صغار المؤمنين، صغار الناس وعامَّتهم، كذلك افعلوا. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: ليصنع ما يحتاجه من معدات للحرب وغيرها.

١١ـ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾: "الدروع للحرب" لتقي المقاتلين ضربات العدو، وهي زرد من الحديد يلبسه المقاتل، رسول الله ﷺ كان يرتدي درعين بدل الواحد لأنه ﷺ قدوة، فلئلا يأتي من بعده أحدٌ ويقول رسول الله ﷺ لم يرتدِ الدرع وأنا كذلك سنَّةً واقتداءً برسول الله لا أرتدي، فرسول الله ﷺ رغم أنه ممنوع ليس لأحد عليه من سلطان ولا أحد يستطيع مسّه أو لمسه بأذى وضرر، رغم ذلك كان يرتدي الدرعين لأنه ﷺ هو القدوة. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: حدّد العدد والطول ليكون اللباس متناسباً، كذلك في القتال كان سيدنا داود يضع الخطط الحربية ويحدد لكل مقاتل مكانه وما يجب عليه القيام به. ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾: يا عبادي. ﴿صَـٰلِحًا﴾: اعملوا الصالحات. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: مشاهد عملكم وممدُّكم بالقوة والنصر وستُجزون عليه بالجنات.

١٢ـ ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: كذلك أعطينا سليمان إمرة الريح، فكانت تحمله

﴿..غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ ..﴾

وتحمل جيشه إلى المكان الذي كان يريد الذهاب إليه. ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾: كانت الريح تنقله في برهة الصباح، أي: في فترة لا تزيد عن ساعةٍ مسافةً لو أراد أن يمشيها الإنسان على قدميه لاحتاج إلى شهر. ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾: النحاس الذائب، سهَّلنا له صناعته والاستفادة منه لصناعة الأدوات والأسلحة اللازمة. ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾: وقد سخَّر تعالى لسيدنا سليمان الجنَّ أيضاً يستعين بهم في صنع الأسلحة وبناء الأبنية وصنع القدور الكبيرة لطعام الجند، الفرق بين الجن والإنس أن الأول نفسه لابسة جسده والثاني جسده لابس نفسه، ولكن في زمن سيدنا سليمان عليه السلام ظهروا بأجسامهم يغدون ويروحون إلى أعمالهم مثل الإنس تماماً ولا فرق في ذلك الزمان بالهيئة، وهم يعملون أعمالاً ظاهرة بالمادة وهذا خاصٌّ بزمنه عليه السلام، ومن بعده ليس لهم تأثير على المادة إطلاقاً. فلكلٍّ من الإنس والجن جعل الله له ما يناسب من ترتيب وحسب قدراتهم النفسية وما كمن فيها، فالطالب في المرحلة الابتدائية يضعون له في المدرسة الألعاب وفي كتبه الصور، أما طالب الجامعة فلا شيء له من هذا. فالإنس أقوى من الجن [١] لذلك جعل أجسامهم لابسة لأنفسهم أما الجن فلضعفهم أمام الشهوات والفتن جعل لهم هذا الترتيب ليُخرِجوا ما فيهم ثم بعدها يلتفتون للإيمان، وقد سخَّر الله سبحانه لهذا الرسول الكريم بسبب نواياه العالية شياطين الجن، وكان ﷺ يأمرهم بصناعة الأدوات والأسلحة وفي أعمال البناء، كل هذا ليُشغلهم بالخير عن فعل الشر.

١)- أقوى في القدرات والملكات الفكرية والإمكانيات والطاقات النفسية.

﴿..وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ..﴾

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أمر سليمان لهم قاهر، لا يُخالف. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فلكلِّ واحدٍ منهم عذابٌ بسعر، أي على قدر ما شذَّ وفعل.

١٣- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: للحرب التي كان يقوم بها سيدنا سليمان لرد الناس إلى الحق. يصنعون له السلاح لمحاربة العدو. ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: أدوات مماثلة لما لدى العدو لئلا ينسبوا أسباب النصر عليهم للسلاح ويقولوا لو أننا نملك ما يملك سليمان من سلاح لانتصرنا عليه. ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾: صحون طعام عميقة يوضع فيها طعام الجند. ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: للطبخ، أوانٍ كبيرة يُطبَخ فيها الطعام للجند، وهكذا فما من مطلب طلبه هذا الرسول الكريم مما فيه معونة على نشر الحق إلا وأعطاه الله إياه (. ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: برابطتهم بسيدنا داود عليه السلام أصبحوا يُؤَوِّبون الخلقَ إلى الله لإخراجهم من الظلمات إلى النور. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: وهم الذين رغبوا في اقتفاء منهاج الرسول بغية ردِّ الخلق إلى الحق، وكما أخرجهم رسول الله ﷺ من الظلمات إلى النور، فهم أيضاً عازمون على إخراج إخوانهم وأخواتهم من نسب أبيهم آدم وأمِّهم حواء عليهما السلام، وهؤلاء هم الأقلة المصطفاة.

١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: سيدنا سليمان لمّا جاءه الموت كان جالساً مطرقاً برأسه متكئاً على منسأته "أي عصاه وسميت منسأة لأنها أخَّرت ظهور نبأ وفاته"..

﴿..فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ..﴾

فلما قُبضَ ظلَّ على هذا الحال حيناً، وكان قد كلَّف الجن أن يقوموا بأعمال فاستمروا ينجزونها وهم لا يدرون بموته. وقد مضى على هذا الرسول حينٌ من الدهر وهو على هيئة الجالس، يحسبه الرائي نائماً أو مطرقاً مفكّراً، ولهيبته في القلوب ما كان يجرؤ أحدٌ على إيقاظه فلمّا تقادم الزمن عليه جعلت دابة الأرض "السوس" تأكل عصاه إلى أن أصبحت ضعيفةً واهيةً لا تقوى على حمل جسده الشريف، هنالك خرّ جسده الشريف على الأرض وظهر أمر موته عليه السلام. ﴿**فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ**﴾: عندها تبيَّنت الجن واكتشفت أمر موته عليه السلام، ويكون ما نفهمه من كلمة: ﴿**..تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ..**﴾: أي: ظهر أمر الجن أنهم لا يعلمون الغيب، فلا تؤمن أيها الإنسان بالجن وسحرها وعلمها. وانكشفت حقيقة هذا النوع من المخلوقات للناس وأنهم كغيرهم من المخلوقات، وبهذا يريد تعالى أن ينبِّهنا إلى عدم الاعتزاز بقول السحرة والمنجمين الذين يدَّعون معرفة الغيب بواسطة الجن: (**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ..**) (١).

﴿ **أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ مَا ٱلْغَيْبَ لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ**﴾: لما لبثوا يقومون بما كلَّفهم به سيدنا سليمان عليه السلام من الأعمال الشّاقة رجاء أن يثوبوا إلى رشدهم وينقادوا إليه فيهتدوا بهديه ويسيروا في طريق الحق.

١٥- انظر أيها الإنسان لقوم لم يتفكَّروا ولم يؤمنوا ما حل بهم؟. ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ**﴾: وهي مدينة في اليمن سُمِّيت سبأ لحسنها ولجمالها، فقد كانت تسبي وتأخذ عقول الناظرين إليها. ﴿**فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ**﴾: كانت تسمى اليمن السعيد.

---

١)- سورة النمل: الآية (٦٥).

﴿..جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿جَنَّتَانِ﴾: لمّا كانوا سائرين بأمر الله وطاعته، جعل الله تعالى لهم هذا الخير والفضل والعطاء. ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: كمثل مدينة دمشق فهي مقسومة إلى غوطتين: الغوطة الشرقية والغوطة الغربية بِكِلْتيهما أشجار مثمرة وأنهار. ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾: اعملوا الخير والمعروف. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: كانوا أهل خير والله قد غمرهم بفضله وإحسانه وخيراته.

١٦- ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾: أنكروا نعمة الله واستغشوا ثيابهم؛ نواياهم السيئة لبست نفوسهم لذلك أعرضوا عن رسولهم والتهوا بالدنيا. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾: فاضت الأنهار وسالت عليهم، عمَّهم البلاء وعرَّاهم مما هم فيه من خيرات وذهبت عنهم حضارتهم وانهارت. ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: أصبحت أراضيهم ذات ثمر حامض، فبعد أن صارت نباتاتهم ومزروعاتهم تسقى بالماء الآسن أصبح لا طعم لها ولا رائحة، من بعد أن كانت زكية تسقى بمياه عذبة.﴿ وَأَثْلٍ﴾: نباتات صحراوية قليلة. ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: نبات نافع. الحادثة في هذه الآية تتكلم عن انهيار سد مأرب في اليمن(١) وأن أهل اليمن لمَّا كانوا سائرين بطاعة الله جعل الله لهم بلادهم جنتين، لكن حين كفروا وأعرضوا أرسل الله عليهم البلاء.

١)- وقد ذُكر بكتب التاريخ أن سبب انهيار هذا السد العظيم فأرٌ استطاع خرق السد فهدمه وانهار عليهم، ونتيجة هذا الانهيار خرجت الهجرات السامية منها، والحقيقة هذا الكلام غير صحيح، فالفأر لا يستطيع خرق سد عظيم كسد مأرب وما فيه من صخور وأحجار كبيرة، ونحن نعلم أن بكل السدود

﴿..ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ..﴾

١٧- ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾: سبب هذا البلاء معاصيهم وكفرهم وإنكارهم نعم الله عليهم. ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾: لمَّا ما ساروا بالحق واستحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة ضيَّق الله تعالى وشدَّد عليهم بأنواع من الشدائد ليرجعوا للحق، ولمَّا ما رجعوا للحق وما تابوا انهارت سدودهم وجاءهم البلاء رحمة من الله بهم. وبعد هذا البلاء وهذه الشدة هاجروا إلى المدينة المنوَّرة واستوطنوا بها واستفادوا من هذا الدرس وتلك المصيبة، وحين جاءهم رسول الله محمد ﷺ وسمعوا منه القرآن عرفوا أنه الحق وآمنوا به، وقد ذكر الله تلك الحادثة وأمر رسوله أن يذكرها لأصحابه، قال تعالى:(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ..): الله سبحانه لم يذكر اسم القرية لأنها معروفة عند أصحاب رسول الله. (..كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ..): عندما كانوا سائرين بالحق ومطبقين أمر الله. (..يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ..): لا يوجد أمة متروكة، سمعوا كلامه وما طبقوا. (..فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣)[1]: ظلموا أنفسهم بعدم اتباعهم له.

١٨- ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾:كانت البيوت في القرى مثل بعضها البعض ولا تمييز بينها. ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾: لا يتعب المسافر ولا يعطش ولا يجوع. رحمة

هنالك فتحات داخل السد لتصريف ما هو زائد من المياه، وإذا انهار أحد السدود التي بزمننا، هل تُهجر البلاد بلا رجعة؟!.

١)- سورة النحل: الآية (١١٢-١١٣).

﴿.. سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ..﴾

بهم فلا مسافات طويلة بين بعضها.

١٩. ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾: لا نريد هذا الفضل الذي يأتينا عن طريق الرسول. الإنسان بالأسفار يكشف عوالم جديدة وعجائب وغرائب، وهؤلاء قالوا باعد بين أسفارنا أي: كشوفاتنا، فهم لا يريدون كشوفات أخروية من الله عن طريق رسولهم [1] حيث أصرُّوا على حبِّ الدنيا ولم يريدوا الله ورسوله، بل يريدون كشوفاتهم الدنيوية من اختراعات وحضارة وغيرها، فالله سبحانه يريد أن يكشف لهم الآخرة وما فيها من جنات وسعادة وهم لا يريدونها، وقولهم هذا ليس بألسنتهم ولكن أعمالهم السيئة تدلُّ على قولهم وإنكارهم للآخرة. ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: ظلموها بكفرهم بالله وعدم طاعتهم لرسول الله وعدم إيمانهم. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾: يتحدث بأمرهم الناس. ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾: دالَّة على رحمة الله وحنانه وحرصه على هداية الناس. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾: صابر على نفسه وعلى غيره. ﴿شَكُورٖ﴾: مقبل على الله لا يعمل إلا الخير والإحسان.

٢٠. ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾: بقوله لأغوينهم أجمعين. ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾: ساروا بأمره، ساروا بالانحطاط من الشهوات والإجرام. ﴿إِلَّا فَرِيقٗا

١)- خلق الله تعالى النفس لتنال الجنان وتعرج في صلاتها به تعالى من حال إلى حالٍ أعلى في شهود وارتقاء وسياحة عُلويّة بمعية رسوله الكريم ﷺ، فرسول الله ﷺ نقل الصحابة الكرام إلى هذه المراتب العالية وهم بدورهم نقلوا الأمم لهذه الأحوال العالية والمراتب الرفيعة، فالناظر بالعين المادية هالك والناظر بالنور المحمَّدي مالك لما يشاهد من تجليات الله تعالى.

﴿..إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ..﴾

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هؤلاء بسبب إيمانهم كسبوا كمالاً من الله فما ساروا مع إبليس.

٢١- **﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾**: لا فعل للشيطان، هو فقط دعاهم وهم استجابوا له وساروا معه لِما في أنفسهم من خبث. **﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾**: فإبليس كاشف لحقيقة نفوس الناس، فعندما يسلِّطه الله تعالى على الناس، يبيِّن الله سبحانه ويكشف لهم حالهم وما هم عليه من ضلال لئلا يُخدعوا ويظنوا بأنفسهم خيراً وأنهم من أصحاب الجنة. **﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾**: حافظ لأقوالهم وأعمالهم.

٢٢- **﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾**: الشركاء الذين أشركتم بهم مع الله وتظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة، هؤلاء: **﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾**: ليس لهم فعل وتسيير لأي شيء في هذا الكون لا صغيراً ولا كبيراً، هل هم الذين يسيّرون الشمس والقمر والنجوم؟ أم هم الذين يأتون بالطعام وبالهواء ويسيّرونه، هل لهم يد في تسيير الليل والنهار ودوران الأرض. **﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾**: لا يستطيعون نصر أحد منكم وأنتم كذلك لا تستطيعون نصرهم، فلا فعل لغيره سبحانه.

٢٣- **﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾**: محبة الرسول أو المرشد الكامل من بعده ﷺ لا تكون إلا بعد استقامة وكمال. **﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾**: ساعة الموت وبما فيها من آلام وأهوال وعذاب بهذه الساعة يفزَّع عن

﴿..رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾..﴾

قلوبهم أي يذهب الشيطان عنهم. ﴿قَالُواْ﴾: قال لهم الملك في القبر. ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾: وهذه الآية دليل على سؤال الملائكة للإنسان بالقبر، ولا يكون السؤال إلا بالقبر وليس حين الموت لأن الميّت قبل أن يُدفن في القبر يبقى مشغولاً بمن حوله، والمشغول لا يشغل ولا أحد يسأله، أما حين يُدفن ويُصبح وحيداً في القبر تأتي الملائكة وتسأله، وسؤال الملائكة رحمة من الله بهم حتى يتخلَّصوا من الحال الصعب الذي هم عليه. ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾: وهذا مصير النفوس التي انغمست بالدنيا وركبها الشيطان فهي والحالة هذه لا تستطيع سماع الحق، ولكن لمَّا يأتِ الموت يفرّ الشيطان فتسمع الحق. عندها يعرفون ما جاء به رسل الله من الحق عن ربهم، ويشاهدون حقائق أعمالهم وما جرّته لهم في قبرهم وما ستجرُّه عليهم في الآخرة من نار. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾: يعلمون عندها أنهم خسروا مشاهداتهم العَليَّة الكبيرة لحضرة الله.

٢٤ـ ﴿۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: من ينزل الأمطار ويخرج الأثمار!. ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: هل من أحد غيره سبحانه؟! المسيّر للشمس والغيوم والهواء والأرض، أليس هو الذي يخرج لكم خيرات السماء والأرض؟. ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: أعملنا واحد؟ هل أعمالنا مثل أعمالكم؟.

٢٥ـ ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا..﴾: كما ادَّعيتم. يدعي الكفار أن الرسول ﷺ وصحبه الكرام يحرمون أنفسهم الخيرات وملذات الدنيا ومتعها فهم بهذا الحرمان قد حرموا أنفسهم من الملذات أي مجرمون، قالوا هذا لأن منظارهم أصبح معكوساً. ﴿.. وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: فلكلٍّ عمله.

﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً..﴾

٢٦ـ ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾: يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا﴾: يحكم.﴿ بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: يعلم كل إنسان وما يستحق.

٢٧ـ ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ..﴾: الذين جعلتم لهم فعلاً مع الله، أروني هل لهم من فعل بهذا الكون؟. هل لهم تدخُّل بدوران الأرض وسير الشمس والقمر؟ ﴿..كَلَّا..﴾: لا فعل لهم بشيء، وهم جميعاً كَلٌّ على الكون محتاجون إليه في الطعام والشراب والهواء وكل متطلباتهم. ﴿.. بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ..﴾: كل الخير والتسيير والإمداد بالتربية منه سبحانه فقط وليس لأحد فعل ولا فضل بهذا الكون سواه. ﴿..ٱلۡحَكِيمُ﴾: بفعله مع خلقه.

٢٨ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: أرسلناك للناس جميعاً حتى تكفّهم عن الدنيا وشهواتها إلى منبع السعادة والخير. ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمن بالجنة، تبشِره بها إن آمن بالله. ﴿وَنَذِيرًا﴾: للمعرض الكافر، تبيّن له ما سيكون حاله حين الموت وما سيحل فيه بالآخرة من آلامٍ وشقاءٍ ونار إن لم يؤمن بالله. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: هذا الخير الذي يأتيهم منك.

٢٩ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾: بعد كل ما بيَّنْتَه لهم من حقٍّ ومنطقٍ. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أَنذَرَهم ﷺ وحَذَّرَهم من الهلاك إن لم يتوبوا وبيَّن لهم كلَّ شيء، فبدل أن يؤمنوا كذَّبوا به وأنكروا وقالوا متى هذا الوعد إن كنت صادقاً.

٣٠ـ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾: لكم آجالكم. ﴿لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا

﴿..وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾: متى استحقيتم الهلاك يأتيكم.

٣١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..﴾: الذين ما فكَّروا تكبَّروا على رسول الله لذلك قالوا: ﴿.. لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ..﴾: مهما كلَّمتنا به لا نؤمن لك. ﴿.. وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ..﴾: هذا ما كان يثير بكاء ونحيب رسول الله ﷺ، أنت لو ترى ما أنزلوا بأنفسهم من تعسٍ وشقاءٍ وحرمان. ﴿..إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ..﴾: لا يتقدمون ولا يتأخرون وهم مشاهدون الخسارة العظمى الدائمة.. ما أصعب حاله في هذا الموقف!. ﴿..عِندَ رَبِّهِمْ..﴾: للسؤال والحساب. وقد شاهدوا ما أكرمهم به تعالى، ولؤمهم المتمادي بإصرار على العمى المتعمد من قبلهم، والرحمة طيلة حياتهم من قبل الله. ﴿.. يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ..﴾: يقول الضعفاء لأسيادهم الذين ساروا معهم بالدنيا وأطاعوهم. ﴿.. لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا أن أطعناكم وسرنا بكلامكم لكنَّا آمنَّا بالذي سمعنا من رسل الله، ولَمَا صرنا إلى هذا الحال.

٣٢- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: الشركاء الذين استعلوا على غيرهم بما كان لهم من شأن دنيوي. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ﴾: للذين ساروا معهم. ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾: هل نحن صددناكم من أن تؤمنوا؟!. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾: الحق على لسان رسول الله. ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: لا، نحن لا علاقة لنا بهذا، ما صددناكم بل كنتم أنتم مجرمين لا خير ولا كمال فيكم، لذلك لحقتم بنا فلوموا أنفسكم ولا تلومونا،

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا ..﴾

كنتم بالدنيا تنتظرون كلمة باطل كي تسيروا في الضلال حسب ما في نفوسكم من شهوات. إذن فلا حجَّة لأحدٍ غداً ولا عذر له فكلٌّ يسير ويعمل على حسب ما أوعى هو في نفسه، فآمن أيها الإنسان بالله ليشفي الله نفسك من الخبث ويبدله بكمال وفضيلة فتعمل بكمالك الخير والصالحات.

٣٣- ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ**﴾: الذين اتَّبعوا غيرهم واتَّخذوهم أدلاَّء وأولياء، ولم يتخذوا الله ورسوله أولياء. ﴿**لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ**﴾: ساداتهم الذين استكبروا عليهم. ﴿**بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ**﴾: كحال الدنيا الآن. ﴿**إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ**﴾: مكرتم ودبَّرتم لنكفر بالله ونشرك به. ﴿**وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗا**﴾: مماثلين له. ﴿**وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ**﴾: الطرفان، على ما فرَّطوا وخسروا من فضلٍ وجنات. ﴿ **لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ**﴾: لمَّا شاهدوا ما سيحل بهم. ﴿**وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: أعمالهم السيِّئة بادية أمامهم تمنعهم من الإقبال على الله ونوال جناته. ﴿**هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ**﴾: كل واحد وعمله راجع عليه فلا ظلم.

٣٤- ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ**﴾: نبي، رسول ينذرهم ويحذِّرهم من عاقبة أعمالهم وعدم السير بالحق. ﴿**إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ**﴾: أهل الترف الذين امتلأت قلوبهم خبثاً وشهوات. ﴿**إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ**﴾: خوفاً على دنياهم كفروا وكذَّبوا الرسل.

٣٥- ﴿**وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا**﴾: اعتزُّوا بما لديهم من مالٍ وولدٍ وقوة، لذلك كذَّبوا رسلهم وما ساروا معهم بالحق. ﴿**وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾: كما

﴿..وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ..﴾

تقولون، أنكروا الآخرة والحساب والعقاب.

٣٦ـــ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: للإنسان الاختيار، والله سبحانه يعطي كل إنسان ما يشاء ويختار، فكل من شاء وطلب يعطيه. ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: بمقدار ما يناسبه وبقدر ما بنفسه يعطيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: لجهلهم بأفعال الله. ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾: الحكمة من هذا المنع والعطاء.

٣٧ـ ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾: أعطاك الله تعالى المال لتفعل به الخير والمعروف، كذلك الولد بالتربية الصالحة هو بميزان أبيه، إن لم تفعل الخير بالمال والبنين لن يفيداك شيئاً ولا يقرباك زلفاً من الله، فهما والحالة هذه يزيدان البعد والحُجُبَ بين العبد وربه. ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: هذا كسب بنفسه خيراً عظيماً، حيث بإيمانه وتقواه نال من الله كمالاً يفيض به أعمالاً صالحةً، وبهذه الأعمال يرقى ويزداد قرباً من الله ويعلو مقامه وترتفع منزلته عند الله سبحانه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾: يكون الجزاء على العمل الصالح عطاءً غير محدود، والضعف هنا تعني مضاعفة الجزاء من ضعف إلى ضعف بزيادة لا نهاية لها، وكرمه تعالى أكبر وأكبر يضاعف الأجر أضعافاً لا حدّ لها، والله ذو الفضل العظيم. ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾: خلقنا الله لعمل الخير والمعروف ولهذا أخرجنا للدنيا، حيث بالعمل الصالح ندخل الجنة. (..ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) [1]. ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾: في الجنة يغرفون

١)- سورة النحل: الآية(٣٢).

﴿..وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي
ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ
لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ
وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا
يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا..﴾

بنفوسهم من التجلي الإلٰهي والعطاءات الإلٰهية.﴿ ءَامِنُونَ﴾: لا شيء يخرجهم عن السعادة فلا كدر ولا هَمَّ ولا شقاء يُصيبهم.

٣٨ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: الدالَّة على الله. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: لخبث نفوسهم يسعون لردِّ الحق. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ﴾: في النار. ﴿مُحۡضَرُونَ﴾: من قبل الملائكة، مَثَلهم كالمجرم حين يُحضره الشرطي.

٣٩ـ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: لا يُنقِص عليهم شيئاً، يعطيهم ويفيض عليهم ليفعلوا الخير وينالوا الجنات. ﴿وَيَقۡدِرُ لَهُۥ﴾: حسب المناسب. ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾: يعيده عليكم أضعافاً مضاعفة. ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: لهذا خلقك، لتنفق وتعمل ويعطيك خير الآخرة وجناتها.

٤٠ـ ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾: يوم القيامة يجمع الله الخلق جميعاً. ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾: بوحيٍ منكم وإلهامٍ كانوا يتَّبعون الضلالة. فتجيب الملائكة:

٤١ـ ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾: يطيعونهم. ﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾: لخبث نفوسهم لحقوا شياطين الجن وأطاعوهم وظنُّوهم ملائكة، فقادوهم للمعاصي والمخالفات.

٤٢ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ﴾: شياطين الجن وشياطين الإنس.

﴿..وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: الحكم لله، ما يراه مناسباً يجريه وليس لأحدٍ فعل سواه سبحانه. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أنفسهم، لأنهم ما آمنوا بالله ولا أطاعوا رسوله. ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: بالدنيا.

٤٣- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: إذا شهد لهم رسول الله ﷺ عن بداية خلقهم والمربي لهم ومسيِّرهم، فلقد جاءهم من ربِّه بما لم يأت بمثله أحد من العالمين، دلَّهم على الإيمان والتفكير ببدايتهم كيف كانوا نطفة، إن فكروا كما دلّهم استعظموا وأشهدهم ﷺ "السراج المنير" بنوره بدايتهم وصاروا مؤمنين، وصار لهم منه تعالى نور وبصيرة يرون بها الحق حقاً والباطل باطلاً، لكنهم بدل أن يفكروا ببيانه العالي: ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾: كباقي الرجال فلا ميزة له عن غيره، ما عرفوا حقيقته وأنه رسول كريم جاءهم ببيان من ربه. ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾: غايته أن يمنعكم من السير فيما جاء به الآباء والأجداد العظماء لتكون له الزعامة عليكم. ولكن ما ورثوا عن آبائهم غير الدسوس والخرافات حتى أصبحوا بسيرهم على كلام الآباء أحطّ الأمم، فلا عزة لهم ولا كرامة. ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذبٌ، كذَّبوا ببيانه ﷺ عن الله لأنه يعارض أهواءهم المنحرفة.﴿ مُّفْتَرًى﴾: يتكلم بأشياء جديدة لم نسمعها من قبل، العلماء كلهم يقولون خلاف ذلك. فالذي جاء به إنما هو من عنده، لا من عند الله كما يدَّعي. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: واضح بيّن أنه سحر. تخيُّلات يتخيَّلها ويتكلم بها، غيبيَّات وأشياء خفيَّة

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

لا نعلمها؛ يقول: أنّ في الصلاة سعادة لا شيء يعدلها، كذلك في الإنفاق والتضحية والاستقامة والكفِّ عن الشهوات سعادة وحياة للقلوب، نحن ما خلقنا لهذا، نحن خلقنا لنأكل ونشرب ونتمتَّع بالنساء والأموال.

٤٤- ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَا﴾: الآية جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري، فالله سبحانه وتعالى بعد إنكارهم رسالته ردّ عليهم: أوما آتيناهم من كتب؟! أما أرسل الله في الماضي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن؟ هل هذا غريب أن يرسل لهم دلالة وبيان بعد أن ضاع الحق؟. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾: أما أرسلت للأقوام السابقة رسلاً ينذرونهم كما تنذرهم أنت الآن وتبيِّن لهم نتائج سيرهم المنحرف دنيا وآخرة، فلم الإنكار والتكذيب؟!.

٤٥- ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: كما كذب قومك الآن بك. ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: المعشار واحد من ألف، قومك ضعفاء لا قوة لهم ولا حضارة ولم يبلغوا واحداً من ألف مما عند الأمم من العلوم والحضارة ورغم ذلك كذَّبوا. ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: بماذا عاد عليهم نكرانهم نعمتي ورسلي ودلالتي، جاءهم الهلاك وأُهلكوا، وقومك كذلك مصيرهم [1] إن لم يؤمنوا، حذَّرهم ﷺ من الهلاك. لكن هل من مَخلص من هذا كله؟.

---

١)- كذلك نحن إن لم نسر على الحق فسوف يصيبنا ما أصاب من كذبوا من الأمم السابقة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح صلوات الله عليهم أجمعين، وما أخبر به ﷺمن أشراط الساعة تحققت، فالآن هجر الناس كتاب الله وساروا على ما جاءهم من آبائهم وأجدادهم دون النظر مع توافقها مع كتاب الله ، وخرجت النساء كاسيات عاريات، وحدث التطاول في البنيان، وتفشَّت اللواطة والربا والرشوة، ولم يبق إلا وقوع الساعة والعلم عند الله أن وقتها صار قريباً جداً.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ..﴾

٤٦ـ ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: هذه طبّقوها لأن النجاة والخلاص والفوز ومعرفة الحق والحقيقة بها. ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: قال لهم ﷺ أنا أطلب منكم أن تسمعوا هذا البيان وتقرؤوه وتفكِّروا به وتقارنوا بينه وبين أقوال العالمين، إن كان طلبكم الحق والحقيقة اسمعوا. ﴿ وَفُرَٰدَىٰ﴾: طبِّقوا ما يأمركم الله به على لسانه، إن فكَّرتم وطبَّقتم بعدما سمعتم وقرأتم تصلون لله وتشهدون نوره وأسماءه الحسنى.

والطريق:

١ـ التفكير بالموت حتى تخاف النفس.

٢ـ الاستقامة على طاعة الله والابتعاد عن المحرَّمات، وعمل الخير قدر المستطاع.

٣ـ التفكير بالكون وآياته. اسمع كلام المرشد بما يدلك به عن الله ثم فكِّر بعدها بالآيات لتصل إلى الإيمان. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: تتفكرون لوحدكم أو تستعينون بأحد إخوانكم، قارنوا بين هذه الدلالة وكلام البشريَّة جمعاء. ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾: إن آمنتم بالله إيماناً حقيقياً شهودياً تعلمون أنه ﷺ ليس مستوراً عنه شيءٌ من الحق والحقيقة، فكلامه ﷺ من الله وعن شهود للحقائق لأنه سميع عليم.

قال تعالى:(..فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ..) (1):عظَّموه عن رؤية ومشاهدة لحقيقته السامية العالية لذلك نصروه، فالله تعالى يطلب منا بهذه

١)- سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

﴿..إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ
فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ
بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

الآية أن نسمع هذا البيان ونفكر ونقارن بين ما جاء به من بيان ودلالة وبين أقوال السابقين، إذ إن كافة البشر لا تستطيع أن تأتي بمثل هذا العلم، إذن فهذا البيان من الله مُنزَلٌ على رسوله.

كل ما في الكون صنع الله، لا أحد يستطيع أن يصنع مثله ولو بعوضة. كذلك كلام الله سبحانه لا أحد يستطيع أن يتكلم بمثله، إذن هذا القرآن من الله وهو رسول الله. ﴿**إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ**﴾: ينذركم ويحذِّركم لئلا تدخلوا النار غداً.

٤٧- ﴿**قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ**﴾: ما آخذه منكم ليس لي وإنما لكم، أنا لست بحاجة لكم ولأموالكم، فهو ﷺ يأخذ من الغني ليعطي الفقير فيستفيد الغني بهذا الإنفاق ويكسب عملاً والفقير يحمد الله على هذا الفضل والعطاء، وكل هذا عن طريقه ﷺ. ﴿**إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ**﴾: أنا غايتي الله، لا غاية لي من دنياكم شيئاً، لا المال ولا النساء ولا الجاه بالشيء الذي أريده منكم، غايتي أن تدخلوا الجنة وبهذا لي أجر من الله. ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ**﴾: لا شيء يخفى عليه سبحانه يراني ويراكم ويعامل كلاًّ بما يستحق.

٤٨- ﴿**قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ**﴾: القرآن كله منطق وحق ويوصل للسعادة والخير ولشهود الحقائق. ﴿**عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ**﴾: يَعلَم سبحانه القرون الماضية والقادمة، وأنتم إن آمنتم بالله وصارت لكم رابطة برسوله يُعلِّمكم الله ويشهدكم ما غاب عنكم، حيث يجمعكم رسولكم بالرسل جميعاً فتشاهدونهم وتؤمنون بهم وتشاهدون أقوامهم وما جرى لهم، وهذه غائبة عنكم دونه ﷺ، لكن به وبنوره ﷺ

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ
نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ
فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ..﴾

تشاهدون هذه الحقائق بما علَّمه وأشهده الله.

٤٩ـ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: جاءكم الحق الآن من ربكم وسيظهر على غيره وسيزهقُ الباطل. ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾: ماذا في الباطل من ضلال وما هو أثره في الآخرة.

٥٠ـ ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾: إن سِرْتُ بهوى نفسي أكون قد ضللت، أنا لا أسير إلا بما يأمرني الله به وعلى كتابه وبوحي منه سبحانه. ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾: العائد عليها بالضلال والشقاء. ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾: الفضل فضله هو سبحانه يَدُلُّني ويرشدني إلى الحق وأنا أدلُّكم عليه. ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾: لكل نفس ولما تريد وتطلب، فيعطيها ما أصرَّت عليه. ﴿قَرِيبٌ﴾: قريب منها سبحانه، فآمنوا به لتروا ذلك. ﴿..سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: الله سميع لقولي قريب مني. ذلك حاله العالي الرفيع ﷺ، فكل من تكلَّم بحقِ الأنبياء معناه أنه ينفي كلمة "إن الله سميع قريب"، فكأن الله لا علم له بآدم حتى اصطفاه وهذا غير صحيح، فالله تعالى اصطفاهم لعُلُو نفوسهم وكمالهم.

٥١ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: الذين كفروا فما آمنوا بالله ولا أطاعوا رسولهم. ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾: حالهم حين الموت ويوم القيامة بالفزع والرعب. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: لا خروج لهم عن هذا الحال الرهيب، فالرعب والفزع والألم ملازمٌ لهم لا يفارقهم. ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: فالله سبحانه وتعالى قريب وقريب من الإنسان، وغداً حين الموت يرى الإنسان هذا.

٥٢ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: غداً حين الموت ويوم القيامة جميعهم يؤمنون

﴿..وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ
وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ
بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ۝٥٤﴾

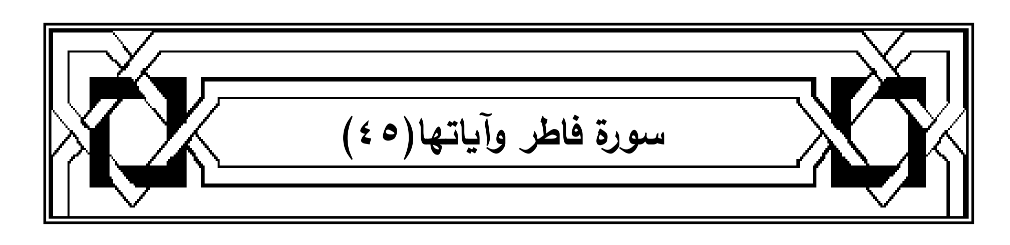
بالله، لكن لا فائدة من إيمانهم هذا حيث لا عمل صالح لهم، فهل نظر الإنسان لهذا الكون نظرات المتأمِّل المستبصر وقادته نظراته وهداه تفكيره إلى شهود عظمة هذا الكون ورؤية ما فيه من إحكام الصنع ودقة التكوين، فهدته فكرته ووصلت به نظرته إلى إنَّ لهذا الكون خالقاً عظيماً ورباً حكيماً و إلّهاً قديراً.
﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: أنَّى لهم القرب ونفوسهم بعيدةٌ عن الله القريب منها.

٥٣ـ ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾: نسبوا الفعل والحول والقوة لغيره تعالى. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: بالدنيا، بسبب أهوائهم المنحرفة وليحققوها كفروا بالله. ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: كلامهم لا دليل لهم عليه. ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: ما آمنوا بالله تعالى ليروه قريباً منهم.

٥٤ـ ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾: زال كل ما يربطهم بهم. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُ﴾: الذين سبقوهم وساروا على سيرهم.

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾: بالدنيا. ﴿فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾: شكُّوا بالله ورسوله فتحوَّلوا لحب الدنيا وشهواتها، وبحبهم للدنيا تحوَّلوا عن إنسانيتهم وارتكبوا أعمالاً إجرامية، فأصبحوا مخلوقات مرعبة بصورة إنسان.

والحمد لله ربِّ العالمين



سورة فاطر وآياتها(٤٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ.. ﴾

١ـ﴿ ٱلْحَمْدُ﴾: على المرء أولاً أن يؤمن بالله حتى يفهم هذه الآية، إن آمن بالله سبحانه عرفه وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى، عندها يعرف أن الله يُحمد فيحمده على كل شيء، يحمده على الصحة والمرض، والغنى والفقر، وعلى الهموم والأحزان وعلى كل ما يسوقه سبحانه له.

ما لم يفكر الإنسان ويؤمن بالله لا يحمده تعالى تمام الحمد. فالحمد إذاً:

﴿ لِلَّهِ﴾: المسيّر لكل مخلوقاته بالرحمة والحنان، والمطاع بكل شيء. ﴿فَاطِرِ﴾: خالق، منشئ، فطره: أنشأه. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾: أجعل الملائكة كي يديروا الكون؟ فهل سبحانه بحاجة لهذا وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؟! بل لا فعل لغيره تعالى. والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يقول بهذه الآية: جَاعِلِ ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: لكم يا عبادي. ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾: أصحاب اختصاصات، يُقال جناح القلبية، جناح الأذنية، جناح العينية... فالله سبحانه جعل للملائكة وظائف متعددة يؤدونها لك أيها الإنسان، وكما أن الجناح رمز الطيران لذلك وصف سبحانه الملائكة بأنهم أولوا أجنحة، فهم يطيرون بنفسك أيها الطالب للإيمان إلى الكعبة حيث نفس رسول الله، فيعرج بها ﷺ إلى الله، ومنه سبحانه تنال هذه النفس نوراً فتغدو بصيرة مستنيرة ولهذا خلقنا الله تعالى. لقد كلّف الله سبحانه ملائكته الذين ملّكوا

﴿..مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ..﴾

أنفسهم له كلَّفهم بوظائف لا عجزاً ولا ضعفاً وإنما رحمة بهم ليروا أنهم عملوا، وبهذا يحافظون على المرتبة التي وصلوا لها بإقبالهم عليه سبحانه وتعالى فلا يهبطون منها. ﴿مَّثۡنَىٰ﴾: اثنان على كتفي الإنسان: رقيب وعتيد، يكتبان أعماله وأقواله. ﴿وَثُلَٰثَ﴾: الثالث الذي ينادي الإنسان وهو ملك الإلهام يلقي الإلهامات في النفس ويناديها للإيمان والتفكير بالكون. ﴿وَرُبَٰعَ﴾: والرابع ملك الموت، وهو المتكفل بأمرٍ من الله تعالى بوضع الروح حين خلق الإنسان، وسحبها حين الموت. ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾: يزيد على حسب إيمان كل إنسان فيجعلها مرافقة له تدافع عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: بل الله الذي يعطي كل شيء المقدار المناسب له.

٢- ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾: عطاء، رزق أو أرسل لهم رسولاً إن آمنوا بلا إلٰه إلا الله على الطريق التي بيَّنها تعالى فأقبلوا عليه، رفع الله شأنهم وسما بهم دنيا وآخرة. إن علموا أن الفعل بيد الله تعالى حقَّق ظنهم وفتح عليهم الدنيا ليكسبوا أعمالاً صالحة قربات وزلفى منه تعالى، ففتح لهم كنوزه ظاهرةً وباطنةً، وأراهم عظيم برّه ومزيد إحسانه، وسبّحهم بفضله وجعلهم مفاتيح خير العالمين. ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾: إن أرسل رسولاً وأيَّده بكتاب وآمن أصحابه به وبدلالته فمن يستطيع أن يمنع نشرها على عباده؟!. ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ﴾: إن أمسك تعالى ولم يرسل لعباده رسولاً يدلُّهم. ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: هل من أحد غيره سبحانه بيده وبمقدوره أن يأتي برسول وبكتاب من عند الله؟! بيده تعالى الكائنات فاطلب منه فهي زائلة، استمدّ منه تعالى لا منها قبل فوات الفرصة

﴿..وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ
غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ وَإِن
يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤﴾

وانقضاء العمر المحدود، فكلها تنفد وما عنده لا ينفد. فَوَجِّه وجهتك إليه تعالى تغنى فوق العالمين. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: فكل خير منه تعالى لا منها، معزّتك به تعالى. يحب لكم الخير لذلك ما منع رسله عنكم. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: يعطي ضمن الحكمة، فلكل أمة ما يناسبها وما تستحق.

٣ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: اعرفوها، فتّش، ابحث عن المنعم الحقيقي، فكروا بها لتحمدوا الله على هذا العطاء الكبير. ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: فكر أيها الإنسان بفضل الله، هل يستطيع أحد أن يرزقك غيره؟ والطريق لمعرفتها الإيمان بالله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: يسيِّر الكون كلّه من أجلك أيها الإنسان ومن أجل طعامك وشرابك، ولتؤمن به سبحانه فتنال منه الكمال وتعمل الصالحات وتدخل الجنات. ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: إلى أين تتحوَّلون ولديكم التفكير لإرشاد النفس لمصير كل من تتجه إليه إلا الله.

٤ـ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: ما آمنوا بك وكذَّبوك بِلَحاقِهم "باتباعهم" الدنيا الدنية، فكتبوا على أنفسهم الذلّ والعار والنار، أنت الرحيم بهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾: اذكر عبدنا نوح وما قاسى، وإبراهيم وما تحمّل، وموسى وما لاقى من فرعون وملئه من بهيمية وتعنّت قومه، ويونس وكيف طفح به الكيل وهدَّته رحمته، فاصبر ولا تحزن عليهم، فعليك التبليغ ولهم الاختيار، فهنالك رسل قبلك قد كُذِّبوا مثلك. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: كل إنسان يعطيه الله حسب ما في نفسه، فلا تحزن عليهم ولا تتأثر. إني عليم قدير،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ ..﴾

مكري أكبر من مكرهم، فرحمتي واسعة وعلاجاتي كبيرة فلا تستيئس بسبب تعنّتهم الأعمى وعنادهم الأحمق، فأنا معك ناصرك ومؤيّدك. هنالك انطلق عليه السلام بتجدد وعزم أعظم مُستَمَدٍ من الله محذّراً وموعظاً.

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾: أنت بيّن لهم إنه لابد وأنهم راجعون لله، وأنهم سوف يُبعثون وأن الله سيسأل كل واحد منهم عمَّا عمل بدنياه وسيُجزى به بالجنة أو النار. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: لا تنخدعوا بما فيها من شهوات وملاذ، فكلها زائلة والله تعالى هو الباقي. آمنوا بي لكيلا تغرَّكم الحياة الدنيا، ولا يكون هذا إلا بالتفكير الصائب الكامل، عندها تصلون لأصل الأصول من بيده الملك والملكوت. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾: يخدعكم. ﴿بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان الذي توعَّد بإضلالكم، وذلك بتزيين الدنيا وشهواتها بأعينكم لتُفتنوا بها وتحبونها فتنسوا الآخرة وجناتكم التي أعدها الله لكم. إن أشحتم بقلوبكم عن محبِّكم سبحانه، استلمكم عدوكم فماذا يفعل بكم؟.

٦- ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾: يريد لكم الشقاء والألم، وأن يجعلكم بالذلّ والخيبة والانحطاط والعداء، وأن يحرمكم من الجنات المُعدَّة لكم. ﴿فَٱتَّخِذُوهُ﴾: بالإيمان بالله. ﴿عَدُوًّا﴾: احذروا منه، لا تسيروا بسيره وتعملوا عمله. ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾: أصحابه الذين أحبُّوا الدنيا مثله. ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: يأمرهم بالفحشاء والمنكر وعمل السوء، وفي الآخرة لهم النار على قدر ما قدَّموا وعملوا من أعمال سوءٍ.

٧- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾: لهم النار ليخلصوا من آلامهم

﴿..وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ..﴾

وأوجاعهم وينسوا حسراتهم وندامتهم على ما فرطوا به. ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ**﴾: شفاء، تشفى نفوسهم من عللها، وذلك بالإقبال عليه تعالى، فما قدَّمت تجاه مرضاة المنعم المتفضِّل يجعلها تقبل على ربها رضائياً تلقائياً، فتدخل عليه تعالى بوجه أبيض من الطرق التي سبق أن آمنت به بواسطتها فكرياً وتشرَّبت صفات الكمال، وتشتق الرحمة والعطف والحنان والشجاعة وحبّ الخير. ﴿**وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ**﴾: جنات لا نهاية لها جزاء لهم على ما عملوا من خير وإحسان. تلك هي الحياة الحقَّة، ولمثل ذلك خلق الله الكريم خلقه ولكنوزه أوجدهم، وليحظوا بكل طموحاتهم، ولديه تعالى المزيد.

٨ـ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ**﴾: ترك الله وأنكره وأصبح يرى نفسه فعّالاً. الشيطان منَّاهم بالدنيا وما فيها وفتنهم بها، فصار هذا الإنسان يرى ما في الدنيا من شهوات أحسن مما عند الله، لذلك سار بغير كلامه تعالى، سار على كلام المخلوق وترك كلام الخالق. ﴿**فَرَءَاهُ حَسَنٗا**﴾: صار منظاره معكوساً، يرى الرذيلة أحسن من الفضيلة، يرى كشف وجه المرأة أحسن من ستره، ويرى الحرام أفضل من الحلال. ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ**﴾: إن نصحت هذا المرء قال أن الله يضل من يشاء، هكذا كتب عليّ الله أن أقع بالضلال. ﴿**وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ**﴾: لو كتب الله لي الهداية لاهتديت وما وقعت بهذا لكنَّ الله كتبه. ﴿**فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ**﴾: على هؤلاء. ﴿**حَسَرَٰتٍ**﴾: يتأثر عليهم من رحمته بهم ويتمنى لهم الخلاص ولا مناص، فيشقى لشقائهم ويشتد به النحيب والبكاء ويذهب به الألم الذي يصهر نفسه في بوتقتهم، ولا يرضى الله لحبيبه أن يذهب عن نعيمه

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾

الذي يستحقه وسمواته الرضيّة لمن ارتضى بكل دنيّة، فهو تعالى يحوّله عنهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾: عليم بهم وبما يناسبهم ومشاهد أحوالهم، لذلك يعطيهم ما أصرُّوا عليه من خبث وغداً سيجزون به.

انظر أيها الإنسان إلى فعل الله، كلّه خير، فهل يعقل أن يكتب الضلال على شخص وآخر يكتب له الهداية!.

٩ـ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾: يرسل الرياح قبل المطر. الفضل فضله سبحانه، هو أرسلها لا غيره، من الذي يحرك الرياح ويسيطر عليها لتحمل ذرّات بخار الماء من الأنهار والبحار ثم تجمعها جمعاً وتسير بها بنظام وتنقلها إلى أماكن بعيدة معيَّنة بحاجة لها! ولولا ذلك لَمَا أكلت أيها الإنسان طعامك، هل الرياح هي التي تفعل هذا؟ أليس من قوة عظيمة عاقلة هي التي تفعل هذا! كل هذا جعله ربّك لتتفكَّر وتتعرَّف عليه. ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾: فتأتي بالغيوم، ألا تفكر بهذه اليد التي ساقت السحب، هل من أحد يفعل ذلك غيره سبحانه وتعالى! كذلك إن آمن الإنسان بربِّه يُرسل الله إليه رسوله حاملاً معه حياة القلوب والنفوس فيسحبه ﷺ من عالم المادة إلى مقام الحضرة الإلّهية وإلى الجنات، فالله سبحانه ما خلقنا للأكل والشراب مثل باقي الكائنات وإلا لجعلنا مثلهن. ﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾: لا نبات فيه. ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾: دبَّت فيها الحياة وأخرجت الزرع والأثمار بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: الصنع واحد، كالخزانة والقاطع [1]، كلاهما يحتاج إلى منشار ومطرقة

١)- القاطع: أثاث منزلي مصنوع من الخشب يُستخدم للجلوس.

﴿.. مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ..﴾

وعدة كاملة. إن فكرت بهذا وآمنت تعرف أن الذي خلقك سيبعثك ثانية وأن ذلك على الله يسير، فالذي ساق الرياح والأمطار وأحيا الأرض وأخرج منها المزروعات ألا يحييك مرة ثانية ويخرجك؟! هذا الخلق والبعث متكرِّر فما وجه العجب؟ ولِمَ الإنكار! من بعث الزرع والأثمار وأحيا الأجنة في بطون أمهاتهم؟ أوَلم يكونوا أمواتاً فبعثوا؟ ويوم القيامة يكون الخلق الثاني للناس سراعاً كالنبات، إذ انتهت المدرسة فلا دروس ولا اقتباس من كمالات الذات الإلّهية، فلقد كان الخلق التدريجي بالدنيا للتفكير والعقل، وبالقيامة فُتِحت الكتب وانتهى التكليف، والآن إعلان النتائج للخاسر والفائز، والنشور يتم عن طريق الإنبات الأرضي.

١٠ـ ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ**﴾: العزَّة من الله وحده، وذلك بسيرك أيها الإنسان بالحق والعدل وبطاعتك لله تعالى. ﴿**جَمِيعًا**﴾: بيده سبحانه كل شيء. ﴿**إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ**﴾: الإرشاد الحق يُحفظ عند الله ليكافئ عليه. ﴿**وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ**﴾: والعمل بهذه الدلالة ترفع الإنسان. ﴿**وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾: الذين يعملون السوء ويخططون لردِّ الحقِّ.

﴿**لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾: يذهب ولا يستفيدون منه شيئاً وسيفشل.

١١ـ ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ**﴾: فكر بهذا: كيف من التراب خلق طعاماً وصار الطعام نطفة وخُلِقتَ منها. ﴿**ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗا**﴾: ذكراً وأنثى. ﴿**وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ**﴾: كله بعلمه تعالى. ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن**

﴿..وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ..﴾

مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾: كل كبير وصغير: من يعيش عمراً طويلاً، ومن يموت دون سن التكليف. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾: كله بعلم الله مكتوب. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: هيّن لا شيء يصعب عليه سبحانه.

١٢- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾: البحر المالح والأنهار، وقد سمّى الله تعالى نهر النيل: يمّاً، أي: بحراً. ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾: فرّ عنه كل أذى وآت إليك، فكم وكم من أقذار في البحر ينقّيها تعالى بنظام الأمطار ويسوقها إلى القطبين لتأتي إلينا على شكل ينابيع عذبة. ﴿سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾: تشربون منه وتسقون زرعكم ومواشيكم.﴿ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾: بحر مالح لا يُسقى منه، كذلك هل حياة المؤمن كحياة الكافر؟! ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾: سمك بحري وسمك نهري، من أين أتت الأسماك بأنواعها للبحار؟ قبل الأكل سمِّ الله لكي تفكر. هذه بعض المنافع، فكّر بها تصل للكثير منها. إن فكَّرت حين الأكل تقدِّر خالقك وترى حنانه وكرمه عليك، فتقبل نفسك عليه سبحانه وتأكل من بحور الله وأسمائه الحسنى، هذا هو طعام أهل الجنة وهو للمصلِّين فقط. الكافر بعصيانه يأكل من بحور اللذائذ القذرة فتعود عليه بأمواج من الهمِّ والغمِّ والشقاء، قال تعالى: (وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا..) [1]. ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا..﴾: لؤلؤاً ومرجاناً، انظروا عنايتي بكم، أريد أن أسعدكم في الدنيا فكيف في الآخرة. ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾: السفن. ﴿فِيهِ مَوَاخِرَ﴾: تشق عباب البحار.

---

١)- سورة طه: الآية (١٢٤).

﴿..لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾

﴿**لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ**﴾: لتفعلوا الخيرات عن طريق التجارة. كل هذا جعله الإلـه لتروا أن الفضل فضله فقط لا فضل غيره فتكونوا عبيداً لـه سبحانه لا عبيداً للعبد. ﴿**وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ**﴾: لعلكم إن فكرتم تشكرون. تنقذون إخوانكم من بني آدم، وبهذا يكون شكر الله على فضله وعطائه.

١٣- ﴿**يُولِجُ**﴾: يُدخل: ﴿**ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ**﴾: ويُدخل: ﴿**ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ**﴾: وهذا دليل عل كروية الأرض ودورانها. ﴿**وَسَخَّرَ**﴾: لكم. ﴿**ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ**﴾: فضلاً منه عليكم لتؤمنوا. ﴿**كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾: بنظام ودقة. تحدث يومياً مع كل تعاقب ليلٍ ونهارٍ. ﴿**ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ**﴾: هذه أفعاله. ﴿**لَهُ ٱلۡمُلۡكُ**﴾: بيده سبحانه كل ما خلق. ﴿**وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ**﴾: الأولياء الذين تسيرون معهم. ﴿**مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ**﴾: قشرة على نواة التمر، فهؤلاء لا يملكون ولو شيئاً بسيطاً، ليس بيدهم فعل شيء مهما كان صغيراً في هذا الكون.

١٤- ﴿**إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ**﴾: الأصنام. حجارة لا تسمع. ﴿**وَلَوۡ سَمِعُواْ**﴾: غيرهم من الأحياء الذين أطعتموهم. ﴿**مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ**﴾: لا فعل لهم، لا يمنعون عنكم موتاً، ولا يرفعون عنكم مرضاً، ولا يخلقون لكم طعاماً. ﴿**وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ**﴾: ينكرون اتّباعكم لهم. ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ**﴾: هو الخبير بالنفس.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ. ﴾

١٥- ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: المحتاجون لفضله في كل شيء، هو الممدّ بالهواء وبالماء، من ينزل المطر؟ من يخرج الثمر؟. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عنكم، ليس بحاجة لكم بشيء، جاء بكم للدنيا لتَغْنوا ولتنالوا منه تعالى الفضل والجنات. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: يُحمَد على كل ما يسوقه للإنسان.

١٦- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: الذي خلق الكون كلّه لا يصعب عليه إذهابكم. ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: وخَلْقكم خلقاً جديداً حيث بالآخرة النفس تنقلب وتحيط بجسدها والسيطرة تصبح لها لا للجسد، فحالنا في الآخرة عكس حال الدنيا ويختلف عنها.

١٧- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بصعب، الذي خلق الإنسان من تراب ثم من طعام ونطفة أيصعب عليه خلقك أيها الإنسان مرة ثانية؟!.

١٨- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لكن ضمن الحق فلا أحد يحمل حمل أحد. من لم يؤمن ويكسب في إيمانه خيراً فلن يحمل حمله وينجو به أحد وأنّى للصحيح أن يأخذ بمعيته المريض للنزهات إذ لا يناسبه إلا الدواء والعلاج المرّ. ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: النفس العظيمة المثقلة بالتجليات القدسية الإلٓهية، تدعو بما فيها من خيرات للعالمين.﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: ولو كان المدعو ابن سيدنا نوح عليه السلام أو أبا سيدنا إبراهيم أو عمّ رسول الله ﷺ. إذن أين أماني الشفاعة الموهومة؟ فلا جنَّة إلا بعملك الطيب. فلن يرفعك إلا عملك الذي لا يطيب إلا بإيمانك الذاتي.﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم

﴿..وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

بِٱلۡغَيۡبِ﴾: هذا يَحْذَر. وعلامته أقام الصلاة.﴿ **وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾: فهو يقيم الصلاة ويتزكى. ﴿**وَمَن تَزَكَّىٰ**﴾: وصار يعمل المعروف.﴿ **فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ**﴾: العائد عليه بالخير. إن صَدَقت دخلت مدرسة السمو لتتطهر من كلّ ما يغض من شأنك، فبالعلم الفكري النفسي الشهودي تميّز الغث من السمين، والنقي المؤهِّل لسبل التقى من المُجرثم المكرب المؤذي، فدرست بمدارس العظماء وأنفت من فكرة البقاء فيما ليس له بقاء. ﴿**وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ**﴾: المرجع إليه غداً، ولو علمت فإليه المصير بكل أمر من أمورك.

١٩ـ ﴿**وَمَا يَسۡتَوِي**﴾: في سيرهما ورؤيتهما. ﴿**ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ**﴾: فكيف بأعمى القلب "البصيرة" الذي ما صار لنفسه نورٌ من ربه لأنه ما فكر فما آمن. الفرق بين عمىً لا نور ولا استنارة بعده إلا حريق وهج الألم، والبصيرة المشعّة بالشهي المحبوب المرغوب التي لا تناقص ولا انطفاء لها بعدها أبداً.

٢٠ـ ﴿**وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ**﴾: الذين هم في الشهوات والانحطاط والفسق. فكلُّ ظلال يحجبك عن الله ينطبع بنفسك ويقف حاجزاً بينها وبين نور الله وكلّ علم بغير الله وأسمائه العُلى ظلام. ﴿**وَلَا ٱلنُّورُ**﴾: الذين استناروا وصاروا يعملون الخير والإحسان. من استنار بنور الله الباقي على رسوله والمتجدد من ربِّه شاهد الحقائق ونَعِم بالحقيقة.

٢١ـ ﴿**وَلَا ٱلظِّلُّ**﴾: من ظلّله الله بالتجلي والفضل عليه، ﴿**وَلَا ٱلۡحَرُورُ**﴾: من عادت عليه شهواته بالنار وبِحَرِّ جهنم في نفسه. فاتَّقِ بظل الله "تجلّيه الجمالي الجلالي البديع الرائع الهني" عن أن تتق بالنار لتنستر عن العار والخسارة التي لا تعوَّض يوم لا ظلَّ إلا ظلّه أو النار.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ..﴾

٢٢ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ﴾: الذين حييت قلوبهم "نفوسهم" بإقبالها، من يفعل الخير والمعروف. ﴿وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ﴾: من ماتت نفسه بعدم إقبالها على الله فما عمل خيراً. هل يستوي الرسل الكرام وصحابتهم البررة من أحيوا نفوس عوالم "خلق كثيرة" بالله وكانوا سبب خلودهم في المسرَّات والنَّعيم والخلود لكل خير مقيم الذين اعتزوا بربهم فرفع شأنهم دنيا وآخرة عن المنقطعين التعيسين السيِّئين الذليلين أولئك الذين يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام والكواسر من الوحوش ولا مستقبل لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾: من طلب السمع يُسمعه الله. فكل من صدق بالطلب ودليل صدقه سلوكه العالي واستقامته وإعراضه عن سُبل الانحطاط، فتسري دلالته تعالى لقلبه ويتشرَّب الكمال الإلٓهي من طريقه تعالى ويتذوَّق المعاني ويشعّ النعيم بقلبه شاملاً كل ذرة بجسمه ويغدو من أهل النعيم المقيم. ولا سماع إلا لمن ثابر على إيمانه وقدَّمه على ما سواه، فمتى أصاخ القلب لمرشده يسمعه. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: من قُبرت نفسه في شهواتها، انقبر بالدنيا، المدفون بشهوته وامتلأ إناؤه بها فكيف يصل النور إلى نفسه وأنَّى لها أن تسمع!.

٢٣ـ ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مبلِّغٌ ومُنذرٌ، الاختيار لهم، أنت خوِّفهم من المصير، بيِّن لهم ما سيكون عليه حالهم بالموت ويوم القيامة، إن خافوا أجدى الإنذار بهم وتابوا، وإن ما خافوا وما فكَّروا فلا تستطيع أن تسيِّرهم بالإيمان.

٢٤ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: عندما صرت أهلاً اخترناك وأرسلناك لهم لِما في قلبك من رحمة عليهم وطلباً لهدايتهم، ولِما عندك من أهليَّة تامة لتكون رسولاً

﴿..بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ..﴾

تُبلِّغهم كلامي. ﴿بَشِيرًا﴾: تبشِّر كلّ من سار بالإيمان بأن له الجنة. ﴿وَنَذِيرًا﴾: تنذر أهل الفسق والضلال بالنار. ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ﴾: هلكت. ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾: سبق أن أُنذِرت. ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾: أمة رسول الله ﷺ كل من أتى بعده، فإن فُهمت الشفاعة بالمعنى الشائع عند العوام لن يدخل أحدٌ بعد الرسول ﷺ النار (١).

٢٥- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: ما آمنوا معك. كذّبوا دون تفكير وتأمّل واستعراض جليل ما قدَّمت وما تعبت وما خاطرت حتى مُنِحت عظيم ما مُنِحت. ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: مثلهم كذبوا رسلَهم من بعد أن بيَّنوا لهم كل شيء، ومن بعد ما جاؤوهم بالمعجزات فما آمنوا. ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: طريق الخير من الشر، طريق الحق، جاؤوا لهم بالحق وطريق السير به. ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: الشيء "البيان" الذي لا يُرَدُّ، الأمر القاطع.

البيِّنات: الرسل بيَّنوا للناس طريق الإيمان والتقوى وذلك بالتفكير بالآيات، كأس الماء إن فكر الإنسان به يوصله للحضرة الإلّهية، لكن التفكير تسبقه الاستقامة على أمر الله والطاعة، حيث بهذه الاستقامة تكسب النفس ثقة أن الله راض عنها عندها تستطيع الإقبال عليه تعالى، ولن تستطيع أن تفكر بالكون ما لم تتيقن بالموت وفراق الدنيا، فالرسل الكرام بيَّنوا لك الحقّ والحقيقة والدِّين وبيَّنوا لك طريق الجنات.

---

١)- فالله تعالى دائماً يبعث المبشرين والمنذرين، وإن كانت الشفاعة بالمفهوم الذي فهمه عوام الناس، فلماذا إذن المبشرون والمنذرون والمرشدون من بعده ﷺ؟.

﴿..وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمۡرٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

الزبر: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ..) [1]، يقال زبر الشجرة، أي: قطع الأشياء المؤذية منها، **الزبر**: البيان الذي جاء به الرسل الكرام قاطع للباطل، كامل وكله منطق.

الكتاب المنير: كل من سار بهدي الأنبياء والمرسلين وارتبطت نفسه بنفسٍ مشرقةٍ بنور ربِّها طُبِع الحقُّ فيها وصار بذلك إنساناً، حيث يَتبيَّن له الحقّ وتظهر الحقائق أمامه ماثلة فلا يقع بشرٍّ بعدها أبداً، بل يسير بطريق الإنسانية.

٢٦ـ ﴿**ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: الذين أعرضوا بالشهوات فما آمنوا. ﴿**فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾: نكرانهم لنعمتي والحقّ المبين بمَ عاد عليهم؟!.

٢٧ـ أنتم حتى تخلصوا من الهلاك فكِّروا بهذه الآية الكريمة لتؤمنوا بربِّكم وينطبع الحقّ والكمال بنفوسكم، فتعملوا الخير وتدخلوا الجنَّة: ﴿**أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً**﴾: أليس هذا دليل على وجود خالق عظيم مدبِّر؟ كيف هذا الماء ينزل من السماء؟ ألا تفكر بهذه الآية!. ﴿**فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا**﴾: ثمار تأكلونها وتتمتعون بلذائذها وطعومها ذات ألوان مختلفة. ﴿..َ و..﴾: خلق: ﴿**مِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ**﴾: قطع. ﴿**بِيضٌ وَحُمۡرٌ**﴾: خلْق ذو حجر أحمر وأبيض. ﴿**مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا**﴾: وحجارة ذات ألوان مختلفة عنه. ﴿**وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾: وخلق غيرها غريب عنه، غريبةٌ سوداءُ تختلفُ عن سابقتها، فيها "غرائب" كما يحصل داخلها الفحم الحجري.

---

١)- سورة الأنبياء: الآية (١٨).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ..﴾

٢٨- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: لكلّ نهج وخلق خاص. ذات أشكال وحجوم وألوان مختلفة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: هذا الشيء إن فكرت به يدلّك على وجود خالق. ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾: من حصل له علم به تعالى وبأسمائه الحسنى، هذا فقط يفهم القرآن، عظماء اللغة ما فهموا من القرآن معنىً واحداً بل إنهم أبعد الناس عن فهمه: (ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ)(1).

بالإيمان بالله وبرسوله يُفهم القرآن، بما يولّده هذا الإيمان من خشية تحجز صاحبها عن محارم الله وبهذا يكسب طهارة فيفهم القرآن بمعيّة الإمام.

القواعد اللغوية لم تكن بعهد النبي ولا بعهد أصحابه رضوان الله عليهم، وحين وضعت أصول اللغة في العهد العباسي ضاعت المعاني وتوقفت الفتوحات، ونشأت الجبرية والقدرية والمعتزلة، واختلفوا بالمنهج والمفاهيم وصاروا ضد بعضهم بعضاً.﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: يسيّر هذا التسيير لكي يشفي عباده، يطهروا بالإقبال عليه تعالى ويأتيهم الخير ويدخلوا الجنة.

٢٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: على غيرهم، يبيّنونه للناس. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: الصلة مع الله تعالى. ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾: جاهدوا وأنفقوا مما رزقهم الله من مال وجاه وعلم. ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾: حسب الظرف. ﴿يَرۡجُونَ﴾:

1)- سورة التوبة: الآية (٩٧).

﴿..يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ..﴾

يصبح لهم رجاء وطلب.﴿تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾: لن ينقطع خيرها.

٣٠- ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾: كاملةً، عطاء إثرَ عطاء، دائماً بالجنات من جنة لجنة أعلى. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾: إلى ما لا نهاية. ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ﴾: يشفي لكم نفوسكم حين تقبلون عليه. ﴿شَكُورٞ﴾: يشكر لكم أعمالكم الصالحة بالعطاء والجنات والسعادة.

٣١- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: كل ما طُبِع في قلبك من إقبالك على الحقّ أنزلناه عليك يا محمد وذلك لتبلغه للناس. ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: يوصل للسعادة والإنسانية والعدل. ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: "يدي جبريل". لما جاء به جبريل عليه السلام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾: يوحي لكلٍّ في نفسه ما تأهَّلت إليه ووصلت [١].

٣٢- ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾: من بعدك نطبع هذا الحق في قلوب أهل الإرشاد ليكونوا مرشدين ليهدوا الناس.﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾: بيَّنا الكتاب أي الحق الذي كُتب في نفوسهم "الرسل". ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾: من الناس. ﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾: من المبلَّغين ظلمها بإهلاكها، كل كافر قاسي القلب ظالم لنفسه ولغيره. ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: مؤمن، ذاك الذي يطمع في الجنة، اقتصد في الأعمال. هذا سمع بيان رسول الله ﷺ

١)- يطبع الله تعالى الحق في نفس الإنسان بناءً على صدق هذا الإنسان مع الله وأهليته، رسول الله ﷺ بصدقه وأهليته العظمى نال الكتاب وطبع الله تعالى الحق في قلبه.

﴿..وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾

تاب وأعرض عن المعرضين وسار مع أهل الحق، اقتصد فلم يعد يقع في المحرمات، صار يحاسب نفسه وأهله على كل شيء، هذا صار له صلة ولم تحصل له صلاة، الصلة فيها انقطاع، أما الصلاة لا انقطاع بها عن حضرة الله ولا تكون إلا برابطة نفس المؤمن برسول الله ﷺ. ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: السابق بالخيرات قدَّم الرسول على كل شيء فصار له صلاة وذلك فضل كبير من الله، هؤلاء هم السابقون السابقون أهل التقوى والإرشاد. سبق: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: يُطْلِقه الله للعمل، لعمل المعروف والإحسان، هذا أصبح مرشداً كاملاً لذلك يسمح الله له بالإرشاد، إرشاد الناس إلى الحق. هذا السبق: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾: اطلبه أيها الإنسان يعطك الله، لا تطلب الدنيا وشهواتها.

٣٣ـ ﴿جَنَّٰتُ﴾: نعيم. ﴿عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾: جنات كثيرة متتالية. ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾: من شيء يَسرُّهم. يساورهم سرور عظيم من إقبالهم على الله فيزدادون جمالاً وجلالاً. ﴿مِن ذَهَبٖ﴾: مما يُذهب عنهم السوء، ذهب عنهم السوء بسبب ما قدموه في السابق من أعمال صالحة ذهبت "قاموا بها في الدنيا". ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾: ومنظراً يتلألأ أمامهم بازدياد. ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ﴾:ثيابهم. ما يغطي نفوسهم ﴿فِيهَا حَرِيرٞ﴾: حر من كل شائبة، هم أحرار مطلقون.

٣٤ـ ﴿وَقَالُواْ﴾: أهل الجنة. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾: يحمدون الله بالجنة أن أذهب عنهم كل ما يحزنهم فلا يتذكرون شيئاً من أعمالهم التي مضت قبل إيمانهم. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾: غفر لنا ما بأنفسنا وشفاها مما بها. ﴿شَكُورٌ﴾: شكر لهم أعمالهم فأعطاهم عليها الجنات، لذا يُحمد سبحانه على

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا..﴾

هذا الفضل والإحسان. ٣٥ـ ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾: الإقامة الدائمية بالجنَّات الأبدية. ﴿مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾: تعب. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾: جهد. ما استطاع وغُلِب [1]. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾: إن لم يشتغل "في هذه الدنيا" حُرِم. هناك بدون شغل.

٣٦ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: كفروا بالله حيث ما نظروا بالكون وما فكروا به فكفروا برسلهم وما أنزل الله عليهم من بيان. ﴿لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: الذل والحقارة والنار عليهم دنيا وآخرة بسبب ما قاموا به من أعمال. ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾: لا فناء بالآخرة ولا موت لهم فكل ما خلق الله باقٍ. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾: لئلا يتذكروا خسارتهم وتضييعهم ما أعدَّ لهم من مقام عالٍ فيتألموا لذلك، فهي دائماً بازدياد عليهم لئلا يعتادوا عليها. ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾: قانون لكل كافر، هذا حال كل من لم يؤمن بالله ويعظِّمه.

٣٧ـ ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾: في المستقبل. ﴿..يَصۡطَرِخُونَ..﴾: من الصطو والصراخ؛ فرغم كل ما هم فيه والحالة التي آلوا إليها إلا أنهم متكبرون. صطو: يرون حالهم "غير متواضعين لله" وأن نفوسهم فيها صطو رغم أنهم يصرخون

---

١)- كل ألم وشقاء وتعب من الشيطان الذي توعد بإضلال الخلق وإغوائهم، لذلك حذّرنا تعالى منه قائلاً جلَّ وعلا: (۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠) سورة يس (٦٠). وهؤلاء أهل الجنة بإيمانهم بالله ومحبتهم لرسول الله ﷺ ردوا كيد الشيطان فما استطاع إضلالهم فانهزم وغُلب.

﴿..رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ..﴾

يقولـون: ﴿ **رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ** ﴾، ومـا قـولهم ربّنا إلا كقول إبليس معترفاً بربوبيته تعالى وعزته كما جاء في الآيات الكريمة: (**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**)[1]، (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**)[2]، ورغم كل ذلك ما كان متواضعاً لربه، لو كان متواضعاً لما أبلس عليه الأمر ولسجد ودخل على الله تعالى. لا شيء حائلاً بينهم وبين ربهم إلا كبرهم، متى تواضعوا هنا بالدنيا أو هناك بالآخرة دخلوا على الله وخلصوا من حالهم. ﴿**رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا**﴾: عرفوا أن الجنة بالعمل الصالح. ﴿**غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ**﴾: من سوء، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم**﴾: جعلنا لكم في الدنيا أعماراً لتفعلوا الخير. في عالم الأزل انقطع الإنسان فعمي وصمّ وفقد كل شيء إلا لذته التي ما إن يأتي إلى الدنيا حتى يجدها على المخلوقات، فالله تعالى أعاده وعمَّره: وضع له العينين بدل البصيرة التي فقدها بانقطاعه، وضع له الأنف ليشم فيه بدل شمّه النفسي، واللسان ليذوق به ويعبِّر عما يجول في نفسه بدل ذوقه الحقيقي... والسمع بدل سمعه الحقيقي... وبذلك عمَّره الله تعالى بالكون، فهو جزء من هذا الكون حيث هناك ترابط، فلولا الهواء لا يسمع ولا يشم.. فترتيب الأذن مثلاً وخلقها يتوافق مع الهواء الذي يهزُّ عظيماتها بتواترات معينة لينشأ السمع، ولولا الهواء ما استطاع التنفس ولا الشم... الخ مما في الكون: ﴿ **مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ** ﴾: وكل ذلك حتى يتذكر ربَّه، فكل ما في الكون من آيات وما في نفسه يذكّره بربه ويدلُّه عليه.

---

١)- سورة الحجر: الآية (٣٩).

٢)- سورة ص: الآية (٨٢).

﴿..مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ
إِلَّا مَقۡتٗا..﴾

﴿مَن تَذَكَّرَ﴾: هل أحد منكم تذكّر.﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: جاءكم رسول الله أنذركم وأرشدكم، وما من أحد منكم تذكّر!. ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: في الآخرة لا أحد ينصرهم ويخلِّصهم.﴿ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم ﴾:بالماضي "في الحياة الدنيا", والآن لو عمَّرناكم مثل طلبكم: ﴿..مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ..﴾: في هذا العمر الثاني، لن تتذكَّروا فيه (..وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ..) [1]،﴿..مَن تَذَكَّرَ..﴾: من تذكَّر منكم بالعمر الأول؟! لا أحد منكم تذكَّر، ولو فيه بارقة أمل لكنَّا أعدناكم، لكن لا أحد منكم تذكَّر حتى نردَّكم رغم أنه: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: رسول الله ﷺ وأنذركم حتى تتذكروا لكنكم ما تذكَّرتم!.

٣٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: مشاهد ومطَّلع على كل شيء في هذا الكون، ويطلعك أيها الإنسان على غيبه إن آمنت واتقيت. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: لو علم فيكم الخير لوضع فيها الخير، لو رجعتم إلى الحياة الدنيا لما سرتم بالحق. عليم ومشاهد كل ذرة من ذرات نفسك فلا يخفى عليه سبحانه شيء من نفسك.

٣٩ــ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعاقبين، يخلف بعضكم بعضاً. ﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾: العائد عليه بالسوء والحرمان ولا يضر الله شيئاً. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗا﴾: يمقت لهم هذا السير

١)- سورة الأنعام: الآية (٢٨).

﴿.. وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞
إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ
بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ..﴾

لما سيجر لهم من حسرات. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: لا يضرون إلا أنفسهم.

٤٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الذين جعلتموهم آلهة لكم وظننتم أن لهم حولاً وقوة وفعلاً فسرتم معهم. ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: ماذا خلقوا حتى لحق الكافرون بهم؟. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: هل من غيره سبحانه يحرِّك الشمس والقمر والرياح ويسوق السحب وينزل الأمطار وينبت المزروعات والأثمار لتأكلوا؟!. ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: هل آتينا الشركاء كتاباً حتى لحق الكافرون بهم! أمرناكم بالسير به حتى سرتم بسيرهم؟!.﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: لظلمه لحق الظالمين وصاروا يعدونه غروراً، صاروا يمنُّونهم ويخدعونهم بما عندهم.

٤١- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: هذا الذي يُسمع كلامه. بيده تعالى السموات والأرض خالقهما ومربيهما ومسيرهما، هل يستطيع أحد أن يمسكهما من بعده؟!. ﴿أَن تَزُولَا﴾: أن يزول الخير منها. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾: وقف المطر مثلاً، هل من أحد غيره سبحانه يستطيع إنزاله؟! ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حليماً عليكم يمدّكم هذا الإمداد ليشفيكم، حليماً على خلقه يطاولهم حتى يتوبوا.

٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: اليهود حلفوا بالله. ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ

﴿..لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿نَذِيرٞ﴾: رسول الله. ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾:بعداً عن الله. والسبب:

٤٣- ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أن يخضعوا للعرب. ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ﴾: قاموا بخدع وسيئات تسوء الناس. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾: سيقع عليهم، الماكر مكره عليه لا على غيره. ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾: ما حلَّ بمن مكر بالرسل مثلهم. ماذا تنتظر من هذه الحياة؟. ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: طالما لم يؤمنوا لا يصبح لهم دولة ولا يكونون أمة ذات سيادة، وهم دائماً بالذُّل وتحت الحكم "محكومون من قِبَلِ غيرهم"، قال تعالى: (ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ) [1].

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾: سيقع عليهم، كل أمر يجري بنظام. غير الإيمان بالبداية والنهاية والتفكير بآلاء الله لا يوجد قانون بديل يحفظ النفس من الوقوع بالمحرمات. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾: الماكر مكره عليه لا على غيره، بعدم إقبالهم على الله لا تشفى نفوسهم مما بها من علل وصفات سيّئة، لذلك لا يمكن أن يتحوَّلوا عن هذا الحال من سلب للأعراض والأموال والفتن

---

١)- سورة آل عمران: الآية (١١٢).

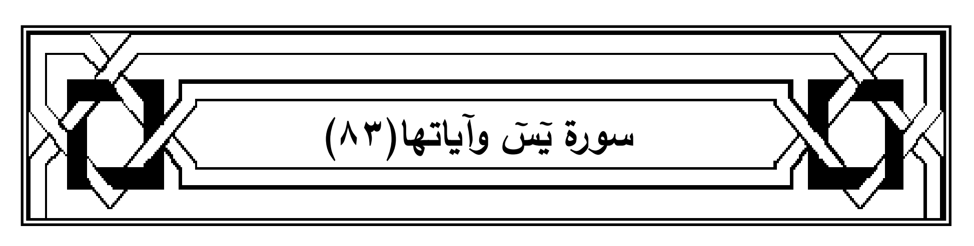
﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾

والضلال ما لم يؤمنوا ويتبعوا رسول الله ﷺ، ولابد لهم من العلاج لأن الاستكبار الذي في نفوسهم كبير.

٤٤- ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: لينظروا ويفكروا كيف أن من سبقهم قد طبقت سنة الله عليهم لمَّا عصوا.﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بادوا وكان هلاكهم هيِّناً على الله. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا﴾: بهم لذلك أهلكهم. ﴿قَدِيرٗا﴾: جاءهم الهلاك على حسبهم وبالوقت اللازم والمناسب لهم.

٤٥- ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾: ليست المؤاخذة: نداً لندٍّ. ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾: المخلوقات غير المكلفة مُسخّرة للإنسان فإن هلكت الناس أطلقهم تعالى لنعيمهم وانتهى تسخيرهم. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: ليوم معلوم عنده سبحانه. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾: جاءهم الموت. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾: يعلم سبحانه ما يناسبهم في الدنيا ويعطيهم، وكذلك في الآخرة يعلم سبحانه ما يناسبهم من علاج ودواء بسبب ما وصلوا إليه من حال ومرض.

والحمد لله ربِّ العالمين



سورة يس وآياتها (٨٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾

١ـ ﴿يس﴾: هذه الأحرف خطاب مباشر من الله لرسوله، أما ببقية السور مثل (الٓمٓ،حمٓ،...)، فالخطاب فيها لرسول الله ﷺ عن طريق الوحي، عن طريق جبريل عليه السلام، فكلمة (يسٓ): الياء: أداة نداء لمن أُنزل عليه القرآن والسين رمز لسلامته ﷺ. فكلمة (يسٓ) تقول: يا سالماً منذ الأزل باستدامة صلتك بربك، فلم ينقطع ﷺ عن الله طرفة عين منذ الميثاق وإلى ظهوره في الدنيا، ويا سليم النفس، يا سليم القلب من كل شائبة، فهو سالم سليم من صدقه العظيم بحبه لربّه الذي فاق به صدق الخلائق كلّها، وحبّ أهل الدنيا لشهواتها، فهو يؤثِّر بالكل ولا يتأثَّر بإعراضهم عن ربهم ولا يتأثر بميولهم لشهواتهم، بل يؤثِّر بهم ويسحبهم لربهم ويقرِّبهم منه تعالى بقربه هو ﷺ. وبهذا الخطاب بهذه الصفات العالية يتحرَّك قلب المؤمن الكامل، إذ أنه لمّا يسمع خطاب الله المباشر لرسوله مادحاً إياه يتوجَّه إليه بالمحبة والتقدير.

(يسٓ): يا سالماً يا سليماً، الله يخاطب رسوله الكريم ويهنئه بسلامته ويطمئن الأنبياء بأنه سالم سليم فليبقوا معه مرتبطين به ﷺ فهو لم يغيّر وبقي السابق الأسبق، فمنذ الأزل عندما تراجعت الخلق ونكست سارع بنفسه الشريفة لمساعدتهم يريد رفعهم وإنقاذهم، فرفع مَنْ رَفع وأنقذ من أنقذ وبقي طاهراً ما تأثَّر أبداً بهم "بإعراضهم" فكان سالماً.

٢ـ ﴿وَالْقُرْآنِ﴾: ما جئت به من القرآن والمعاني يشهد لك أنك سليم. سالم

﴿.. إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾

في الأزل وسليم في الدنيا لذلك أتيت لهم بهذا القرآن من عند ربك لما لديك من أهلية. ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: بخلقه تعالى، فكل آية تأتي من الله بمناسبتها ومحلّها وعلى حسب ما وصلت إليه النفس من قدرة على التحمّل يتنزَّل عليها القرآن، فكلامه ﷺ كله بوحي من الله.

٣. ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: الصفات الكاملة العالية التي خاطبه الله بها في كلمة (يسٓ)، وهذا القرآن الحكيم الذي لم يأت أحد بمثله شاهدان على أنك من المرسلين.

٤- ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: إن سيرك على الصراط المستقيم؛ على طريق الإنسانية، والإنسانية هي أن تأنس بالله تعالى فيستأنس بك كل مخلوق، وهو ﷺ جاء ليدلّ الناس على طريق الإنسانية والطهارة والكمال. فما جئت به من الحقّ من عند ربك هو الذي يوصل الخلق للسعادة والنعيم والجنات، لا ما هم سائرون عليه من قوانين وأنظمة وضعيَّة أوصلتهم للشقاء والحرب والجرائم.

٥- ﴿تَنزِيلَ﴾: هذا البيان تنزيل من صاحب الرحمة والحنان على خلقه، فالله سبحانه يقول لرسوله: إن سَيْرك يا محمد ﷺ على الصراط المستقيم كان سبباً لتنزيل القرآن عليك. هذا القرآن فيه الخير كلّه، وفيه الجنات من العزيز. ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: إن سرت أيها الإنسان على ما أنزل الله على رسوله وطبَّقته جاءك الخير، فالخير فقط من الله سبحانه وبالسير بدلالته. وبعث لكم رسوله ﷺ لكي تلتفتوا إليه وتؤمنوا به وتطبِّقوا بيانه فيوصلكم إلى الله تعالى لتنالوا خيره وعندها يتجلَّى عليكم باسم: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: خلقك للسعادة والجنات. حيث يغمركم بخيره وعطاءاته ولا حاجة لشدائد، فلا يتجلَّى عليكم باسم الرحمن بل باسم الرحيم.

وقد نزَّله على رسوله ﷺ وبعثه لكم لأنكم انقطعتم عنه تعالى بالأزل، فجاء

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

بكم إلى الحياة الدنيا.

٦ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾: الشاذّين المعرضين عن ربّهم علَّهم يخافون من سوء المصير فيتوبون ويؤمنون بالله. ﴿قَوْمًا ﴾:قومك. ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: بمثله، ﴿مَّآ..﴾: هنا بمعنى: (الذي). أي: أنت تنذرهم بالبيان الذي أتى آباءهم من قبل، فلِمَ الإنكار؟!. ﴿فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾: عنه، غافلون عن بيانك الذي تبيّنه لهم عن حضرة الله.

٧ـ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: قول إبليس انطبق عليهم. ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾: لأنهم لم يؤمنوا بربّهم امتلأت نفوسهم بالخبث فلا يمكن أن يتابعوك. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فلا يمكن أن يتابعوك. كل من لم يؤمن بلا إلّه إلا الله أو ليس عنده طلب للإيمان سيهلك في ساعة البلاء.

٨ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾: بعدم تفكيرهم امتلأت نفوسهم بالشهوات المنحطّة، وكل إنسان ما لم يفكر بالكون وآياته ليصل إلى الإيمان بلا إلّه إلا الله هذا حاله، وسوف يسحب لعمله بأغلال شهوته، الصحب الكرام لولا تفكيرهم بالموت وبالكون وإيمانهم بالله لما استطاعوا نصر رسول الله ﷺ ولما فتحوا فتوحاتهم العظيمة للبلاد. ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: ما بأنفسهم من شهوات وخبث قوي مستحكم.﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: نهضوا للشهوات ولم ينهضوا للخير، لا يستطيعون الدنو من الحقّ أبداً فهم منصرفون في إخراجها "يُلْقَوْنَ في نار جهنم". قاموا الآن بهذه الحضارة ومن ثم سيزولون ولا يبقى شيء من هذه الدنيا وحضارتها في الساعة، ساعة الهلاك، فهم الآن مسحوبون لهذه الدنيا وغداً سيُمحون ويزولون معها.

﴿..وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ
(٩) وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ..﴾

٩- ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا﴾: الشهوة التي بنفسه من إعراضه عن ربّه سدَّت عليه مشاهدة ما في عمله الآن من سوء سيرجع عليه بعد قضائها. ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾: كذلك سدَّت عليه مشاهدة ما سيعقبه "العمل" من ندم. ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾: أعطيناهم طلباتهم. ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾: غطَّت عليهم كل شيء وسدَّت عليهم منابع النور، فهم لا يبصرون الحقائق لأنهم ما آمنوا، لو آمنوا لصار لهم نور من الله ورأوا الشر بأعمالهم وما وقعوا بالانحطاط.

١٠- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: طالما هم بالإعراض عن الله تعالى وعدم التفكير بالموت والكون لا ينفع معهم شيءٌ من إرشادك لهم، وهذا لم يحدث مع صحب رسول الله ﷺ. ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: بارتكابهم الشهوات والأعمال المنحطّة لا يحصل لهم شعور بالقرب منه تعالى ولا ذوق ولا رؤية لفضله وأسمائه الحسنى.

١١- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾: كل من سلك في طريق الحق وذلك بالتفكير بالموت ثم الاستقامة على طاعة الله والتفكير بالكون ليحصل له الإيمان بلا إلّه إلا الله إيماناً شهودياً يقينياً، هذا تنفعه الذكرى. ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: الخشية تُولِّد الطاعة والاستقامة، هؤلاء بخلواتهم وتفكيرهم آمنوا بالله وشاهدوا نوره وفضله وتسييره الخيّر من بعد أن غاب عنهم الوجود الإلّهي بسبب انقطاعهم عنه سبحانه في عالم الأزل قبل مجيئهم للدنيا، هؤلاء جاؤوا للدنيا فكَّروا بالكون فآمنوا وأعادوا صلة نفوسهم بالله تعالى. ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾: هؤلاء لهم البشرى بشفاء أنفسهم مما حلَّ بها بالماضي، فهذا رجع وتاب وآمن وباب

﴿..وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

التوبة مفتوح دوماً "والصلح بلمحة". مهما ارتكب الإنسان إن تاب قَبِلَهُ الله تعالى مباشرة، وهذا له شفاء من الماضي كلّه، الله تعالى يمحو ماضيه من نفسه. ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: لهم الجنة بالدنيا والآخرة، فهم سعداء في الدارين، لا شيء يُشقيهم ويُنغِّصهم بسبب ما قدَّموا من أعمال صالحة،

" **كريم** "عطاء عالٍ لا شائبة فيه.

١٢ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: هؤلاء الذين يتَّبعون الذّكر ستحيا قلوبهم بإقبالهم علينا، وكذلك كل من أقبل علينا يحيا بكل زمان ومكان. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾: نكتب لهم أعمالهم، فهم بإقبالهم على الله نالوا كمالاً منه سبحانه، لذلك سيفعلون الخير بعد ذلك وسنكتبه لهم ونجعله بصحيفتهم، فكلّ أعمالهم محفوظة لهم ولا نضيع مثقال ذرة. ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: ليس أعمالهم فقط وإنما نكتب ما خلّفوا من جميل وإحسان، أي: وسنكتب لهم كذلك كل ما سيعقب هذا العمل من أثر طيب. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾: جمعناه وحفظناه لهم. ﴿فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: ستظهر لكل إنسان أعماله يوم القيامة وستكون بادية ظاهرة له وسيؤمُّ إليها ولا يغيب عنه شيء منها، فإن كانت أعمال الإنسان طيّبة صالحة أمَّ إليها ودخل بها الجنة وإن كانت غير ذلك فإلى النار.

١٣ـ بهذه الآية يحذرنا الله تعالى من الهلاك لذلك أورد لنا مثالاً كيف هؤلاء القوم سكان أنطاكية هلكوا عن بكرة أبيهم لما عاندوا الحق وكادوا له ولأهله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾: اذكر لهم ما جرى لهؤلاء لـمَّا كذَّبوا بالحق. ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: يُقال أن عيسى عليه السلام أَرسَلَ من قِبَلِه

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ ..﴾

رسلاً إلى أنطاكيّة [1].

١٤ـ ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾: رسولان دلاّهم على السير بطريق الإيمان والحق. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: كذّبوا بدل أن يفكروا ويؤمنوا. ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾: لنبلِّغكم وندلّكم على طريق الحق والسعادة فلا غاية لنا إلا هدايتكم.

١٥ـ ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾: لا ميزة لأحد منكم علينا. ما شاهدوا كمالهم إذ ليس لهم نور ليروا به كمال وجمال الرسل. ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾: أنكروا أن يُنزل الله على بشرٍ من شيء، أنكروا الرسل. ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾: بما تقولون وتدَّعون.

١٦ـ ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾: إن فكرتم بالمربي وفضله عليكم آمنتم بالله فيصبح لكم نورٌ منه تعالى، عندها تعلمون أن الله أرسلنا لكم.

١٧ـ ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: أرسلنا إليكم لنبيّن لكم الحق والسير به وليس لنا عليكم من سلطان، ليس لنا إلا التبليغ والبيان، ولكم الاختيار.

١٨ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾: إن كلامكم سبَّب لنا الشؤم والتعاسة فدعونا وشأننا، تشاءموا منهم إذ جفّت الأنهار وجاءتهم المصائب والشدائد والعلاجات

١)- وهم من صحابة سيدنا عيسى عليه السلام، فهم رسل عن رسول الله عيسى عليه السلام، فوظيفته عليه السلام باقية. وكانت أنطاكية ذات شأن كبير، ملتقى الأجانب ومحطة لكل القادمين من الغرب إلى بلاد الشام، ولذلك كانت أوّل ما قدم إليه المرسلون لأهميّتها.

﴿..لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا..﴾

مذ دعوهم وكذّبوا دعوتهم فأنكروا الحق ولم يسيروا به، ولو أنهم ساروا بالحق ما حدث لهم هذا. فبسبب تكذيبهم شدَّد الله سبحانه وتعالى عليهم وأرسل لهم المصائب والشدائد فلعلَّهم يرجعون ويسيرون مع الرسل. **﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾**: وكان الإعدام وقتها الرجم بالحجارة. **﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾**: هدَّدوهم بالتعذيب والقتل.

١٩- **﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾**: إنَّ تعاستكم من أنفسكم وليس لنا يد في ذلك. **﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾**: أجابوهم: أن ذلك الحال الذي حلَّ بكم بسبب ما أنتم عليه من إعراض وسفالة، وإن أعمالكم وإنكاركم للحق جعلكم تقعون بهذه المصائب والشدائد فهي من أنفسكم وليست من أحد.

٢٠- **﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾**: رجل آمن بالرسل. إذن غير المؤمن لا ينصر رسول الله ﷺ. هذا الرجل بتفكيره بالكون وإيمانه بالله أقصى المدينة ومباهجها ومُسلِّياتها وترفها عن نفسه، وبذلك هاجر لربه من بعد أن ضحَّى بما يتمسك به عميان البصيرة، تخلَّى عن الصورة ابتغاء الحقيقة، لذلك سمَّاه تعالى رجلاً، لأنه مسيطر على نزواته وميوله الحيوانية. لمَّا علم هذا الرجل أن القوم تآمروا على قتل الرسل ذهب إليهم. **﴿يَسۡعَىٰ﴾**: لرضاء ربِّه ولدلالة قومه ونصحهم. **﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾**: قال لهم هؤلاء مرسلون من عند الغني سبحانه وتعالى، اتَّبِعوهم وسيروا معهم وطبِّقوا كلامهم ففيه نجاتكم وسعادتكم وخلاصكم من الشقاء والآلام دنيا وآخرة.

٢١- **﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾**: بيَّن لهم صفات الرسل وكمالهم؛ إنهم

﴿..وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً..﴾

ممن لا يسألكم أجراً ولا غاية لهم بدلالتهم إياكم إلا هدايتكم وسعادتكم، فهم لا يريدون منكم مالاً ولا نساءً ولا جاهاً، الناس اليوم جميعهم يتعاملون مع بعضهم بغية منافع مشتركة، يعملون لدنيا يصيبونها أو امرأة ينكحونها أو مال أو جاه، والحقيقة إنهم يعملون لسراب وغرور. ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: فبماذا يكلمونكم أليس بالحق؟ انظروا إليهم وإلى سيرهم ترونهم ملائكة يمشون على الأرض بكمالاتهم، وإن التفتّم إليهم وفكرتم نلتم خَيرَي الدنيا والآخرة.

٢٢ـ ﴿وَمَا لِيَ﴾: أيُّ شيءٍ لي حتى أعاند هذا الرب الكريم؟ أيُّ حقٍّ لي وعلى أيِّ شيءٍ أستند؟ ألا أهلك إن فعلت ذلك؟!. ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: بيَّن لهم بياناً كاملاً عن الإيمان: خلقني ومنحني وتعهدني بالخلق والتصوير والإمداد المادي والمعنوي والدنيوي، قال لهم: هذا الخالق المربي لي هو سبحانه الذي أدين له بالطاعة المطلقة لِما يتفضّل عليّ من إنعامات وإحسان غير محدود. ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: بكل أموركم وحوائجكم، وسترجعون إليه يوم القيامة للمحاكمة والسؤال والحساب. أجاب ذلك بعد أن سألوه أأنت معهم كذلك.

وهكذا نجد أنه لا ينصر الدين حقّاً وعملاً إلا المؤمن، فالمؤمن ساعة خطر الموت ينكشف سعيه الصادق مع ربِّه، فالشجاعة لا تُستمَد إلا من الله، إذ تعقل النفسُ الوجودَ الإلٓهي فتستعين به فيمدّها تعالى بإقدامٍ يفوق إقدام العالمين، إذ يشاهد المؤمن أن الله سبحانه هو الفعّال المحرِّك للكل وأنهم بيده تعالى.

٢٣ـ ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: كيف أتَّبع هذه المعتقدات التافهة بعد إيماني بالله! فهل من مسيّر فعّال غيره؟ وكيف لي بعد أن عرفت ما عرفت عن الله تعالى ورحمته أن ألتجئ لغيره! كيف أتركه سبحانه إلى من لا يملك لي

﴿..إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

شيئاً؟ وإليه تعالى مرجعي ومرجعكم، فبأيِّ وجهٍ ألقاه وتلقونه، أبوجه اللؤم والجحود! ولم يكن أبداً تعالى هكذا تجاهي ولا تجاهكم، وبإشاحتي أخسِّر نفسي من مكاسب إقبالي فتخسر غداً تجارتي وأصبح غداً من النادمين المتحسِّرين. ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾: إن كان كتب عليَّ القتل. ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾: لا يستطيعون مدّ أجلي. ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾: لا ينقذوني من الموت ولا من أي شيء كتبه الله لي، قال لهم: الله سبحانه وحده يزيل وجهةَ ضرري فضلاً منه ورحمة وحناناً علمتُ بهذا أم لم أعلم، إن لم يجتهد الإنسان ويَجِدّ حتى يعاين ويرى رحمة ربِّه فلن يتم إيمانه ولن يستفيد من معالجة الله له بالشدائد بل ويراها قسوة وهضماً. كما يرى الجاهل معالجات الأم الرحيمة والأب الشفوق والطبيب الناصح ظلماً وهضماً ولله المثل الأعلى، يرسل الضّر من فقدان مال ومرض ليتحول الإنسان عن الفاني الزائل إلى الباقي سبحانه وتعالى. عندها يمنح هذه النفس عطاءً سامياً لا يزول يكون ملك لها أبد الآبدين، فضرّه تعالى إيقاظ لنفسك من سبات مرعب بأحلامٍ خُلَّبيَّةٍ ماكرةٍ نتائجها الهلاك والنار.

٢٤ـ ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: إن فعلت هذا أكون ضالاً دنيا وآخرة، بالدنيا ضائع ملتجئ لِمَا يضرني من المحرَّمات واللذائذ المهلكة وبالآخرة ينتظرني المستقبل المجهول المظلم. بعد أن علم قومه اتِّباعه رسل الهدى قتلوه، فسأله الملكان في القبر من ربّك فأجابهم:

٢٥ـ ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ فَٱسْمَعُونِ بِرَبِّكُمْ﴾: لإيمانه بربه وجهه أبيض، عندما جاءت الملائكة تسأله أجابهم: إني آمنت واستدللت على ربي وبه مستعين، فاسمعوا إرشادي عن ربي. اسمعوا كشاهدين مشاهدين لاعترافي وتصريحي

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧ ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ..﴾

الاستجابي الرضائي الحبي.

٢٦ـ ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:حصلت له التقوى ودخل بالسعادة وذاق نعيماً دونه نعيم العالمين [١]. ورغم ما فعله قومه معه "قتلوه" ما كان نفسانياً حاقداً عليهم بل كان إنسانياً، وأحبَّ لقومه أن ينعموا بنعيم القرب الإلٓهي وصرّح بذلك قائلاً: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾: هكذا المؤمن يذكر بالحسنى الذين أساؤوا إليه، فالمؤمن لا يحمل في قلبه غلاً على أحد، فهذا المؤمن حتى بعد انتقاله ظلَّ يتمنى الخير لهؤلاء الكفرة.

٢٧ـ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بهذا الإقبال على الله المبني على تضحياته الكلّية، أكبَرَ فضل الله عليه فقال للملائكة: الله سبحانه شفاني من كل ما يسوءني بهذه التضحية التي ضحيتها ومحا بنوره تعالى من نفسي كل ظلام. حتى أن هذا النور سرى إلى جسده فحوَّله عن كل ما مضى فكان الشفاء تاماً نفسياً وجسدياً فلا فناء لجسده. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾: بالجنات، حيث أخذت نفسه تغرف وتقطف من كريم عطاءات المولى جل وعلا.

٢٨ـ ﴿۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: وردت الآية الكريمة بصيغة الاستفهام لتدلَّ على الإقرار وثبوت الأمر، أي: ألم نُنزِل العذاب عليهم بعد أن أنذرهم الرسل ولم يستجيبوا؟. ألا تعلمون يا قريش كيف أنّا أنزلنا على قومه البلاء والمصائب حينما عاندوا وأعرضوا وأنزلنا عليهم الملائكة لقبض أرواحهم فماتوا. لم تَدُم لهم الدنيا، وكذلك الذين أووا واتجهوا إليهم

١)- كل الخلق من غير المكلفين وكذا المكلفين ممن لم يلتفتوا لربهم واعتمدوا على دنياهم دونه بالنعيم والسعادة والسرور.

﴿..وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ..﴾

من دون الله ما استطاعوا أن يُخلِّدوهم في الدنيا أو يردُّوا عنهم الموت والعذاب. ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: ليس بالحتم أن نُنزِّل البلاء، إذ لو رجعوا للحق لما نزل عليهم البلاء، فالله سبحانه بهذه الآية يقول لنا: نحن ما كتبنا عليهم الشقاء والهلاك والخسران ولكنّهم كتبوه على أنفسهم.

٢٩- ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾: كيف حصل ذلك؟ ﴿وَٰحِدَةً﴾: صيحة واحدة، فكم هذا الإنسان ضعيف! هؤلاء القوم ما كان لهم فعل كمثل الذين قبلهم مِن الذين أُهلِكوا. صيحة: صحوا بعد الموت، نفوسهم ذهبت عنها شهواتها فصحوا: **(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)** [١]. ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾: أما خمدوا؟ ماتوا ولم يبق بهم حراك، فهل للسلاطين والحكام الذين سبقونا من حسٍّ وأثر الآن؟. وكذلك نفوسهم لم تَسْمُ بل بقيت دون رقي، خسرت رقيَّها وما أعدَّه الله تعالى لها، بقيت سجينةً رهينةَ عملها وليس لها رقيٌّ ولا مكاسب، فهم من ذاتهم خامدون وذلك بسبب أعمالهم المنحطة.

٣٠- ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: ما أعظم هذه الحسرة التي ستعتريهم، كم يتحسر الإنسان عند الموت ويوم القيامة لِمَا فرَّط في جنب الله، سيرى أن هذا الكلام أتاه من الله مباشرة على لسان رسوله فنبذه، يتحسَّرون إذ لم يطيعوا الرسل ولم يؤمنوا بل كفروا ونزل بساحتهم الغضب والهلاك، وهؤلاء قومك سوف يتحسَّرون على ما ضيَّعوا من جنات ونعيم إذ لم يؤمنوا بالله ويعملوا صالحاً. ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾: من عند الله يدلّهم ويرشدهم إلى الإيمان والأعمال

١)- من قول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

﴿..إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الصالحة لئلا يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأقوام ولئلا يخسروا الجنات غداً ويتحسَّروا ويندموا على ما فرطوا في جنب الله. ﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: لا يعبؤون بقول الرسول، لا يطبقون ما يأمرهم به فلا يؤمنون فيقعون بالانحطاط. لو قدّروه لطبَّقوا ما يدلُّهم ويرشدهم إليه، لكن عندما لم يقدّروه: (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً) [1]. لم يطبّقوا ولم يؤمنوا فأتاهم البلاء: (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ) [2].

٣١ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: أقوام استقرت بهذه الدنيا، قرَّنوا بها، حضارة.. بناء.. أموال.. أصحاب قوة. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أفلا يرون الذين يذهبون بالموت فلا يرجعون؟! ويرجعون إليه تعالى. ألا وإنهم على هذه الطريق سائرون.

٣٢ـ ﴿وَإِن كُلٌّ﴾: كلّهم، كل من مات من الأقوام السابقة. ﴿لَّمَّا﴾: وهؤلاء الأحياء والذين سيأتون من بعدهم أيضاً وهكذا حتى يوم القيامة. ﴿جَمِيعٌ﴾: ليوم القيامة، الله يجمع الكل. ﴿لَّدَيْنَا﴾: كلهم لدى الله سواء بهذه الحياة وما بعد الموت وبالآخرة، الكل بكنف الله، يمدُّهم ويربِّيهم ويعاملهم بأسمائه الحسنى. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: موجوداً للعلاج والمداواة. سيُحضَرون غداً يوم القيامة للسؤال والحساب وستكون حسرتهم كبيرة على ما خسروا من مقامٍ عالٍ وجناتٍ كانوا سينالونها لو أنهم طبقوا كلام الحق وساروا به.

٣٣ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾: إن لم يفكِّروا بالأقوام السابقة فليفكروا بالآيات التالية وما

١)- سورة الإسراء: الآية (٩٤).

٢)- سورة يس: الآية(٢٩).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا..﴾

خلق: ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: أفلا ينظرون إلى الكون ويفكرون به، ليفكروا بحال الأرض قبل نزول الأمطار والحياة عليها، كيف هي ميتة لا حياة فيها ولا نبات. ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾: بالأمطار. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: فنبتت بالزرع والنبات، من جعل لك أيها الإنسان هذه الصنوف المتنوِّعة في تركيبها وطعمها ومنافعها من الحبوب والنبات. ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: انظر أيها الإنسان لرحمة الله بك، كلّ هذا لأجلك، فلماذا تلتفت عنه سبحانه لغيره ممن لا يملكون لك رزقاً ولا حياة ولا نشوراً!.

٣٤- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾: أشجار مثمرة يُسرُّ الإنسان بالنظر إليها. ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾: جعلنا فيها ينابيع لتمدكم بالماء صيفاً وتسقي لكم مزروعاتكم ومواشيكم.

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾: لتتمتعوا بلذائذها وتمدّكم بالقوة والطاقة. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: هذا خلقنا ولم تعمل أيديهم منه شيئاً. هل الإنسان أتى بالشمس لتبخِّر مياه البحر؟! هل أتى بالرياح تحمل بخار الماء إلى الأعلى وجعله سحباً وأنزل الأمطار! هل يدوِّر الأرض ليأتي بالليل والنهار ولولاهما لما نبت زرع؟! هل وهل!... هل من أحدٍ غير الله يفعل هذا؟ فلِم الإعراض عنه سبحانه!. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: ألا يشكرون الله على هذا الفضل؟! أفلا يقبلون عليه سبحانه ويعملون صالحاً؟!.

٣٦- ﴿سُبْحَٰنَ﴾: ما أعظمه. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: كل شيء

﴿..مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

زوج إلا الله فردٌ صمد. ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾: كل ما خلق الله من نتاج الأرض حتى أنت أيها الإنسان من نتاجها، الأب أكل الطعام فتشكلت النطاف كذلك الأم أكلت فتشكل منها الجنين. ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: كما للجسم زوج كذلك للنفس زوج، فانظر إلى نفسك مع من هي تزاوجت، هل مع رسول الله ﷺ أم مع غيره (١)؟. ﴿ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾: عندما لم يؤمنوا بالله ورسوله واستحبُّوا الدنيا على الآخرة وأصرُّوا على شهواتهم، أخرج الله لهم ما بأنفسهم وما استحكم فيها من فتن، فهو تعالى منحهم الاختيار وهم أرادوا واختاروا الدنيا فقط، فلهم ما اختاروا، حيث مكَّنهم الله من وسائل الحضارة والمدنيَّة فعادت عليهم بالبؤس والشقاء. هذه الحضارة ما كانوا ليستطيعوا أن يقيموها لولا أنَّ الله أطلعهم عليها وذلك لإخراج ما في أنفسهم.

هل البترول كان معروفاً؟ السيارات هل كان أحد يعلمها؟! هل يتصور أحد أن يطير الحديد على البروج؟!.

لو أنهم آمنوا وتفتَّحت منهم البصائر لكانوا علموا حقيقة هذه المخترعات وما ساروا بوسائل الحضارة والكفر بل لرفضوها بعد أن رأوا حقيقتها وما ستجرَّه لهم من شقاءٍ وتعاسةٍ في الدنيا وخسران الآخرة.

صنعوا السيارات والطائرات وسائل نقل ضخمة وسريعة تنقل الخيرات من طرف من الأرض إلى طرف آخر بعيد، تنقل خيرات بلاد فقيرة لبلاد فاحشة الغنى بأسعار عالية، فتزداد الأسعار ارتفاعاً في البلاد الفقيرة ليموت الفقير جوعاً ولا يجد قوتاً من الخيرات التي تجود بها بلاده في حين يزداد الغني ترفاً ورفاهية،

١)- المقصود بذلك إنما هي الرابطة القلبية برسول الله ﷺ والاستشفاع به "الشفاعة".

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

ومن هنا يحدث التفاوت الطبقي وينتشر الإجرام والسرقات، سرقات شعوب وأمم. كل هذا بسبب وسائل النقل السريعة والضخمة، سيارات، طائرات، بواخر حديثة... هذه ما كانوا يعرفونها سابقاً، ولا شك أن هذا مما خلفته الحضارة من أضرار، ناهيك عن وسائل التدمير والقتل والحروب. لو آمنوا لهدوا بعضهم إلى الحق وطريق الإنسانية وما قتلوا بعضهم.

صارت سوق الشيطان رائجة وأُغلقت أبواب الرقي والسمو. منحهم الله وسائل الحضارة عندما لم يؤمنوا بالله ورسوله. لو آمنوا لشاهدوا أنواره ﷺ وما يصبُّه الله عليه من تجلٍ وجنات وانفتنوا فيها ولم يغترُّوا بالدنيا وشهواتها.

كذلك ليفكروا بآيتي الليل والنهار وما فيهما من عظمة ورحمة عليهم.

٣٧ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾: الليل يغمر النهار فلا يبدو من نوره شيءٌ، ثم ينزع الله النهار من الليل ليعود وينير الأرض، ألا تدلُّ هذه الآية على رحمةٍ منه تعالى وحنانٍ؟ ما حالك أيها الإنسان لولا الليل والنهار؟!.

٣٨ـ ﴿وَٱلشَّمۡسُ﴾: كذلك هي آية لك أيها الإنسان تدلُّك على رحمة الله وحنانه عليك وعلى خلقه جميعاً، فلولاها ما نبت زرع وما أكل إنسان. ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾: إن جريها بقدر معلوم عند الله، يسيِّرها به، لا يتبدل، فهي في الفضاء بموضع مناسب للأرض من حيث بعدها وموقعها وحجمها وحرارتها وتجري بمسار لا تخرج عنه، فمن الذي جعل هذا كلَّه وربط وظيفتها مع الأرض؟ أليس الله سبحانه وتعالى بعليم قدير حتى جعل هذه الشمس في موضعها وموقعها المناسب لنا، يمدّها بالحرارة والضياء، وكل ذلك

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ
أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

من أجل خير هذا الإنسان وسعادته. ثم إن هذه الشمس غداً يوم القيامة ستعود نفساً وتخلع عنها ثوبها الذي ألبسها الله تعالى لتستقر عند بارئها بالنعيم الذي وعدها به بعد أن أدَّت وظيفتها في خدمة الإنسان ولهذا تجري لتستقر غداً بالسعادة والنعيم.

٣٩- ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾: العرجون: من العروج. والقديم: تكرار منازل القمر منذ قديم الزمان لم يتبدَّل ولم يتغيَّر، نظام ربَّاني صارم في الدقة.

القمر يولد هلالاً ويزداد حجماً يوماً بعد يوم حتى إذا ما انتصف الشهر أصبح بدراً كاملاً ثم يبدأ بالتناقص فيعود كما كان في بداية إشراقه "نحيلاً"، هذا حاله في الحياة الدنيا وهو مطابق لما كان عليه من حال نفسي في عالم الأزل قبل الحياة الدنيا، فهو يتنقل من منزلة لمنزلة أعلى في القرب من الله تعالى ثم يتراجع عنها، ثم يعود إلى منزلة القرب مرة ثانية وهكذا إلى نهاية الدوران.

٤٠- ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾: كل ما خلق الله سبحانه زوج، وهذه الشمس لا تصل للقمر ولا يمكن أن تدركه بجرمها وتخرج من مسارها لمساره، إنما هي فقط ترسل أشعتها إليه، فليس لديها هذه البغية والطلب لذلك لا يمكنها الله تعالى من الوصول إلى القمر، ومعنى الإدراك هنا أي الوصول إلى الشيء ولمسه. ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: الليل دائم اللحاق بالنهار لكن لا يسبقه ولو سبقه "تجاوزه"ـ وهذا لا يكون ـ لما استطاع أن يغطيه ولأصبحت الأرض بنهارٍ دائمٍ بلا ليل وهذا لا يكون. ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: كلٌّ يجري في نظام ودقة متناهية. كلٌّ يجري في مساره المخصص له فلا يخرج عنه، وهو

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ..﴾

راضٍ في هذا السبح وديمومته إلى يوم القيامة بسبب ما يغزوه الله تعالى به من نعيم يهيم فيه ويرضخ مستمراً في سباحته.

٤١- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ﴾: ألا يكفي لهم دليلاً قاطعاً على خلقنا وتربيتنا وتسييرنا. ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾: هذا الطفل في بطن أمّه يسبح في الرحم ضمن الكيس، هذا الرحم جامع ومزوَّد بالشرائط الضرورية لحياة الإنسان من حرارة وغذاء وأوكسجين، فمن جعل هذا في الرحم وشحنه بكل ما يلزم لحياة الجنين؟ مالم يفكر الإنسان بهذا فلا جدوى له من الإيمان والهداية، إن فكر بأصله وأنه كان نطفة ضعيفة يسبح مع ملايين النطاف لشاهد ذاته أنه لا شيء وأن الله أمدَّه بكل شيء ومنه تعالى كل شيء، عندها يتنازل عن عجبه بنفسه ويخضع لربّه ورسوله ﷺ فيؤمن بالله.

٤٢- ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾: كذلك جعلنا ذات الخلق عند الحيوان ليركبوا عليه ويحملهم ويحمل أثقالهم.

٤٣- ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ﴾: في الدم الذي يسبح فيه في رحم أمه. ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾: هذا الجنين لا يتكلم فيصرخ. ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾: لا يستطيع إنقاذه أحد.

٤٤- ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا﴾: لكن ذلك رحمةٌ وفضلٌ من الله عليكم، كل إنسان فكر بهذا يرى رحمة الله به وبكل مخلوقاته سبحانه. ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: جعل الله تعالى لكلِّ إنسانٍ عمراً محدوداً فلا يموت الإنسان قبل أجله ولا بعده، فَلِمَ الخوف ويومك يومك لا يزيد ولا ينقص؟!.

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾: آمنوا بالله، استنيروا وانظروا ما

﴿..وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ..﴾

تفعلون، فلا تواقعوا شيئاً بهذه الدنيا إلا بنور الله (﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾)[1]، فالرسول الكريم ﷺ يوصلك لنور الله لترى به، زوجتك تظنّها مُلكك فهل أنت خلقتها وأمددتها بالحياة؟ وتظن أن عندها شيئاً وتطلب منها "اللذة" وبالحقيقة هي فقيرة لله ومحتاجة لإمداده تعالى، والكل من الله، فالتفت إليه تعالى ولا تدخل هذه الدنيا إلا بنور الله حتى ترى إمداد الله في كل شيء ومن الله كل شيء، إن أقبل الإنسان على ربه صار له منه سبحانه نور يرى به الحقائق، يرى حقيقة الأعمال فلا يقع بمنكر أبداً. ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الآخرة، فكِّروا بآخرتكم، فكِّروا بالموت حتى لا تتعلَّق النفس بهذه الدنيا، فكِّروا بمصيركم بعد الموت. إن استنارت النفس بنور الله تستطيع أن تسري للآخرة وتشاهد ما فيها وما أعدَّ الله لها من جنات فتعمل الخير والإحسان لتنالها.﴿ لَعَلَّكُمْ﴾: إن استنرتم. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: عندها تأتيكم الرحمة.

٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: مع كل هذه الآيات الدالَّة على الله لا يفكرون بها. ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: لعدم تفكيرهم ما قدَّروا الإحسان الإلّهي عليهم، كلها آيات دالة على الله ورحمته وعلمه وتسييره ومع ذلك معرضون عنها لا يفكرون بها ولا يرون منها شيئاً، مالم يفكر الإنسان بهذه الآيات لا يهتدي إلى الله فلا يقدّر الفضل والإحسان الإلّهي عليه.

٤٧ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: أنفقوا مما آتاكم الله من فضل، من جاه وقوة ومال، ليس للإنسان إلا العمل الصالح في الحياة.

---

١)- سورة النور: الآية (٣٥).

﴿..قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ..﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين ما فكَّروا بالآيات فما آمنوا هؤلاء ما عرفوا ما في الإنفاق من خير يعود عليهم لذلك بخلوا على أنفسهم وعلى غيرهم، وقالوا: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: الذين يدلُّونهم على الإنفاق والعمل الصالح. ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾: فهل نطعم من أفقره الله؟ والله غنيٌّ، لو شاء لأغناه، فحتماً أفقره لعلَّة في نفسه، فهل نطعمه نحن والله قادر على إطعامه؟! قالوا هذا بخلاً منهم بسبب شحَّ أنفسهم، نظرهم مقلوب، تحدَّثوا بمنطق أعوج يلبّي شحّ أنفسهم وحرصهم على الدنيا. ولكن الصدقة تفيد الإثنين، ذلك ليرقى مُعطِيها رقياً إلى الله وليرجع مُعطَاها أيضاً إلى الله لما يصيبه من ذل وصغار، فكم في الصدقة من فضل، وهي دليل الصدق.

الله سبحانه جعل رزق الفقير عند الغني لينفق ويعمل صالحاً ويدخل غداً الجنة، هؤلاء ما عرفوا ذلك فأسرفوا على أنفسهم بالشهوات وحرموا الفقير من حقِّه، وظنّوا بالمؤمنين الذين يدلُّونهم على الإنفاق أنهم يريدون حرمانهم من الشهوات كما يحرمون هم أنفسهم، فقالوا لهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: عن السعادة. ﴿مُّبِينٖ﴾: هذا الشيء ظاهر بحرمانكم أنفسكم شهواتها. قالوا: يا من تدعوننا إلى التضحية والإنفاق أنتم بعيدون عن الحق. وهكذا نظر محب الدنيا، منظاره معكوس، يرى الهدى ضلالاً والأمين خائناً، ويمنونهم بالآخرة وفضل الله:

٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

٤٩- ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ﴾: الموت مصيرهم ونهايتهم، حين الموت يسمعون نداء الله لهم، هذا النداء الذي ما سمعوه في الدنيا بسبب

﴿..وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ
بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ..﴾

معاصيهم وانشغالهم بشهواتهم التي كانت حجاباً بينهم وبين الله سبحانه، عندما يسمعونه "نداء الله لهم" يصطدم الخبث الذي في نفوسهم مع كمالات الله فيعيشوا بجهنم. ﴿وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾: يموت الإنسان وهو يقوم بأعماله من بيع وشراء ومخاصمات.

٥٠. ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾: ليس لهم من أمرهم شيء. ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: لا رجعة لهم، فلقد تقطعت الأسباب بينهم وبين أهلهم وأصحابهم الذين كانوا معهم بالحياة الدنيا.

٥١ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: في هذا الجسد تنفخ الروح. ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾: القبور سمَّاها تعالى أجداث لأن هذه الكلمة تحمل معنى التجديد ومعنى الجث "الجثة" أي جسد الإنسان بعد موته، فجثتك أيها الإنسان سوف تتجدد ويُعاد خلقها مرة ثانية يوم القيامة.

وكذلك كلمة الأجداث تحمل معنى الجَدّ، أي: أن هذا الشيء حاصل لابد منه، وهو جدٌّ وليس هزلاً. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾: تُجمَع الذرَّات المتبعثرة في مختلف الأماكن وينبتون كأنهم البقلة، وبعدها تنسلُّ النفوس إلى أجسادها وتحيط بها، فنفس هذا الإنسان الخاسر "الذي لم يوفِ بعهده مع ربِّه" المتعلّقة بذرَّات جسدها الفاني وبعد خلقه ثانيةً تعود هذه النفس وتنسلّ من مواضع تعلّقها لتحيط بهذا الجسم بعد خلقه ثانية وعودة هذا الإنسان للحساب.

٥٢. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾: من بعثنا من قبورنا؟ المرقد: ما كانوا عليه من حال يعيشون به في القبر, فلقد كانوا راقدين بالرعب والآلام

﴿..هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

والأوجاع، وهؤلاء المعرضون من هول وعظيم ما مرَّ بهم من عذابٍ في البرزخ أصبحوا بذهولٍ عمَّا حولهم فلا وعي لهم لشيء، ولكن بهذه اللحظة عندما دبَّ الله الروح بأجسادهم ولبست نفوسهم هذه الأجساد وعوا إلى حالٍ أفظع مما كانوا عليه في القبر، لذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا؟ قالوا هذا خوفاً مما سيأتي عليهم من فضائح أعمالهم المخفيّة الخبيثة أمام الله تعالى وأمام الخلائق أجمعين، فكل شيء فعلوه كبيراً كان أم صغيراً سوف يظهر يومها بالمثاقيل. ﴿**هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ**﴾: به على لسان رسله.﴿ **وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ**﴾: أخبروكم وحذَّروكم فما عبأتم.

٥٣- ﴿**إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً**﴾: ناداهم الله بالدنيا ودعاهم للإيمان فما سمعوا وظلُّوا بالشهوات نائمين، فهؤلاء كانوا بالبرزخ بحالٍ من الرقود لا النوم، والله تعالى يناديهم الآن للسؤال والحساب فيصحون من حالهم "الرقاد" الذي كانوا عليه في القبر لرعبٍ أعظم، فالخوف من أعمالهم الخبيثة يجعلهم بالرعب.

فالصيحة هي نداء الله ليصْحوَ الإنسان، وبها سيقوم هؤلاء الخاسرون على حالٍ جديدٍ صعبٍ ومرعبٍ غير الذي كانوا عليه في البرزخ. ﴿**فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ**﴾: يساقون إلينا موجوداً مقيَّدين وأعمالهم أمامهم بادية وهم بالذل والحقارة.

٥٤- ﴿**فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـٔٗا**﴾: كل إنسان ينال حقَّه، يقال لهم أنتم الذين ضيَّعتم على أنفسكم الجنات بأعمالكم السيئة وبعدم سيركم بطريق الحق فلا ظلم عليكم. ﴿**وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾: ما يعمله الإنسان في

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾

الدنيا يرجع عليه وهو مجزيٌّ به، فلا ظلم غداً.

٥٥- ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: كل من آمن وعمل صالحاً صار من أصحاب الجنة. ﴿ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾: مسرورون بما يفيض الله عليهم من لذائذ وعطاءات.

٥٦- ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾: الذين زاوجوهم من أهل التقوى والصلاح، ومنهم زوجاتهم في الدنيا. والآية تشتمل كل من زاوجهم وماثلهم في مرتبتهم، هؤلاء: ﴿ فِي ظِلَٰلٍ﴾: أي تجلِّي الله عليهم بالسعادة والجنات. ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾: على ما يرون من أعمالهم، يتكئون عليها في رقيِّهم. متكؤون على أعمالهم الصالحة العالية التي قاموا بها في الدنيا، لأن العمل نور الحياة وغداً أعمالهم تنقلب أمامهم أنواراً، وهم يستندون عليها بإقبالهم على الله ونوال الجنات.

٥٧- ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾: ما يتفكهون به لذة وسروراً. ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: ما يطلبون يجدونه حاضراً أمامهم، وما يطلبون إلا الحق.

٥٨- ﴿سَلَٰمٞ﴾: يقال لهم: الأمان والسلام عليكم، الحياة الدائمية الأبدية لكم، هؤلاء سلموا من كل أذى، في الدنيا سلموا وكذلك سلموا في القبر من أهواله وعذابه، فلقد كانوا بالسعادة والنعيم، وفي الآخرة ليس لهم إلا الجنات. ﴿قَوۡلٗا﴾: هذا القول قول الله، هو سبحانه وعدهم بهذا. ﴿مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾: رحيم بالمؤمنين.

سورة (يسٓ) قلب القرآن واسمها اسم من أسماء رسول الله ﷺ، نظر الله سبحانه برسوله الكريم فوجد نفسه سالمة سليمة ما تعلَّقت بالدنيا أبداً، ما تعلَّقت إلا به سبحانه وتعالى.

﴿..وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ..﴾

فلقد استوعب ﷺ كلام ربه "القرآن" بقلبه ونشره للخلق، فرسول الله ﷺ هو قلب القرآن، والله سبحانه يصبُّ القرآن على قلب رسول الله والرسول يصبُّه في قلوب أصحابه وهي: **(لمن قُرِئت له)**. إن ترتيب الآيات في السورة وترتيب السور كما نراها الآن في كتاب الله العزيز يختلف عن ترتيب نزولها زمن الرسول ﷺ، فترتيب السورة والقرآن ككل ترتيب توقيفي. فكان ﷺ يقول: **«ضعوا آية كذا في الموضع كذا»** وتمَّ هذا بوحي من الله عن طريق جبريل عليه السلام، وبهذا الترتيب التوقيفي غدا القرآن الكريم ليس محصوراً في زمن واحد بل هو لكل زمان وعصر، وبنظرة واحدة لسورة **(يسٓ)** نرى أن مجرياتها وأحداثها تنطبق تمام الانطباق على أهل هذا الزمان، لذلك **(يسٓ)** لمن قرئت له، أي: للأموات الذين ماتت قلوبهم بحب الدنيا تُنذرهم لينتبهوا ويتداركوا مصيرهم، فتحيا قلوبهم بـ**(يسٓ)** قبل فوات الأوان وانتهاء فرصة هذه الحياة الغالية.

٥٩ـ ﴿**وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ**﴾: تنحوا جانباً، تميَّزوا وافترقوا عنهم [١]. ﴿**أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ**﴾: الذين ما عملوا بحياتهم خيراً.

٦٠ـ ﴿**۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ**﴾: ألم آخذ عليكم موثقاً وعهداً يا بني آدم [٢]؟. ﴿**أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ**﴾: ألاَّ تطيعوا أحداً غيري وغير رسولي، وأن لا تسيروا إلا بدلالتي وكلامي. ﴿**إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ**﴾: أَظهرتُ لكم عداوته

١)- عن الناجحين أصحاب السلام.

٢)- لماذا هذا العهد يختص فقط بني آدم وليس الجن معهم؟ لأن هذه الآية تختص بواقعةٍ معيّنةٍ وهي عندما بيّن الله تعالى عداوة إبليس لسيدنا آدم وجعل ذلك درساً وعبرةً لبنيه من بعده وذلك في حادثة الأكل من الشجرة، ولذلك جاءت الآية للتخصيص لبني آدم.

﴿..إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾

وما فعله مع أبيكم آدم، وما أضمر في نفسه من نوايا خبيثة لإضلالكم وحرمانكم من دخول الجنة.

٦١ـ ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾: أطيعوا كلامي وما أبيّنه لكم على لسان رسولي، فكِّروا بآيات الكون حتى تؤمنوا وتستطيعوا طاعة الله وتطبيق أوامره. ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾: طريق الإنسانية، إن سرتم على كلامي وطبَّقتموه سرتم بالحق والعدل وعشتم بالسعادة ولكم الجنات. فالله تعالى بعثنا إلى هذه الحياة الدنيا للربح فقط، إذ عرض علينا الأمانة حتى نكسب بدل الجنَّة الواحدة جنات كثيرة لا نهاية لها، وليس في قاموس الله تعالى خسارة أبداً، فالخسارة من الإنسان ذاته بنقضه عهده مع خالقه وعدم طاعته.

٦٢ـ ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾: أما شاهدتم مَنْ قبلكم لمَّا ما ساروا بالحق ماذا حلَّ بهم وما صاروا إليه من إجرام وشقاء! أما شاهدتم ما عاد عليهم عملهم؟ لماذا ما فكرتم؟! ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾: ما آمنتم ليصبح لكم نور فتروا وتعقلوا ما وراء معاصيكم من شرور تعود عليكم فتجتنبوها، لذلك وقعتم بالذي وقع به مَنْ قبلكم ولم تعتبروا بهم.

ونفصِّل بعض التفصيل في كلمة ﴿..جِبِلّٗا..﴾: بهذه الحياة الدنيا عندما أصبح الإنسان بجسمه، جُبلَ بهذه الحياة الدنيا، أي أن تكوين جسمه صار من مواد هذه الأرض، فكلمة: ﴿..جِبِلّٗا..﴾: تضم جميع البشر، فالكل لهم أجسام معتمدة بنشأتها على الأرض ومنتوجاتها، أما هذه الآية الكريمة فهي تختصّ الراسبين الضالّين. الأنبياء الكرام مثلنا بالنسبة لحياة الجسم ونشأته

﴿..هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ..﴾

فهم يأكلون ويشربون... لكنّهم ليسوا على شاكلتنا بنفوسهم العالية التي لم تشاكل إلا الله تعالى.

٦٣- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: هذه دار المداواة لِمَا حلَّ بكم من أمراض وآلام، الله سبحانه من رحمته يعالج هذا الإنسان ولا يتركه، لذلك يريه يوم القيامة أعماله التي قام بها بالدنيا، والتي سببت له هذا المصير الذي أوقع نفسه فيه، لينشغل بها عن حالته الصعبة ويعلم أنه هو السبب في مصيره هذا لا غيره، فهذا العلم يخفِّف من مصابه الكبير، فكما أن نار الله الموقدة نار الحريق جعلها الله للعلاج والمداواة كذلك نار جهنم أيضاً جعلها تعالى لمداواة وعلاج ما حلَّ بنفس من أعرض عن ربه وكفر، فهي رحمة من الله تعالى بهم لينجوا ويدخلوا الجنَّات. ﴿ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾: أخبرتكم بكل هذا عن طريق رسولي وحذَّرتكم منها لكنكم ما عبأتم.

٦٤- ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾: ذوقوا ألمها، وهم يصرُّون عليها ويصبرون على ألمها لشدة عذاب جهنم التي بنفوسهم. فالله تعالى يقول في محكم التنزيل واصفاً حالهم هذا: (..فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ)[1]:

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾: بآياتنا الدالَّة على لا إلَه إلا الله، ما نظروا وما فكروا بها لذلك كفروا بالله.

٦٥- ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: لمّا تنكشف لهم الحقائق لا يستطيعون الكلام، فالختم حاصل بثبوت إدانته بأعماله ولا سبيل للإنكار عندها يتطلب

١)- سورة البقرة: الآية(١٧٥).

﴿..وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ..﴾

العلاج ويقبله. ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾: بما فعلوا من أعمال. ﴿وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾: بخيانتهم عهدهم مع الله وميثاقه. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: تشهد عليهم بخيانتهم، خانوا عهدهم وميثاقهم مع الله،فتشهد عليهم بما عملوا في الدنيا من سوء ووقعوا به من فواحش ومعاصٍ.

٦٦ـ فقال الذين كفروا لرسول الله ﷺ لم هذه الشهوة في نفوسنا ألا وإنّا نقع بالغي مما ليس لنا قوة على ردّه. فأجابهم تعالى:

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾: لأخذنا من أنفسهم هذه الشهوة والميول. بالإمكان انتزاع الشهوة من الإنسان. ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾: فساروا في هذه الحياة فكيف يأكلون ويشربون وينكحون. ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾: ذلك سيُفقد الإنسان التسابق نحو فعل المعروف والدخول بالعمل إلى الجنّة، إذن لن ينالوا الجنّات التي من أجلها جاؤوا إلى الدنيا [1].

٦٧ـ فأجابوا فلنكن في شهواتنا كالحيوان ولسنا مسؤولين فاجابهم:﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾: لأذهبنا عقولهم وأعطيناهم كل شهواتهم فأصبحوا كالحيوان، فلا علاج لهم بالدنيا فلا نرسل لهم رسلاً، لكن رحمته سبحانه اقتضت علاجهم حتى لا يهلكوا أبد الآبدين، لقد رفع الله سبحانه مكانة هذا الإنسان

١)- في الواقع إن الله يترك الإنسان ينفذ الشهوات التي استحكمت بنفسه، ومن ثمّ تأتي العلاجات والعقوبات والتي من الممكن أن تؤدي إلى التغيير والرجعة إلى الصراط المستقيم. إن الله قادر على أن يرسل لمن أراد أن يرتكب حراماً ألماً... فيغيّر رأيه ولكن تبقى بنفسه وتشغلها وتبقى حجاباً فلذلك يتركه يرتكب حتى تخرج من نفسه ثم يأتي العلاج والمداواة.

﴿..فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ..﴾

بالفكر، وبالإمكان نزع هذا الفكر منه ولكنه سيصبح كالبهائم. ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا﴾: لا يستطيعون ذهاباً ولا إياباً ولابد لهم من مرشد. ﴿وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾: لا يستطيعون السير بالحق ولا يبقى لهم طريق للهدى.

٦٨ـ ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ﴾: ولكن ألا يرون ما يكون عليه حال الإنسان الجاهل المعرض حين يكبر ويصبح مُسِنّاً. ﴿نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾: يذهب عنه فكره، يصير جاهلاً كالطفل بل أضل، ويبقى على اختيار ما اختاره في شبابه فلا يستطيع التغيير والرقي، كذلك يصيبه العجز والمرض فلا يستطيع ممارسة الشهوات. ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾: شيئاً من هذا الواقع الذي أمام أعينهم ويفكرون به لتترك نفوسهم الدنيا وليسلكوا طريق الحق ويؤمنوا بالله فلا يخرّفوا، المؤمن حقاً لا يُخرّف.

٦٩ـ ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾: لرسولنا. ﴿ٱلشِّعۡرَ﴾: علَّمناه القرآن، والقرآن لا شعر فيه، الشعر كذب بكذب لأنه لغة المشاعر، قال تعالى: (وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ أَلَمۡ ٢٢٤ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمۡ ٢٢٥ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ)[1]. الشعر لغة الشهوات والمشاعر، من قوة شهوته يعبّر بأشكال وألوان مختلفة، والذين على شاكلته يتَّبعونه. كلامه وبيانه ﷺ ليس شعراً، أي: ليس تلاعب بالمشاعر والأحاسيس بل كله حقائق يوصل للحق والعدل والنظر بنوره تعالى ومشاهدة الحقائق. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾: رسول الله ﷺ ليس لديه هذا الطلب، ما التفت عن الله لغيره لذلك لا يستطيع التكلّم بالشعر، بلغة المشاعر

١)- سورة الشعراء: الآية (٢٢٤ـ ٢٢٦).

﴿..إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا..﴾

والكذب فهو لا ينطق إلا بالله، والذي جاء به ﷺ لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله، فهذا القرآن وهذا البيان هو من عند الله وهو ﷺ ما انقطع عن الله تعالى، فالله نظر إلى البشر فشاهد الكلَّ نائمين بالشهوات إلا هو ﷺ مستيقظاً ناظراً إليه سبحانه غير مقطوع عنه، لذلك خاطبه بهذا القرآن وأنزله عليه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: إذا توجَّهت له ﷺ يذكِّرك بكل شيء، وتشاهد حنان الله وفضله وعالم الأزل وكل شيء من الحقائق التي غابت عنك بسبب انقطاعك عنه سبحانه وتعالى "تماماً كما حدث للسحرة مع سيدنا موسى".﴿ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: هذا القرآن وهذا البيان والعلم الذي جاء به ﷺ ألا يدلُّ أنه رسولٌ من عند الله؟﴿ مُّبِينٌ﴾: يبيّن لك الطريق الذي يجب أن تسلكه في حياتك، طريق الجنة، يبيّن لك الحلال من الحرام.

٧٠- ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾: من حييت نفسه بالله، كيف حييت نفسه؟ سمع من رسول الله ﷺ عن الإيمان، فكَّر بالموت حتى خافت نفسه، فكَّر بالكون، آمن، شاهد لا إله إلا الله شهوداً قلبياً فطهرت نفسه، بعدها أقبل على الله بمعيَّة رسول الله فأنزل الله على نفسه الحياة والنور والسعادة. ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: يعطيهم شهواتهم لأنهم لا يريدون الحق والسير به بل يريدون السير بالفساد والانحطاط والمعاصي والظلم، لذلك حقَّ عليهم قول إبليس: (..وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (١).

٧١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾: من غنم، بقر، ماعز، إبل، ليتنعموا بها، ألا ينظرون ويفكرون بهذه المخلوقات التي خلقها الله

١)- سورة الحجر: الآية(٣٩).

﴿..فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾..﴾

سبحانه لهم من أجل أن يتنعموا بها. ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾: لولا أن خلقها الله لهم فكيف يملكونها؟! لو آمن الإنسان حقّاً لرأى أن الله تعالى هو الذي خلقها، ومنحنا إياها لنملكها، فما أرحمه سبحانه وكم له من نعمٍ علينا!.

٧٢ـ ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾: ذلَّلها لنا، لولا هذا التذليل ما استطاع أحد أن يسوق جملاً. فبالأصل هذه المخلوقات نفوس لم تحمل الأمانة، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه ذلَّلها لنا بما يغدق ويفيض عليها من نعيم قلبي وسرورٍ غامر تجده في ذاتها... ولذلك ترى هذه الحيوانات تتحمّل المشاق ومذلّلة للإنسان يركبها... يأخذ خيراتها وهي راضخة مسرورة بعطاء الله تعالى لها مقابل خدمتها لهذا الإنسان. وكذلك كلمة: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا ﴾ تحمل معنى: أن لو كانت هذه الحيوانات بريَّة أو متوحشة فلن يستطيع الإنسان تربيتها والاستفادة منها، فالله تعالى ذلَّلها لنا بأن جعلها أليفة.﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: بعضها خلقه للركوب كالجمل. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: لحمها.

٧٣ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾: صوفها وجلودها. ﴿وَمَشَارِبُ﴾: حليبها. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: ألا يقبلون على الله سبحانه لينالوا كمالاً ويعملوا الصالحات ليدخلوا بها غداً الجنات. الله تعالى يعطينا هذه النعم، كاللحم والحليب وما فيه من مشتقات كثيرة لنتنعّم بها، وكل ذلك دون مقابل إنما هو إحسان إلٓهي للإنسان؛ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: أي كما أنه تعالى يُحسن لهم فليحسنوا لغيرهم وليقدّموا الأعمال عندها تقبل نفوسهم على الله.

٧٤ـ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: بعد هذه الدلالة

﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ٧٥ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ..﴾

وهذا البيان الذي بيَّنه لهم رسول الله ﷺ أنه لا مسيّر ولا فعّال ولا مطاع في هذا الكون إلا الله، بعد كل هذا، هؤلاء المعرضون اتَّخذوا غير الله سبحانه آلهة لهم والتجؤوا إليهم بدل أن يلتجئوا إلى الله.

تركوا رسول الله وما أَنزل الله عليه من بيان وساروا مع غيره، ساروا مع أناس مثلهم لا حول ولا قوة لهم لينالوا من دنياهم العز والمال والجاه والنصر بظنِّهم.

٧٥- ﴿**لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ**﴾: لكن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة عاجزون عن نصركم ورفع أي شيء عنكم من مرض وشدائد وجوع، فهم ذاتهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، ولن يستطيعوا تخليصهم من الموت لـمَّا تحضرهم الملائكة موجوداً ولا تخليص أنفسهم. ﴿**وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ**﴾: الإنسان يصبح ذليلاً لمن يطلب منه العون مع عجز المطلوب عن التحقيق، وبهذا أذلوا أنفسهم باتّباعهم لغير الله، فالذين اتخذوهم آلهة يُذلّونهم لِمَا في قلوبهم من قسوة.

٧٦- كم تحزن لأقوالهم الباطلة ومن هم عميٌ: ﴿**فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ**﴾: لِمَ تحزن لأقوالهم الباطلة وردِّهم السيّء؟! فلا يحزنك قولهم. ﴿**إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾: نعلم ما في أنفسهم من نوايا وخبث لذلك لا بد من إخراجها لهم. ﴿**وَمَا يُعۡلِنُونَ**﴾: كذلك ما يظهرونه من أعمال، فلا تحزن. هؤلاء تسييرهم بيدنا، أنا من رحمتي بهم لا أتركهم.

٧٧- ﴿**أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ**﴾: هذه لو فكروا بها، لو فكروا كيف أن هذه النطفة التي هي من الطعام والشراب والتي هي من التراب كيف صارت إنساناً سوياً لرأوا فضل الله عليهم وإحسانه لهم ولآمنوا بالله سبحانه.

﴿..فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾..﴾

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: بعد كل هذا الفضل والإحسان يخاصم ربَّه بلا سبب ويجهر بالعداء له سبحانه.

٧٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: قالوا كيف يرجع الإنسان مرة ثانية ويُبعث من بعد أن أصبحت عظامه تراباً؟!.

٧٩- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أجابهم رسول الله ﷺ على لسان حضرة الله قائلاً لهم: أما خلقكم الله أول مرَّة من تراب؟ فهل يصعب عليه سبحانه إعادة خلقكم مرة ثانية من تراب؟! انظروا، أليس هذا الخلق الذي تتكرونه جارياً أمامكم الآن من خلق إنسان وحيوان؟ فلِمَ الإنكار؟! ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: عليم بما يناسبهم، لذلك أعطى لكل مخلوق حقّه.

٨٠ - ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾:فلو ظلَّ أخضراً فكيف يشتعل!. ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: جعل لكم هذا لتشكروا وتلتفتوا للمنعم وترقوا. لا من أجل أن تذهبوا للشهوات وتحترقوا بها، هذا غير متوقع أن تذهبوا للنار وتحرقوا أنفسكم بها.

٨١ - ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: أيهما أصعب، خلق السماوات والأرض أم خلقكم أنتم مرة ثانية؟! فكروا بهذا.﴿ بَلَىٰ﴾: سيعيد خلقكم مرة ثانية. ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: وسيخلق لكم ما

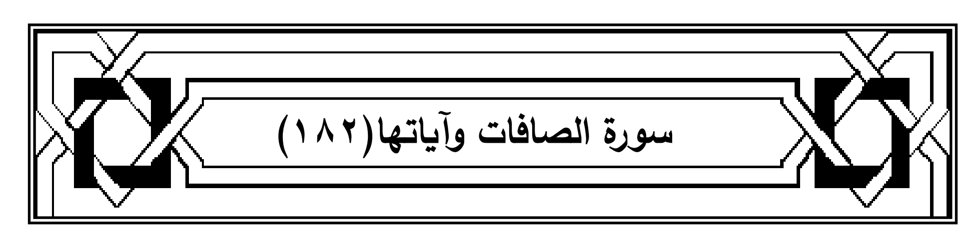
﴿..إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

يناسبكم من جنات إن آمنتم وعملتم صالحاً، ومن نار لعلاجكم من أمراضكم إن أعرضتم، فهو سبحانه عليم بكم. ﴿..ٱلۡخَلَّٰقُ..﴾: ينظر ربك لقلب الإنسان، فعلى حسب حاله يخلق له ما يناسبه في هذه الدنيا وما يشتهيه، بناية، سينما... كل ما استحكم بنفسه من أي شيء سيُعطاه من وسائل الحضارة، هاتف، طائرات، سيارات... فإنه تعالى عليم بنفوسهم يخلق لكل مرض ما يناسبه.

٨٢ ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: بكلمة وبإرادة منه سبحانه يكون خلق كل شيء.

٨٣ ـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾: ما أعظمه، لا يصعب عليه شيء. ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: كل هذا الكون بيد الله تعالى يربّيه ويسيّره ويسبِّحه بفضله. ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: بعد هذه الحياة، ليس لك إلا الله، راجع إليه. وستُسأل أيها الإنسان عمَّا عملت وقدَّمت بحياتك، فاعمل صالحاً. وحذار من سوء البذار.

والحمد لله ربِّ العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ..﴾

١ـ من قانون النفس البشرية أنها لا تصغي ولا تلتفت ولا تعظِّم دلالة من يدلّها ويرشدها إلا إذا رأت طرفاً من عظمته، لذلك، ساق الله سبحانه لهذا الإنسان من الآيات الدالة على عظمته وقدرته وعلمه تعالى لتلتفت النفوس إليه جلَّ وعلا مستعظمةً عندها تصغي لدلالته وعالي إرشاده، لذلك قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّات﴾: هذه النجوم والأبراج الكبيرة القوية بترابطها، السابحة في أفلاكها الواسعة، هذه النجوم المرتَّبة المنظَّمة المصفوفة في السماء انظر بها، فكِّر بعظمتها ووظائفها، كيف هي بالسماء محمولة؟ إن فكَّرت بها قدَّرت خالقها وعظَّمته سبحانه عندها تلتفت نفسك إليه تعالى وتؤمن به. ﴿صَفًّا﴾: مصفوفة بكمال مطلق، وليس من كمال ونظام أكمل مما هي عليه الآن.

٢ـ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾: المتماسكة، متماسكة في الفضاء، فكيف تسقط ويد الله عليها تحملها وتسيِّرها وتمدُّها. ﴿زَجْرًا﴾: تماسكاً وتجاذباً قوياً لا خلل ولا ضعف فيه أبداً. والتفكُّر بها يزجر الإنسان ويردعه عن المعاصي.

٣ـ ﴿فَالتَّالِيَاتِ..﴾: تكرِّر عليك أيها الإنسان عطاءها لتناله، هي طلبت هذا والله حقَّق لها طلبها. هي لم تنقطع عن حضرة الله لأنها لم تحمل التكليف ولم تخالف، وتريد أن تصل بمن يطلب ربّه عن طريقها لما هي واصلة إليه، فكل من خاف الخسارة ونظر إليها طالباً ربّه تهبه من مشاهداتها، فيشاهد ربَّه بمقدار

﴿..ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾

ما تشاهده هي، لقد كرَّرت له عطاءها بأن تلت عليه ما فيها. ﴿..ذِكۡرًا﴾: خَلْقُها ونظامها يذكِّرك أيها الإنسان بخالقك العظيم كما ذكَّرت إبراهيم الخليل عليه السلام حين نظر إليها مفكراً بها وبعظمتها (فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ) [1]. وكذلك إعادة ظهور النجوم المتتالية يومياً لتذكّر الإنسان بخالقه. بالتفكير فيها تكون تذكرة لك أيها الإنسان أن الإلّه واحد.

٤. ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾: تقول النجوم إن مسيّر هذا الكون واحد. حين تفكر بها أيها الإنسان تدرك أن الإلّه واحد وتؤمن به سبحانه وبوحدانيته، وهذا هو التوحيد؛ ذلك أن ترى النفس أن الله سبحانه قائم بالكون وهو مربيه ومسيّره وليس لأحد فعل أو تصرف في الكون معه، عندها ترى أيها المؤمن أن لا ظلم بالكون لأن يده تعالى تسيّر الكل.

٥ـ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: وليس التسيير فقط وإنما الإمداد المتواصل لتتم التربية.﴿ وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾: في كل يوم تشرق الشمس بزمن ومكان معيَّنين ومختلفين عن اللذَين قبلهما. كذلك فهو تعالى ربُّ القمر والنجوم وغيرها.

٦ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾: زيَّناها بالكواكب، وزيَّن الكواكب بالأنوار، لذلك كان هناك أقوام يعبدونها لجمالها وكانوا يحلفون بعظمتها ويقولون: "وحق زُحَل".

لكن لماذا زيَّنها الله؟ لتلفت نظر الإنسان ويفكر بها ويؤمن بالله، فالبائع يزيّن المتجر ويزين البضائع ليلفت نظر الناس لعلهم يشترون مما عنده. ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾: السماوات لا تُرى بالعين وإنما يُرى ما فيها، فهي لا تُرى إلا بالنفس،

١)- سورة الصافات: الآية(٨٨).

﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩﴾

ولو كانت تُرى بالعين لحجبت ما بعدها، لذلك ترى السماء الدنيا مزدانة بكواكبها.

٧ـ ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾: الشياطين لا تصل إلا للسماء الدنيا سماء الكواكب فقط، كذلك الإنس ليس بإمكانهم الوصول إلى سماء النجوم أو الشمس، فهم ما زالوا بالثواني الضوئية، أما الدقائق فلم يصلوا إليها، فأقرب نجم يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية، وإذا أرادوا الوصول إليه فهم بحاجة لمراكب سرعتها كسرعة الضوء، وهذا مستحيل لأن المادة تتلاشى بهذه السرعة وتصبح ضوءاً، وحتى شياطين الجن لا يمكنها الوصول للنجوم، ولا يكون الوصول إليها إلا بالإيمان وبمعيَّة رسول الله ﷺ، حيث بالتقوى تخرج هذه النفس من جسمها فتستطيع بالنور الوصول إلى النجوم، وتشهد بمعيَّته ﷺ تجلِّي الله تعالى عليها وإمداده لها بالأنوار.

٨ - ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: الملائكة. ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾: بأنوار الملائكة.

٩ـ ﴿دُحُورٗا﴾: فيعودون منهزمين مدحورين وقد أصاب كلاً منهم الرعب. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾: يصيب كلاً منهم، يصيبهم كالرصاص [1].

١)- شياطين الجن تستطيع الصعود إلى السماء الدنيا لاستراق السمع، الملائكة تقذفهم بالنور الإلٰهي فيهربون، فمن دنا أجله يمكّنه الله من استراق السمع لكن بعدها يرسل عليه شهاب ثاقب، "هذه الشهب" تتبعه فتخترق نفسه لتصل إلى جسمه فتقتله قبل وصوله الأرض لإخبار السحرة بما سمع من مغيبات، وبذلك لا يسمح الله تعالى لهم في تنفيذ مآربهم ونواياهم الخبيثة في تحويل الناس إلى السحرة "شياطين الإنس" وإيقاعهم بالمعاصي والرذائل.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٠ـ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ..﴾: استرق من الأوامر وتلك آخر شهوة أخرجها الله له وتكون نهايته الحتمية، وانتهى أجله. ﴿..فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: يدخل ضمنه فيحرقه وهذا لمن صمَّم على السماع.

١١ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: اسألهم. ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾: قل لهم هل هذه السماوات والأراضين وما بينهما أصعب أم خلق الإنسان؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾: طري لزج. فأنت أيها الإنسان أصلك من تراب وماء أصبحت طيناً، وإن تعلَّقت بالدنيا ولم تنهض بالإيمان إلى جناتك التي تخلَّيت عنها فتذكر أصلك الجسدي الذي هو من طين. فلِمَ لا ترجع من الآن بنفسك إليه تعالى لتنال ما أعدّ لك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

١٢ـ﴿ بَلْ عَجِبْتَ﴾: أنت تعجب من إنكارهم رغم ظهور الأدلَّة والبراهين لهم.﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: وهم يسخرون من كلامك "من هذه الدلالة التي تدلُّهم بها على الله".

١٣ـ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: بالحق وباليوم الآخر والموت. ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لا يرون حقيقة كلامك لأنهم ما آمنوا بالله.

١٤ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾: دلالة وبياناً أو مظهراً من مظاهر القدرة. ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: لا يعبؤون، نفوسهم منصرفة لدنياهم ولتحقيق شهواتهم.

١٥ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾: ما تدَّعيه ليس إلا خيالات وأوهام. ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرة.

١٦ـ كيف: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: هل سنرجع

﴿..أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ
﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

خلقاً سوياً بعد الموت؟ ما هذا الكلام؟.

١٧- ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: كذلك سيرجع آباؤنا الذين مضوا؟.

١٨- ﴿قُلْ نَعَمْ﴾: لابد من ذلك. ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: أنتم في هذا الكون محفوظون، أنتم وما عملتموه لا يضيع شيء منه. وستُلقون أنتم بأنفسكم إلى النار وتندفعون إليها لأن المريض يندفع في سبيل الشفاء.

١٩- ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: كيف تستبعدون البعث؟! فبصيحة واحدة يُصبح الخلق جميعاً بين يدي ربهم. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾.

٢٠- ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحق والعدل، يومها يعرفون ذلك.

٢١- ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: الحكم. ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: بعدم تفكيركم بالموت ما آمنتم بالله فكذَّبتم وأنكرتم هذا اليوم.

٢٢- ﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أنفسهم، ما دلُّوها على الله، ما فكروا بالكون. ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: ومن زاوجهم واتبعهم وشافعهم وكل من ماثلهم، فآكلوا الربا في زمرة، وشاربوا الخمر في زمرة كذلك. ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾: يطيعون.

٢٣- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ﴾: دُلُّوهم. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: على طريق الجحيم.

٢٤- ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾: يسألهم ربُّ العالمين كي يخفف عليهم العذاب، إذ يعلمون بهذا السؤال أن جرمهم من صنع أيديهم.

﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ
۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ۝٣٣﴾

٢٥- ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لم لا ينصر الذين اتُّبِعُوا الذين اتَّبَعوا؟.

٢٦- ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾: للمداواة من شدة آلامهم النفسية، مذعنون لحكم الله الحق.

٢٧- ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: التابعون الذين ساروا على كلام غيرهم وما ساروا على كلام ربِّهم، هؤلاء يسألون "المتَّبَعين" الذين أشركوا بهم مع الله وسمعوا كلامهم.

٢٨- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: عن طريق الحق والخير، كنتم تقولون أن كلامكم حق.

٢٩- ﴿قَالُواْ﴾: أجابوهم: ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾: ليس ذلك ذنبنا وإنما كنتم أنتم غير مؤمنين بالحق.

٣٠- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾: لسنا بمسيطرين وقادرين على نفوسكم، كان الاختيار لكم وأنتم اخترتم هذا. ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾: متجاوزين الحق تريدون الشهوات ولذائذها لذلك سرتم معنا.

٣١- ﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾: هذه النتيجة التي انتهينا إليها هي النتيجة الطبيعية لإعراضنا في الدنيا.

٣٢- ﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾: أضللناكم بما ضللنا. ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: نحن كنا غاوين وأنتم استمعتم إلى قولنا فغويتم.

٣٣- ﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾: كلهم مُعَذَّبون.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ
يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ
وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١﴾

٣٤- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: هذا قانون لكل من يسير على غير كلام الله سيقع بالإجرام وسيحلّ بساحته العذاب. ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: الذين ما فعلوا الخير.

٣٥- ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: لا مسيِّر إلا الله لهذا الكون ولكم. ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: يستكبرون ولا يؤمنون بها.

٣٦- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾: هل نترك ما ألفينا عليه آباءنا ونسير بكلامه. ﴿لِشَاعِرٖ﴾: لمتخيِّل، يتخيَّل ويتكلم. ﴿مَّجۡنُونِۭ﴾: مُغطَّى عليه كل شيء من لذائذ الدنيا وشهواتها.

٣٧- ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾: من عند الله. ﴿وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: من أتى قبله من الرسل، كلامه مُصدِّقٌ لهم ومطابق لما جاء به الرسل.

٣٨- ﴿إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾: في الدنيا بما أجرمتم وطغيتم، فكلٌّ ضالٌّ شقيٌّ ومعذبٌ.

٣٩- ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: ما عملتم بالدنيا من عمل رجع الآن عليكم فلا ظلم.

٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: خلصوا من كل شائبة، أي ليس لكم إلا الرسل والأنبياء لتنجوا بمعيَّتهم، وهذه الآية الكريمة فيها حضٌّ وحثٌّ على اتِّباع المُخْلَصين.

٤١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾: عطاء عظيم بما آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾

٤٢ـ ﴿فَوَٰكِهُ﴾: يتفكَّهون، إنه عطاء يُلِذُّهُم [1]. ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾: خاليةٌ نفوسهم من الشوائب.

٤٣ـ ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: من جنة لجنة أعلى إلى ما لا نهاية وهم بالنعيم والسعادة يتقلَّبون.

٤٤ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: إن كنتم بخير فأنا بخير، يتقابلون بهذا السرور، كلهم فرحٌ سعيد فهم في تقابل بهذا الفرح.

٤٥ـ ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴾: كأس ملأتها أعمالهم العالية فأصبحت عوناً لهم على الإقبال على الله.

٤٦ـ ﴿بَيۡضَآءَ﴾: صافية نقية. ﴿لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: للطالبين الذين سلكوا، فيها اللذائذ كلّها والسعادة لمن يشرب بها.

٤٧ـ ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾: أذى. ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾: لا تنقطع عنهم ولا هم ينقطعون عنها.

٤٨ـ ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ﴾: تغضُّ بصرها حياءً. نساؤهم مقبلات وملتفتات إلى الله بمعيَّة أزواجهن.

٤٩ـ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ﴾: خاليات من الشوائب. ﴿مَّكۡنُونٞ﴾: مخبأةٌ لا يراها أحد إلا زوجها. لئن كانت نساء الجنة محجبات عن الآخرين فكيف يجب أن تكون نساء الدنيا؟!.

---

١)- باعث للّذة فيهم.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾
قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

٥٠- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: أهل الجنة. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: من أين لنا هذا النعيم وهذه الخيرات.

٥١- ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾: الآيات السابقة كانت تتكلم عن أهل الجنة في الآخرة، والذي قال هذا القول رجل من أهل الجنة، وحيث أن الله يسأل عن صحبةِ ساعةٍ [1] لذلك سأل هذا الرجل عن قرينه أي صاحبه الذي كان معه بالدنيا يريد الاطمئنان عليه وعلى مصيره، وهذا الصاحب كان يقول له بالدنيا:

٥٢- ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾: بما يقوله الرسول؟! أن من بعد هذه الحياة حياة ثانية فيها سعادة وجنات؟ هل صدَّقت هذا الكلام؟.

٥٣- ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾: هل هذا ممكن ومعقول؟ بعد أن نموت ونصبح تراباً وعظاماً هل نردّ ونحيا ثانية!. ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: محاسبون على أعمالنا، ما هذا الكلام؟!.

٥٤- ﴿قَالَ﴾: لصحبه، هذا الرجل سأل الذين معه بالجنة عن صاحبه: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: ألا تنظرون، هل أحد منكم شاهده ليدلّني عليه، فجمعه الله سبحانه وتعالى بصاحبه.

٥٥- ﴿فَٱطَّلَعَ﴾: عليه، الله سبحانه أطلعه عليه فشاهده وشاهد أحواله وما هو عليه من سوء. ﴿ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: هو والجحيم سواء في الاحتراق، هو والنار شيء واحد، نار جهنم مشتعلة بنفسه بسبب ما قام به وقدم من أعمال

١)- الله تعالى يسأل عن صحبة ساعة: بمعنى على الإنسان أن يغتنم لقاءه بأخيه الإنسان الضال ويهديه لطريق الحق في كل فرصة.

سيئة، شاهده بنار الله الموقدة محيطة به لتنسيه ولتحوِّله عن نار جهنم المشتعلة به.

٥٦. ﴿قَالَ تَٱللَّهِ﴾: تالله: ما يتلوه الله على رسوله من مشاهدات ودلالة ومن أسمائه الحسنى فيريها الله للمؤمنين فيشاهدون تسيير الله لخلقه بأسمائه الحسنى كلّها بمعيّته ﷺ. وعلّم آدم الأسماء كلّها فهي أسماؤه تعالى الحسنى، كذلك علّمها لرسول الله ﷺ ولكل نبي ورسول. الإيمان على الإنسان والتقوى على الله ورسوله، بعد الإيمان تحصل للمؤمن التقوى حيث يُدخل رسول الله ﷺ المؤمن على الله فيشاهد هذا المؤمن طرفاً من أسماء الله الحسنى كلّ اسم على حدى. ﴿إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾: كدت تُهلكني في الدنيا بتزيينك المنكر لي، لكن ما تلاه الله على رسوله من مشاهدات ودلالة هي التي حالت بيني وبين الوقوع فيما كنت تقع به، كدت توقعني بهذا المصير. لكن لماذا لم يقع؟ لأنه آمن واتقى وهجر المنكر وأهله وصاحب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، الصاحب ساحب، والإنسان يُعرَف بصاحبه "قل لي من تصاحب أقل لك من أنت" فعلى المؤمن ألا يصاحب إلا المؤمنين أمثاله [١].

٥٧. ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي﴾: فضل من الله. بتفكيري وإيماني بلا إلَه إلا الله

١)- سؤال هام: يستطيع الإنسان التخلص من رفيق السوء، لكن كيف الخلاص من الزوجة والولد إن كانا من أهل السوء؟ لا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله والوصول إلى التقوى، حيث تستشفع نفس المؤمن بنفس رسول الله ﷺ، وبهذه الرابطة القلبيَّة الشريفة لا يبقى تأثير لأحد لا زوجة ولا ولد على هذا المؤمن، فكل طاقات شياطين الإنس والجن لا تذكر أمام طاقة رسول الله، فيمدّ ﷺ هذا المؤمن بها. لذلك فالتقيّ لا أحد يستطيع الوقوف أمامه، ولا يحزن إن جاءته ابنة سيئة لأنه بصبره عليها وجهاده بالوقوف بوجه ضلالها ينال الكثير من فضل ربه، حيث بنفسها طاقات شريرة كثيرة كأن تكون فاتنة غاوية لغيرها، فبإحسانه لها وذلك بكبته لهذه الطاقات والشهوات الجهنمية التي بنفسها لن تستطيع تنفيذها، فكم له أجر عظيم على هذا.

﴿..لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾

وإطاعتي لنعمة ربي رسول الله ﷺ. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: لولا أنني أطعت رسول الله ﷺ وآمنت بربي، وبإيماني به سبحانه آمنت برسول الله ﷺ فصرت أرى بنوره ﷺ الخير خيراً فآتيه والشر شراً فأجتنبه لكنت الآن من المحضرين إلى النار إجبارياً موجوداً بسبب ما كنت سأصل إليه من حال جهنمي نتيجة أعمالي.

٥٨- ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: كما كنت تقول لي في الدنيا.

٥٩- ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: نموت فيها بلا رجعى. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:هذا ما كنتَ تقوله لي في الدنيا، حيث كنتَ منكراً للبعث والسؤال والحساب.

٦٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: ما أنا فيه الآن. ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: فزت بالسعادة والجنات.

٦١- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾: الفوز العظيم والنجاة الكبرى. ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾: ليسعوا للوصول لهذا النجاح والفوز وذلك بالإيمان العالي والأعمال الصالحة.

٦٢- ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾: في الجنات من جنة لجنة على الدوام بالسعادة والنعيم، أهذا الحال أفضل ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: أم هذه الدنيا الدنيئة، شهوات الدنيا المنقضية والتي نهايتها الهلاك والشقاء!.

(شجرة الزقوم): هي لذائذ الدنيا، يأخذها الإنسان بشكل سريع، فالدنيا تمر مرَّاً سريعاً. وكلمة زقوم مأخوذة من **(زقَّ)** أي: مرَّ، ومنها الزقاق، فكلّ الملذات والطعوم يأخذها الإنسان بلسانه وتمرُّ وتنقضي سريعاً، فلذائذ الدنيا تمضي وجميع شهواتها تنقضي بممارستها، ثم وكأنها ما كانت.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَـٰهَا فِتۡنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

٦٣- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَـٰهَا فِتۡنَةً﴾: يفتتنون بها حيث يظنون فيها وبلذائذها السعادة والهناء. ﴿لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾: ضيَّع حياته وجناته بها، الذين ما آمنوا ما عرفوا ما عند الله من جنات ونعيم هؤلاء ظلموا أنفسهم بميلهم للدنيا ولذائذها حيث حرموها من الجنات.

٦٤- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: أصل حب الدنيا ينتهي إلى الجحيم، تنبت في نفوس عميت فَضَلَّت وأَضَلَّت فاحترقت، النفس ببعدها عن الله ووقوعها بالشهوات المحرمة والمعاصي تشتعل فيها النار وهذه هي نار جهنم والتي لا تطفئها إلا نار الله الموقدة، لذلك خاطب تعالى المؤمنين قائلاً لهم ومحذراً: (وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)[1].

٦٥- ﴿طَلۡعُهَا..﴾: مظهرها. شهواتها والميل لها. ثمرها منكر ووَبال. ﴿..كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: محرقة مثل رأس هذا الذي شاط واحترق، الشيطان ببعده عن الله احترق وهلك وكل بعيد عن الله وعن الحقّ واقع بالمعاصي يصيبه الاحتراق ويهلك.

٦٦- ﴿فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا﴾: مقبلون عليها يعبُّون من لذائذها المحرَّمة المنقضية الفانية. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾: نفوسهم، حبّهم للدنيا قوي مستحكم، أترعوا وملؤوا نفوسهم بالشهوات، مهما نالوا منها لا يشبعون ويطلبون المزيد.

٦٧- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ﴾: بعد وقوعهم فيها، بعد وقوعهم بالمعاصي والفواحش

---

١)- سورة هود: الآية(١١٣).

﴿ثُم إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ
﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

والإجرام. ﴿عَلَيۡهَا..﴾: على النفس وما اكتسبت من حبِّ الدنيا. ﴿..لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٍ﴾: نغص في حياتهم الدنيا، يعيشون بعدها بالضيق والهم والشقاء، يشعرون بالنار في داخلهم فلا يعرفون للسعادة طعماً لذلك يلجؤون للخمور والمخدرات لينسوا ما بهم ثم بعدها للانتحار، لو كانوا سعداء بحياتهم ما انتحروا.

٦٨- ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾: ليس لهم في الآخرة إلا النار ليتحولوا عن نار جهنم التي فيهم.

٦٩- ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ﴾: ما فكروا، ساروا على سير آبائهم رغم ضلالهم.

٧٠- ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ﴾: يركضون متَّبعين آباءهم على عمى.

٧١- ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: فما اعتبروا بغيرهم.

٧٢- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: جاءهم من دلَّهم وبيَّن لهم نتائج سيرهم المهلك عليهم وبيَّن لهم طريق النجاة والسعادة فما ساروا.

٧٣- ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: كل من لم يفكر ولم يسمع انظروا نتائجه وما حلَّ به من هلاك دنيا وآخرة.

٧٤- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: فإنَّ الله منجِّيهم مع الذين آمنوا معهم أجمعين لأنهم فكروا وطبَّقوا ما أمرهم الله ورسوله.

٧٥- ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ : أجبناه بما هو خير لهم إذ خَلَصوا "قومه" من تزايد طغيانهم عليهم عندما أُهلكوا، وبما هو خير لنوح وقومه

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ
فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

المؤمنين إذ خلصوا من مضايقة قومهم لهم ومن الكرب الذي لحق بهم.[1]

٧٦ـ ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾: المؤمنون. ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: من الهلاك والغرق.

٧٧ـ ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾: صاروا أصل البشر ومنهم نسلوا.

٧٨ـ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: جاء من نسلهم ذرية وآمنوا حتى صاروا أمماً مؤمنين.

٧٩ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٨٠ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: ذلك بما أحسن نوح، أصبح محسناً بعد أن آمن.

٨١ ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

٨٢ ـ ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: الذين ما آمنوا.

٨٣ ـ ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾: من شيعة نوح عليه السلام: ﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾.

٨٤ ـ ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾: بقلب طاهر نقي، أقبل على الله فامتلأ كمالاً فسلم قلبه. أقبل مفكراً ليتعرف على الله وهو صادق عالي النيَّة.

---

١)- إن كلمة ﴿..فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾:تبيّن أن دعاء سيدنا نوح عليه السلام على قومه كان في موضعه وضمن الرحمة والعدل ولا خطأ فيه لأن بقاءهم بالدنيا وهم لا خير فيهم يرتجى سيزيدهم عذاباً وخسارةً في الآخرة.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾

٨٥ ـ ﴿**إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ**﴾: تطيعون.

٨٦ ـ ﴿**أَئِفۡكًا**﴾: كذباً ﴿**ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ**﴾: تريدون مسيّرين غير الله فلا مسيّر إلا الله سبحانه.

٨٧ ـ ﴿**فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾: ماذا تظنون بهذا الربّ الكريم مربي الخلق جميعاً!.

٨٨ ـ ﴿**فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ**﴾: في هذه الصافات الزاجرات، فكَّرَ في الكون ورأى عظمة الله، قد يكون دعاهم إلى التفكير فسألوه بِمَ نفكِّر فدلَّهم على النجوم والتفكير بهذا الكون للوصول إلى الإلّه المسيِّر.

٨٩ ـ ﴿**فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ**﴾: إني خالٍ وإني ضعيف وإنني لمفتقر إلى ربي "أأنا الذي لا أفهم وهؤلاء المشركون على الحق؟!". قال ذلك بسبب حزنه عليهم.

٩٠ـ ﴿**فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ**﴾: لم يستمع إليه أحد، دلّهم على الإيمان بالله والسعادة وذلك بالتفكير بالكون وآياته فما ساروا على ما دلّهم عليه.

٩١ـ ﴿**فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ**﴾: (راغ): رأى الغي وما هم عليه من ضلال والذي يعود عليهم بالشر والشقاء دنيا وآخرة، سيدنا إبراهيم عليه السلام نبي ورسول شاهد بنور الله أن سلوك قومه ومعتقداتهم وطريقهم لا خير لهم بهذا كله. ﴿**فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ**﴾: مخاطباً إياهم باستهزاء ومتعجباً منهم ومن إنكارهم.

بعد أن بيَّن لهم طريق الإيمان "قال ألا تأكلون؟" لماذا لا تؤمنون بالله العظيم وتقبلون بنفوسكم عليه سبحانه لتأكلوا من طعام أهل الجنة الذي وعدكم الله به على رسله، كما الجسم يأكل ويشرب كذلك القلب يأكل ويشرب من معين

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

الحضرة الإلَهية وذلك عن طريق الرسل.

وموقف سيدنا إبراهيم هذا من قومه سدنة الأصنام كموقف سيدنا آدم من إبليس حين دعاه الله للسجود لآدم كي ينال الجنات عن طريقه. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾:لقد رأى عليه السلام ببصيرته الشياطين التي تغرّر بالناس من خلف الأصنام وتخيّل لهم أن للأصنام فعلاً، ليبقوا على عبادة الأصنام والسير بالضلال... هنالك خاطبهم سيدنا إبراهيم أن يكفُّوا عن هذا الطريق "إضلال الناس" ويلتفتوا لله، فهو خاطب الأصنام صورةً أما حقيقةً فخطابه موجَّه لسدنة هذه الأصنام من شياطين الجن، يدعوهم للتوبة والعودة إلى الله تعالى لتنهل نفوسهم وتأكل من إقبالها على الله، فتنال الكمال وتهجر الأكل من الدنيء والنيران. ولو أرادوا واستجابوا لندائه لأوصلهم عليه السلام ولدخلوا على الله تعالى بمعيَّته وصار غذاء نفوسهم الشهود العالي لأسماء الله الحسنى.

٩٢- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾: بالحق، كيف لم تسرِ الحياة القلبية والأنوار والتجليات الإلَهية القدسيّة بقلوبكم بعد أن بيَّنت لكم كل شيء؟ لماذا لا تستجيبون لله لتنالوا الحياة والسعادة منه سبحانه، لا تنطقون أي لا تتجاوبون. لم ينالوا منه عليه السلام شيئاً، ما أخذوا من الجنات والحياة التي يصبّها الله بقلبه، فالمائدة عنده عليه السلام.

٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾: كسَّرهم وكان فعله حقاً وخيراً، أقام الحجّة على قومه وجرَّدهم بمنطقه العالي كلَّ أسلحتهم وهيَّأ لهم نفوسهم ليستجيبوا للحقّ وأبعد الشياطين التي كانت تؤزُّهم وتمنعهم من أن يسلكوا طريق الإيمان،﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾: بما منَّ الله عليه من قوة جسمية حطَّم الأصنام. وقوة نفسية قتل الشياطين، شياطين القوم كلّهم. لذلك قالوا واعترفوا بعدها

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى..﴾

بضلالهم كما ذكر تعالى:(فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)[1]، أي اعترفوا أن لا فعل لأصنامهم ورجعوا للحق، قالوا نحن مخطئون لكن بعد اعترافهم وإقرارهم عادوا للضلال، ولم يلبث الشيطان أن دخل عليهم، لذلك قال تعالى: (ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ..)[2].

٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: تهافتوا إليه جماعات جماعات.

٩٥- ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: تجعلونهم آلهة؟ كيف هذا؟ تنحتون من الصخور تماثيل وتقولون عنها أنها آلهة أيعقل هذا؟.

٩٦- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: وقد خَلَقَهم الله وخَلَقَكم، قال لهم: هل هذه التماثيل هي التي خلقتكم في بطون أمهاتكم؟! هل يستطيعون خَلْقكم وهم لا حول لهم ولا قوة ولا يتحركون إلا أن تحركوهم!. ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: أنتم والتماثيل التي تصنعونها وتعبدونها من خَلقِ الله. ﴿..وَمَا تَعْمَلُونَ﴾:أي الذي تنحتون من تماثيل وأصنام هذه حجارة مخلوقة مثلكم، فكيف تعبدونها؟!.

٩٧- ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: المنجنيق لشدة النار التي أضرموها. ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: قرَّروا رميه في النار وحرقه.

٩٨- ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: سوءاً. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: دنيا وآخرة. أسفل الخلق إذ فعلوا فاحشةً ما سبقهم بها أحد من العالمين.

٩٩- فخشي النمرود فأمره بالخروج من البلاد: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى

---

١)- سورة الأنبياء: الآية(٦٤).

٢)- سورة الأنبياء: الآية(٦٥).

﴿..سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا
بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿سَيَهۡدِينِ﴾: أنتم لستم أهلاً للنصح فلعلّ الله يهدي على يدي غيركم، ترك العراق وذهب إلى مكة وبعدها إلى بلاد الشام "القدس".

١٠٠ـ ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جمعه الله بالصالحين وآمنوا معه وصار له جماعة مؤمنة.

١٠١ـ ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾: هو إسماعيل عليه السلام. بسبب أعماله عليه السلام وتضحياته استحقَّ هذا العطاء الكبير وهذا الفضل العظيم.

١٠٢ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾: سار برفقته "برفقة أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام" إلى الله وآمن. ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾: ما رأيك، هل توافق؟ سيدنا إبراهيم عازم على تنفيذ أمر الله بالذبح لكن استشار ابنه لأن الأمر متعلقٌ به، فإن قبل إسماعيل عليه السلام ذبحه وإن لم يقبل فالاختيار له ولا إكراه في الدين فهو عليه السلام من ناحيته مُقدم على هذا الأمر وقد أدَّى ما عليه أمام الله، لكن يبقى الأمر متعلق بغيره لذلك طلب رأي إسماعيل عليه السلام. عندما كبر سيدنا إسماعيل عليه السلام وظهرت منه علامات النبوَّة وصار يسعى بإيمان الناس هنالك أحبّه سيدنا إبراهيم وعشقه ولكن عندما جاء الأمر من الله بأن يذبحه قال سمعاً وطاعة يا ربّ، وبذلك ظهر صدقه واستسلامه وحبّه لله فوق كلّ حبّ. ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾: لأنه يعرف أن أباه نبي ورسول عظيم لا يمكن أن يدخل عليه شيطان أبداً، فرؤياه إذن أمر من الله، الله أرحم وأحن وليس منه إلا الخير فافعل ما أمرك به تعالى. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بعد أن سعى إلى الله وتوصَّل إلى معرفته قال هذا، بالإيمان والتقوى يستسلم

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾

الإنسان إلى الله ورسوله.

١٠٣- ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: استسلما للأمر وأرادا تنفيذه. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: تلا هذا الاستسلام تطبيق عمليّ بصدق وشدَّة هائلة، أي ذهب ليطبِّق أمر ربِّه مباشرة. وهكذا المؤمن الصادق يطبِّق بشكل عملي. لذلك ناداه الله بسرعة:

١٠٤- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾: ناداه الله يا إبراهيم توقف، وهذا النداء يدلّ على سرعة تطبيق سيدنا إبراهيم عليه السلام أمر ربّه، كذلك كلّ مؤمن يسمع من رسول الله ﷺ ويطبِّق مباشرة، يسمع عن التفكير فيذهب ويطبق، يسمع عن الإنفاق والصدقة على الفور ينفق ويتصدق، فالمؤمن إنسانٌ عمليّ يطبِّق كلّ أوامر ربِّه بعد سماعه من رسول الله ﷺ أو المرشد الصادق من بعده.

١٠٥- ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ..﴾: ظهر صدقك واستسلامك لي. كذلك ظهر صدق إسماعيل عليه السلام واستسلامه لربّه، عندها نال الرسالة، وكذلك سيدنا ابراهيم صار إماماً للعالمين و: ﴿.. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: نالا الرسالة بالحقّ وعن أهليّة وليس هبة. كل من أحسن نعطيه.

١٠٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾: إن هذا امتحان واضح على عُلوِّ مكانة ابراهيم عليه السلام، اختبار يظهر فيه إيمان المؤمن، الكافر يُبتلَى لإخراج ما في نفسه والمؤمن يُبتلَى لإظهار ما في نفسه من خُلُقٍ وكمال [١].

١٠٧- ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾: لما طبَّق سيدنا إبراهيم عليه السلام كلمات ربِّه

١)- بهذا البلاء والامتحان نجح سيدنا ابراهيم نجاحاً كبيراً ورقي رقياً عظيماً وسما وعلا حتى غدا إمام الناس إلى يوم القيامة وإلى آخر الدوران.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾

التي أمره بها وآخرها ذبح إسماعيل عليه السلام خاطبه تعالى: (﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا..﴾) (١) .

فلنيَّته العالية عليه السلام ورحمته بالناس جعل الله وظيفته في الإيمان باقية على كلِّ مؤمن إلى يوم القيامة يساعده عليه السلام وينهض به إلى الله، وبهذا يحصل للمؤمن نور من الله العظيم يستطيع أن ينحر وساوس الشيطان ويحرقه، ولذلك يقول هذا المؤمن في الصلاة داعياً: (**اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صلّيت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم**)، وكل هذا بسبب اقتدائه بسيدنا إبراهيم وسلوكه الطريق التي سنَّها لنا وذلك بالتفكير بالكون للوصول إلى الإيمان: (..﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾..) (٢).

١٠٨- ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: آمنوا عن طريقه عليه السلام وأعماله جارية إلى يوم القيامة.

١٠٩- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: الأمان والسعادة والجنات عليه من الله تعالى وعلى من اتبعه وذلك بسلوك طريقه عليه السلام، فيكون عليه الأمان والجنات بمعيَّة رسوله.

١١٠- ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: قانون عام، هذه الآية تبيّن عدل الله بخلقه وأن عطاءه سبحانه مبنيٌّ على قواعد وقوانين ثابتة، إبراهيم نال بصدقه، إسماعيل كذلك، وأنتم يا عبادي لابدّ من ظهور صدقكم في طلبي وعملكم، فكلّ من يسعَ ينل من عطاء ربه على قدر سعيه.

---

١)- سورة البقرة: الآية(١٢٤).

٢)- سورة البقرة: الآية (١٢٥).

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾
وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

١١١- ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بنا وبأسمائنا.

١١٢- ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: على ما قدَّم وضحَّى وقام به من أعمال عالية.

١١٣- ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾: بعدم إيمانه بالله.

١١٤- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: ثبَّت الله قلبهما حين وقفا ضد فرعون لما في هذا الموقف من صعوبة.

١١٥- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الكرب على قومهما مما كان يفعل فرعون مع بني إسرائيل من قتل الأطفال واستحياء النساء.

١١٦- ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾: على فرعون. ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: ولينصرنّ الله من ينصره.

١١٧- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: التوراة .

١١٨- ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

١١٩- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾: صار معهم مؤمنون.

١٢٠- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: نجاهم الله من فرعون وملئه ورفع شأنهما.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

١٢١ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: كل محسن هذا له بكل زمان ومكان.

١٢٢ـ ﴿إِنَّهُمَا.. ﴾: سيدنا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام. ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

١٢٣ـ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أرسله الله إلى قومه، معنى: ﴿ إِلْيَاسَ﴾: أي أن سيدنا إلياس عليه السلام سالم وسليم لا عيب فيه ولا نقص، لا في الأزل ولا في الدنيا، وكل من صاحبه بنفس[1]ه سلم بمعيّته ويئس الشيطان منه، فلا مدخل له عليه ولا يستطيع الدنوّ منه.

١٢٤ـ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: ألا تستنيرون بنور الله، وتنظرون بالنور بدل العمى القلبي ولا يكون ذلك إلا بتقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم سفير الحقّ ومهبط الأنوار الإلّهية. دعا قومه للإيمان بالله والتقوى، والتقوى هي أن يصبح للمؤمن نور من الله فلا ينقطع عنه سبحانه، وهذا يحصل بمعيّة رسولهم سيدنا إلياس عليه السلام.

---

١)- رسول الله ﷺ آتاه الله الكتاب المبين أما سيدنا موسى الكتاب المستبين، رسول الله ﷺ انطبع القرآن "الكتاب" بنفسه الشريفة من الأزل قبل مجيئه الدنيا، سيدنا موسى عليه السلام انطبع الكتاب بنفسه في الدنيا بالألواح. قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً..) سورة الأعراف: الآية (١٤٥)، بالدنيا اجتهد سيدنا موسى والله أعطاه ونال الكتاب، فلقد رقى في هذه الدنيا رقيّاً كبيراً بأعماله الكبرى التي قدّمها. مبين: أي أن رسول الله محمد ﷺ من الأزل عرف القوانين وما يلزم كل نفس وما تحتاج واطّلع ﷺ على طباع البشر كلّها فكان مع ربه ومع الناس.
مستبين: أي أن سيدنا موسى تعلم هذه القوانين بالدنيا وليس بالأزل، فقد كان بالأزل مع ربه وجاء إلى الدنيا واستبان الكتاب فيها

﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

١٢٥ـ ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾: صنم خاص بهم سموه بعلاً، نسبوا الصنم لسيدنا إبراهيم ، فهو أبو العرب وأبو بني إسرائيل، ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾: هكذا قال لهم سيدنا إلياس، أي: هذا الصنم الذي شبهتموه بالإنسان الصالح هو زوج مثلكم، مخلوق لا يرزقكم ولا يأتي بشيء من عنده، هو مثل الأرض البعل لا خير فيها إلا إذا أمدَّها الله بالأمطار والخيرات، كل الخير من الله فكيف تنسبون لغيره الفعل؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾: أتتركون الله الذي يخلق لكم الأثمار والورود والزهور والبنين والبنات والطعوم الطيبة المذاق، فهل لأحد يد في ذلك غير الله؟! تركتم الله الذي أحسن كل شيء خلقه ولحقتم صنماً لا حول له ولا قوة!.

﴿..ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾: خالق اسم فاعل بمعنى اسم مفعول أي مخلوق، كأن تقول أرض واطئة بمعنى موطوءة وبناء دارس بمعنى مدروس أي أصبح أطلالاً، وإلا فلا معنى لمقارنة الله الخالق بخالقين آخرين وتقول هو أحسنهم، إذ لا خالق سواه واسم الفاعل لا زمان له فهم خُلِقُوا ويُخْلَقُون وسَيُخْلَقون.

١٢٦ـ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: الخير والتربية والعطاء والنماء منه سبحانه وتعالى لا من غيره، شرح لهم عن بدايتهم كيف كانوا نطفة والتي هي من الطعام والشراب، فكيف الله ربَّاها ونمَّاها حتى جعل منها آباءهم وكيف هم خلقوا منها، كذلك دلَّهم على النهاية أي الموت ليفكروا به لعلّ نفوسهم تخاف فتلتجئ إلى الله وتطلب الإيمان. فَلِمَ التبعيَّة للآباء الذين ماتوا وأخذوا عملهم، وهل الآباء بغنى عن فضله وكرمه تعالى؟! أما كانوا مفتقرين له؟.

١٢٧ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ما طبَّقوا، رفضوا كلامه، لم يفكروا ببيانه وسامي دلالته فحلَّ البلاء وأتاهم الموت. ﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾: كالمجرم الذي يؤتى به موجوداً

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

للمحاكمة. ﴿..لَمُحۡضَرُونَ﴾: في النار "موجوداً"، ذهبوا إلى ربهم بلا إيمان وبلا أعمال صالحة.

١٢٨ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: هذه صفة الأنبياء والرسل الكرام فقط، وكل من ارتبط بهم يصبح بحصنهم ويصبح من المُخلِصين فلا تمسه النار. هؤلاء لهم الإكرام والإنعام.

١٢٩ـ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: هناك من آمن به عليه السلام أنَّه رسول الله وطبَّقوا كلامه وآمنوا بالله وقاموا بفتوحات عظيمة رفعوا راية الرحمة الإلٓهية، ونشروا دلالة الله بين العباد، وامتدت دلالته لأجيال كثيرة حتى صُفِّدت الشياطين وانكسرت ويئسوا من مجابهته عليه السلام.

١٣٠ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾: إلياس ومن تبعه، فكل من سار معه من المؤمنين وآل إليه فعليه السلام والأمان والسعادة والغبطة والعزة والكرامة دنيا وآخرة. الأنبياء الكرام من الأزل سالمون وهنا بالدنيا سالمون وكل من صاحبهم طهرت نفسه وسَلِم، ومما تدلُّ إليه الآية الكريمة أن هناك أناساً آمنوا به عليه السلام ودخلوا معه على الله فسَلِمُوا وطهروا وهم بالآخرة من السالمين، هؤلاء خضعوا له وانضمُّوا إليه وصاروا تحت لوائه، فكلمة إلياسين جمع لكلمة إلياس، ومما يدل على أنه أصبح معه فئة من المؤمنين الناجين، هؤلاء المؤمنون سلامٌ عليهم أي أمان دنيا وآخرة، لقد دخلوا هذه المغامرة "الدنيا" ونجوا ونجحوا فصاروا مَعْرِفَةً والكل يهنِّئهم ويبارك لهم، قال تعالى: (..فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ..) [1].

١)- سورة آل عمران: الآية(١٨٥).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ وَإِنَّ لُوطٗا
لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥ ثُمَّ
دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧﴾

١٣١ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: آمنوا وأحسنوا لأنفسهم ولغيرهم كل من آمن معهم بصحيفتهم، وهذا قانون، فكل من آمن وأحسن يجعله الله من آل ياسين.

١٣٢ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الله سبحانه وتعالى يقول لنا بهذه الآية، إن إبراهيم العظيم فكر وآمن وكذلك أصحابه، وأنتم فكروا لتؤمنوا وتصبحوا بالأمان وتنالوا الجنات، إن لم تؤمنوا لا بدَّ وأن تتعالوا على بعضكم بعضاً، وهذه صفة إبليس، صفة كل من أبلس عليه الأمر، فلا تكونوا مثله.

١٣٣ـ ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: كان من قوم النمرود فلما دعاهم إبراهيم تبعه لوط وآمن معه وصار نبيّاً.

١٣٤ـ ﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾: من الهلاك.

١٣٥ـ ﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: غَبرت لحبِّها لقومها وارتباطها بهم، هلكت بحبِّها لقومها.

١٣٦ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: قومه الذين ما آمنوا وقعوا بالفواحش لذلك دُمِّروا.

١٣٧ـ ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾[1]: لئن لم تؤمنوا بالله فستسلكون طريقهم وتفعلون فعلهم. إن مكان قوم لوط كان معروفاً بزمن الصحابة الكرام،

---

١)- (وبما أن القرآن الكريم لكل زمان فإن هذه الآية تنطبق على هذا الزمان بالمدلول الآتي: وتحقّق مدلول هذه الآية في زمن شرار الخلق إذ أن هذه الفاحشة عمَّت أهل الأرض، واليوم لا تخلو أمَّة أو قرية من هذه الفاحشة. فجاء هذا التنبيه الشديد للمؤمنين الذين لم يبلغوا الإيمان الشهودي بعد ﴿ وَإِنَّكُمۡ

﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾

ولم يكن أحد منهم يرضى أن يقيم أو يخيِّم في مناطقهم، فكانوا يجتازونها بسرعة لنفورهم من عملهم الخبيث.

١٣٨- ﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: وهنالك من سرت هذه الفاحشة في بلدانهم سريان النار في الهشيم، ولكن قاموا بها وفعلوها بالخفاء سرّاً دون إعلانها. أفلا تفكرون وتعقلون ما في الليل من خيرات بدل أن تسهروا الليل وتعملوا الفواحش فيه. **«الدين هو العقل** [١] **ومن لا عقل له لا دين له»** [٢]، أي اعقلوا كي لا يصيبكم ما أصابهم، دقِّقوا بالكون وبالموت حتى تشاهد أنفسكم الحقائق بنور الله ورسوله فتستهووا الفضيلة وتكسبوها وتنفروا من الرذيلة وتصدُّوها.

١٣٩- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: جاء قومَه مرسلاً من عند الله، معنى اسم يونس من الأنس فهو عليه السلام مستأنس بربه وجاء الدنيا ليستأنس قومه به ويدخلهم على الله فيأنسوا بالقرب منه تعالى وينالوا السعادة والجنات.

١٤٠- ﴿إِذۡ أَبَقَ﴾: أبى البقاء مع قومه بعد أن ملَّ منهم لعدم استجابتهم له، كانوا قوم سوء سادرين بالغي يرتكبون المعاصي، جاءهم وبيَّن طريق الحقّ ومع ذلك ما ساروا معه. ﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾: إلى السفينة هارباً من قومه، من

لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾:وأينما سار المرء في هذا الزمان فهذه الفاحشة سارية فيه واقعة في البيوت. ﴿..مُّصۡبِحِينَ﴾:هنالك من أعلن زواج المثلين بشكل رسمي علني في كثير من دول العالم)).

١)- العقل: هو رؤية الحقيقة بعين البصيرة كي يكون للمرء وازعاً من نفسه ورادعاً لها، وفي هذا حث لكل مؤمن على هذه الرؤية والإيمان الشهودي حيث أن النفس البشرية مؤهَّلة لاكتساب كل فضيلة بإقبالها على الله وكذلك لديها الطاقة لاكتساب كل صفات الدناءة بإعراضها عن الله.

٢)- وقد أخرج الحارث بن أسامة في "مسنده" (ق١٠٠/١-١٠٤/١ زوائده) عن داود بن المحبِّر بضعاً وثلاثين حديثاً في فضل العقل ومنها هذا الحديث.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾

شدة ما عاناه هذا الرسول من قومه من الضيق بسبب ما قاموا به من الصدود والإنكار.

١٤١ـ ﴿فَسَاهَمَ﴾: هذه الآية الكريمة تبيّن حبَّ هذا الرسول العظيم لفعل الخير ورحمته بعباد الله، على الرغم من أنه راكب وليس عليه شيء إلا دفع الأجرة فقط ومع ذلك ساهم بالتجديف حبّاً بعمل الخير ورحمة وحناناً على أصحاب السفينة فساعدهم. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: من المغرقين. جاءه الدور بالتجديف فغرق، ولكن لماذا غرق سيدنا يونس؟ الأنبياء الكرام بنور الله يرون ما لا يراه الناظرون ليس بزمانهم فقط بل للأزمنة كلها ماضيها ومستقبلها وحاضرها، سيدنا يونس عليه السلام نبي مُرسلٌ من عند الله وظيفته دائمة، عندما توجَّه إلى قومه الذين تركهم شاهدهم غيَّروا وتابوا وقرَّروا الإيمان، وبهذه المشاهدة انصعق من السعادة ففقد توازنه وغرق، حيث كانت هذه أكبر من توقعاته، إذ طيلة المدة التي قضاها معهم يدلّهم على طريق الإيمان ويرشدهم لم يكن هناك ثمّة استجابة تُرتجى منهم، أمَّا الآن فلقد تغيَّرت قلوبهم ومالت للحق تطلب الإيمان، وحصل هذا بعدما تركهم سيدنا يونس فأرسل الله لهم من الشدائد والبلاءات ما لا عهد لهم بها، فلمّا كان معهم عليه السلام كانوا برغد وسعادة وبتركه لهم فقدوا ذلك، هنالك قارنوا بين ماضيهم وحاضرهم فعرفوا السبب، وتذكروا نصائحه وإرشاده عليه السلام فقرروا التوبة والسير بالإيمان وتطبيق دلالته.

١٤٢ـ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: لـمَّا غرق ابتلعه الحوت. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: لائماً نفسه منكسراً إلى الله، عرف بالحال أنه لو لم يكن قد عمل شيئاً لما غرق فلام نفسه ورجع إلى الله وهو يعرف الطريق. الأنبياء الكرام عليهم السلام دائماً ينسبون التقصير لنفوسهم، والله تعالى يتركهم على ظنهم وذلك للرقي.

﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ..﴾

١٤٣- ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾: السابحين بفضل الله وحمده.

١٤٤- ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: لما نجا من الهلاك، ولكنَّ إنابته ولومه لنفسه أنقذاه. ولولا أن يونس فكَّر وتعرَّف إلى السبب الذي جلب له هذه الشدة ورجع إلى ربه شاكراً فضله فنال ما نال من الدرجات العالية بهداية قومه لجعلناه ينال ذلك الفضل الإلهي والعطاء عن طريق آخر فنبقيه مُضيَّقاً عليه مغموماً في بطن الحوت، وبصبره على هذا البلاء واستسلامه ورضاه بما نسوقه له مع عدم علمه بالسبب نرفع درجته ونبلِّغه ما تأهلت له نفسه من المنازل العالية.

١٤٥- ﴿۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾: أنقذه تعالى إلى اليابسة.

١٤٦- ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾: استظلّ تحت أوراقها فكانت هذه الشجرة ذات أوراق كبيرة رحمة به لئلا يتأذى جسمه الشريف.

١٤٧- ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾: آمنوا به ونشروا دلالته. وجاءت هذه الآية الكريمة بشرى من الله تعالى لرسوله الكريم محمد ﷺ بالنصر، ومنها عرف رسول الله ﷺ أن الجزيرة العربية كلّها ستفتح عليه، وكذلك بعد إيمانهم ستفتح عليهم الشام والعراق وفتوحات أخرى كبرى. مائة ألف بحياة سيدنا يونس الشريفة أو يزيدون بعد انتقاله عليه السلام، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم**» (١).

١٤٨- ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾: أكرمناه بهم جميعاً، فليصبر الإنسان ولا ييئس.

١)- كنز العمال رقم/٣١٩٠٤/.

﴿..فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ أَمۡ
خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١
وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ
تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ..﴾

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾: جعلنا حياتهم هنيئة إلى حين موتهم.

١٤٩ـ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾: أيقال لصاحب هذه العظمة مثل هذا القول!.

١٥٠ـ ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا﴾: قالوا عن الملائكة أنهم بنات الله. ﴿وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾: أشاهدوا هذا؟! هل شاهدوا خلق الملائكة وأنهم إناثٌ حتى قالوا هذا القول! قولهم هذا زور.

١٥١ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾: كذبهم. ﴿لَيَقُولُونَ﴾: يدَّعون.

١٥٢ـ ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: بادِّعائهم أن عيسى عليه السلام ابن الله.

١٥٣ـ ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾: فضَّل البنات على البنين!.

١٥٤ـ ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾: كيف نسبتم البنات لله وكذلك سيدنا عيسى قلتم أنه إلّه.

١٥٥ـ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تَذَكَّرون هذا الخلق وهذه النعم وتفكِّرون، أفلا تفكرون بهذا الكون لتروا عظمة الله ووحدانيته.

١٥٦ـ ﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ﴾: هل من دليل ظاهر على كلامكم!.

١٥٧ـ ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: من أن لله ولداً.

١٥٨ـ ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا﴾: من كفرهم وإعراضهم نسبوا للجن والشياطين معرفتهم الغيب، وجعلوا لهم حولاً وقوةً كإحضارهم الكنوز والملوك

﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ
ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ
صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾

بـزعمهم. ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾: سُخِّرت الجـن لسـليمان عليه السلام وظلت تعمل بعد موته وهي لا تدري أنه مات حتى نخر الدود عصاه فخر جسده الشريف على الأرض.

١٥٩ـ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: ما أعظم تسبيحه تعالى، السموات، الشمس، القمر، النجوم، الأرض، كل شيء عائد له! هم لا حول لهم ولا قوة، الفعل بيده، كل شيء هو يسبِّحه. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: منزَّه تعالى عما وصفوه من صفات لا تليق به سبحانه.

١٦٠ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: لـم نجعل لأحد عليهم سلطاناً فليسوا بمحضرين في العذاب.

١٦١ـ ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾: ما تطيعون وما أنتم عليه من زينة وتفاخر.

١٦٢ـ ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾: لا تستطيعون أن تفتنوا أي إنسان. لا يُفتتن بالباطل إلا من كان في قلبه ميل له وبعد عن الله.

١٦٣ـ ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

١٦٤ـ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾: كل واحد وعمله وجلاؤه بيده، الرسل والأنبياء الكرام أتوا للدنيا وقدَّموا أعمالاً ولهم على أعمالهم العظمى مقام عند الله، فلكل واحد منهم صلوات الله عليهم أجمعين مقام على حسب ما قدم من عمل، مقامهم وعملهم معلوم عند الله وعند بعضهم، فهم لم ينقطعوا عن الله، كذلك أهل التقوى، وغداً كل إنسان ستكون أعماله ظاهرة مكشوفة له وللخلائق جميعاً.

١٦٥ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: لا فعَّال غيره سبحانه، هذه النجوم العظيمة

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

من صفَّها بالسماء ورتَّبها ويحملها ويحرّكها ويمدّها، فكِّر بهذا لتؤمن بلا إلّه إلا الله. حين يتوصَّل الإنسان إلى عقل كلمة لا إلّه إلا الله يتوصل إلى من يسيّر هذه النجوم.

ببداية السورة: (**وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾**): وهي النجوم التي تنظم سير الكون وتصفّه من قمر وشمس وأرض.. فالنجوم والكواكب هي المسؤولة. أما في هذه الآية فإن الله تعالى يوضِّح لنا: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ**﴾: أي بالحقيقة فإن الله تعالى بأسمائه الحسنى الذي ينظم ويصفّ الكون بما فيه، فهو تعالى المسيِّر المنظِّم لهذا الكون وهذه حقيقة لا إلّه إلا الله. يقولون أن النجوم لها فعل كذا وكذا... وبالحقيقة: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ**﴾: لا إلّه إلا الله.

١٦٦ـ ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ**﴾: لك يا إنسان بأن الفعَّال هو الله. الله سبحانه يتجلَّى عليك وعليها بأسمائه الحسنى والكلّ يسبح بفضله وإنعاماته. إن وصلت ترى أنَّ الله يسبّح. ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ**﴾: قال تعالى: (**وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾**): أي إذا فكَّر الإنسان بالصافات صفاً: بسير الكون وانتظامه شاهد لا إلّه إلا الله.

﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ** ﴾، عندها:(**فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾**): تزجره هذه الآيات فلا يعود يتجرَّأ على المعصية "يستقيم" حيث أنه شاهد ربه قريباً منه فما عاد يعصيه "انزجر"، فهذه الآيات تزجره زجراً عن المعصية، وهنا يوضِّح لنا الله تعالى حقيقة ذلك بقوله الكريم:﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ**﴾: أي أن الذي سبَّح لهذا الإنسان نفسه في هذا الجلال الإلّهي وأشهدها ملكوته تعالى حتى انزجرت إنما هو الله تعالى، والحقيقة ما كانت لتنزجر وتستقيم لولا هذا التسبيح، ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ**﴾: فالله تعالى هو الذي يُشهد النفس ما يُشهدها ويُعطيها ما يُعطيها

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾

لتستقيم على أمره سبحانه وتعالى، عند هذا (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾)[1]: عندها تصفو نفس هذا الإنسان لسماع الحق، لسماع الذكر.

١٦٧- ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾: يضعون لأنفسهم تبريرات.

١٦٨- ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: قالوا الوحي نزل على رسول الله وأصحابه ولم يتنزل علينا نحن. لو كنا مثل أولئك الذين اتَّبعوا الأنبياء أو كانت بيئتنا مثل بيئتهم لكنَّا مثلهم وعباداً صالحين.

١٦٩- ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: قالوا عن رسول الله ﷺ: إنه حين يتكلم بالوحي لا يخطئ، ونحن لو نزل الوحي علينا لكُنَّا مثله أنبياء فهو لا ميزة له علينا. هذا ما وصلوا إليه بعلومهم، لو كانوا مؤمنين ما تكلَّموا عن رسول الله ﷺ بهذا الكلام، ولعرفوا مكانته وسموَّه وأنه ﷺ معصوم لا يخطئ.

١٧٠- ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾: لذلك كفروا به، كفروا بدلالته وبيانه.

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾: سيعلمون غداً أن ما تكلموا به على رسول الله ﷺ وما وصفوه من صفات لا تليق به إنما هي صفاتهم وضعوها ونسبوها له، لذلك وبهذا القول صاروا أحط الخلائق مذلولين.

١٧١- ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: الحق لابدّ وأن ينتصر ويظهر ويسود في العالم وهذا الشيء لابدَّ منه في زمن سيدنا عيسى عليه السلام حين مجيئه في المرة الثانية، فلابد أنَّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، سيدنا

---

١)- سورة الصافات: الآية.

﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ
حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾

عيسى ﷺ، سمَّاه الله تعالى "**المسيح**" لأنه سيمسح الكفر من الأرض [1].

١٧٢ـ ﴿**إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ**﴾: النصر لهم (**كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ**) [2].

١٧٣ـ ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ**﴾: وكذلك المؤمنون سيكون لهم الغلبة والنصر على الكافرين بمعيته ﷺ.

١٧٤ـ ﴿**فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ**﴾: اتركهم حتى يحين الوقت، لذلك هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة. ﴿**حَتَّىٰ حِينٖ**﴾: حتى حين ترى هلاكهم، لحين العودة والنصر.

١٧٥ـ ﴿**وَأَبۡصِرۡهُمۡ**﴾: لكن بيّنْ لهم ما سيؤولون إليه من مصير، دُلَّهم وبَيّنْ لهم، تابعهم بأنظارك فهناك أناس عندهم الإمكانية للسير بالحق والإيمان. ﴿ **فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ**﴾: هزائمهم، سوف يرون ما يوعدون، سيرون نتائج كفرهم وتكذيبهم وستعود عليهم، شاهدوا النتائج في غزوة بدر وغزوة أحد والخندق وزعماؤهم قتلوا.

١٧٦ـ ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ**﴾: يستعجلون الهلاك بالمعاصي ويريدون قتلك والتخلص منك، عادوك وخالفوك من أجل شهواتهم ومعاصيهم وبهذا يستعجلون البلاء عليهم.

١٧٧ـ ﴿**فَإِذَا نَزَلَ**﴾: العذاب ﴿**بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ**﴾: تستاء نفوسهم لمَّا يروا

---

١)- للمزيد لطفاً انظر كتاب (السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق) للعلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سره.

٢)- سورة المجادلة: الآية(٢١).

﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ..﴾

أعمالهم الخبيثة، هزائمهم عادت عليهم بالسوء. ﴿صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: الذين سمعوا الحق وما ساروا به، حين الموت ينزل العذاب بهم حينما تتكشف لهم الحقائق، فيأتيهم الشجاع الأقرع وهو مَلَك، يأتي حسب أعمال الإنسان وعلى صورتها، سمي بالثعبان الأقرع أو الشجاع الأقرع لأن هذا المعرض كان بالدنيا شجاعاً في الوقوع في المحرمات والآثام، فالله سبحانه أمره بأوامر فعصى وما طبّقها، ما سأل عن ربِّه، صار يقتل ويعتدي ويفعل ما يشاء ويظن أن له فعلاً وحولاً وقوةً، ويقول للناس افعلوا كذا وكذا وكل ما تفعلونه برقبتي. **أقرع:** من التقريع، أي: حين يشاهد عند الموت عمله السيّء الذي قام به في الدنيا هنالك يُقرِّع نفسه لأن فطرة الكمال رجعت إليه ولم يبقَ بنفسه شهوة، فيأتيه الملك بصورة عمله ويقرِّعه فيعتريه "هذا المعرض" رعبٌ هائل كبير، ويظل هذا الملك يعالجه بهذا لينسيه ما هو فيه من أحوال أشدّ هولاً ورعباً إلى يوم القيامة، وكل هذا إنما هو رحمةٌ من الله تعالى وتخفيفٌ على هذا المعرض مما حلَّ به من أحوال لا تطاق، وهذا حال كل إنسان ليس له إيمان ونور وليس له إمام.

١٧٨ـ ﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: بصلح الحديبية رسول الله ﷺ قَبِلَ معهم بكل ما وضعوه من شروط وهو منتصر. الآن لا تأخذ مكة لأن فيها أناساً سيصبحون مؤمنين. ﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: بعد الموت، اتركهم لا تتوجَّه لهم بأنوارك يا محمد فلا فائدة من هذا ولا بدَّ لهم من العلاج والدواء والعذاب لنجاتهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾: من القبر ليوم القيامة لا تلتفت إليهم، لحين يمكن إنقاذهم والتفاتهم إليك أنا أخبرك بهذا.

١٧٩ـ ﴿وَأَبۡصِرۡ﴾: الآن النتائج، جاءت الآية الكريمة:﴿ وَأَبۡصِرۡ ﴾ مقتصرةً عليه ﷺ ولم تأتِ (أبصرهم) فهي لم تشملهم ذلك أنهم وقبل موتهم كان عندهم

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

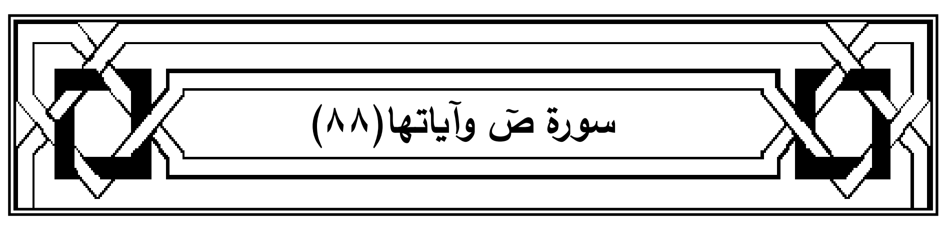
القابلية في التغيير والتوبة والنجاة أما الآن "بعد الموت" فلا يستطيعون، فهو ﷺ وظيفته دائمة وليس له حاجة بهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: العذاب، نصرُك عليهم لابدّ منه.

١٨٠- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾: يا محمد. ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: لابد من نصرك عليهم. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: بألسنتهم وكتبهم، ما قالوه عنه ﷺ من أنه أخطأ وأنه سُحر وغير ذلك.

١٨١- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: سلام عليهم من كل سوء، الأمان عليهم مثل سيدنا يحيى وسيدنا يونس عليهما السلام فلم يصبهم شيء، كذلك كل من آمن معهم من المؤمنين محفوظون بمعيَّتهم فلا يُصيبهم السوء.

١٨٢- ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: يُحمد الله على كل ما يسوقه و يرسله للإنسان من مرض وفقر وإحسان وغيره.

والحمد لله رب العالمين



سورة صٓ وآياتها(٨٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ ..﴾

١ـ ﴿صٓ..﴾ [١]: يا صادق، كل الخلق عاهدوا الله سبحانه وتعالى في الأزل على أن يصدقوا في حمل الأمانة وكان رسول الله سيد الصادقين، بالأزل صدق رسول الله ﷺ مع الله صدقاً هائلاً فاق البشرية به وأقبل عليه سبحانه ووصل سدرة المنتهى، أي: المكانة التي لم يصل إليها أحد، ولمّا جاء للدنيا صدق ووصل في صدقه مع الله فيها كمثل صدقه في الأزل لذلك أعطاه الله ما أعطاه، ونال من ربِّه ما لم ينله أحدٌ من الله، ووصل في الحياة الدنيا لسدرة المنتهى، ومن محبّته لله أحبَّ خلقه سبحانه ورمى بنفسه عليهم لهدايتهم، ووظيفته بهذا الصدق العظيم مستمرة أبد الآباد. لذلك خاطبه الله بهذا الخطاب يا صادقاً معنا في حبِّنا و يا صادقاً بعطفك على خلقنا أجمعين "رحمة للعالمين"، فالصدق أساس، ولن يصدق الإنسان بطلب ربِّه والإيمان به إلا إذا فكَّر بالموت وتيقَّنت وخافت نفسه منه عندها يصدق.

ولكن من أين أتى ﷺ بهذا الصدق الذي تميّز به عن الخلائق أجمعين؟ ذلك لأنّه قدّر إكرام ربّه وإنعامه وفضله منذ الأزل، إذ رأى أن الله يعطي وليس بحاجة لأحد، واستجاب لربّه بكل طاقاته نتيجة تقديره إكرامه وإنعامه تعالى، وظهر ذلك

---

١)- في الكتابة تُستخدم الرموز وأحرف بدايات الكلمات، ففي مجال الجيش مثلاً يُقال (م ـ ط) أي سلاح مضاد طيران، ويُقال (م ـ د) أي مضاد دبَّابات كذلك في الجامعات يرمز بحرف (د) إلى من نال درجة الدكتوراه... وهنا بهذه السورة حرف (ص) المخاطب به رسول الله ﷺ.

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾

في الميثاق "ألست بربكم؟"، فقد استغرق في بحور الحضرة الإلّهية وخلّف كل الخلائق وراءه، وسما وعلا حتى صار بالأفق الأعلى.. فصدقه ﷺ وغِيرته على الخلق غلبت وجمعت كل صدق الأنبياء والمرسلين والعالمين، فهذا الصدق جاء من اندفاعه من ذاته ﷺ من تقديره لعطاء الله وفضله وإحسانه وإنعامه، فلذلك تميَّز بهذا الصدق.

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾: دليل صدقه ﷺ أن الله أنزل عليه القرآن، أي وهذا القرآن يشهد بصدقك، فمن رحمته وحنانه بالخلق جميعاً ولاّه الله أمور عباده، حيث بصدقه جمع صدق الكلّ من رسل وأنبياء وصالحين وزاد عليهم، لذلك جعل الله سبحانه دلالة خلقه وعطاءه تعالى لخلقه عن طريقه ﷺ، فأنزل عليه هذا البيان "القرآن" الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، أظهر به سبحانه صدق رسوله وأحواله وأقواله وأعماله ومحبته لله وللخلق ولعمل الخير والإحسان. الله تعالى يكلِّم البشرية عن طريق رسوله ﷺ بالقرآن، القرآن: كلام الله، عندما انقطع الناس عن الله صار الرسول ﷺ يكلِّمهم بالقرآن، فإذا التفتوا إليه بالتقدير تفتَّحت منهم البصائر ورأوا ما في القرآن من حقائق. ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾: إن قرأته أيها الإنسان تتذكر أسماء الله الحسنى وأن محمداً صادق، حيث بتوجه الإنسان لصاحب القرآن رسول الله ﷺ تنزاح الحجب عن نفسه فتتذكر النفس وتشاهد، تتذكر الأزل وعهدها مع الله وتشاهده، وتتذكَّر الجنة التي كانت فيها فترجع لها ومن ثمَّ جنات متتالية، وتتذكر المسؤولية الملقاة على عاتقها وأنها حملت الأمانة، فهل وفَّت؟ وتتذكر الآخرة وما فيها ولا تستطيع بعدها اقتراف أيَّة مخالفة، لأنها أصبحت ترى ما نتائج المعصية عليها، ترى النار والسموم التي فيها... كل ذلك تراه

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ..﴾

بواسطة رسول الله ﷺ لأنه هو خليفة الله وهو المتكلم بلسان الله. كما حدث للسحرة مع سيدنا موسى عليه السلام حين توجَّهوا إليه فشاهدوا كل هذا.

٢ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين ما فكروا وما آمنوا، الذين ما قدَّروا رسولهم وعلومه وبيانه هؤلاء ﴿فِي عِزَّةٖ﴾: معتزُّون بما لهم من شأن دنيوي واختراع، لذلك كفروا به ﷺ وبدلالته، عزّة إبليس (..**أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ**..) [1] فقد تكبَّر على سيدنا آدم، وسيدنا آدم أراد أن يرجعه للجنات وأعاده لكنه هو تركها، وكذلك هؤلاء. ﴿ وَشِقَاقٖ﴾: ثم الكافرون مستكبرون عنك بعد هذا العلم والبيان ومنشقُّون، أصبحوا خصوم الحقّ وأعداءه، وقفوا ضدّ رسول الله ﷺ وبدؤوا يقاومونه، وبهذا تراهم دائماً بالهمِ والضيق والشقاء والضنك رغم كلِّ تنعّمهم بدنياهم، كذلك هم أيضاً بشقاقٍ مع بعضهم متفرّقون متباغضون.

٣ـ ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾: أهلكناهم لمَّا استحقوا الهلاك، أهلكناهم بأعمالهم السيِّئة وتكذيبهم ومعاداتهم لرسل الله، فبهذا أصابهم الهلاك. أنتم لا تكونوا مثلهم، لقد حكموا على أنفسهم بالهلاك وستأتيهم الساعة الكبرى ويخسرون الدنيا والآخرة. ﴿مِّن قَرۡنٖ﴾: من أقوام هم أشدُّ منهم قوة وحضارة، هؤلاء قرَّنت نفوسهم في الشهوات بقوة، لا يريدون إلا الحياة الدنيا، ومن أجلها بنوا حضارات قوية دامت قرناً، أي: مائة عام، كذلك قومك وحضارتهم (**يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**..) [2]، الحقائق لا يعرفون منها شيئاً. ﴿فَنَادَواْ﴾: لما حلّ بهم البلاء، والموت نادَوا يا الله خَلِّصنا، لكن دعاءهم غير مستجاب، وليس هناك

---

١)- سورة صٓ: الآية(٧٦).

٢)- سورة الروم: الآية (٧).

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

من مهرب. عند الموت ذهبت الشهوات وظهرت الحقائق. بالدنيا ما التجؤوا إلى الله، فقط حين أتاهم الهلاك نادوا واستغاثوا بالله وطلبوا العودة للدنيا.

﴿ وَّلَاتَ﴾: لو أنَّهم نادوا بالحياة لاستجاب لهم تعالى، ذلك لأنه بإمكانهم التغيير والتوبة وعمل الصالحات ليصبحوا من أهل الجنَّة، أمّا هناك وبعدما خسروا كل شيء لم يعد ثمَّة أمل يُرتجى، إذ أنهم بالحياة الدنيا ما صَدَقوا، وذهبوا عنها خاسرين ولم يعد هناك مؤهلات الاختيار والأعمال، مثل فرعون عندما ذهبت الدنيا عنه نادى فهل صار من أهل الجنة؟ أم أنه بالعذاب ولم يستفد، كمثل طالب بعدما انتهى الفحص ورسب، قال الآن أريد أن أنجح! قال تعالى: (..وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾)[1].

فهذه الفرصة "فرصة الدنيا" لا تُعاد ولا تُكرر مرَّة ثانية حيث لا فائدة لهم من الرجوع إليها، ولو رجعوا فسيعودون لإعراضهم.

كذلك لو أبقاهم الله في الدنيا ولم يهلكهم فلن يستفيدوا شيئاً وسوف تزداد شرورهم ويزداد إجرامهم بحقِ أنفسهم لذا فهلاكهم خيرٌ لهم من بقائهم في الدنيا.

﴿ حِينَ مَنَاصٍ﴾: لكن هيهات هيهات، نفوسهم بدل أن تزداد نوراً على نورهم الأزلي الذي نالوه من ربِّهم بالأزل، لكنها على العكس من ذلك فقد ناصت وانطفأت وبالبرزخ ليس لهم نور، أضواؤهم بالقبر أضواء نيرانية، لأنَّهم غاصوا بالظُّلمات وغرقت نفوسهم ولم يعد لهم أنوار. هؤلاء المعرضون ينادون وهم لا يرون الله، فمن ينادون! وبمن يستجيرون؟! لقد ضيَّعوا كل شيء، ولو ردّوا إلى الدنيا لعادوا لعنادهم.

١)- سورة الأنعام: الآية(٢٨).

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ..﴾

٤ــ ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾: تحقَّقوا من رسالته بتفكيرهم وشاهدوا بأعينهم كماله ﷺ وأعماله العظمى لكنّهم لم يعبؤوا، ما طلبوا الله والإيمان به، فضَّلوا الدنيا وشهواتها على الآخرة وجنَّاتها، وغيرهم أنكروا رسالته ظنّاً منهم أنَّ الله لم يعد يُرسل عظماء، قالوا العظماء بالماضي فقط. ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾: رجلٌ من بينهم. ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾: قالوا هذا لأنَّهم بجلوسهم معه ﷺ كان يحصل لهم أحوالٌ قلبيَّةٌ، ويتحوَّل شقاؤهم وضيقهم إلى سعادةٍ يعيشون فيها، الإنسان ما لم يصلْ لربه ويؤمن به تبقى نفسه بعللها وأمراضها، فيأتيها الشقاء مما بها ومن سيِّئ أعمالها. هؤلاء بجلوسهم معه ﷺ وبتوجّهه إلى أنفسهم بأنوار ربِّه تشفى نفوسهم من عللها وأمراضها وتتبدَّل بالصحة والسعادة، لذلك قالوا عنه ساحر! لكن هل الساحر يدعو إلى الله؟ الساحر يدعو لنفسه لا إلى الله والإيمان به، وهو ﷺ لم يدعُ لنفسه بل دعا لله. ﴿كَذَّابٌ﴾: كل هذا عزوه للشياطين لأنَّهم ما فكروا، وبذلك كذَّبوه وقاوموه، اتَّهموه بالكذب بكل ما جاء به من علوم وبيان لأن معتقداتهم ومبادئهم ظهرت تافهة سخيفة أمام بيانه وعلومه، لذلك اتهموه بالكذب، وادَّعوا أنَّ له هدفاً وغايةً من وراء دعوته وسيحققها على أكتافهم، لذلك حاربوه. والحقيقة أن السَّبب في قولهم هذا:﴿..سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾، أنَّهم لا يريدون أن يؤمنوا.

٥ـ ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾: قال لهم ﷺ "**لا إلَه إلا الله**"، يده تعالى مسيّرة للخلق جميعاً لكن حسب اختيارهم وعلى مستحقِّين مثلهم، وهو سبحانه الفعّال لما يريد ويشاء ولما فيه خير الإنسان ولا ظُلم بهذا الكون، أثبت لهم ذلك بالأدلَّة والبراهين، ورغم ما بيَّنه لهم ﷺ من العدل الإلَهي في هذا الكون أنكروا بيانه وقالوا كيف لا ظلم والواقع أمامنا نراه... نرى ظالماً ومظلوماً، فردَّ عليهم ﷺ :

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ
ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ..﴾

المظلوم ظالم ولولا ظلمه لغيره لَمَا جاء أحدٌ وظَلَمَهُ، ولولا أنه استحقَّ هذا لَمَا أصابه شيء من مكروه.

لم يسمعوا منه ﷺ، اتبعوا كُبراءهم وهم سائرون على كلام آبائهم وأجدادهم وما ورثوه منهم، قال لهم رسول الله ﷺ: لا نسير إلا بالقرآن كلام الله، السير عليه فقط وليس على كلام غيره وأن تجعلوهم آلهة لكم تسيرون على كلامهم وهو ليس من القرآن في شيء. فلم يتخلّوا عن كلام أجدادهم وما ساروا معه بالحق والقرآن، وأعرضوا عن الله وعن رسوله. ﴿**إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ**﴾: وغيرهم من الذين كفروا تعجَّبوا من بيانه ودلالته، قالوا جاء بأشياء عجيبة ورهيبة لم يستطع أحدٌ أن يأتي بمثل ما أتى به، كلُّها منطقيَّة ولا أحد يستطيع الردَّ عليها. لكنه لا يوافق هواهم إذ لا يريدون إلا الدنيا لذا...

٦- ﴿**وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ**﴾: أصحاب السلطة والجاه والمال، الزعماء، أرذلهم، المترفون بالدنيا وشهواتها. ﴿**أَنِ ٱمۡشُواْ**﴾: بطريقكم، امشوا على ما أنتم سائرون عليه الآن من علومٍ وشهواتٍ ومعتقداتٍ. ﴿**وَٱصۡبِرُواْ**﴾: قالوا هذا لأنه ﷺ أقام الحجَّة عليهم وبيَّن لهم كل شيء، بيَّن لهم الحقَّ ظاهراً جلياً ومع ذلك كابروا، عرفوا الحقَّ وانحرفوا عنه. ﴿**عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ**﴾: هذه عبادة الأصنام، استبدلوا بالصنم الثابت أصناماً أخرى كحبِّ النساء والأولاد والمال. ﴿**إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ يُرَادُ**﴾: لابدَّ وأنَّ له غاية في هذه الدعوة، قالوا هذا تبريراً لأنفسهم ولأعمالهم. كلّ البشر سائرون على خلافه. هل كلُّهم على خطأ وهو وحده على صواب؟! كل الناس تريد هذا الشيء الذي نحن نريده.

٧- ﴿**مَا سَمِعۡنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ**﴾: الملل الدينية مثل اليهود والنصارى

﴿..إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي..﴾

وغيرهم، وهذا تبريرٌ ثانٍ، قالوا: اليهود دينهم سماوي ولهم كتاب وهم مؤمنون بالآخرة والسؤال وبالجنة والنار ومع ذلك فهم يرابون ويعملون بالأموال والفائدة وليسوا مثله، كذلك النصارى فرجال دينهم سهَّلوا لهم أمور الدين من اختلاط وربا وغير ذلك، والكل ليسوا مثله!. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾: هذا التشديد وهذا الكلام والبيان من عنده وليس من عند الله، على الرغم من أنه لم يدرس، فقد اختلقه من أفكاره، لأنه ذكي عبقري تفوّق على زمانه، يأتي بأمورٍ لا يستطيع أحد الإتيان والقيام بها. ظنُّوا أن الأمور شكليَّة ولم يعرفوا أنها حقائق يعيشون فيها، وبهذا أضاعوا الجنَّات في الدنيا. وإذا أضاعوها هنا فسوف يضيعونها هناك بالآخرة. لم يوفوا بالعهد..

٨ـ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾: ألم يجد الله عظيماً من القوم سواه! هو واحد منَّا ولم يتعلَّم العلوم مثلنا ولم يدرسها ولو أن هذه العلوم التي أتى بها هي من عند الله لأنزلها علينا نحن الذين تعلَّمنا ودرسنا.

غيرهم قالوا: هو ليس من أمَّة عظيمة قوية لها حضارة ولا هو من الفلاسفة والعلماء والحكماء بل هو أُمِّي فكيف يختار الله رجلاً أُمِّياً من بين هؤلاء العظماء؟! قالوا هذا وهم لا يعرفون معنى كلمة أمِّي وإنها مديح من الله له ﷺ؛ بأن كل الرسل والأنبياء والأتقياء وأهل الإيمان إنما هم آمون إليه بعلومهم وجناتهم ومعارفهم. كذَّبوا به شرقاً وغرباً. ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي﴾: هكذا أجابه الله تعالى، قال له: إنهم في شكٍّ من لا إلٓه إلا الله، يشكُّون بأسمائي وإني عليم حكيم أعطي كل ذي حقّ حقّه، هذا الشكّ والتكذيب بي، فأنا ربّهم وهذا كلامي وليس الشكّ بك، فهم غير مؤمنين بي وأني سأحاسبهم، رأوا الكون بيت

﴿..بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ..﴾

ليس له صاحب فراحوا يحقِّقون شهواتهم وانحطاطهم وإجرامهم فيه. ﴿**بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ**﴾: مساكين، لا يأتون للحقّ إلا عن هذا الطريق، طريق العلاج والشدائد والمصائب والأمراض عندها يعرفون كل شيء ويقرُّون به، وإن لم يرجعوا فعند الموت يعترفون ولكن ما الفائدة من إيمانهم عندها واعترافهم: (**..يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا..**) (١).

٩- ﴿**أَمۡ عِندَهُمۡ**﴾: هؤلاء الذين يدَّعونهم آلهة، الذين ساروا معهم وتركوا الله من أجلهم، هل يملكون لهم الخيرات؟. ﴿**خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ**﴾: هل عندهم الأمطار والهواء ويخرجون لهم الثمار والطعام حتى لحقوا بهم وتركوا الله؟ كذلك خزائن الله نفس رسوله ﷺ وما يُنزِّل بها سبحانه من أنوار وجنات وعلوم، فرسول الله ﷺ قال: «..**والله المعطي وأنا القاسم..**» (٢).

الصحابة عندما التفتوا للرسول نالوا خزائن رحمة ربك وهدوا الأمم إليها فكانوا يسيرون بالحقائق، فهل عند الكفرة ما عند الرسول ﷺ؟! ومشى فيه الصادقون أصحابه فانكشفت لهم الحقائق والآخرة والعهد. هل الكفرة يستطيعون أن يُشهدوا أتباعهم هذا الشيء باللذائذ التي لديهم "بهذه الفواحش والتعدي والأذى"؟ وهل أعطى الله غيرهم من الذين يدَّعون أنهم مرشدون لله أم أعطى رسوله! هل وصلوا للإيمان بالله تعالى وشاهدوا أسماءه الحسنى وآمنوا بها حتى جعلوا أنفسهم مرشدين؟! فكيف يستطيعون أن يَصِلوا بغيرهم إلى الله وهم لم يَصِلوا إليه تعالى ولم يُصلُّوا الصلاة الحقيقية؟. أمَّا إن التفت الناس لرسول الله ﷺ فإنه يوصلهم

---

١)- سورة الأنعام: الآية(١٥٨).

٢)- رواه أحمد.

﴿..ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠﴾

بالله ويصل بهم إلى الجنات والنعيم والأنوار. ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: كل الخير منه سبحانه ينزله على رسوله، وهو الذي وهبه هذا الفضل بأعماله وتضحياته وإيمانه وجهاده، فالله تعالى أعطى رسوله ﷺ عطاءً لم يعطه لغيره أبداً، أعطاه الأنوار والجنات، وهم ليس لديهم هذا بل هم في الظلمات لأنهم ما عظَّموا ربَّهم وما آمنوا به، بل عظّموا بعضهم وعظَّموا أصحاب العلوم والحضارة والانحطاط. ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾: الله تعالى عطاؤه ليس مشروطاً بل بالإحسان دون مقابل، فليلتفتوا إليه تعالى ولرسوله ﷺ يعطِهم جنَّاتٍ لا نهائية، فهو سبحانه الوهَّاب المنَّان.

١٠- ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: هل هم خلقوا الشمس والقمر، هل يسيّرون هذا الكون العظيم؟ هؤلاء شاهدوا لأنفسهم حولاً وقوة وظنُّوا أنهم مالكون لهذا الكون وأن الطاقات والقدرات عندهم وبيدهم، إذاً إن كانوا كذلك فليرونا ما هم صانعون: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾: هم طالبون الرقي إذاً ليخلقوا كوناً ثانياً أفضل من هذا وليأتوا بغلال أحسن وأفضل مما يخلقه الله لهم، ليخلقوا خليَّة ويضعوا الحياة بها، إن كان بيدهم أن يفعلوا شيئاً في هذا الكون من تسيير وخلق فليُرونا. فليمسكوا بزمام الأمور بدل الله في تسيير وخلق هذا الكون وإمداده... عندها نصدِّقهم ونسير معهم. أم أنهم غداً سيموتون وسيذهبون إلى جهنَّم فهل يردُّون عن أنفسهم شيئاً؟! وهل يردُّون عنَّا إن أوردونا هذه الموارد؟! هل يوجد أحد يفكِّر بذلك؟ ما زالت تملكهم الأهواء الإعراضية، عندما أعرضوا عن الله تعالى، ويظنُّون أنها كل شيء وبعد قليل يجدونها سراباً، عند الموت لا يبقى لهم شيء.

إن كانوا على حق ليصلوا للسعادة والجنات. لماذا هم بالشقاء والآلام

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾﴾

والإجرام؟ رسول الله ﷺ يوصلهم للسعادة ولله سبحانه وذلك إن التفتوا إليه ﷺ.

١١ـ ﴿جُندٌ مَّا﴾: هذه الكلمة للتحقير، فقدوا قيمتهم بعدم تفكيرهم. إن هم إلا آلات تنفذ ما يُملى عليها، وليسوا إلا فئة من هؤلاء الأحزاب الذين كذَّبوا الرسل. الجندي دائماً تحت الأمر وينفذ دون تفكير، وإذا الإنسان ما فكر ليس بإنسان، هؤلاء عبيد لشهواتهم، الشهوة أَعْمَتهم وأصمَّتهم عن الحقيقة ورؤيتها ومنعتهم من التفكير، لذلك انحطَّت قيمتهم عند الله وعند الناس. ﴿..هُنَالِكَ..﴾: لما تركوا التفكير ابتعدوا عنّا "عن الله تعالى" وعن رسولنا الكريم وعن أهل الحق. ﴿..مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: هُزِمُوا لأنهم من الأحزاب، أي متفرِّقون فيما بينهم متباغضون بعضهم مع بعض. هؤلاء الذين يقاومونك هم جند لا قيمة لهم وسيكون حالهم مثل حال جندي فارٍ من الحرب، لابد أن يحصل هذا الشيء وسيُهزمون ولابد أن يعلو الحق وستشاهد هزيمتهم، فهؤلاء سيأتيهم العلاج والشدائد وستنزل بهم كيفما وأينما تحرَّكوا. طالما جعلوا أنفسهم آلهة فليَرُدّوا عن أنفسهم أو غيرهم. من هم هؤلاء الأحزاب؟.

١٢ـ هذه الأقوام الماضية وما حدث معها يشابه ما يحدث بهذا الزمان لذلك ذكرها الله تعالى لنا:﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ﴾: المؤمنون الذين كانوا بزمنه أقلَّة وبزمانك كذلك المؤمنون الذين معك أقلَّة، لكن وإن كانوا أقلة وأهل الكفر كثر فالنصر لكم كما نصر الله نوحاً والمؤمنين بزمنه عليه السلام. لقد بعث الله الطوفان، وهكذا سيأتي بلاء عام كما جاء قوم نوح. ﴿وَعَادٌ﴾: كانوا أشدّ من قومك وأقوى والله تعالى دمَّرهم ونصر المؤمنين. ﴿وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: ذو القوة الراسخة، ذو البأس والسلطان، كانت دولته قوية ضاربة وحضارته عظيمة

﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾

وقبورهم "الأهرامات" تدلّ على عظمتها، ورغم ذلك ذهبوا وأُهلكوا وأورث الله الأرض المستضعفين من بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى عليه السلام.

١٣- ﴿وَثَمُودُ﴾: كذَّبت وقاومت رسولهم وكادت لقتله. ﴿وَقَوۡمُ لُوطٖ﴾: كذلك بهذا الزمان انتشرت هذه الفاحشة [١]. ﴿وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾: أصحاب المزارع والفيلات والخمائل والديكورات، هؤلاء كذلك ما سمعوا من رسولهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: الذين تحزَّبوا لغير الحق، تحزَّبوا للباطل وما سمعوا من رسلهم وما أطاعوهم.

١٤- ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: فكلّ من سبق ذِكرهم من أقوام كذَّبوا الرسل، ألم يقل فرعون: (..ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ..) [٢]، ألم يحاولوا قتل سيدنا عيسى عليه السلام، وقوم عاد عادوا رسولهم ولكنه انتصر عليهم، هؤلاء الأقوام ماذا كان مصيرهم؟ أنتم ألا تخشون ذلك المصير أم أنكم لا تموتون إن جاء البلاء؟! تعيشون أبداً! تكذيبهم سبب هلاكهم . ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: جاءهم الهلاك بالماء والأعاصير والنار والزلازل، وقومك كذلك إن لم يرجعوا للحقّ ويسيروا عليه فستأتيهم الساعة كما أتت الأحزاب. كذَّبوا رسلهم ومع الرسل الحقّ، فجاءهم البلاء "يا لطيف" دنيا وبرزخ وآخرة.

١٥- ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الذين بزمانك. ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: ناداهم الله فما استيقظوا. عندما يموتون يناديهم الله تعالى، وتزول الدنيا وشهواتها. هنالك يسمعون الصيحة ولكن يكونون قد هلكوا. ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾: ستكون ساعة

١)- فلقد انتشرت الفاحشة الآن وأخذت رخص رسمية في بعض البلدان.

٢)- سورة غافر: الآية (٢٦).

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ..﴾

البلاء والهلاك عليهم أشدّ من كلّ ما أتى على الأمم السابقة، وليس فوقها شيء يعلوها بالشدة والعظمة: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ**) (١)، وهؤلاء قومك لن يستيقظوا بعد الموت على الجنات والنعيم وإنما على النار والعذاب.

١٦ـ ﴿**وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ**﴾: قالوا: إن كان ما يقوله محمداً ﷺ صحيحاً فعجِّل عذابنا واقطعنا، وبهذا قطعوا آخر خيط عنكبوت بينهم وبين ربّهم، قرَّروا الكفر، لا يريدون إلا هذه الحياة الدنيا وملاذِّها، لا يريدون الجنة بالآخرة، يريدون تحقيق طلباتهم بالدنيا فقط وبمخالفة الله. قطعوا صلتهم مع الله بسبب ما قطن في نفوسهم من شهوات، هذا القول عملي؛ أعمالهم ومعاصيهم وارتكاباتهم تدلّ عليه، تدلّ على كفرهم بالآخرة وأنهم لا يريدون إلا الحياة الدنيا.

لم ينظروا لفقير أو مسكين بل العكس، فسادٌ وظُلمٌ وتعدِّي أفرادٍ على أفراد وأممٍ على أمم، هل هذا هو طريق الإنسانية، طريق الرحمة؟! بهذا السلوك تُنال الجنَّة!.

١٧ـ ﴿**ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ**﴾: اصبر على ما يتقوَّلونه عليك من أقوال، ليقولوا ما شاؤوا وقد قالوا عنه ﷺ الكثير، قالوا أنه سُحِرَ من قبل بنات لبيد اليهودي، وأنه أخطأ، وأنه أحبَّ النساء كما ورد زوراً في قصة زينب عليها السلام وهو ﷺ براءٌ من كل ما نسب إليه. الحقيقة أنهم عندما طلبوا الدنيا يريدون شهواتهم فقط ولا يريدون الآخرة، والسبب في ذلك إنكارهم ليوم الحساب، منكرون للقيامة

١)- سورة الحج: الآية

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ..﴾

"مَنْ مات ورجع؟" لذلك خاطب الله تعالى رسوله طالباً منه الصبر: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

لكن ما هو الربط بين الساعة وذكر سيدنا داود؟!.

الحقيقة أن هذا الذكر: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: بشارة لرسول الله ﷺ في ظهور الحق وهيمنته على الكون. فلقد جاءهم سيدنا داود وكان حال وواقع "أصحابه" بنو إسرائيل: (..أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا..) [1]: تشرَّدوا وباتوا أذلاّء... ولم يعد لهم وجود أبداً. فهل هناك أذلّ من أولئك، وعندما جاءهم سيدنا داود وجمعهم تراجعوا وهربوا: (..لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ..) [2]، وبالرغم من كل ذلك فقد نصره الله وأجرى الخير على يديه وآبت الخلق إلى الله بمعيَّته. ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾: هذا الجبل الراسخ بالتقوى. وهذه بشرى لرسول الله ﷺ بالنصر حيث بزمن سيدنا داود عليه السلام صارت نهضة إيمانية كبرى فالكلُّ آمن معه، وأنت يا محمد ﷺ سوف يحدث لك هذا. ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾: ذو العطاء وفعل المعروف، صارت له عليه السلام أعمال كبرى على يد أصحابه المؤمنين وحدثت فتوحات عظيمة، وأنت كذلك يا محمد سوف يؤمنون بك وستحدث الفتوحات ويعمُّ الإسلام وسينهار الكفر إلى يوم القيامة. ﴿..إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾:: كانت له أعمال خيِّرة لأنه دائم الرجوع إلى الله، وكان عليه السلام يُؤوّبُ الخلق ويرجّعهم إلى الله والكلّ يؤوب إليه.

١٨- ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ﴾: أولو الإيمان الراسخ القوي، أي علماء عصره الكبار أهل الشهود واليقين هؤلاء كانوا مسخَّرين له، سخَّرنا معه رسلاً

---

١)- سورة البقرة: الآية (٢٤٦).

٢)- سورة البقرة: الآية (٢٤٩).

﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ..﴾

وأنبياءً لنصرته، فمن سيقاوم؟! وأنت يا محمد ﷺ كذلك سيحدث معك هذا.

كذلك سيدنا عيسى عليه السلام عند قدومه سيسخر له الله تعالى أمثال من سخَّرهم لسيدنا داود عليه السلام، فالحق لا يُقام بالأوهام وعلى أولئك الناس النائمين بالشهوات وإلى الآن لم يخرجوا من أوهامهم وشهواتهم، وهم يريدون الخروج ولا يعرفون إلى ذلك سبيلاً، سبب ذلك ضعفهم الإيماني، ولكن غداً الله تعالى يُخرجهم. ﴿يُسَبِّحْنَ﴾: الخلق. ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: يدلّون الناس على الله صباحاً عند الفجر ومساء حين المغرب والعشاء. علماء عصره يُعينونه على إرشاد الخلق. ﴿..بِٱلْعَشِيِّ..﴾: الأعشى، أي: الأعمى. المسلمون الضعفاء الذين لمّا تتفتّح منهم البصائر تحصل لهم غفلة وانقطاع فيعشون لكنهم سرعان ما يعودون لرابطتهم مع رسول الله ﷺ فيعودون للاستنارة، فهؤلاء الجبال أهل الإرشاد إذا الناس أعرضت وغفلت عن الله يُذكِّرونهم ويرجعون بهم إليه تعالى ليخرجوا من الظلمات إلى النور والاستنارة. ﴿..وَٱلْإِشْرَاقِ..﴾: ويزيدهم الله أنواراً وعطاءات بالصلاة، فتشرق نفوسهم بها. هؤلاء المنطقيُّون من الشباب مثل شباب رسول الله ﷺ وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً، طاقاتهم جديدة رهيبة لم يضيِّعوها بالشهوات. بل صرفوها للإيمان، عندها ما استطاع أحدٌ الوقوف بطريقهم، فالله تعالى أمدّ تلك النهضة الإسلامية الكبرى بزمن سيدنا داود عليه السلام وصار النصر على الكفر حليفهم في أقطار الدنيا كلِّها حتى صار اليهود أثناءها:(..خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..) (١)،والحقيقة أنهم لم يرتقوا تلك المنزلة العالية إلا لأنهم آمنوا.

١٩- ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: ومَنْ دون هؤلاء العلماء، أولو الإيمان الصغير

١)- سورة آل عمران: الآية (١١٠).

﴿..كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٣٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ..﴾

"عامّة الناس؛ عامّة المؤمنين" كلُّهم يهرعون بهداية الناس فالكل يعمل لصالح داود عليه السلام، فصارت الجنة على الأرض. ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: راجعون إليه بالرأي والمشورة وإلى دلالته عليه السلام. كلّهم يدعون إلى الدين، للاستقامة والإحسان والفضل. هو عليه السلام أوَّاب إلى الله دائماً بكل أموره يرجع إلى الله وهم يَؤُوبون له. يَؤُوبون معه إلى الله فصاروا بالجنة والسعادة والله تعالى أنعم عليهم بطلباتهم بطريق عُلوي راقٍ.

هذه الآيات بشارة أن الحق سيظهر وترجع الجنة على الأرض فيحيا الناس حياةً ملؤها السعادة بتطبيق شرع الله وطوبى لمولود ذلك الزمان.

٢٠ـ ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾: ثبتناه وقويناه حيث الجميع آخذٌ حقَّه واستحقاقه، بعدله عليه السلام لم يبقَ عليه خوف من أحد، كذلك سرى حكمه على الأمم المجاورة وصار له الهيمنة والقوة عليهم بالحق. الله تعالى جعل ملكه أقوى مُلْك في العالم. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: من كل أمر، عرف مراد الله من أحكامه ودلالته وخلقه، ويعلم التصرف الحكيم بكل شيء بالسياسة والحرب والعطاء وإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه. ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾: كلامه عليه السلام هو الحق لا يُناقَش، الكلام الفصل والحكم عنده. كلامه في أيِّ أمرٍ إنما هو الكلام الفصل الصحيح الكامل وما عداه خطأ لأن كلامه من حضرة الله.

٢١ـ ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ وهذا الخطاب لا يعني أن رسول الله لا يعلمها وإنما النبأ من أجل جماعته حيث صار عندهم إيمان وأهليّة ليشاهدوا هذه القصة، فرسول الله ﷺ لا يتكلم إلا عن شهود ولمن يستطيع الوصول إليه ولمن وصلوا للشهود من المؤمنين، وذكر الله تعالى هذه القصة مبشِّراً رسوله الكريم بأصحابه الذين رقوا بالإيمان ووصلوا لهذه الدرجة العالية

﴿..نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ..﴾

وإمكانية شهود هذه الآيات. ﴿نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾: الخصم الملائكة ومعهم شهودهم فترتيبه تعالى كامل، كل قضية يجب أن يكون لها شاهدان، لذلك جاءت كلمة: ﴿..تَسَوَّرُواْ..﴾ بالجمع، أي: الملكان والشهود معهم. ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: نزلوا على داود ﷺ، وكان لداود يوم يختلي فيه مع الله ويوم للناس ويوم لأهله، فلما كان ﷺ في المحراب "مكان محاربة الشياطين" ليردَّ وساوسهم التي يُلقُونها في صدور الناس أرسل الله له ملكين، ذلك ليعَلِّمه ويبيِّن له أن الانصراف في محبَّة الله وعشقه عن النظر في أمور الناس لا يليق بمثله، بل يجب أن يكون مع الله ومع الناس بآن واحد.

٢٢ـ ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾: دخلوا عليه مكان خلوته. ﴿فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ﴾: عند نزول الملائكة عليه ﷺ كان مستغرقاً بشهود عظمة الله وأسمائه الحسنى، وفجأة نزل عليه في مكان خلوته نفرٌ من الناس، فهذا الحدث حوَّله عن حال استغراقه العظيم بالله تعالى لذلك فزع، وهذا الخوف طبيعي ويحدث مع الجميع حتى الرسل والأنبياء لأن الخوف مركون بكل إنسان وهو أنواع، لكنه عند الرسل والأنبياء ليس خوف جبنٍ وإنما خوف احترازي ولأخذ الحيطة. ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾: بالعدل. ﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: لا تطيل الشرح، لا تطيل الحكم بل اختصر. ولكن كيف تجرَّأت الملائكة على سيدنا داود وخاطبته بهذا الخطاب وبصيغة الأمر وهو نبي مرسل وهم من جنوده؟ السبب إنهم مرسلون من الله والله سبحانه أمرهم بالتكلم معه بهذا الخطاب والملائكة(..**لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**) [١].

---

١)- سورة التحريم: الآية (٦).

﴿..وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ..﴾

وداود عليه السلام لم يُعر هذا انتباهاً وتجاهل كلامهم فهو يريد الحكم بالقضية بسرعة ليرجع إلى الله ويلتفت إلى إقباله عليه تعالى، وهذا هو سبب سكوته عليه السلام لهم وعدم محاسبتهم، فهو عليه السلام لم يكن قد عرفهم بعد أنهم ملائكة إذ جاؤوه بهيئة بشر خصوم، فمن واجبه محاسبتهم كسلطان، فلا يجوز أبداً التطاول مع الحاكم السلطان إذ هذا يُضعف من هيبته وبالتالي من هيبة المملكة، فيجب محاسبتهم ولكن سيدنا داود لم يفعل هذا، وكل أحداث هذه القصة تُظهر حبَّ سيدنا داود العظيم لربه واستغراقه بالشهود والعشق الإلٓهي. وأن الله يحب أن تؤتى عظائم الأمور ويكره سفاسفها، أي : يا عبادي لا تهتموا بالأشياء الصغيرة "الدنيا" وتتركوا الأهم "الجنات والسعادة الأبدية". فالأمر واضح وبيِّن وهذه الشهود أمامه. ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: إلى الحق.

٢٣- ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾: يسرح بهن. ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: أسرح بها. ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: طلب أن يجعلها في كفالته. ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾: عنَّفني ليمنعني، قال لي أني فقير، وبعدها أخذها مني وضمَّها إلى نعاجه.

٢٤- ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: تعجّل داود عليه السلام بحكمه ليلتفت إلى ربه، فالقضية كفالة وليست سلباً، الأخ قال لأخيه أنا أتكفَّلها لك وأنت اعمل عملاً ثانياً تعيش منه بدل أن تصرف كل وقتك على نعجة واحدة، ولك ما يأتي منها من صوف ولبن، وعند الطلب أعيدها لك ولا أريد أجراً لقاء خدمتي لك، فالأخ العاقل لا يترك أخاه في الخطأ بل يمنعه من الخطأ ويجبره إن

﴿..وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا..﴾

لم ينصَع له. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: المتشاركين في أمر. ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لا يعطون حقَّ غيرهم ويسلب بعضهم بعضاً. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: المؤمن لا يفعل هذا بل يُضَحِّي بما عنده، المؤمن يعرف حقَّه ولا يطمع بحقِ غيره. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾: لئن كان في زمن سيدنا داود عليه السلام زمن النهضة الدينية نجد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلائل فما بالك بهذا الزمان؟! ترى المسلم فيعجبك دينه حتى تحتكّ معه بالدرهم والدينار، وهنا يظهر معدنه وإيمانه أهو مؤمن صادق أم مسلم كاذب. الدين معاملة، يظهر صاحب الدين بالمعاملة. وبعدما حكم سيدنا داود بينهم ونصحهم وأدى ما عليه من واجب ووعظهم، ثم لم يرهم إلا وطاروا أمامه، فعرفهم إنهم ملائكة، ورآهم بأنوارهم وجمالهم كالألماس، ففهم أن الله بعثهم لينبهه لأمر هام. ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أن في نفسه شيء فأخرجنا له هذا الشيء، إذ فُتِن بحب الله وهيامه فيه وساحت نفسه بجمال الله وجلاله. ظنَّ سيدنا داود عليه السلام أن الله تعالى بيَّن له أنه لا يصلح للخلافة وليس هو بأهل لها وأنه تعالى سيسحبها منه، لأن مقام الخلافة يستوجب التفرّغ لشؤون الناس وله بقيام الليل مع ربه خلوة. لذلك: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾: طلب من ربه أن يشفيه من هذه السهوة والعفو عنها، وأن يستطيع أن يجالس الناس ويعيش بأحوال كل واحد ويذوق آلامهم، فهذا الجهاد الأكبر بالنسبة للأنبياء، وأن يغمره دائماً بتوجيهه وهديه، فبيَّن له ربُّه أنه هو الأهل للخلافة لا سواه وإنما هذه الدنيا دار عمل وغداً في الآخرة التفرغ لي. ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: خاضعاً بنفسه لأمر ربه، استعظم ربَّه على ما أرشده إليه ودلَّه عليه ولرحمته به وبعباده. استعظم هذا الأمر الإلٓهي والترتيب الذي رتّبه الله له

﴿..وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ..﴾

وأطاعه. ﴿وَأَنَابَ﴾: فلمّا علم داود أنه تعجل بالحكم ندم وعلم أن ما حدث إنما كان إظهاراً لما في نفسه وتعليماً، فرجع إلى الطريق التي يقتضيها مقام الخلافة، أعاد كل أيامه للخلق، فجلس في قضاء المصالح لا تصرفه وجهته لله عن خدمة الخلق "ولا خدمة الخلق" عن الوجهة إلى الحق.

٢٥- ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾: أزالها سبحانه وتعالى ومحاها من نفس سيدنا داود ؈. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: هذا الحب السامي لا نضيّعه له، سنعطيه إياه بعد انتقاله، الآن هو يضحّي من أجل الناس والله يعطيه درجات عالية وقرباً كبيراً بأعماله الكبرى العظمى التي قام بها. ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: حسن رجعة إلى الله سبحانه. رجع بالجلال والجمال والبهاء والعظمة وبين يديه هداية الأمم ولا شائبة عليه. ولكن كيف لم يكشف سيدنا داود بنوره النبوي العظيم أن هؤلاء الخصم هم ملائكة مرسلون من عند الله؟ الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يُخفي أمراً عن رسله فمن يكشفه؟ فالنور منه سبحانه وتعالى ونور سيدنا داود منه، فلَم يحوِّل اللهُ نورَ داود لهذه القضية ولهذا الاتجاه، حيث الخير الكبير في أن يجري تعالى هذا الدرس والتنبيه لسيدنا داود ؈ ويلفت نظره إلى شيء عظيم.

٢٦- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مبلِّغاً عني وحاكماً بين الناس. ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾: كن معي ومعهم. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾: حبك لربِّك وانصرافك عن الناس، كل واحد يهوى شيئاً، فواحد يهوى الشيطان وآخر يهوى الله كهوى داود عليه السلام العُلوي العظيم، وبهذا درس من الله لسيدنا داود؛ أن هواه العُلوي هذا ليس وقته الآن إنما فقط بقيام الليل ثم بالآخرة.

﴿..فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ۝٢٦ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ﴾

﴿**فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾: عن طريق إنقاذ عبادي من النار وهدايتهم. ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ**﴾: من الناس. ﴿**عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾: عن الله، فلا يؤمنون وهؤلاء من غير الأنبياء. ﴿**لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ**﴾: النار لهم، لذلك عليك أن تَعجَل جاهداً لإنقاذهم وتترك هوى نفسك العالي. ﴿**بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ**﴾: هؤلاء نسوا الله ونسوا الآخرة وانشغلوا بالشهوات عنها، انشغلوا بالمال والبنين والنساء، لذلك اِلحَقْ بهم لتنقذهم من النار، دُلَّهم وبيّن لهم.

٢٧- ﴿**وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا**﴾: بغية الأكل والشراب والنكاح ومن أجل جمع المال، ليس من أجل هذا خلقناهما وإنما من أجل أن تفكروا بهما وتؤمنوا بالله. ﴿**ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: هذا ظن الذين ما آمنوا بالله، لا يعرفون إلا التمتُّع بالدنيا والأكل والشراب والنكاح. هم عاهدوا الله أن لا ينقطعوا عنه، وعندما جاؤوا إلى الدنيا انقطعوا فبعث لهم رسوله وبعث لهم تذكيرات وأرسل لهم علاجات، وأبوا إلا الدنيا، وهذه الدنيا نتيجتها الخسارة، خسارة الجنات حيث مشاهدة وجه الله الكريم ،خسارة شأنهم العظيم الذي جاؤوا من أجله. ﴿**فَوَيۡلٞ**﴾: لهم نار جهنم بعدها نار الله الموقدة. (ويل): (وي): كلمة للتعجب، هم يتعجّبون كيف خالفنا عهدنا وكم ولّى عنا من خيرات. ﴿**لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾: هؤلاء إن لم يؤمنوا بلا إلَه إلا الله ليس لهم في الآخرة إلا النار على ما تمتَّعوا به في دنياهم.

٢٨- ﴿**أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ**

﴿..نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ۝٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ..﴾

﴿نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾: هل هذا منطق! وهل بهذا عدل أن نجعل المفسد الذي يؤذي البشر ويضلَّ غيره ويتعدّى بالحرام، مثل الذي يصلحهم ويهديهم ويسعدهم ويصل بهم للجنات؟! هل نساوي بينهم بالدنيا والآخرة؟ ظنوا أن الأمور فوضى بلا حساب ولا عقاب فلا يهمهم إن نالوا الدنيا بالحلال أو بالحرام. ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: الذين اتقوا الوقوع في المعاصي والفواحش والإجرام، عكس "الْفُجَّارِ": عميان القلوب الذين فجروا بهذه الحياة الدنيا، أظهروا كفرهم وأجرموا بحق أنفسهم وبحق غيرهم، فهل نسوّي بينهم يوم القيامة؟!.

٢٩- ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾: هذا القرآن لتخرج الناس من الظلمات والشقاء إلى النور والسعادة. ﴿مُبَٰرَكٞ﴾: حاوي التوراة والإنجيل والزبور والصحف السابقة. كثير الخيرات، خيراته لا تنتهي. ومن سار بهديه ينال المكرمات في الدنيا ومن ثم في الآخرة، وبه ساد الصحب الكرام الأمم وصاروا ملوكاً من أجل أن يكسبوا أعمالاً كبرى من هداية وإنقاذ البشر لينالوا عليها جنات بالآخرة. ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ليفكروا بها ويطبّقوها. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: الذين لبوا نداء ربهم بمعية رسولهم، فكروا وآمنوا فصلُّوا. (..قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ..) [1]. واستمراراً للنهضة الإيمانية التي حدثت بعصر داود عليه السلام أرسل له سليمان، لذلك قال تعالى:

٣٠- ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَ﴾: بسبب نواياه العالية والكثيرة لذلك وهبه الله سيدنا سليمان نبيّاً مرسلاً، فجمع الله في داود وسليمان حبَّ الخير مع حبِّ الله،

---

١)- سورة فصلت: الآية (٤٤).

﴿..نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾
فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ
فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وهذه صفة المصطفى ﷺ، كان فعّالاً للخير عاشقاً لله. ﴿**نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ**﴾: أنعم الله عليه لِينعَم الخلقُ به بما أنعمه الله عليه من عطاءات وجنات. أنعمنا عليه بهداية الخلق على يديه، السبب: ﴿**إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾: راجع إلى الله بكل أمر، فلم ينقطع عن ربِّه، مثلما عاهد وفَّى.

٣١ـ ﴿**إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ**﴾: بوقت متأخر وقت العشاء، حيث جاءت الخيل من الجري والتدريب. ﴿**ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ**﴾: كان يدرِّب الجياد "الخيول الأصيلة" فكان ﵇ متلهّفاً للقيام بالفتوحات من حبه لهداية الخلق.

٣٢ـ ﴿**فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ**﴾: أحببت ردَّ الناس إلى الحق بإعدادي الخيل للجهاد ولكني جُرتُ على الجياد بتكليفها فوق طاقتها بالجري. أي: تجاوزت الحدّ في حبّي لعمل الخير وزدت عمّا ذكرني به ربي من إعطاء كل مخلوق حقّه وعدم تكليفه بأكثر مما يطيق. ﴿**عَن ذِكۡرِ رَبِّي**﴾: أوصاني الله وذكرني ألاَّ أتعبها وأن أرفق بها لكني نسيت فذكَّرَني الله. ﴿**حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ**﴾: لم يعد يراها لبعدها فحزن وأشفق عليها، وبهذا صار له خجل من ربه بسبب إتعابها، ومن خجله وحيائه منه تعالى انحجبت نفسه الشريفة عن علمها بتصريف الأمور، ولكنه لم ينقطع عن الله.

٣٣ـ ﴿**رُدُّوهَا عَلَيَّۖ**﴾: طلب الخيل ليعتذر لها. ﴿**فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ**﴾: صار يمسح بين أرجلها لأعناقها ليجفف لها عرقها ليذهب عنها التعب، وهذا عُرفٌ عند "السيّاس" ويسمى بالتدليك الرياضي، هو عليه السلام مسح لبعض الخيول ثم أكمل أصحابه المهمة. كذلك توجَّه للخيل بما يسوقه الله

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا..﴾

على نفسه من أنوار ونعيم وصبَّه عليها وهي عانقت هذا النعيم وطربت به طرباً فذهب عنها كل ما بها من تعب.

٣٤- ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾: بعمل الخير. أخرجنا ما كمن في نفسه من حبِّ الخير للخلق جميعاً، وأظهرنا للعيان ما شُغف به قلب هذا الرسول الكريم من التفاني في خدمة الخلق، وذُكرت قصته في الكتب السماوية وتكلم بها الرسل والأنبياء. ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾: الكرسي ما يتكئ عليه الإنسان، سدَدنا عليه ما كان عليه من علم (لأن من معاني الكرسي في اللغة: العلم والمشاهدة ويثبت لك هذا المعنى قوله تعالى: (..وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..) [١] أي: أحاط علمه بما تحتاج أن تقوم به السموات والأرض. وإذاً فكل ما يقع عليه نظر نفسك من الحقائق إنما هو كرسي لهذه النفس). ﴿جَسَدٗا﴾: غطاء، سترنا عنه علمه، فدائماً يرى الخيل أمام عينه وكيف أتعبها. انقطع العلم عن سيدنا سليمان وتغيَّرت حالته ولكنه لم ينقطع عن ربّه، الأنبياء لا ينقطعون أبداً.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: اعترف بهذا، بعدما اعتذر من الخيل رجع لربّه. لقد رأى نيَّته العظيمة وعلوّها "هداية البشرية" فلم يعد لإتعابه الخيل أثراً في نفسه ؑ.

٣٥- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾: ارفع من نفسي هذا الحال الذي وقع مني فلا أعود أقصّر في حقِّ مخلوق حبّاً بمخلوق آخر. ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾ [٢]: عظيماً،

---

١)- سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

٢)- هذا دليل أنه لم يقع من سيدنا سليمان أي خطأ، فالذي يخطئ لا يتجرَّأ بالطلب ويستحي ممن أخطأ في حقه. أما سيدنا سليمان ؑ فهو يعلم تماماً أنه لم يصدر منه خطأ، إنما أتعب الخيل قليلاً بالتدريب لعلوِّ نيَّته وحبّه في هداية الخلق وإنقاذهم من الشقاء والنار إلى السعادة والجنات.

﴿..لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾

وسبب طلبه هذا أن الناس بزمنه عليه السلام كانت تحبُّ وتستجيب للمظاهر والملوك لذلك طلب سيدنا سليمان هذا الطلب ليكون له عوناً على توجيه الناس للحق وهدايتهم ودخولهم الجنة وهذا الطلب لزمانه فقط. ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾: من الملوك المضلين بزمنه. ذلك لأنه يحب فعل الخير ولكي يهدي الناس. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: المعطي.

٣٦- طموحه عليه السلام كبير ونواياه عالية وكبيرة فهو يريد إنقاذ الخلق جميعاً من النار، والخيل تستغرق وقتاً طويلاً من الزمن في الوصول لهدفه، لذلك وهبه الله هذا العطاء، فسخر له الريح للسرعة ولتحقيق طموحاته ونواياه العظيمة. ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾: تسير كما يأمر. ﴿رُخَآءً﴾: طيّعة له، لا تأتي ضده بقوة من الجهة المقابلة إنما رخاء، نسمات بسيطة لطيفة. ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾: حيث يشاء، لأي مكان يأمرها به فتتحول إليه، فالمسافة التي يقطعها سيراً بشهر صار يقطعها بساعة (..غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ..) [1].

٣٧- ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ﴾: يبنون له ما يريد من حصون وقلاع. ﴿وَغَوَّاصٖ﴾: حيث كانوا يغوصون في البحر والأرض. مثل الآن: المنصات البحرية والآبار النفطية، إذن: كان هناك تقدم وتطور عند علم البشر ولكن حوّلها سيدنا سليمان لخدمة الإنسان والخير والفتوحات "للهداية".

٣٨- ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾: ممن يريدون أن يخالفوا أوامره

---

١)- سورة سبأ: الآية (١٢).

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ..﴾

ويعصوه يحبسهم في المكان الذي يريد وأينما كانوا، يحبسهم بالنور الإلّهي فلا يتحركون ولا يخرجون منه لئلا يحترقوا فيموتوا. وهكذا شغَّل فريقاً منهم لينصرفوا عن شرورهم وفريقاً حبسهم فنظفت الدنيا وصارت سعادة على الأرض وجنة.

٣٩- ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾: الله سبحانه أعطى الرسول الصلاحيات المطلقة بالتصرف كما يشاء، كل هذا لرحمته ﷺ ونواياه العالية في هداية الخلق إلى الله سبحانه. ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: الله سبحانه لا ينقص عليه شيء لأنه تعالى يراه عاقلاً راشداً منيراً مستنيراً، فالله بهذه الآية أيضاً يقول لنا هل أعطي أو أمنع بغير حساب؟ أهكذا نعطي ونمنع دونما سبب في العطاء أو المنع؟!.

٤٠- ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: قرب. وهذه الآية دليل آخر أن سيدنا سليمان ما عليه أية خطيئة، فهو يأخذ من الله هذا التجلي العظيم والعطاء الكبير الذي به يتجلّى على الخلائق بزمانه ويجعلهم في الجنات. ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: وحسن رجعة، بعد انتقاله رجعة كبيرة وعالية بسبب أعماله العظيمة في هداية الخلق.

٤١- ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾: يا محمد. ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾: قصة سيدنا أيوب عليه السلام مشابهة تماماً لما جرى مع رسول الله سيدنا محمد ﷺ، لذلك قال له سبحانه اذكر عبدنا أيوب الذي صبر على قومه حتى جاء الأمر له بالهجرة، فهاجر إلى قوم أشداء آمنوا معه ورجع بهم إلى قومه، عندها استعظموه وآمنوا معه وصارت بعهده عليه السلام نهضة إيمانية عظيمة، وأنت كذلك فاصبر على قومك. ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: بعناد قومي لي وبسبب ما يوسوس الشيطان به في نفوس قومي وما يضع فيهم من شكوك وشهوات، ذلك أن قومه لم يؤمنوا معه عليه السلام.

﴿..بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿بِنُصْبٍ﴾: عناء وتعب، فلا ألبث أن أقيم لهم البراهين والحجج حتى يوافيهم بوساوسه حول ما كنت بيّنته لهم بعد خروجهم من مجلسي. ﴿وَعَذَابٍ﴾: التألم النفسي الذي كان يجده هذا الرسول على أولئك الضالين رحمة بهم وحناناً عليهم، أيوب ما شكى إلا لربه والمؤمن هكذا. لقد طال بأولئك القوم الأمد وهم على ذلك الحال من البعد حتى لم يعد سيدنا أيّوب ﵇ يحتمل أبداً، فشكا بقلبه لربه فقط لا لغيره، فأجابه الله تعالى:

٤٢- ﴿ٱرْكُضْ﴾: هذه الكلمة تصف حال نفس هذا الرسول الكريم فلقد كان ﵇ بكرب عظيم على قومه والآن جاءه الفرج حين علم الخير بالمكان المهاجر إليه فطار مسرعاً إليه من سعادته وفرحه. ﴿بِرِجْلِكَ﴾: اخرج من بلدك الذي أنت فيه والذي لاقيت ما لاقيت فيه من الضيق المعنوي بسبب المعارضات إلى بلد آخر، أمره الله بالذهاب من قريته إلى قرية أخرى فيها الماء لأن في أهلها الأهلية للإيمان، كما كان أهل المدينة فهاجر إليهم رسول الله ﷺ. (ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ) أي: بلد قريبة من بلده الأصلي، ولكن أهل هذه البلدة طيّبون ولهم مواصفات حسنة عكس قومه. ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: هؤلاء سوف يؤمنون، وسيدنا أيوب ﵇ سوف يغسل لهم نفوسهم بالأنوار والتجلّيات الإلّهية القدسيّة التي ينزلها الله عليه وسيعود عليه هذا بالسعادة والإقبال على الله. ﴿بَارِدٌ﴾: ليس بنفوسهم نار المعصية ولا حرارة الشهوات والآثام، نفوسهم طيبة. كلّهم أنوار أمثال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿وَشَرَابٌ﴾: هؤلاء نفوسهم مهيئةٌ للتقوى، سوف يصبحون من الأتقياء حين يشربون عن طريقك من التجلي الإلّهي. شراب المتقين من الماء الغدق، بهذا النعيم الذي يعيشونه لا يَقبلون الحرام ولا ذرة منه أبداً، عندهم شيء يكفيهم "الله كفاهم بالجنات" فكيف لهم أن ينزلوا للدنيا من أجل شهوات تافهة.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةً مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثًا..﴾

٤٣- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾: آمن معه أهل القرية الثانية ورجع بهم إلى قومه فآمنوا. هذه القصة مواساة للنبي ﷺ، فأهل مكة كانوا بادئ ذي بدء كقوم أيوب بالقسوة والبعد عن الله ولا يقبلون السير بالحق أبداً ولكن بعد ذلك استجابوا بالشدة.

بالبداية أهله لم يكن فيهم أمل للهداية لكن بعدها آمنوا، كيف آمنوا؟ بهذه الآية أعطى الله النتيجة كأن تقول انتصر فلان ثم تذكر كيف انتصر، فالله سبحانه بيَّن السبب في الآية الثانية: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾: بهؤلاء وهؤلاء "أهله وأهل القرية الثانية". قومه كانوا لا يريدون الإيمان بالله ولرحمته تعالى بهم أعاد سيدنا أيوب إليهم مع المؤمنين فآمنوا معه ﷺ. ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: من هم أولو الألباب؟ أهل الإيمان، ناداهم الله للإيمان به فلبّوا نداء ربِّهم وآمنوا ولم يخونوا، نظروا إلى اللبّ ولم ينظروا للقشور، الدنيا كلها قشور، فمهما نال الإنسان المعرض منها ومن لذائذها يظل بالشقاء ثم بعدها يذهب للخمور والمسْكرات. أولو الألباب يتذكرون ويحصل لهم أنوار ويصبحون بعالم الحقائق وبالآخرة، وهم ما يزالون بحياتهم الدنيا قبل موتهم يعيشون بالجنة. وهذه القصة ذكرى لهم، فيعرفون منها أن الله سيمكِّنهم "إذ أنهم أتقياء" من هداية الناس في كافة الأمصار، فيهتدي الناس على أيديهم رغم كبير معاندتهم في بداية الدعوة، فالمؤمنون ينهضون لهداية الكرة الأرضية.

وقد أراد تعالى أن يفصّل لنا كيفية اهتداء هؤلاء القوم فقال تعالى:

٤٤- ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثًا﴾[١]: خذ من الذين آمنوا بك وارجع على قومك

١)- الضغث: هو كل من اختلط واجتمعت أفراده في أصل واحد رغم تباينها واختلافها، وهو أيضاً كل مجموع مقبوض عليه بجمع الكف، والضغث هنا: تعني الجماعة المختلطة من أصحاب ذلك الرسول

﴿..فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾..﴾

الأُوَّل حتى يؤمنوا كما رجع رسول الله ﷺ فاتحاً مكة. ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾: أمره أن يأخذ فئة منهم وأن يجعل قيادتهم بيده فيضرب به أولئك المعاندين تهديداً، فآمنوا معه أيضاً. ﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾: لا تتردد ولا تضعف ولا تتراجع عن المضي في دعوتك وكن صابراً عند لقاء عدوك، سيدنا أيوب عليه السلام نيَّته عالية وعازم على أن يهدي العالم، فقال الله له لا تحنث وابقَ على هذا الطموح ولك هذا، فالأمور كلّها تهيَّأت لك لأجل هذا. ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗا﴾: بصبره تفضّلنا عليه بما تفضّلنا به وجعلنا هداية قومه على يده، أعظم شيء هو الصبر. صبر صبراً عظيماً على قومه فلم يضجر ولم يشتكِ إلا لله. ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾: أنعمنا عليه بالعطاءات والفتوحات، أمم كثيرة آمنت وأسلمت على يديه وأنقذها من النار، والسبب: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: راجع بكل أموره إلى الله، فاسم أيوب يعني: أنَّه رَجَّعَ وأوَّبَ الخلق إلى الله تعالى، وواجب على كل إنسان أن يؤمن بالله سبحانه حتى يرجع إليه حين الشدة فلا يكفر.

٤٥- ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: صلوات الله عليه الذي علَّمنا الإيمان وطريق سلوكه. ﴿وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾: أيضاً صارت نهضة إيمانية بزمنهم. ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾: أولو الفضل والمعروف، أجرى الله على أيديهم أعمالاً عالية وعظيمة، فآمنت أناس كثيرة عن طريقهم، وأيَّدوا الحق حيث كانوا أئمة للناس والناس تصلّي معهم، فأيّ إنسان يطلب ربه يصلّي معهم. قدَّموا لهم يد الرابطة القلبية والهداية إلى الله والوصول للجنات. ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: دَلُّوا الناس على الهدى، دَلُّوهم على التقوى، وبواسطتهم صار للمؤمنين نورٌ وتقوى وتفتَّحت بصائرهم

الكريم الذين هاجروا معه من قريته والذين آمنوا به من ذلك البلد الذي هاجر إليه إشارة إلى اجتماع قلوبهم على الله رغم اختلاف مساكنهم وأنسابهم.

﴿..إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨﴾

وصاروا من أصحاب البصيرة.

٤٦ــ ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾: بما أخلصوا لنا في تذكيرهم بالدار الآخرة. ﴿بِخَالِصَةٖ﴾: جعلناهم خالصين من الشوائب، هؤلاء عباد الله المخْلَصون، نفوسهم ما حوت إلا الله وكمالاته فلا شائبة فيها، من الأزل عاهدوا ربهم ووفوا بعهدهم معه فما انقطعوا عنه سبحانه طرفة عين. جاؤوا للدنيا للهداية فقط ، لا يتعلَّقون بشيء من الدنيا أبداً ولا يمكن أن يتزحزحوا عن الله، فكل من تعلّق بهم يخلّصونه من حبّ الدنيا ويُخرجونه من الظلمات ويُدخلونه الجنات. ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: يذكّرون الناس الذين نسوا ربَّهم بيوم الحساب، ويُذكِّرونهم بالجنات والطريق لنيلها، وكلّ من أحبَّهم وارتبطت نفسه معهم برابطة المحبَّة خلصت نفسه من حب الدنيا ومن الهم والشقاء والضنك والنار، وتذكَّر العهد وتذكَّر الآخرة والأزل فوفّى بالعهد.

٤٧ــ ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: طاهرين لا دنس فيهم، نواياهم عالية: إنقاذ الخلق ورضاء الله، لذلك اختارهم الله للإرشاد وهداية البشر. ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: الخير كله يأتي عن طريقهم.

٤٨ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ﴾: أخَّر الله ذكر سيدنا إسماعيل وقدَّم ذكر سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كل هذا رحمة وحناناً باليهود، قدَّم ذكر أنبيائهم "إسحاق ويعقوب عليهما السلام" من أجل أن يقبلوا دعوة الرسول محمد ﷺ. أما من حيث المراتب فالله أعلم بمقاماتهم العظمى. ﴿وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: خير الخلائق على أيديهم بزمانهم وبكل زمان، وظائفهم باقية لا تنتهي وخاصّةً سيدنا إبراهيم عليه السلام.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾..﴾

٤٩ـ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾: لكم أيها الخلق، كونوا معهم، إياكم أن تموتوا وأنتم لستم معهم، فهؤلاء الرسل والأنبياء مقامهم عند الله عظيم. إن سرتم معهم صار لكم مقام عظيم بمعيَّتهم. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: الدرجة الثانية دون الأنبياء. منكم يا عبادي كل من سعى وآمن بي وصار له نورٌ مني. ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: الذين ينالون شهادة "لا إلٰه إلا الله" في الدنيا من بعد أن نكثوا عهدهم مع الله في الأزل لهم حسن رجعة، رجعتهم لله تكون عظيمة بما يجعل الله على أيديهم من أعمال كبيرة في هداية الخلق عن طريق رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، فماذا يجدون:

٥٠ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: لهم سرور متتالٍ متتابع لا ينتهي، دائماً من حالٍ لحالٍ أعلى ومن جنةٍ لجنةٍ أعلى، فمجيئنا للدنيا لنوال خير عظيم، حيث بالأزل كنا بجنة واحدة أما بعد التكليف ونزولنا الدنيا فسننال جنات كثيرة وأنواراً عظيمة بأعمالنا الصالحة. ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: يقبلون على الله دونما حجاب بمعيّة رسلهم صلوات الله عليهم، لا يقفون عند درجة واحدة دائماً طيران في الجنات.

٥١ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾: معتمدين على ما فعلوه في الدنيا وقاموا به من الصالحات. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: لا يخجل مِن طلبِ ما يريد لما يتكئ على أعمال عالية، يطلبون منه سبحانه لأن أعمالهم عالية ووجوههم مبيضّة بسببها، الإنسان إذا عمل السوء يخجل ولا يستطيع الطلب. ﴿بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: لذائذ كثيرة، فاكهة عالية، أنقذوا نفوساً كثيرة من النار. ﴿وَشَرَابٍ﴾: تجلي الله عليهم يغني نفوسهم، هذا الشراب نفسي، وللنفس سعة كبرى أكبر من الكون، لهم ما

٥٢ـ ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: ذوات حياء وخجل. ﴿أَتْرَابٌ﴾: مماثلة

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا..﴾

يشتهون. لصفاتهم، مساويات لهم في الكمال. إن الله سبحانه وتعالى وصف المرأة في الجنة بذات الحياء وغضِّ البصر لما في ذلك من جمال وكمال، فما بال النسوة في هذه الأيام قد رُفِعَ عن وجوههن الاحتشام!.

٥٣- ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾: وعد الله حقّاً. ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾: وعدكم بالجنات والسعادة ولكن اسعوا لتكونوا أتقياء.

٥٤- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا﴾: هذا الذي يجب أن تسعوا له وجئتم من أجله، وليس الدنيا وشهواتها من مال ونساء وبنين (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة). الدنيا من يأخذها؟! لا أحد، تأتي أجيال وراءها أجيال يذهبون كلهم ولا يأخذون معهم شيء. ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: رزق الدنيا يذهب وبتناقص، أما رزق الآخرة دائماً بازدياد.

٥٥- ﴿هَٰذَا﴾: الذكر الآن عكس من سبق ذكرهم "المتقين". ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾: الذين ركضوا وراء الدنيا وشهواتهم فانحجبوا بها عن رؤية الله وأسمائه الحسنى وطغت عليهم. ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾: شر رجعة، بالآلام والحسرات والندامة رجعتهم، ولهم بعدها النار علاجاً ودواءً بقدر ما تمتّعوا بالدنيا، فكم فرح قوم نوح وعاد بدنياهم وانبسطوا وارتكبوا ما ارتكبوا ومن ثم ماذا كانت النتيجة؟ وإلى الآن هم بآلام جهنّم. انتقلوا وذهبوا لعالم الحقائق ورأوا ما فعلوا بأنفسهم، هم لم يأتوا على هذا العهد "أن يرسبوا بالدنيا"، بل جاؤوا ليربحوا الجنات. فماذا ينتظر هؤلاء الراسبون؟ شرور الرجعة. جهنّم تشتعل فيهم:

٥٦- ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾: هم، فقدوا وخسروا ما أعده الله لهم، خسروا مقامهم العظيم والجنات وصاروا أدنى الخلائق وأحطَّها. فتلهب بنفوسهم نار حقيقية.

﴿..فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ..﴾

﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: أعمالهم السيئة عادت عليهم بجهنم وبالبؤس، وهذا البؤس الذي أحَلُّوا أنفسهم به يمهِّد لهم دخول النار. فهذه الدنيا وحضارتها وزينتها، والسبل المنحطّة التي سلكوها ستعود عليهم بالبؤس والحسرات في القبر وفي الآخرة، لا يبقى لهم منها إلا الذكريات، فلقد فقدوا كل شيء ولا يستطيعون العودة للدنيا، خسروا الدنيا وكذلك خسروا الآخرة.

٥٧- ﴿هَٰذَا﴾: الذي أعدّوه لأنفسهم من معاصٍ وإجرام. ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: تذهب الصورة وتبقى الحقيقة "نيران" وبسببه: ﴿حَمِيمٌ﴾: الألم العظيم الذي يستر عنهم ما بأنفسهم من ألم. النار حتى تسكّن لهم آلامهم النفسيَّة وتحولهم عن حالهم الصعب. ﴿وَغَسَّاقٌ﴾: مظلم. وكذلك حالهم كان في الدنيا بالضيق والهمّ والنار، وهم بالظلمات بلا نور من الله تعالى. ساقوا لأنفسهم الأشياء التافهة الحقيرة النتنة.

٥٨- ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾: مماثل له وكان صاحبه في الدنيا. قرينه، قرناؤهم الذين زيتَّوا لهم الدنيا وشهواتها والمعاصي.

٥٩- ﴿هَٰذَا﴾: أيضاً. ﴿فَوْجٌ﴾: جيل أو أمَّة من أهل النار. ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: النار. ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾: على العكس من حال أهل الجنة، على سرر متقابلين متحابين. أهل النار ينفرون ويحتقرون بعضهم بعضاً بسبب روائحهم النفسية الكريهة، فكلٌّ يلعن ويبتعد عن الآخر، لا يريدون دخولهم النار معهم والسبب: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾: يؤجِّجونها علينا. تدل الآيات على أنه رغم أن أهل النار في النار لكنهم يرون الذي يصل للنار محتقر ذليل، فيسبُّون بعضهم.

٦٠- ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: قدَّمتم لنا سبل

﴿..فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ۝٦٢﴾

الحرام وما فيه معصية الله. يخاطبون آباءهم وأجدادهم والأجيال الذين دخلوا قبلهم النار، إذ اتبع الأحفاد ما ادَّعى به الأجداد والآباء وما شيَّدوه من دنيا وزخرفها. ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾: بئس العمل الذي أدَّى بنا إلى هذا القرار" المنزل والمرقد." صرنا أسفل سافلين، وبشيء يعود دائماً بالبؤس علينا فلم يعد هناك بسط ولا نعيم، فلقد حُرِمنا ذلك أبد الآبدين.

٦١- ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾: أيضاً هؤلاء يوجد قبلهم من قدَّم لهم. ﴿فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ﴾: ضاعف لهم العذاب والنار. لقد بيَّن تعالى معنى هذه الآية الكريمة في سورة إبراهيم، قال تعالى:

(وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا..): ماتوا. (..فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ..): الذين كانوا تبعاً لغيرهم. (..لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ..): لرؤسائهم، قالوا لهم أنتم آباؤنا وأجدادنا، أنتم الذين علَّمتمونا هذا وسرنا عليه حتى صرنا بهذا المصير. (..إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا..): أنت لِمَ تجعل نفسك تبعاً، لِمَ لا تفكِّر! (..فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡ..): لا مهرب لنا، لا مخلص. (..سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا..): نحن الطرفان. (مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ) [1] عملنا سنلقاه.

٦٢- ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾: كنا نهزأ بهم ونراهم جهَّالاً لا يعرفون للحياة من معنى، ونقول عنهم الأقاويل كذباً وزوراً "متعصِّبين كثيراً" دراويش لا يفهمون، يضيّعون على أنفسهم "البسط والكيف".

---

١)- سورة إبراهيم: الآية(٢١).

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا..﴾

٦٣- ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾: سخرنا منهم، كنا نحتقرهم كثيراً، وما لحقنا بهم ولا سرنا بسيرهم على الحق. ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: لا نراهم بالنار. بحثوا عنهم فلم يجدوهم فإذا لم يكونوا بالنار فأين هم؟... وإذ بهم صاروا من أهل الجنّة، فهم لم يكونوا متوقعين إلا أنهم أشرار. وإذ بهم غير ذلك تماماً، تمنّوا لو سلكوا معهم.

٦٤- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾: الحقيقة أن أهل النار كلّهم متخاصمون متفرّقون متباغضون يسبُّون بعضهم وينسبون الآلام لبعضهم، فما زالوا بالشرك قابعين، ما رجعوا لله. كل إنسان ما لم يؤمن بربِّه ولم يسِرْ بدلالته تعالى هذا مصيره في الآخرة، بهذا الزمان لا يثبت على الحق إلا من آمن بالله، سمع وطبَّق، هذا يثبت أمام الفتن بإيمانه.

٦٥- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾: وظيفتك إنذارهم، تنذرهم بهذا المصير من أجل أن يرجعوا عنه وكفاهم كبراً وكفراً، ألّهوا بعضهم. إن خافوا: آمنوا ونجوا ودخلوا الجنَّة. والحقيقة أنه: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: لا مسيّر إلا هو سبحانه يسيِّرك حسب ما في نفسك من نيَّة. ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾: لا يوجد إلٰه ثانٍ معه، وحده مسير الخلق والكون، كل شيء يُسيِّره تعالى ضمن علمه وإرادته وحسبما يشاء. ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: لا شيء يخرج عن أمره سبحانه. كلّهم سيميتهم وسينزع منهم ما هم فيه من دنيا، فكلها له تعالى وليست لهم، وهو تعالى المربي لكل الخلق:

٦٦- ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: انظر بالكون ترَ هذه الخيرات والمواسم التي تأتينا، هو الله لوحده يرسلها لا أحد يشاركه، يدوّر السماوات والأبراج والشمس والقمر ويرسل الأمطار، ترى تسييره وأن يده مبسوطة على

﴿..ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الخلق جميعاً، ويخلق البشر ويُطعمهم ويربّيهم وينمّيهم وينقلهم من حال إلى حال ويقلِّب السماوات والأرض. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: الخير منه فقط سبحانه. ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾: أتى بهم إلى الدنيا "هؤلاء الذين أعرضوا" من أجل أن يشفيهم ومن أجل أن يرجعوا له، فإن تاب الإنسان وترك الدنيا وأعرض عنها وجاهد نفسه بها وصبر على هجرها، هذا نفسه تكسب ثقة برضاء الله عنه فيصلِّي فيشفيه الله مما علق بها وذلك بالنور الذي ينزله تعالى بقلبه، فلا يقع بعدها بإثم ويكره الوقوع بالمعاصي.

٦٧- ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾: أمر الدار الآخرة عظيم. ما جاء به رسول الله ﷺ من قرآن خيره عظيم عليكم لِمَا فيه من جنات وسعادة أبديَّة تنالونها عن طريقه ﷺ، رسول الله يتنبَّأ لكم الحقَّ من ربِّه، فالذي يسمع منه ﷺ ويطبِّق ما يدلّه عليه ينجو من عذاب الدنيا ونار الآخرة، والذي لا يسمع ولا يطبِّق يخلد في الآخرة في النار، وهو شقيٌّ بدنياه مهما نال منها وأخذ.

٦٨- ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾: عنه ﷺ وعن بيانه ودلالته. أمر الدار الآخرة عظيم. و﴿ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾: كيف تعرضون عنه؟!.

عودٌ على بدء:

﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾: ما هو النبأ العظيم؟ وهذا النبأ العظيم أنتم عنه معرضون! النبأ العظيم: هو الله تعالى. صلى الله عليه وسلم يتلو علينا: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾. ويطلب تعالى منه:﴿ قُلۡ هُوَ..﴾: أي أن هذا ﴿..ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ الذي سيشفيكم، أنتم معرضون عنه! وكلّ واحد يهيم بصنمٍ ثانٍ، هائمون ببعضكم ومتعلّقون ببعضكم وتاركون الله معرضون عنه تعالى. هذا النبأ العظيم الذي إن التفتّم إليه حزتم خيرات الدنيا والآخرة، **(ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كلَّ شيء**

﴿..مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠..﴾

وإن فتّك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء). وإن فتّك: غداً عند الموت، **فاتك كل شيء:** فلا يعود لك ولا يرجع أولئك الذين تحبّهم، أحبابك وأموالك وأملاكك وجاهك كل هذا سيذهب عنك. أما إن استغلّه واستثمره لله (**..وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ..**) (١) عندها يرفع الله شأنه في الدنيا والآخرة ويُعطيه عطاءً لا يزول، ما له من نفاد. أما هذه الدنيا فتنفد عند الموت وكل إنسان يترك كل شيء، ولو كان ملكاً عند الموت يترك ملكه ويأخذه غيره... أما إن أعرضتم عن الله فقد أعرضتم عن جناتكم ونعيمكم وخيراتكم ونجاحكم وعزَّتكم حتى أنّ الكافر استعلى عليكم.

٦٩- ﴿**مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ**﴾: أنا لم أكن حين قرَّر الملكان الشكاية لداود عليه السلام فمن أين أتيت بذلك؟ أليس هذا وحياً من الله! كذلك لم يكن لي علم بما في أنفس الملائكة حين أحبّوا أن يختصّوا أنفسهم بالخلافة (٢) "طلبوا الخلافة لأنفسهم" عندما قال الله عن سيدنا آدم عليه السلام: (**..إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ..**) (٣). ثم سجدوا بعدها لآدم عليه السلام، فمن أين أتيت أنا بهذه العلوم؟ ما كان لي من علم، الآن علمتها والآن رأيتها ورأيتهم كيف تكلّموا وماذا حدث، وعرضتها عليكم وبيَّنت لكم هذه الحقائق كلها "القرآن مشهود"، وبيَّن ﷺ حبّ سيدنا آدم لله وكيف تعالى أرى الملائكة ذلك وحذَّركم من عداوة إبليس.

٧٠- ﴿**إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ**﴾: لئن لم يوحِ إليّ فمن أين لي العرفان!. ﴿**إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ**﴾: أحذركم وأبيّن لكم طريقكم الخطأ، آمنوا حتى تعودوا لرؤية

١)- سورة المنافقون: الآية (٨).

٢)- لطفاً انظر كتاب: (تأويل الأمين) للعلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سرَه.

٣)- سورة البقرة: الآية (٣٠).

﴿..نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾﴾

الحقائق. الدنيا لا تغني من الآخرة شيئاً، فإن لم يستغل المرء الحياة الدنيا، عند الموت لا يبقى شيء وأضاع الدنيا والآخرة، والذي يعرض عن ربه وبيانه مصيره هكذا كمصير إبليس. لذلك ساق تعالى الآيات عن حال إبليس حيث بيّن فيها سبحانه أن الإعراض عن رسوله وعدم الإيمان به سببه الكبر، وكل من لا يتَّبع رسول الله ﷺ فهو سالكٌ مسلك إبليس.

٧١- ﴿**إِذۡ قَالَ رَبُّكَ**﴾: الله تعالى يخاطب حبيبه ﷺ وعندما يخاطبه يعيد له الموقف والحدث كاملاً بأشخاصه وأشيائه وكلامه، وكذلك إن التفت الإنسان وارتبط برسول الله ﷺ يحصل له ذلك. ﴿**لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ**﴾: آدم عليه السلام، سأجعله خليفة عليكم وعلى الخلائق. ولكن لماذا يُخبر الله تعالى ملائكته بذلك؟! فهل الملك السلطان يُخبر جنوده بما سيفعله بشؤون المملكة؟! "ولله المثل الأعلى". لو لم يقل لهم ذلك وخلق سيدنا آدم وقال للملائكة اسجدوا، ألا يسجدون؟! الملائكة ملَّكوا نفوسهم إلى الله، لا يخالفون كلام الله (**..لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**) [1]، فلِمَ قال لهم: (**إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ**)؟.

- نظر ربُّ العالمين للملائكة فوجد لديهم الاستطاعة لنيل مرتبة ثانية "أعلى" فحرّكهم لينالوها، قال الله لهم: إني سأخلق بشراً وهذا البشر سيكون خليفتي، فقالوا: نحن أحقُّ بالخلافة، فهؤلاء الذين حملوا الأمانة وادّعوا أنهم لها، هاهم خانوها "الجن المفسدون" يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

الملائكة ليسوا هكذا، الملائكة كلّهم خير ولا يصدر منهم إلا الخير ودائماً

١)- سورة التحريم: الآية (٦).

يسبِّحون النفوس بحمد الله ويُلقون الإلهامات في النفوس: يا عبد الله ارجع إلى الله آمن، اذكر ربك، فكر، تب...

فـإذن: هم أفضـل مـن هـؤلاء المفسـدين وظنـوا أن سـيدنا آدم مثـل غيـره مـن الجن السابقين، فقالت الملائكة: نحن أحقُّ بالخلافة. قالوا ذلك بنفوسهم.

فأجابهم الله تعالى:

لا لستم أحقّ من آدم، ولستم أعلى من آدم، بل آدم أعلى منكم وأرقى، وأنا أعلم الطاقات التي عنده، لم ينقطع عني وهو سيد الخلق وهو الذي سيدخل بالنفوس على الجنات، أنتم لا تستطيعون، ها أنتم تخاطبونهم فلا أحد يسمعكم ولا أحد يردّ عليكم. فسأرسل بشراً سيهديهم ويدلّهم. إذاً اشتهت الملائكة هذا المقام الذي أخذه سيدنا آدم عليه السلام، فقال لهم الله: لا مقدرة لديكم على هذا الأمر وأشهدهم ذلك بالواقع العملي:

أولاً: تجلَّى الله عليهم بأسمائه الحسنى كما تجلَّى على سيدنا آدم وقال لهم إذا كنتم أعلى منه أسلّمكم الخلافة أما إذا هو أعلى فيجب أن تستسلموا له عندها يرفع شأنكم بأن ينقلكم لدرجة أعلى وأسمى مما أنتم عليه الآن. وبالفعل عرض تعالى أسماءه الحسنى عليهم وعليه عليه السلام وهم بدأوا يتحدثون بالذي لديهم. يعلمون بعضاً من الأسماء الحسنى أما سيدنا آدم فيعلم تسعاً وتسعين اسماً، وعندما كان يتحدث عنها يأتي لهم بجنات وتجلّيات يذوبون ويهيمون بها هياماً، فوجدوا أنفسهم لا يُذكرون أمام سيدنا آدم عليه السلام فأقرّوا وسجدوا.

وأراهم الله دليلاً ثانياً:

فقال لهم تعالى: أنتم بمحبَّتكم لي لا تخالفوني أبداً، فانظروا هل محبَّتكم لي أكبر أم محبة آدم؟ فأنتم إذا أمرتكم أمراً تطيعون مهما كان هذا الأمر، أما هو عليه السلام عندما أمرته ألاَّ يأكل من الثمرة وجاء الشيطان وقال له: "إذا أكلت منها تزداد

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ..﴾

حباً لله ولا تنقطع أبداً" تكلم له بحبيبه "عن الله"، فمن حبِّه لله نسي الوصية "وصية الله". فأجابوا كلهم: لا نخالف أمرك أبداً، ولكن آدم عليه السلام حبّه لله جعله ينسى **(وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا)** [1]: على المعصية، فعندما وجدوا أنفسهم ودرجتها في محبة الله ووجدوا الحبّ الهائل الذي عند آدم عليه السلام أقرّوا له إقراراً كاملاً وسجدوا: **(فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)**[2].

٧٢- ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ**﴾: ضعوا له الطاعة واعلموا أنه أعظم معرفة منكم فأقبلوا عليّ بواسطته واستدلّوا بدلالته.

٧٣- ﴿**فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾: دليل أن الملائكة جميعاً سجدت وأن إبليس ليس منهم. وليس هو كما جاء ببعض التفاسير من أن إبليس كان طاووس الملائكة... فهذه الآية تنفي هذه المزاعم أصلاً وأنه منهم.

٧٤ـ ﴿**إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ**﴾: إلاَّ الذي أبلس عليه الحق فعمي وضلَّ فاستكبر.﴿ **وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾: كان كافراً بالله من قبل، فما أغواه الله كما نسبَ لحضرة الله، وليس كما تقول الناس اليوم من أن الله كتب عليهم الفواحش والمعاصي ودخولهم النار.

٧٥- ﴿**قَالَ**﴾: لحرص الله على هدايته خاطبه بهذا وبسرعة. ﴿**يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ**﴾: تذكَّر إبليس إعراضه القديم ورجع إليه، فلم يسجد لآدم عليه السلام وما أطاع الله. ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ**﴾: رسل الله أجمل الناس خَلقاً وخُلقاً.

---

١)- سورة طه: الآية (١١٥).

٢)- سورة الحجر: الآية (٣٠).

﴿..أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ
وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾
إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾

خلق صوري كامل وكمال معنوي بإقبالهم العظيم عليهم السلام على الله تعالى. ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾: على آدم بأصلك وأنك خُلقت من نار وهو من طين. ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾: بما لك من شأن بين قومك. وجّه الله تعالى لإبليس هذا التقريع بصيغة الاستفهام لكي يتراجع عن كبره وعلوّه ويسجد لخليفة الله آدم عليه السلام، فانظر لرحمة الله حتى بالمعرضين.

٧٦ـ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾: اعتزَّ بأصله الجسدي أنه من نار وأن آدم من طين.

٧٧ـ ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾: من هذه النيَّة الخبيثة التي أخرجتك من الجنة. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾: دائماً بالعذاب مرمي.

٧٨ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: البعد إلى يوم القيامة بسبب نواياك السيّئة وما سيقع منك من عمل.

٧٩ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: طلب البقاء إلى يوم القيامة.

٨٠ ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾: لك هذا، لِمَا وقر في نفس الشيطان من الخبث وحبِّ الإضلال سيظل حتى الساعة، ولقد طلب ذلك ولكن الله أجابه بأنه سيبقى حتى يخرج ما في نفسه من الخبث فقال فإنك من المنظرين ولكن:

٨١ ـ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: حيث لا يبقى في نفسك شيء إلا وقد استنفذته، لأن ما بك من خبث لن يخرج إلا بهذه المدة الطويلة.

٨٢ ـ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: الكلّ، جميعاً سوف أوقعهم بحب

﴿..إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾

الدنيا والفتن وأُحوّلهم عن السير بطريق الحق.

٨٣ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: الذين خلصوا من حب الدنيا حيث عرف أن الرسل والأنبياء ناجحون من الأزل وناجون فلا يستطيع أن يفتنهم أو يغويهم أبداً.

٨٤ـ ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ﴾: أجابه الله بأن كلامه حقّ وصحيح، فالخلق لهم اختيارهم إن اختاروا طريق الدنيا وشهواتها تستطيع غوايتهم، الشيطان يُسلَّط على مستحقِّين، أنتم لا تعملوا عمله، لا تستحبوا الدنيا على الآخرة. ﴿وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾: هذا حقٌّ عليّ، كل من سار بسيرك وممشاك تستطيع غوايته وله جهنم.

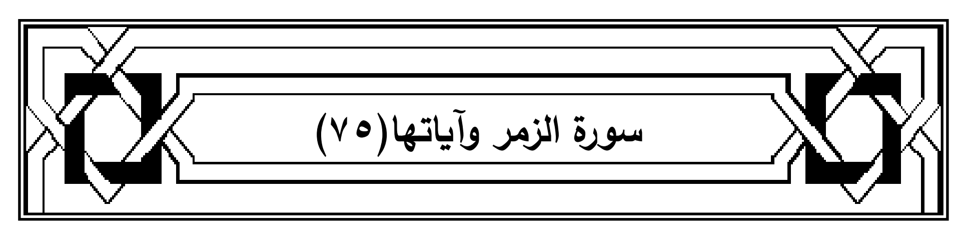
٨٥ـ ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: كل من خسر يقع بجهنم وله علاج في الحياة الدنيا والآخرة.

٨٦ـ ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ﴾: إنّي لأدلّكم وأرهق نفسي فهل طلبت أجراً على ما أبدي لكم؟ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾: لا أتصنَّع الإحسان.

٨٧ـ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: وهذه الآية بشارة من الله لرسوله الكريم بالنصر والإيمان، فالكل سيسير بما جاء به ﷺ من قرآن وعلوم وبيان ويؤمنون به وهو للعالمين.

٨٨ـ ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾: سترون هذا بعد قيام الساعة، سيقع عليكم ما أخبركم به رسولي.

والحمد لله ربّ العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ .. ﴾

١ــ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: أيها المؤمن إذا فكرت بهذا القرآن وجدته من عند الله العزيز الحكيم.

٢ــ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: بما أنت أهل له، لم ينزل هكذا اعتباطاً بل على من يستحق. ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: دلّ الناس وأرشدهم إلى الله، فبقلبك الرحمة والحنان والشفقة عليهم ولكن لا تمل إليهم بل لله.

٣ــ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: أليس له الحق المطلق. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أتسمع دلالة غير دلالة الله!. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: يدَّعون ذلك ولكن أعمالهم ونفوسهم رديئة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: باتّباعهم غير كلام الله صاروا فرقاً وأحزاباً، وكل حزب بما لديهم فرحون، الله يحكم بينهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾: لا يهديهم بسبب إصرارهم على كذبهم وكفرهم.

٤ــ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾: لو أراد على حسب ادعائكم وهو لم يرد. ﴿أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: كيف يتخذ ولداً مما خلق! أهذا منطق؟ فلو

﴿..سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ..﴾

أراد الله اتخاذ ولد هل يخلق فلاناً ثم يتخذه ولداً؟ كيف يعقل ذلك؟ كأن يتخذ أحدنا دمية صنعها بيده صديقاً أو أباً أو أخاً هل يعقل ذلك!. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزّه عن ذلك. ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: صاحب الأسماء الحسنى والإمداد الشامل. ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾: كان ولا يزال ولا يتعدد، لا يوجد إلَهان اثنان، لو حدث هذا لصار نظامان فهل في الكون نظامان؟ الكون سائر بنظام واحد وهو وحدة متآلفة متكاملة ولا شيء به كامل لوحده. الكل بحاجة للآخر، الشمس بحاجة للهواء وللماء وللتراب حتى تبخِّر وتُخرج الزرع والزرع بحاجة للشمس والهواء والتراب، كماله سبحانه وتعالى عليهم وبهذا صار كل شيء كاملاً، الكامل هو الواحد الأحد ولا يوجد كامل غيره سبحانه. ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: إرادته هي النافذة ولا شيء يعجزه، الكل بحاجة لإمداده وتربيته وتسييره سبحانه.

٥- ﴿خَلَقَ﴾: هو الذي خلق: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾: لتؤمنوا بلا إلَه إلا الله وحده لا شريك له. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾: فكر بهذه القدرة، كيف هذه الأرض تدور؟ فهل سبحانه بحاجة لأحد في شيء. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: لأجلكم، من أجل معاشكم. ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾: بوقت ونظام معين، يده سبحانه على الخلق جميعاً. ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: أليس هو الفرد بوجوده. ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾: للذنوب، أليس ذلك النظام دليلاً على أنه سبحانه واحد، وأنه طالب المغفرة والشفاء لك؟.

٦- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: من آدم عليه السلام، خلق الله كل البشر والنفوس من نوع وسويَّة وماهيَّة واحدة، فلا فرق ولا مِيزة ولا اختلاف بين بعضهم، كلهم

﴿..ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ..﴾

في الأصل من نوع واحد، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء عليها السلام، أصل البشر من آدم وحواء. فمن ذا الذي يجعل ذكراً وأنثى في رحم الأم، فهذا الخلق والتكوين بناءً على ما نالت كل نفس من الله بعد أن دبّ الشهوات بها بعالم الميثاق، فجعل لكل نفس الجسد الأنسب لها، لذلك جعل هذا ذكراً وهذه أنثى، كلاً منهما زوجاً للآخر. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: لتتكون هذه النطفة، غنم، ماعز، بقر، جمل، الإنزال بالنسبة للنفوس نزلت من نعيمها إلى وظيفتها في أن تكون لهذا الإنسان المكلّف المشرّف غذاءً له وخادمة مقابل أن تأخذ شهواتها، أما الإنزال بالنسبة للأجساد فعن طريق الأمطار التي فيها الحياة فتخرج المزروعات والأثمار ومنها تتشكل الأجساد، ومن أجل تأمين معاشكم. ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾:من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: أدوار ثلاثة: نطفة ثم علقة ثم مضغة. ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: هذه الأدوار الثلاثة كان الإنسان فيها مبهماً غير معروف ما نوعه وما جنسه، نطفة لا تُرى بالعين لدقة حجمها ثم علقت في جدار الرحم مع البويضة، غير معروفة النوع وغير متميّزة الخلق ثم مضغة، قطعة دم لا أعضاء فيها ولا تمايز.

الناس كلهم في ظلمات "ما عدا السادة الأنبياء والمرسلين أنوار الحق" وذلك حين أعرض الإنسان بالأزل عن الله ونور الله وارتمى على الشهوات انقطع عن الله ووقع بالظلمة الأولى، وحين ولجت نفسه الجسم غدا بظلمته الأولى داخل ظلمة الجسم الثانية ثم خرج إلى الدنيا ولبسها، أحاطت بنفسه الظلمة الثالثة

﴿..ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ..﴾

ظلمة الدنيا وحجبها للنفس عن الله منبع النور فكان:

١ـ بحجاب الإعراض عن الله وفقدان نوره الأزلي بسبب لبسه للشهوات بلا نور الله.

٢ـ حجاب الجسم فوق حجاب الإعراض.

٣ـ حجاب الدنيا حيث لبسها ونسي الماضي.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾: الذي يمدكم ويربيكم. ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾: مالك كل شيء، بيده حياتك يا إنسان ونماؤك وبقاؤك، وبيده مقاليد السموات والأرض لا يخرج شيء من قبضته. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مسيِّر في هذا الكون سواه سبحانه. ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾: إلى أين تتحولون! ولأي شيء تصرفون عنه سبحانه! هل المخلوق يأتيك بالليل والنهار؟ وبالأمطار والطعام والشراب؟ هو الذي خلقك ويمدك ويسيِّر أعضاءك، فكيف تتصرف عنه وتتحول لغيره سبحانه؟!.

٧ـ ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ﴾: إن تكفروا جميعاً بماذا تضرُّون الله؟ الإيمان والعمل الصالح من أجلكم حتى ترقوا بعملكم وتدخلوا الجنة، ليس سبحانه بحاجتكم في شيء. ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾: لرحمته بكم يمقت لكم الكفر ولا يرضاه لكم لما سيجره لكم من آلام ونار، أبعد هذا هل يعقل أن الله خلق الإنسان ثم ألقاه في النار هكذا وألقى آخرين في الجنان هكذا؟ عجباً!. ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾: تعملوا الخير والمعروف. ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾: حيث بعملكم الصالح تدخلون الجنة وهذا مراده سبحانه من خلقكم. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾: لا يحمل أحد ثقل أعمال أحد، كل إنسان عمله وحمله على كتفه فلا أحد يحمل عن

﴿..ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩..﴾

أحد شيئاً من عمله. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: عليم بأنفسكم.

٨ ــ ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾: بلاء، شدة، جاءه مرض أو فقر أو غيرهما. ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾: يدعو حين الشدة، يطلب من الله الخلاص منها. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ﴾: رفع سبحانه الشدَّة عنه. ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾: ينسى فضل الله عليه، ينسى ما عاهد الله عليه وقت الشدة. ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾: من له حول وقوة في الكون مع الله تعالى؟ يقول فلان خلَّصني وفلان أعطاني ورزقني والطبيب شفاني، يشرك مع الله إلَـهاً آخر. ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا﴾: سيتمتع الكافر في الدنيا قليلاً وظاهرياً. ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: بسبب إشراكه بالله.

٩ـ ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: دائم الوجهة من وقت استيقاظه حتى نومه. ﴿سَاجِدٗا﴾: طالب العون من الله. ﴿وَقَآئِمٗا﴾: بفعل المعروف. ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي﴾: هل يستوي هذا الذي إن قام أو نام يذكر الله وفضله؟. ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾: ما هذه الحياة وإلى أين المصير بعدها. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: الذين ما آمنوا وما شاهدوا لا إلَـه إلا الله هل يستوون مع الذين يعلمون؟. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أصحاب القلوب الحيَّة.

﴿..قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ
وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ
أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ
إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ
مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ ..﴾

١٠- ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾: انظروا بنور الله، لا يكفي الإيمان وإنما يجب أن يذكر المؤمن الله في أوقات خاصة يحدِّدها كي تقبل نفسه على الله فتستنير فينظر كيف الطريق، ولن يخطئ عبد أبصر بالله، وإنما يأتي الخطأ والزلل من العمى (اللهم أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه). ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾: عملوا الإحسان والخير. ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾: حياة حسنة طيبة بالسعادة والنعيم دائماً. ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: فمن خاف على نفسه أمراً فليضرب في الأرض. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: على حسب نيَّتهم، بالصدق، طلَّقوا الدنيا بالتفكير فأعطاهم الله عطاءً عظيماً.

١١- ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: هكذا أمرني الله.

١٢- ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: لله بتطبيق أوامره، أبدأ بنفسي في تطبيق الأوامر، كذلك كنت أول المسلمين حينما نادى الله قبل المجيء للدنيا "ألست بربِّكم". كان رسول الله ﷺ أول المقبلين.

١٣- ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾: إن سرت برأيي وسايرتكم. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: يوم القيامة أكون فيه متألماً، لذلك ما يأمرني به ربي أسير عليه، لا أتبع إلا ما يوحى إليّ.

١٤- ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾: إنني أطيع الله وحده.

١٥- ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾: لكم الاختيار. ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ

﴿..خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ..﴾

خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ﴾: خسروا أهليَّتهم العالية باكتساب الخيرات. **﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾**: سيرون الذين كانوا معهم في الدنيا قد تباعدوا عنهم في الآخرة ولعنوهم.

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾: أفليس ذلك خسراناً؟ هل من خسارة أكبر من خسارة الجنة ومشاهدة وجه الله الكريم؟.

١٦- **﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾**: لو فكر الإنسان في لهب شمعة هل يستطيع أن يضع أصبعه عليه مدة من الزمن، فكيف سيصبر على عذاب شديد لا يعرف منتهاه. **﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾**: ليسلكوا طريق الحقّ والإيمان. **﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾**: آمنوا بالله لتتقوا وتنالوا نوراً فلا تخطئوا الطريق، طريق الجنات.

١٧- **﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾**: المنكرات، بالأزل النفوس طغت بلذائذ الشهوات فانحجبت عن جنّاتها وعلومها وأسمائه تعالى الحسنى، الطاغوت: ما طغى عليهم بالماضي قبل مجيئهم للدنيا والذي قطعهم عن الله ونوره، هؤلاء جاؤوا للدنيا، جاهدوا بهوى أنفسهم المهلك وبالشيء الذي طغى عليهم فآمنوا ورجعوا للصلة مع الله ونجحوا. **﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾**: ما أطاعوا هوى أنفسهم. **﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾**: رجعوا إليه سبحانه بالتوبة وآمنوا به. **﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾**: بالجنة **﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾**: يا محمد ﷺ بها.

١٨- **﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾**: قول الله، يستمعون من رسول الله ﷺ أو

﴿..فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ
لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ..﴾

المرشد الصادق من بعده. ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: يطبقون ما يأمرهم به الله على لسان رسوله ﷺ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: الصادقون لبُّوا نداء ربِّهم فصار في قلوبهم حياة وسعادة.

١٩- ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾: فأين الشفاعة الموهومة؟ هذه الآية تنفي الشفاعة المزعومة يوم القيامة. إنما الشفاعة تقارب نفسين بالحب والتقدير والتعظيم فتميل الثانية حيث تميل الأولى، فمن أحبَّ رسول الله ﷺ لكماله مال معه إلى الله فأحبَّ الله فينطبع في نفسه الكمال، ولن يحبه إلا إذا استقام على أمر الله. وعند الإقبال مع الرسول على الله يرى كمال الله وأسماءه الحسنى فينظر بها إلى ما يُعرَض له فيرى فيه الحق ويميز الخبيث من الطيِّب.

٢٠- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾: كل من وصل للتقوى وارتبط برسول الله ﷺ بعد أن آمن. ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: على الأعمال. أي جنات، دائماً من جنة لجنة أعلى، الإنسان إن دخل غرفته ينستر بها ولا أحد يراه، كذلك بالآخرة جنة الإنسان لا أحد يراها، مستورة عن غيره، الغرفة: من الغَرْف، والغَرْفُ هنا نفسيّ وليس جسدياً أي ما يأخذه المؤمن بالآخرة من عطاءٍ كبير من ربه وجنات لا نهاية لها. فالعطاء من الله للنفس، والنفس غَرْفها من الله كبير، ولكلٍّ على حسب ما وصل إليه من درجة، فالأتقياء غَرْفهم أكبر من غَرْف المؤمنين، فغرفهم جريان دائم عليهم أما المؤمن يغرف غرفةً فيعيش فيها فترة ثم تأتي غيرها، وهكذا غرفة وراء غرفة تصبح غرفات والكل جالس بغرفته عند

﴿..تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ..﴾

النبي ﷺ. ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: كذلك لهم نعيم مادي بصورة مستمرة. ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: وعده سبحانه حق.

٢١ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: هل من أحدٍ تصل يده إلى السماء وله الحكم فيها وبمجريات أمورها؟ هل من غيره سبحانه يفعل هذا؟ فالله عزّ وجلّ يحضّنا لكي نسعى للوصول بالأصول فنحصل على هذه الرؤية ونرى أن يد الله هي المتصرّفة في شؤون الكون كلّه ونتوصل لمشاهدة أن لا إلّه إلا الله. ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: هذه المياه تنزل ثلوجاً في القطبين ثم تأتي عبر أقنية لكل بلد وقطر، فكِّر أيها الإنسان بهذا لترى فضل الله عليك ورحمته بك، فلقد جاءك تعالى بكلّ احتياجاتك فسلك لك المياه العذبة الرقراقة الصافية الآتية من الأقطاب ببرودتها الشديدة، كل ذلك هدايا يُوادِدك الله بها ولكي تفكّر في هذه النعم فتحب الله على ما يغزوك به من نعمه فتستنير بنوره فترى الخير من الشر وتنال الخير. أليست هذه الآية بمعجزة لكل من فكر!. ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا﴾: ماء السماء فيه الحياة، بهذا الماء يخرج الزرع، لولا المطر ما أكلت أيها الإنسان طعاماً. ﴿مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: كل نبات وثمر بلون وطعم ورائحة؟ فيد من عملت وتعمل هذا؟ من أين هذه الألوان المتنوعة المتعددة وهذه الصبغات المختلفة، من الذي لوَّن وأخرج وهي في الأصل بذرة ميتة، يدُ مَنْ أوجدت وأبدعت، ألا يجدر بك أن تفكّر وتدقق في هذا كله حتى تتوصَّل لتلك اليد المسيّرة الحنونة الرحيمة؟. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: كذلك حالك في الدنيا وما تمر بها من أدوار أيها الإنسان، فالقصد

﴿..إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ
فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ..﴾

معرفة الله لا الدنيا الدنية، فهذا كلّه زائل ومنقضٍ والله هو الباقي الذي لا يزول، فابحث عن الدائم جلَّ فضله ليدوم لك العطاء منه. ﴿..**فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا**..﴾: يفقد الحياة والنضارة والاخضرار. إذن من الممد له الذي أخرجه ودبَّ فيه الحياة ومن ثم قطعها عنه؟ ماذا تنتظر؟! أليس حريٌّ بك أن تتعرَّف عليه جل شأنه؟!. ﴿..**ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا**..﴾: لا حياة فيه. وهكذا الدنيا تبدأ جميلة نضرة ثم لا تدوم بل تفنى وتزول، والإنسان يخرج طفلاً ثم شاباً يتمتّع بالقوة والنشاط والجمال ثم لا يلبث أن يهرم ويشيخ ويموت فلا باقي إلا الله، فكل ما تتعلق به من الدنيا نهايته إلى الفناء والزوال، وأنت أيضاً أيها الإنسان لك بداية ونهاية. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾: إنما يذكر تلك الحوادث ويتذكر خالقها وموجدها "أولو الألباب" أصحاب القلوب الحيّة بالله "المؤمنون"، أولئك اهتموا باللبّ وتركوا القشور فتفتَّحت منهم عين البصيرة، الذين فكَّروا واهتدوا هذه الآية تذكّرهم بربهم وبنهايتهم.

٢٢- ﴿**أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ**﴾: آمن، فاتقى، فاستسلم لله. ﴿**فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ**﴾: صار له نور يميّز به الحقَّ من الباطل. ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾:لهم الويل، وكم ولَّى عنهم من خيرات! الذين جاؤوا للدنيا وما عرفوا ربهم، ما آمنوا به خسروا الجنات. ﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾: عن السعادة والجنة، ضلّوا الطريق إليها.

٢٣- ﴿**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ**﴾: هذا البيان الذي بيَّنه الله على لسان رسوله ﷺ وهذه الدلالة أحسن شيء لك وتناسبك أيها الإنسان، الله سبحانه خاطب

﴿..كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ..﴾

رسوله بهذا البيان مكالمة. ووظيفته ﷺ دائمة، وانتقاله ﷺ بالجسد لا يؤثر على وظيفته ولا يوقفها، فالنفس خالدة لا تموت، فقط أنت أيها الإنسان اجتهد واتقِ لتسمع حديث الله المنزل على رسوله، الصحابة الكرام سمعوا حديث الله لرسوله بالصلاة. ﴿كِتَٰبًا﴾: ما كتب في نفس رسول الله ﷺ، الله سبحانه كتب بنفس رسول الله ﷺ الحقائق وهذا الحديث، وكل من آمن واتقى يسمعه ويراه. ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾: بالخيرات متشابهاً في خيراته مثل التوراة والإنجيل، كلام الله سبحانه لكافة رسله واحد ولو اختلفت الألفاظ لكنَّ المعنى واحد. ﴿مَّثَانِيَ﴾: متماسك مترابط، لا يمكن للإنسان أن يسمع حديث الله وكلامه المنزل إلا عن طريق رسول الله ﷺ فمتى صاحبت نفسك نفسه الشريفة يصب ﷺ ما كتب في نفسه في نفسك أيها المؤمن، «**ما صب في صدري شيء إلا وصببته في صدر صاحبي أبي بكر**». إذن: ﴿مَّثَانِيَ﴾: تدل على التثنية وارتباط نفوسهم بنفسه ﷺ، وكما تدل على الثناء الذي قام بنفوسهم تجاه رسول الله لما نالوا عن طريقه ﷺ. ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾: هل يخشى من لم يشاهد؟ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ونجحوا بها، تقشعر جلودهم حين يسمعون ويشاهدون حيث يكون التأثير على النفس بالبداية قوياً صاعقاً، فالآية هي التي تأخذ بكل مشاعر الإنسان وأحاسيسه وحواسه حين عقْلها أي: مشاهدتها بالنفس، فكلامه تعالى الذي ألقاه على رسوله قول ثقيل بالخيرات والأنوار، والإنسان به ينال خيرات عظيمة بنفسه لذلك ينصعق بها، وهذا الشيء ينعكس على جسمه. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ﴾: وهذا من طبيعة النفس البشرية بالبداية تقشعر ثم بعدها تلين وتسترسل بما شاهدت من آيات. رسول الله ﷺ لمّا أتاه الوحي من الله تأثر

﴿..وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ..﴾

تأثراً كبيراً لِما نال وشاهد. ﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾: تصبح نفوسهم دائماً في تقلّبٍ بالله، دائماً من مشاهدة لمشاهدة أعلى لأسمائه تعالى ومن إقبال لإقبال أسمى. ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾: ما بيَّنه الله هو الذي تهتدي به وذلك بالسير ضمن أوامره.﴿ يَهْدِى بِهِۦ﴾: من أراد الهداية وسعى إليها. ﴿مَن يَشَآءُ﴾: كل من شاء وطلب الهداية وسعى إليها يهديه الله، المشيئة هنا للإنسان ذاته، له الاختيار، إن شاء الهداية سلك طريقها وسار بقانونها، إن تاب وفكر بالكون وآمن اهتدى. ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾: نفسه عن الله، الإنسان بعدم سيره بالحق وعدم تفكيره بآلاء الله يُضل نفسه عن الهداية، الله سبحانه لا يضل أحداً. (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [1]. ﴿ٱللَّهُ﴾: هو سبحانه الفعّال المسير لكل ما في هذا الكون، من الذي يسيّر الشمس والقمر والنجوم وهذه الأرض بدورانها؟ أليس الله سبحانه هو المسيّر الفعّال! الذي ما فكر ما آمن ما شاهد المُسيِّر هذا ضلَّ نفسه عن الله، حيث ما أشهدها تسييره سبحانه الخيّر وأفعاله بهذا الكون، لأنه ما نظر في آياته، ما فكر بالقمر والشمس ودوران الأرض، فضلّت نفسه عن المسيّر لهذا الكون، فما آمنت به تعالى. ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: هذا الذي ما فكر وما سار بالحق ولا يريد الإيمان بالله وله الاختيار، فمن يستطيع هدايته؟ مهما عامله الله ومهما جاءته مصائب وشدائد لا يسير بالحق، فمن لا يؤمن بذاته من ذاته فلا علاج له.

٢٤ـ ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾: وجّه نفسه لله وللرسول، فاستنار بنوره ﷺ وشاهد الخير خيراً فاتّبعه والشر شراً فاجتنبه. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: هل

---

١)- سورة الليل: الآية(١٢).

﴿..وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا..﴾

يستوي من يسير على الحق ينظر بنور الله ليفرق الخير من الشر هذا هل يستوي مع غيره ممن هو في ضلال؟. ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: ما جرَّته لكم أعمالكم.

٢٥- ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: فلينظر الإنسان لمن قبله ماذا جرى لهم. ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: جاءهم العذاب وهم مطمئنون بدنياهم، وقد نسوا ما خُلقوا لأجله.

٢٦- ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: انخزوا بالدنيا، أعمالهم السيئة عادت عليهم بالذل. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾: فلو كانوا يعلمون لما فعلوا ما استحقّوا الخزي به.

٢٧- ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: بيّنا لهم كل شيء لهدايتهم. ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لهم الاختيار، إن شاؤوا سلكوا فاهتدوا وإن ما ساروا بالقوانين ضلوا، الذي فكر بالكون آمن فصار له نور، هذا يتذكر الله وعهده معه وأسماءه الحسنى، الذي ما آمن ظلّ على خيانته ونسيانه لربه.

٢٨- ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾: واضح بيّن، واسع المعاني. ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾: يوصل للسعادة والإنسانية إن ساروا به. ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: يصبح لهم نور يرون به الحقّ حقاً والباطل باطلاً.

٢٩- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾: لكم أيها الناس، قارنوا بين سير وحال الرجلين:

﴿..رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾..﴾

﴿ رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: رجل اختلف فيه أصحابه كلٌّ يدلّه ويوجهه وجهة، فصار يقول كما يقول الناس ويفعل كما يفعلون، هذا الرجل مُسيَّر بلا تفكير. تابع لغيره حيث تتحقق شهواته وطموحات دنياه عندهم، مصلحته عند فلان وفلان... أينما جلس يتحدث عن معارفه من الأشخاص ذوي الحظ الدنيوي ويفتخر بذلك، جمعتهم المصالح الدنيوية، فإذا ما انتهت بينهم انقلبوا ألدَّ الأعداء لبعضهم.﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾: وآخر له صاحب واحد يدلّه على الحق، مستسلم لرسول الله ﷺ لما رأى منه من منطق وكمال وحق. مثل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فقد استسلم لرسول الله استسلاماً لم يستسلمه أحد، فماذا كانت النتيجة؟ لقد ظهر وصدر منه خير عظيم لم يظهر من أحد، لقد كسر رضي الله عنه دولتين عظيمتين "الفرس والروم" وفتح بلاداً... خيره وفضله كبير، كل هذا لأنَّه سلَّم أمره لرسول الله ﷺ. ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: مع بعضهم، هل هذا مثل هذا! طبعاً لا يستويان، فالفرق شاسع عظيم. فانظر إلى أحوال المسلم وآثار ارتباطه بالصادقين ونتائجها. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: فكِّر بهما أيها الإنسان، ألا يُحمد الله أن دلّك هذه الدلالة العالية وأنزل لك هذا البيان والقرآن على رسوله ليدلّك به. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾:يتلوها رسول الله ﷺ، لكن قلَّ من يسمعها، لم يروا حقيقته العظمى ﷺ، لم يروا "الحمد لله" والسبب في ذلك: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾:ما عندهم علم بأسماء الله الحسنى، لو علموا بأسماء الله الحسنى لاستسلموا، ما رأوا الرحمة والحنان والجلال والسبب هو عدم إيمانهم. ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾:لا إله إلا الله. لو فكر بالكون لآمن بربه وشاهد (لا إله إلا الله) عندها يسلّم أمره لرسول الله ﷺ. ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: ما في القرآن من خيرات تعود عليهم إن ساروا به.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا
يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

٣٠- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: لكلٍّ أجل ومدة في هذه الدنيا، ما جعل سبحانه لأحد الخلد في هذه الدنيا.

٣١- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: مع بعضكم، أهل النار متعادون متفرقون، كلٌّ يلوم الآخر بخلاف أهل الجنة على سرر متقابلين.

٣٢- ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: لنفسه. ﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: قال هذا من عند الله وما هو من عند الله. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالحق الذي بلَّغه إياه الرسول. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: ألا يستحق هذا الحقارة والذل!.

٣٣- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أي: تحرَّى الصدق حتى كُتب عند الله صدِّيقاً مثل أبي بكر الصديق ﷺ. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: استناروا بنور الله وأصبح لهم رسول الله ﷺ مرشداً ودليلاً.

٣٤- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: جنات دائمية، ما يطلبونه يجدونه حاضراً أمامهم. ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الذين دلُّوا الخلق على الله بكلامه سبحانه، أحسنوا لأنفسهم ولغيرهم بالإيمان.

٣٥- ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: ليمحو الله من نفوسهم أسوأ الذي علق بها فوقعت بالإثم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: فيرى عمله وما وصلت إليه نفسه من الكمال في الجنة فيرقى به ويرقى.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ
﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ
هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

٣٦- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: أليس الله كفؤاً؟ هل من أحد يستطيع القيام بشؤون الخلق؟ هل يستطيع أحد أن يؤذي الرسول ﷺ؟ هذه الآية نفي لكل ما يسمع من أحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أوذي. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: فليس لهم حولٌ ولا قوة. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: من يضل نفسه عن الله فلا يستطيع أحد هدايته.

٣٧- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: يهدها إلى الله وبالله. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾: لا أحد يستطيع أن يضله. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾: ألا ترى كيف يعيد الله عمل الإنسان عليه إن كان خيراً وإن كان شراً.

٣٨- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: كل يقرّ بأن الخالق هو الله، لا يستطيعون الإنكار لظهور الأمر. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الذين تظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة. ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: مرض أو أشياء أخرى. ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: هل هؤلاء الأصنام يستطيعون كشف الضر وخلاصي منه. ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾: بخير. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾: يمنعونه عني.

﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾: يكفيني ربي. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: كلّه رحمة وحنان على الخلق، المؤمن يتوكل على الله ويوكّله أموره ويسلّمه اختياره لأنه شاهد حنانه ورأفته به وبالخلائق جميعها.

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ
بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ..﴾

٣٩ـ ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: اعملوا لتلك الحياة الدائمة في الدار الآخرة التي خُلقتم من أجلها. ﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ﴾: لها. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

٤٠ـ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: في الدنيا قبل الآخرة لكم عذاب فيه الخزي. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمي في الآخرة، النار ستكون عليكم.

٤١ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن. ﴿لِلنَّاسِ﴾: لتبلّغه لهم فيسيروا فيه وتشفى نفوسهم من عللها. ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾: لأهليتك أنزله عليك، لأنك صاحب رحمة وحنان وشفقة على عبادنا. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الاختيار له إن شاء الهداية سلك سُبلها، أطاعك. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: سمع وما طبَّق فما آمن، هذا لا بد أن يضل ويقع بالمعاصي والآثام. ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: العائد عليها لا على غيره، بالدنيا شقاء وبالآخرة نار، هذا فقد سعادة الدارين. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: أنت فقط بلِّغ ولست مسؤولاً عنهم.

٤٢ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾: الإنسان مؤلَّف من جسد وروح ونفس، الجسد هو مركب النفس خلقه الله لها لتستعين به على قضاء حوائجها ولتعمل به الصالحات. والروح هي الإمداد الإلَهي بالحركة لهذا الجسم، بها يعمل ويتحرك وكل هذا لينفذ للنفس ما تطلب وتختار والنفس هي الذات الشاعرة ترى وتسمع وتلمس عن طريق الجسم وهي التي رضيت بحمل الأمانة في الأزل وعاهدت ربَّها على عدم الانقطاع عنه سبحانه وهي التي تتنعم بالجنات بعملها الطيب وتتألم بالنار إن عملت السوء، ومعنى قوله تعالى:

﴿..فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ..﴾

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ..﴾: أن الله يأخذها من الجسد ويسحبها منه، وهذه الآية الكريمة تذكرة للإنسان كي ينظر إلى إمكانية الاختيار المعطى له، ويبيِّن له تعالى كيف يسحب منه الاختيار في الآخرة والمثال عنه في الدنيا هو النوم. ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾: لا يردّها إلى جسدها فيحصل الموت، يمسكها عنه "الجسد" سبحانه حين انتهاء الأجل فلا تستطيع الرجوع إليه والسريان به. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: التي لم ينتهِ أجلها يرجعها إلى جسمها. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى حين انتهاء أجلها. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: من يفكِّر ويقدِّر فهذه الآيات يعتبر بها ويعظّمها، فالموت شيء والوفاة شيء، ويكون الاستيفاء بعد الموت أو حين النوم وعلى ذلك كانت وفاة عيسى عليه السلام، فهو نائم، أليس الذي خلق الكون بقادر على حفظ إنسان نائم مدة من الزمن!.

٤٣- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾: ليس لأحد فعل أو تصرّف بهذا الكون، الذين اتخذتموهم شفعاء هل خلقوا شيئاً غير الذي خلقه الله؟ هل يحرِّكون الشمس والقمر والغيوم والرياح؟ هل يسقونكم أو يطعمونكم! ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾: لا يملكون لكم حياةً ولا نشوراً وليس بيدهم شيءٌ! فكيف تتخذونهم شفعاء لكم وتعتمدون عليهم ولا تعتمدون على الله وتتوكلون عليه؟!. ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: ما عندهم عقل، ليس بقلوبهم رحمة وحنان عليكم، ما عقلوا شيئاً عن الله.

٤٤- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾: له التسيير وهو الفعّال وحده وبيده الخير والسعادة لكم دنيا وآخرة وليس لغيره فعل بملكه. ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لله الملك، فمن الذي يتصرَّف بملكه غيره!

﴿..لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

"كما أن صاحب المتجر هو الذي يتصرف بمتجره". ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: أنتم وشفعاؤكم راجعون إليه بكل شيء بالطعام والشراب والهواء والتسيير والتربية، وغداً ترجعون إليه يوم القيامة للسؤال والحساب.

٤٥- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾: إذا ذكّرتهم بالله وحذّرتهم من فعل السوء، إذا ذُكِرَ عدل الله وأنه سيحاسب الإنسان على عمله اشمأزوا. ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: تراه يغفو ويتثائب فلا يسمع لك. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: إن حدثته عن غير الله، ذكرت لهم الشفاعة. ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يصغي وينسر.

٤٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: ما أعظمك. ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خالق السماوات والأرض ومظهر ما فيهم من خصائص، مظهرهما على نظام وقوانين عظيمة. ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ﴾: ما هو مغيّب عن هذا الإنسان في نفسه الله سبحانه يعلمه، إن آمنت ورأيت رحمته يعلّمك أيها الإنسان ما غاب عنك من عيوب وأمراض في نفسك فتسعى للشفاء منها، قبل الإيمان إن رأى الإنسان عيوب نفسه يقنط لأنه غير مشاهد رحمة الله. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما سينتج عنها "عن نفسه" في هذه الساعة[١]. ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ﴾: تعطي كلاً حقه وما يناسبه يوم القيامة. ﴿فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: في الدنيا.

١)- هو لا سواه أبداً يعلمك، منحك السمع والبصر والحواس، ويمنحك إن أقبلت عليه قلباً مستنيراً.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)﴾

٤٧- ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: فكم لحظات هذا العذاب شديدة!. ﴿**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ**﴾: رأوا رحمته ورأفته وعدله وإحسانه. ﴿**مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾: مما لم يكن يعرفون في الدنيا ولا يتوقعون في الآخرة لما امتلأت به نفوسهم من دنايا. لم يظنوا بالله في الدنيا الظن الحسن.

٤٨- ﴿**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**﴾: تبيَّن لهم من أعمالهم ما يسوؤهم، رأوا ما ستعود عليهم أعمالهم من سوء وعذاب. ﴿**وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: لبسهم هذا الثوب، ثوب العار والندم والسوء أمام الخلائق كلّها، وكل ذلك سببه استهزاؤهم فما ساروا بالحق.

٤٩- ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا**﴾: نادى يا الله أنقذني. ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا**﴾: فإذا كشفنا ما به. ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**﴾: قال كما قال قارون أوتيته بكدِّي ومعرفتي، ينكر فضل الله عليه. ﴿**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾: لإخراج ما في نفسه من خبث وشهوات علَّه بعد خروجها من نفسه يسلك بالحق، هذا كالطفل الذي يطلب من أبيه لعبة ويصرُّ عليها مشغولاً بطلبها عن دراسته فالأب يشتري له اللعبة علّه يدرس وينجح، وكذلك حال هذا الكافر وما يعامله الله به. ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: أن الله هو المعطي والممسك وهو القابض والباسط للرزق وغير الرزق، فاطلب منه واستقم، ولا تقل إن لم أفعل هذا فلن أحصل على ذلك، فلقد قالها غيرك

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا..﴾

وظن غيرك أنه قادر على الكسب الذي يريد فما أغنى عنه ذلك شيئاً.

٥٠- ﴿ **قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ**﴾: قارون قالها. ﴿**فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ**﴾: لما جاءهم البلاء والموت ما نفعهم قولهم ولا ما نالوا من مال وجاه.

٥١- ﴿**فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ**﴾: عاد عليهم عملهم بالسوء "بسوء المقر". ﴿**وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ**﴾: ممن يقول مثل قولهم. ﴿**سَيُصِيبُهُمۡ**﴾: كما أصاب الذين من قبلهم. ﴿**سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ**﴾: سيرجع عليهم عملهم بالسوء والعذاب. ﴿**وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ**﴾: الله في شيء، سيموتون ويرجعون إلى الله.

٥٢- ﴿**أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ**﴾: ما شاهدوا بأمّ أعينهم!. ﴿**أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ**﴾: فالله يقدر على حسب طلبه وحسب ما يناسبه. إذا كان لاثنين خمسون غنمة فأحدهما أخذت غنماته تلد كل غنمة غنمة والثاني لا تلد غنمه شيئاً. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ**﴾: دالّة على علم ورحمة من الله بالإنسان. ﴿**لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ**﴾: المؤمن يرى معاملة الله لعباده بالرحمة والحنان والحكمة من هذه المعاملة فيسجد له سبحانه ويخضع.

٥٣- ﴿۞ **قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ**﴾: أسرفوا على أنفسهم بالماضي قبل معرفتهم طريق الحق والسلوك به. ﴿**لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾: يشفي نفوسكم مما علق بها من علل وأمراض، يغفرها جميعها حينما تقبل عليه تطهر نفسك. ثق أيها الإنسان برحمة الله وحبه لك

﴿.. إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ..﴾

وحنانه عليك. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: يمحو السيئات كي يرحمك فيعطيك.

٥٤- ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾: عودوا إلى ربكم. ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾: ولكن لتحصل المغفرة ارجع إلى الله تائباً واستقم، استسلم إلى الله. ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: فمن ينصركم حين تقعون هلكى.

٥٥- ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: اتبعوا هذا البيان وهذه الدلالة، دلالة رب العالمين هذه فيها خيركم. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: الموت. ﴿بَغۡتَةً﴾: فجأة. ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾: ملتهون بالدنيا ومشاغلها.

٥٦- ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ﴾: لئلا تندموا وتتحسروا وتقولوا عند الموت. ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: المعرض يتحسَّر حسرتين، **الحسرة الأولى:** حين الموت، لـمَّا يموت الإنسان ينكشف الغطاء عنه فيشاهد الأزل ويشاهد عهده مع الله وكيف خان ربَّه وانقطع عنه سبحانه وتعالى بلا سبب فيتحسَّر على ما فرَّط وضيَّع من خيرات وأنوار في الأزل.

الحسرة الثانية: بعد أن فقدت هذه النفس سمعها وبصرها بانقطاعها عن الله ولرحمته تعالى بها عوَّضها عن البصيرة بالبصر وعن السمع النفسي بالأذن، عوَّضها بهذا الجسم عن كل شيء فقدته حتى ترجع إلى ما كانت عليه، فجاؤوا للدنيا والتهوا بالشهوات ولم يطلبوا غيرها وما سمعوا من رسول الله ﷺ، وهذه هي الحسرة الثانية حيث ضيَّعوا هذه الفرصة في الحياة الدنيا وما رجعوا للصلة بالله

﴿..وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ..﴾

وخسروا ما أعدَّه تعالى لهم من عطاءات. فعند الموت يحصل لهم حسرتان على هاتين الفرصتين وكيف ضيَّعوهما. ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: غير مبالين وغير عابئين، شاهد الآيات الكونية من شمس وقمر ونجوم فما فكر بها ليصل للإيمان، سمع بيان ربِّه من رسول الله ﷺ فما التفت إليه، حبُّ الشهوات أعماه وأصمَّه عن سماع الحق.

٥٧- ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: أرسلت لكم من يدلّكم ويرشدكم وأنزلت بياني وكلامي عليه فلا حجّة لكم بشيء. هم نسبوا غوايتهم لله. قالوا: "حتى الله يهدينا". مع أن الله تعالى ما خلقهم إلا للهدى.

٥٨- ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ﴾: حين يأتيكم الموت وتُكشف الحقائق لكم. ﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾: عودة للدنيا. ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: لكي أعمل الإحسان، بالموت يرى الإنسان الحقائق ويعلم أنه جاء إلى الحياة الدنيا لفعل الخير والإحسان.

٥٩- ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾: عن التفكير بها. ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أصبحت بذلك من الكافرين الناكرين بسبب عدم التفكير بها.

٦٠- ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: دلّوا الناس دلالةً باطلةً باسم الدين، جاؤوا بدلالة من عندهم لا من عند الله، قالوا كشف الوجه ليس بحرام، الربا بنسبة قليلة لا مانع منه، ساروا على جهل آبائهم وأجدادهم وما ورثوه

﴿..وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ..﴾

عنهم. ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ﴾: من أعمالهم السيئة ودلالتهم الخلق بغير كلام الله. ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذي لم يفكر بما يقول ويفتي، ولا بما يأمر الله فلم يعرف الحق هذا تكبّر على ربِّه، سار برأيه لا بكلام الله ودلالته، هذا له الذل والحقارة دنيا وآخرة.

٦١- ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾: من هذا العذاب. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾: الذين آمنوا بعد أن فكروا بالكون هؤلاء صار لهم نورٌ من ربِّهم فلم يقعوا بشيء لا يرضى الله به. ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾: بما فازوا به من جنات بسبب إيمانهم العالي وأعمالهم الصالحة. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: لا يتذكرون شيئاً يسوؤهم. ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: على الدنيا وتركهم لها حيث نالوا الجنة والنعيم.

٦٢- ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: بهذا الكون. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: متوكل أمره فليس لأحد حول ولا قوة.

٦٣- ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: الجمال، العظمة، القدرة،... من الله، (لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ): وما قلَّدها من جمال هو من الله. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ما فكروا بالكون وما فيه من آيات دالَّة على لا إله إلا الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: فضلنا وما أعددنا لهم من جنات وسعادة.

٦٤- ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾: أن أطيع وأسترشد. ﴿أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾.

٦٥- ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾: لئن أتيت

﴿..لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

بشيء من عندك من دلالة أو قول. ﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: فلن يثمر. ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: أي أن الله تعالى حذَّر رسله من أن يأتوا من عند أنفسهم بدلالة أو قول كي يرشدوا الناس بل يجب أن يتَّبعوا ما أنزل الله بحذافيره ويطبقوه بتمامه ذلك لئلا تحبط أعمالهم في سبيل الحق، والله أعلم بمن خلق وهو أدرى بالذي يصلحهم ويسعدهم ويهديهم إلى الحق.

﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾:هذه الآية الكريمة جواب للجاهلين الذين ورد ذكرهم بالآيات الكريمة التي قبلها: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾. فهؤلاء يطلبون من رسول الله ﷺ أن يأتي بشيء من عنده أو كلام غير كلام الله وأن يعبد غير الله فكان

الجواب لهم:﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ..﴾: أي قل لهم أيضاً "وهذا جواب لهم": ﴿..لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: فلئن اتَّبعتُ غير كلام الله أكون قد أضعت السبيل لإنقاذكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور، والرسول ما فعل ذلك، وهذا دليل أن الرسول ﷺ ما جاء بشيء ولا قول من عند نفسه بل كلّه من عند الله، فالرسول: رسول الله ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى. قال تعالى: (وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ) [1].

---

١)- سورة يونس: الآية (١٥).

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ..﴾

٦٦- ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾: أطيع. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: والشكر أن تبذل مما أعطاك الله. ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: بل تفيد الإضراب وهي تنفي ما قبلها وتثبت ما بعدها، إذن: رسول الله ﷺ لم يتكلم من تلقاء نفسه ولا كلمة ولا يتكلم إلا بكلام الله وبوحي من الله ولا يعبد غير الله.

٦٧- ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾: لم يفكروا بالكون وبما فيه من آيات حتى يصلوا للإيمان بلا إلٓه إلا الله ويشاهدوا أن الله وحده الفعّال المتصرف بملكه سبحانه. وكذلك لم يعظِّموا رسول الله ﷺ ولم يقدِّروه حتى ينالوا ليلة القدر، فتعظيم رسول الله ﷺ يوصلك لتعظيم الله، فيريك ﷺ عظمة الله وجلاله وجماله تعالى. ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ﴾: لا كما يظنون أن الكون محكوم بقوانين تسيّره أو الطبيعة، حينها "يوم القيامة" يرون أنه لا ظلم في الأرض بين مخلوقاته. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يرى الكافرون يوم القيامة ذلك، يرون أنها كانت بقبضته تعالى وهو سبحانه ممدها ومسيرها والفعل كله له وبيده. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾: كذلك السماوات كانت طريقاً للإيمان. ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: الأرض والسماوات وكل ما فيهما مُسيّرٌ لخير هذا الإنسان. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: مبرّأ. ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: من أن لأحد فعلاً وحولاً غيره لهذا الكون.

٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: رُدَّت الروح إلى الجسد، الصور هو الجسد فإنه مادة كما وأن القرن الذي ينفخ فيه مادة، نبتوا كما تنبت البقلة. ينفخ الله الروح أي الحياة بالأجساد، الجسد بلا روح لا يتحرك لذلك بعد أن يعيد الله خلق الأجساد يرسل النفوس إليها ثم ينفخ الروح بالجسد، هذا الجسد في الآخرة لا

﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا..﴾

عمل له إلا للذكرى والتذكّر وليس لحمل النفس، فأهل الجنة حينما ينظرون إلى أجسادهم يتذكرون أعمالهم العالية التي قاموا بها بالدنيا وبواسطتها يقبلون على الله تعالى وينالون الجنات، أما أهل الكفر حين ينظرون إليها يتذكرون ما قاموا به من أعمال سيئة فيندمون ويرمون بأنفسهم في النار للعلاج فيها، فهذا الجسد باق بقاءً بلا عمل. ﴿فَصَعِقَ مَن﴾: منْ للعاقل، الحديث عن المكلفين الذين كلَّفهم الله بحمل الأمانة فخانوا عهدهم معه سبحانه. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الذين علوا في الأرض وسموا فيها بالمناصب والمال والجاه وصارت لهم أعمال كبيرة بالإجرامات مثل فرعون وآله وغيرهم. ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كذلك الفقراء الذين ما ساروا بالحق. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾: ممن آمنوا وعملوا الصالحات. إذ خافوا بالدنيا على مصيرهم فوقاهم الله شر

ذلك اليوم. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾: لبسته النفس. ﴿فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾: إلى أعمالهم.

٦٩- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾: أنار الله هذا الكون فلم يعد ثمة شمس ولا قمر، كذلك لا أحد عنده نور باستثناء السادة الرسل والأنبياء، لأن الناس خانوا عهدهم واستغرقوا بالشهوات ونسوا ربَّهم وأنواره وجاؤوا للدنيا عمي القلوب، لذلك وضع الله لهم أعيناً وأرسل لهم أنواراً عن طريق النجوم والشمس والقمر والنهار وهذه الأنوار لا ترى النفس بها الحقائق وإنما رؤية الحقائق تكون بنور الله ونور رسوله ﷺ وذلك بالإيمان بالله والرابطة النفسية برسول الله ﷺ، عندها يرجع للإنسان نوره الأزلي الذي فقده بالشهوات ويصبح له نور من الله يزداد بازدياد إيمانه وأعماله الصالحة، وغداً يوم القيامة بنوره سبحانه يري كلّ نفس ما

﴿..وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ..﴾

عملت في حياتها وما فعلته في الدنيا بالموقع والأشخاص، ولولا نوره سبحانه تظل الأنفس في عماها لا ترى شيئاً، إذ لم يعد هناك ضياء الشمس والقمر. أشرقت: أي يشرق نوره تعالى في الأنفس جميعها فترى ما عملت في الدنيا من أعمال وتشاهدها. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: ما كتب في نفسك أيها الإنسان تراه يوم القيامة مجموعاً لك حاضراً أمامك وبالمثاقيل.﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: الشهداء: المؤمنون الذين شهدوا الحقَّ للخلق. (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..) [1]، جمع كلمة شهيد بالنسبة لغير الأنبياء والرسل شهداء، أما بالنسبة للأنبياء والرسل تجمع بـ "أشهاد" وهي من الشّهد، أي: العسل، لأنهم أجمل وأغلى وأحلى ما خلق الله. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أعمالهم تعود عليهم.

٧٠- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: كل نفس تأخذ حقَّها. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: بالدنيا.

٧١- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: كل جماعة بحسب درجة كفرهم وإعراضهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: لكل فئة من الناس حسب أعمالها باب. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: الملائكة. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾: جاءنا

١)- سورة البقرة: الآية(١٤٣).

﴿..وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى
ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

وكفرنا بهم، ما آمنا فوقعنا بالأمراض لذلك لا بد من العلاج. ﴿**وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾: يلزم الكافر العذاب بسبب ما في نفسه.

٧٢- ﴿**قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ**﴾: أبواب جهنم: الموبقات التي وقعوا بها فأوصلتهم إلى جهنم. ﴿**خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ**﴾: الذين تكبروا عن التفكير، ما فكروا بالكون ولا بدلالة الرسل ليؤمنوا.

٧٣- ﴿**وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا**﴾:

جماعات، المتقين وأصحاب اليمين كلٌّ مع رسولهم الذي بعث فيهم. علموا أن هناك شيئاً شهيّاً فانسحبوا له وانساقوا إليه، سيقوا على حسب طلبهم، أي توجهوا للشيء الذي سيعيشون به أبد الآبدين إلى الجنات فساروا إليها. ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا**﴾: أبواب الجنة ثمانية، أبوابها الأنبياء والرسل الكرام، فعن طريقهم ومن خلالهم تدخل أيها الإنسان على الله وتشاهد بهاءه وجماله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿**وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا**﴾: الملائكة الكرام. ﴿**سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ**﴾: الأمان والاطمئنان عليكم، الجنة والسعادة والنعيم لكم أبد الآبدين. ﴿**طِبۡتُمۡ**﴾: بإيمانكم وتقواكم طابت نفوسكم فعملتم صالحاً. ﴿**فَٱدۡخُلُوهَا**﴾: بأعمالكم. ﴿**خَٰلِدِينَ**﴾: بها.

ملاحظة: في الآية الكريمة التي تتكلم عن أهل التقوى ودخولهم الجنّة، وصف تعالى دخول المتقين الجنة بقوله: ﴿**وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا**﴾: فوردت كلمة فُتحت مضافٌ عليها حرف الواو، أمَّا حين أوردها تعالى يصف الذين كفروا

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ ..﴾

وجهنَّم فجاءت الكلمة مجرَّدة من حرف الواو: ﴿..فُتِحَتۡ..﴾ وهذا يدل على رحمة الله الكبيرة بهم، لأن أهل الكفر والضلال حالهم كحال المريض وقد دخل بمرحلة الخطر فأسعف إلى المستشفى حيث تفتح له الأبواب بسرعة لإسعافه وإنقاذه، أمَّا أهل التقوى وكما يقال في المثل العامي "الذي لعند أهله على مهله" فهم في الإكرام والإنعام منذ انتقالهم بالموت، ولقد قدَّم تعالى ذكر الذين كفروا بالآيات على ذكر أهل التقوى للدلالة على هذا المعنى.

٧٤- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾: بالجنة التي على رسله. ﴿ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾: أعطانا حرية العمل في الدنيا لنكسب الجنة. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: بالدنيا، وذلك بالأعمال الصالحة التي فيها الجنات. ﴿حَيۡثُ نَشَآءُ﴾: الآن يجب أن تتبوَّأ من الجنة حتى تسترجعها بالآخرة، فالله سبحانه سوف يكرِّر أعمالكم مرة ثانية وستشاهدونها، استعن بالله عن طريق رسوله واعمل صالحاً. ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: الجنة بالأعمال الصالحة.

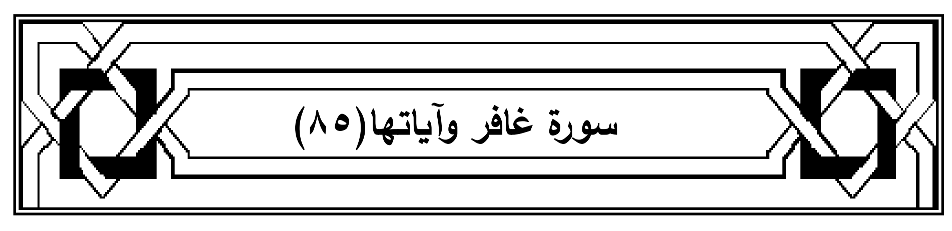
٧٥- ﴿وَتَرَى﴾: يا محمد ﷺ. ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾: الملائكة ما طلبوا التكليف والتشريف لذلك هم حول العرش وليس في العرش، العرش: التجلي الإلهي عن طريق الأنبياء الرسل أصحاب الصحف والكتب الثمانية. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾: وظيفة الملائكة نقل التجلي الإلهي لنفوس المؤمنين والمتقين: (نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ..) [١].

١)- سورة فصلت: الآية (٣١).

﴿..وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ﴾: من قبل أهل الجنة وأهل النار كلاهما يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: كل المخلوقات تحمد الله على ما حكم بينها وأعطاها.

والحمد لله ربِّ العالمين



سورة غافر وآياتها(٨٥)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ. ﴾

١ـ ﴿حمٓ ﴾: عندما يقرأ القارئ المعوذة الأولى "سورة الناس" ثم ينتقل إلى الثانية "سورة الفلق" ويعرف خلق الله ينتقل إلى الصمدية وأن الله أحد ثم في سورة المسد "تبَّت" يعلم كيف أن للمعرض الخسران، وفي سورة العصر يعلم أن أَتْبَاع محمد ﷺ الذين أحبوه وأطاعوه هم الناجحون ويصير القارئ أيضاً من أتباع محمد ﷺ فتستنير بصيرته وتحصل له التقوى فيقول قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون لأنه عرف الحق، ومن ثم يبيِّن الله له أن: إنَّا أعطيناك الكوثر وبعدها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وهذه بداية تَعَلُّم الإنسان للإقبال على الله والاستنارة بنوره، وهنا أيضاً في هذه السورة الله سبحانه افتتحها بصفات محمد ﷺ لأن النفس تميل إلى الكمال فتميل لرسول الله ﷺ فتدخل معه على الله فتستنير فترى آيات الله.

﴿ حمٓ﴾: خطاب من الله سبحانه للمصطفى أي يا حامداً، يا محموداً، يصبح المرء حامداً إذا رأى صفات مولاه. وكل مؤمن آمن وشاهد ربَّ العالمين تهيم نفسه بالله حباً ويصبح حامداً لما يتفضل الله عليه من جنات، فبهذه الأحرف خاطب الله تعالى رسوله الكريم لكي يسلك المؤمن مسالكها، فرسول الله ﷺ لمَّا آمن بربه صار حامداً لله محموداً عند الله وعند الخلق.

٢ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: لمَّا سَما رسول الله ﷺ وعلا بالأزل نال من الله نوالاً عظيماً، نال جنات وعلوماً عظيمة لا مثيل لها فهذا الكتاب ناله ﷺ بإقباله

﴿..مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ..﴾

واجتهاده، والله تعالى أنزل على رسوله الكريم ما كان قد ناله ﷺ، أنزله بشكل ألفاظ "لفظاً" فهذا التنزيل وهذه الألفاظ وراءها حقائق يجب على الإنسان الوصول إليها ليرى ويشاهد، ولن يصل إليها إلا بالإيمان بالله ورابطة نفسه برباط المحبة والتقدير لرسول الله ﷺ.﴿ **مِنَ ٱللَّهِ**﴾: هذا الكتاب الذي طُبع بنفس رسول الله ﷺ هو من الله وليس من الرسول، دلالته وبيانه مُنزَّل عليه من عند الله. ﴿**ٱلۡعَزِيزِ**﴾: الواحد الفرد بكماله، كماله سبحانه مطلق، الخير فقط منه تعالى. ﴿**ٱلۡعَلِيمِ**﴾: عَلِمَ الله سبحانه وتعالى أهليَّة محمد ﷺ فأنزل عليه الكتاب لِمَا صار في قلبه من الحنان والعطف والرحمة بالخلق، وأن إنساناً لا يولّي إنساناً في وظيفة جزافاً بل بحسب أهليَّته فكيف برب العالمين. رب العالمين عليم بكم أيها المؤمنون وبكل نفس، فمتى آن الأوان فالله سبحانه يعطيها ولكن أنتم اعملوا.

٣- ﴿**غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ**﴾: يمحو من النفس ما علق بها إن هي أقبلت عليه، لابدَّ وأن يغفر الله للإنسان فيجب ألا يلجّ. الذنب هو الشهوة الخبيثة العالقة بالنفس وهذه لا تزول إلا بالصلة به تعالى بعد الإيمان. ﴿**وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ**﴾: يقبل الله سبحانه التوبة. إذا وقع الإنسان بالمعاصي ثم تاب فآمن ثم صلَّى والتجأ إلى الله فهنا تُقْبَل توبته إن أراد التوبة، إذ التوبة لا تتم إلا بعد الصلاة، تارك الصلاة ملعون. ﴿**شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ**﴾: **شديد:** لأن المعرض إذا وقع فدواؤه شديد، ومن وراء هذه الشدة خير عظيم كما حدث لبني إسرائيل: (**وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ**)[1] . أي عظيم خيره عليكم لأنهم كانوا مستغرقين

١)- سورة البقرة: الآية(٤٩).

﴿..ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾﴾

بالدنيا، وبهذه الشدائد التفتوا إلى الحق وساروا مع رسولهم الكريم موسى عليه السلام، **العقاب:** يتعقَّب الإنسان على كل عمل أو قول أو خاطر، فهو سبحانه مُعَقِّبُك أينما سرت. ﴿**ذِى ٱلطَّوْلِ**﴾: يده سبحانه تطول كل شيء، صاحب قوة لا نهاية لها وهذا الكون لا يذكر أمام قوته، يده طائلة بالإحسان والمعالجة؛ يضيّق على من شذّ ويحسن لمن أحسن، وإذا لم يرجع من يعالجه سبحانه عندها يأخذه. ﴿**لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾: مُسيِّر الكل، لا يوجد غيره مُسيِّر لهذا الكون، الإنسان، الحيوان، الشمس والقمر والشجر، الأراضي، كلّها بيده سبحانه يُسيِّرها، كذلك الجن وشياطينها، فلا تخشَ أحداً أيها الإنسان، إن كنت مستقيماً طاهراً فلا سلطان لأحد عليك كلّه بيده سبحانه وتعالى، إن شذّ الإنسان يداويه ليتوب. ﴿**إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ**﴾: الرجوع.

٤ــ ﴿**مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟**﴾: لا يعرف الخير مما في الكون من أعرض عنه "تعالى"، الكافر الذي ما فكَّر وما عظَّم الله تذكر له الآية فيجادل فيها مع أنها ظاهرة. كل من لم يؤمن بلا إلـه إلا الله إيماناً شهودياً لابد وأن يجادل، حيث أنه لا يعرف ما في الكون من خير بسبب كفره وإعراضه عن الله. ﴿ **فَلَا يَغْرُرْكَ**﴾: لا تطمع بهدايتهم. ﴿**تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ**﴾: ما يصلون إليه من مراتب في الدنيا، عن قريب يزول سلطانهم. فما هم فيه من مناصب ورتب وجاه كله سيزول من هنا بحياتهم الدنيا، نهايتهم تعيسة: أمراض وآلام وعذاب... (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا..**) [1]. هؤلاء سوف يأتيهم من العذاب من الآن بالدنيا وعند الموت ينزل بهم عذاباً لو نزل بأهل الأرض جميعاً

١)- سورة طه: الآية (١٢٤).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾

لأهلكهم، وكل هذا رحمة من الله بهم ليتحوَّلوا عمَّا بهم من عذاب نفسي لا يطاق.

٥- ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ**﴾: كذَّبوا رسولهم كما يكذبونك الآن. ﴿**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ**﴾: يريدون أن تكون الأمور على هواهم لا على هوى رسلهم العالي الربّاني في السير بالحق والفضيلة لذلك همَّت كل أمة برسولها. ﴿**وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ**﴾: جعلوا لغير الله فعلاً بهذا الكون، لَحِقوا "المخلوق" من لا فضل له ولا يخلق ولا ينزل مطراً، وتركوا الخالق الرزّاق. ﴿**لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ**﴾: لا يريدون الحق والسير به ولا أن تسير الناس عليه، لذلك قاموا يحاربونه خوفاً على دنياهم. ﴿**فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾: ماذا حلَّ بهم أخيراً.

٦- ﴿**وَكَذَٰلِكَ**﴾: هذا قانون لكلِّ من مالَ للدنيا وشهواتها ولم يطلب الله وجادل بالحق. ﴿**حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ**﴾: يعطيه الدنيا وشهواتها. ﴿**عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ**﴾: كفرهم يجرّهم إلى العمل المنحط. ﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ**﴾: عملهم المنحط عاد عليهم بهذا المصير، عاد عليهم بالنار.

٧- ﴿**ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ**﴾: يحملون التجلِّي الإلٓهي، الرسل يحملون الفيض الإلٓهي ودوماً الله متجلِّي عليهم. ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُۥ**﴾: المرتبطون بهم. ﴿**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ**﴾: يُسبِّحون الخلق، يبيِّنون للخلق حنان الله وفضله ويؤمنون به، لَمَّا يسمع الخلق عنهم يؤمنون به سبحانه، كذلك هم يَسْبَحون بفضل الله ويحمدونه. ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾: يدلُّون المؤمنين

﴿..رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ..﴾

على المغفرة،إذا ارتبطت أيها الإنسان بهم ودخلت معهم على الله يحصل لك الشفاء النفسي وهو المراد بالمغفرة. ﴿رَبَّنَا﴾: لسان حالهم يقول: ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾: يتمنون لهم ولجميع الخلق الخير والنجاة من النار.

٨ـ ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: جنات دائمية. ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴾: بها على رسلك. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: يطلبون لهم الشفاء ويُفوِّضون لله الأمر لأنه عزيز حكيم، كل الخير منه سبحانه ويعامل الخلق بالحكمة وبما يناسبهم.

٩ـ ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: في الدنيا، أهل الإرشاد لمَّا يدخلوا بمن معهم على الله لسان حالهم هكذا يقول: استرهم يا رب عن فعل السيئات لئلا يدخلوا النار. ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: المؤمن لا يقع بالسيئات وبالإيمان يُوقى الإنسان من الوقوع فيها. ﴿ يَوۡمَئِذٖ﴾: يوم القيامة. ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾: الذي ما عمل السيئات جرَّ لنفسه الرحمة. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: بالجنّة ونعيمها.

١٠ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ما فكروا، ما آمنوا بلا إله إلا الله، الله سبحانه أرسل لهم رسلاً وأنبياء يدلُّونهم وملائكة دوماً ينادونهم، وخَلَقَ لهم الكون ليفكِّروا به ويؤمنوا بربهم، لكن هم ما فكروا ولا آمنوا حتى ينقذوا أنفسهم من العذاب، هؤلاء حين الموت ويوم القيامة تتكشف لهم حقائق نفوسهم ويرون ما ارتكبوا من أعمال سيئة فيمقتون ما وصلوا إليه من حال سافلٍ وقذر. ﴿يُنَادَوۡنَ﴾: غداً

﴿..لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ..﴾

يوم القيامة. ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: يمقت تعالى هذا العذاب لكم وأحوالكم أكثر مما تكرهون ذلك لأنفسكم لأنه رحيم بكم، كذلك مقت الله لأعمالكم. كم أنتم متألِّمون من أنفسكم فقد كان تعالى لا يرضى لكم هذا الحال في الدنيا. ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾: في الدنيا. ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾: أهكذا فعلتم! حتى صرتم إلى ما صرتم إليه، جاءتكم رسلٌ ودعوكم للإيمان بالله تعالى لتسعدوا وتخلصوا من حالكم هذا فما آمنتم وكفرتم بهم.

١١- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: هذه الآية إثبات عالم الأزل.

الموتة الأولى: حين وُضِعت النفس في ظهر آدم عليه السلام.

الموتة الثانية: ثم حين أعرضت النفس بالشهوات في الدنيا.

الموت هو الانقطاع عن الله تعالى، بالأزل كانوا بحياة وصلة مع الله وسبحانه متجلٍّ عليهم بالحياة والأنوار ولمَّا واثقهم الله وهم واثقوه بعدم الانقطاع عنه سبحانه خانوا عهدهم وغاصوا بلذائذ الشهوات فانقطعوا عن ربهم مصدر الحياة وماتت نفوسهم حينها. ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ﴾، نسبوا موتهم لله مع أنهم هم أماتوا أنفسهم باختيارهم الشهوات وظنهم بالله ظن السوء كظن إبليس حين قال لربه بما أغويتني، نسب الغواية لله ولم ينسبها لنفسه وهؤلاء كذلك من الأزل ظنهم بالله ظن السوء ورغم انكشاف الحقائق لهم في الآخرة ينسبون السوء لله تعالى، السبب انكشفت لهم حقائق الأمور لكن ما انكشفت لهم الحضرة الإلٓهية وما شاهدوا أسماءه تعالى الحسنى فما عرفوا شيئاً عنه سبحانه وظل هذا الظن بالله يساورهم لذلك يقال لهم في الآخرة: (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ

﴿..وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ..﴾

أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) (١)، (..ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ..) (٢). **عودٌ على بدء:**

قَالُواْ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: كذلك في بطن الأم كنت جنيناً أيها الإنسان لا عمل لك وفي القبر أيضاً سحب تعالى الروح من الجسم فتوقفت حركته. في بطن أمنا كنا ضعفاء لا عمل لنا، وكذلك في الآخرة. **﴿وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: الحياة الأولى:** في عالم الأزل، في الأزل أعطى الله الإنسان حرية الاختيار وكان بشهود لحضرة الله. **الحياة الثانية:** وكذلك بالدنيا أحياهم بواسطة الجسم حيث استعادت النفس بصرها وسمعها وذوقها لترجع إلى ما كانت عليه وتتصل بربها. **﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾**: عدم تفكيرنا ببدايتنا ونهايتنا جعل شهواتنا الدنيوية تبعدنا، اعترفوا بعد أن شاهدوا أعمالهم بواسطة الملائكة، مجرم اعترف ولكن هل يغيّر ويتوب؟ الله يقول: **(..وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ)** (٣) . **﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾**: هل من طريق لخلاصنا مما نحن فيه.

١٢- ﴿ذَٰلِكُم﴾: ظنكم السوء بالله وعدم تفكيركم جرّكم للّحاق بشهوتكم وما أخرجتم الشهوة من نفوسكم. **﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾**: لطاعته. **﴿وَحۡدَهُۥ﴾**: أي بيده سبحانه كل شيء ولا حول ولا قوة إلا به. **﴿كَفَرۡتُمۡ﴾**: بهذا ما صدقتم وأنكرتم. **﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾**: أي أن هناك مِنْ فعّال غير الله ومسيّر. **﴿تُؤۡمِنُواْ﴾**: تؤمنون بالشرك أن لفلان فعل يرزق ويعطي ويمنع والطبيب يشفي،

---

١)- سورة فصلت: الآية(٢٣).

٢)- سورة الفتح: الآية(٦).

٣)- سورة الأنعام: الآية(٢٨).

﴿..فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾.﴾

وفلان يقتل ويسجن، وأن بهذا الكون ظلم... ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾: الحكم له سبحانه. الحول والقوة والأمر لله المسيّر، الذين أشركتم بهم بحاجة إلى من يطعمهم ويسقيهم، لا فعل ولا حكم لهم. فلِم أشركتم به ومنه تعالى كل شيء. ﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾: مهما شاهد الإنسان من فضله ورحمته فهو أعلى وأعلى لا حدّ لعلوِّه وهو أكبر وأكبر. وهذا يشاهده الإنسان في الصلاة.

١٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: يريكم آياته لتؤمنوا به سبحانه أنه المسيّر الفعّال فلا تقعوا بالشرك ولا تكفروا. هذا دليل واضح لتؤمنوا بلا إلَه إلا الله فتقبلوا عليه ويشفيكم ثم يمدّكم بالخيرات. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ا﴾﴿رِزۡقٗا﴾: الرزق من السماء، حياة النباتات والمزروعات وروحانيتها من السماء، في الأمطار مواد الحياة على الأرض مثل الفيتامين، فلو سقي الزرع بماء الأنهار فقط دون أن ينزل المطر، لنبت الزرع بلا ثمر، ما حالك عندها، فانظر فضل الله عليك. عندما تفكر بهذا وتستدل على الله تتذكر. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: إن لم ترجع إلى أصلك لا تتذكر، أصلك نطفة إن فكر الإنسان بهذه النقطة يرى فضل الله عليه ويشاهد ضعفه فيتنازل عن كبره وإعراضه فيؤمن ويتذكر حاله الأول نفساً مجردة ويرجع إلى جنّته في عالم الأزل ويزداد بعد ذلك بالجنات في الدنيا والآخرة.

١٤- ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾: يا مؤمنين اطلبوا منه سبحانه الشفاء. ﴿مُخۡلِصِينَ﴾: يجب أن تكون دعوتك خالصة لله لا لغاية. ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الخضوع للحق و لله وحده، الميل الحق له سبحانه، لا تشارك بأمره أحداً. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: لا يهمّكم أحد، لا تنشغلوا بهم. ليس لأحد سلطان

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥..﴾

على المؤمنين. "**المؤمن الله وليّه**".

١٥- ﴿**رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ**﴾: ليس لعطائه وجناته نهاية مهما قلت عنه سبحانه عظيم فهو أعظم وأعظم ومهما قلت رحيم فهو أرحم وأرحم ومهما قلت أوّل فهو أوّل وأوّل وليس له حدّ ولا نهاية، كل هذا يراه المؤمن بمعيَّة رسول الله ﷺ فعندما يُدخِل ﷺ المؤمن على الله يشاهد هذا المؤمن مشاهدات من أسمائه تعالى الحسنى وجماله وبهائه ما يصعق نفسه ويظن هذا المؤمن أنه لا يمكن أن يشاهد أكبر منها، لكنه عندما يُقدِّم أعمالاً صالحة عالية ثانية يشاهد مشاهدات أكبر من الأولى فيعلم أن الله سبحانه لا حدّ ولا نهاية له، وكل هذا يشاهده المؤمن في الصلاة. ﴿**ذُو ٱلۡعَرۡشِ**﴾: هو سبحانه صاحب الفيض يفيض عليك بالخيرات. ﴿**يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ**﴾: يلقي تعالى "التجلِّي الإلَهي" الحياة والإمداد والإلهام، كل من صدق ألقى الحقَّ في قلبه وجرى على لسانه وأمدَّه الله بحياةٍ قلبيةٍ وتجلٍّ عالٍ. للجسد روح موجودة ومركونة بكل كائن حي وللنفس روح، هذه الروح للمكلَّفين الناجحين من الإنس والجن فقط وهي روحانية عظيمة تأتي حين إقبال النفس على الله وبها يشاهد المؤمن حقيقة النبوة العليا ويشاهد الحكمة من كل أمر وينطبع القرآن بنفسه، حتى ولو لم يفكر تأتيه تجليات وأنوار ومشاهدات لأسمائه تعالى الحسنى ينزلها الله بقلب المؤمن فلا يبغي عنها حولاً وهي غير محصورة بأُناس دون آخرين بل هي لكلِّ طالب لها صادق بطلبه. ﴿**عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ**﴾: المشيئة هنا للإنسان كل من شاء يعطيه الله، كل من أراد الحياة وتوجَّه إلى الله بطلبها ألقاها عليه. ﴿**لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ**﴾: يوم القيامة، يوم يتلاقى الإنسان مع من خلقه وربَّاه، فاحذر أن تقابله وأنت على غير الإيمان

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

وليس معك شيء من الأعمال الصالحات.

١٦- ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: بارزون بأعمالهم، كلّ إنسان تظهر أمامه أعماله مكشوفة بين يديه. زالت عنهم حجب شهواتهم فتبدَّت الحقيقة سافرة أن المُلك له تعالى ولا إلَه سواه. ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞ﴾: وهم يشاهدون ذلك، أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء. ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: اليوم قولوا وأقِرُّوا لمن الملك في الدنيا، في البرزخ، في القيامة. ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾: عندها يجيب الله الواحد القهار. المؤمن يجتهد ليرى ذلك في الدنيا. ﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾: الكامل الوحيد، لا يوجد غيره كامل وما من إلَهين اثنين إنما إلَهكم إلَه واحد. ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾: معنى اسم القهار أي أن الله أعطى لعباده حرية الاختيار لكن وإن كان لهم الخيرة والاختيار إلا أن تسييرهم إلى ما اختاروا من عملٍ بيده سبحانه فمنه الحول والقوة والإمداد، فالظالم يُسلَّطُ على ظالم مثله كان قد ظلم من قبل والسارق لا يتسلط ولا يسرق إلا مِن مُستحِق سارق مثله والمال الحلال يحفظه الله تعالى، كذلك المرأة الطاهرة التي لا تريد الحرام لا يستطيع أحد أن يتسلَّط عليها ولو اختار ونوى فالله يمنعه ولا يقع اختياره إلا على امرأة طلبها الزنى مثله. (ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ.) [١]. والله حَرَّم الظُّلم على نفسه وجعله مُحرَّماً بين الناس، فالله سبحانه لا يسلِّط أحداً على أحدٍ غير مستحق فإذا اعتدى قوي على ضعيف وتمكن منه يكون هذا الضعيف معتدٍ على أضعف منه. فكلّ ما قيل عن أذيَّة السادة الأنبياء وتعذيبهم لا أساس له وحاشا لله أن يجعل لأحد عليهم

١)- سورة النور: الآية(٢٦).

﴿..ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ ..﴾

سلطاناً، وكلها من الدسوس لا أصل لها والله مانع رسله.

١٧ـ ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَ﴾: كل إنسان وعمله إن كان عمله صالحاً فإلى الجنة وإن كان غير ذلك فإلى العذاب والنار، ما تعمله اليوم تلقاه غداً فلا شفاعة هناك إن لم تحصل لك صحبة مع رسول الله ﷺ في الدنيا وشفاعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: بلحظة يحاسب الخلق هذا للجنة وهذا للنار، يسرع في حسابهم يوم القيامة، فمن أين أتى قولهم أن الناس يقفون في ذلك اليوم ألوف السنين، والله سريع الحساب؟! لو أوقف طبيبٌ مريضاً بباب داره مدة فما يقال عنه؟.

١٨ـ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾: يا محمد ﷺ. من عطفه وحنانه تعالى علينا يحذِّرنا من هذه الوقفة المخزية غداً بين يديه، ويقينا من تلك الحسرة التي تنتاب يومئذ قلوب المجرمين. ﴿يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: يوم خروج الروح، حين الموت يُزَفُّ لله. ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾: الخرخرة، الروح عند الحلقوم. ﴿كَٰظِمِينَ﴾: لا يستطيع الإعراب عمَّا في نفسه من الألم، لا يستطيع الكلام للتعبير عمَّا يشعر به من ألم، ومتى زال البصر انكشفت الحقائق، يرى البلاء فيصيح نفسياً لذلك لا يُسمع صوته. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾: ساعة الموت يبكون، ولكن ليس لأحد فعل.

١٩ـ ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾: طرفة عينك أيها الإنسان. ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾: وما يدور بخلدك من أفكار وخواطر ونوايا يعلمها الله.

٢٠ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي﴾: يحكم. ﴿بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ

﴿..بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت
تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

بِشَىْءٍ﴾: العبد مثلك مملوك لا فعل له ولا يعطي ولا يمنع فكيف تسلِّم نفسك له وتترك ربك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ما في غيره. ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لِمَا تطلبونه. ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بكم.

٢١ـــ ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ليفكِّــروا. ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ما هي نتائج مَنْ قبلهم لَمَّا ما ساروا بالحق!. ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: الملوك، الرؤساء الذين حكموا العباد والبلاد ما حَلَّ بهم بعدها؟. ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ما تركوا من قصور وغيرها. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عادت عليهم شهواتهم الخبيثة بالهلاك. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من يستطيع أن يدفع عنهم البلاء؟ لا أحد.

٢٢ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾: ما أصابهم وحَلَّ بهم من عذاب وهلاك، سببه: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بيَّنوا لهم كل شيء، بيَّنوا لهم طريق الإيمان والنجاة. ﴿فَكَفَرُوا۟﴾: ما ساروا بكلام الله، كفروا وأنكروا دلالتهم وبيانهم عن الله. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بالمصائب والعلاجات علَّهم يرجعون للحق، لَمَّا ما رجعوا ماتوا وتركوا دنياهم وشهواتهم. ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: يتعقَّب الإنسان المذنب ليحاسبه ويداويه.

٢٣ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾: أرسلناه لقومه رسولاً كما أرسلناك إلى قومك رسولاً. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جاءهم بالنصائح، دلَّهم على الله والإيمان به تعالى ليخلصوا من فسقهم وضلالهم. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: معجزات ظاهرة مكشوفة، أيَّدناه

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

بالمعجزات: العصا، اليد يضمّها عليه السلام إلى جناحه تخرج بيضاء... وغيرها من المعجزات الأخرى.

٢٤- ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾: إلى فرعون وجماعته ليؤمنوا بالله، أرسله ليدخلهم بالسعادة، يخرجهم من الظلمات والشقاء إلى النور. ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾: كذّبوا لأنهم ما رجعوا لبدايتهم وما فكروا بنهايتهم، بدل أن يؤمنوا قالوا هذا، اتهموه بالسحر ليموّهوا على أنفسهم.

٢٥- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾: بالبيان العالي، بكلام ربِّه المنزَّل عليه. ﴿مِنۡ عِندِنَا﴾: لو آمنوا لشاهدوا كلامه من عند الله صاحب الرحمة والحنان بهم والمتجلِّي بأسمائه الحسنى عليهم. ﴿قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: بدل أن يتوبوا ويسيروا بالحق راحوا يقتلون أبناء بني إسرائيل. ﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡ﴾: خذوا نساءهم ليكون النسل لكم. ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: مهما كادوا لردّ الحق سيفشلون وسيعلو الحقُّ على الباطل وأهله.

٢٦- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾: خاف على ملكه أن يزول عنه. ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾: يغيِّر ويبدِّل ما أنتم عليه الآن من قوانين عظيمة تسيرون عليها وقد ورثتموها عن آبائكم العظماء، كلّ هذا ليكسب الرأي العام والحاشية. ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾: التفرقة، يُفرّقنا بكلامه، عرف فرعون ما لكلامه عليه السلام من تأثيرٍ قوي، فقال هذا مع أنه عليه السلام ما جاء إلا ليجمعهم بالله ولسعادتهم فقط.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ
٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن
يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ..﴾

٢٧ــ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾: لا أحد له فعل غير الله سبحانه، إني معتزٌّ بالله فافعلوا ما تشاؤون فلن يصيبني إلا ما أذن الله فيه. ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾: يرى نفسه كبيراً ولا يفكر. ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾: يوم القيامة.

٢٨ــ ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾: المؤمن فقط عند الشدة يظهر ويقف موقف الحق، هذا المؤمن من آل فرعون أي من الأقباط، كتم إيمانه عنهم لكنه بهذا الموقف ظهر مدافعاً عن موسى عليه السلام ضد فرعون وآله، لم يبالِ بأحدٍ منهم ولم يخف على مصيره، فَدى بنفسه في سبيل نصرة الحق. ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾: المؤمن قال لهم: موسى ليس له طلبٌ غير الله لم يطلب ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً، فقط طلب من فرعون أن يرسل معه قومه بني إسرائيل، لِمَ تقتلونه ولم يقل شيئاً يستحق عليه القتل، وما هو الذنب الذي جناه؟! ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: جاءكم بدلالة عالية منطقية بيّنة، كذلك جاءكم بالمعجزات وأنتم شاهدتم ذلك بأعينكم. ﴿مِن رَّبِّكُمۡ﴾: وكان معلوماً عند فرعون وجماعته أن الله خالق الكون لكنهم كانوا ناكرين أنه المربي. ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا﴾: خاطبهم حسب مفهومهم، إذا كان كاذباً يأخذ قومه ويرحل، هو طلب بني إسرائيل، ليس له مطمع، وإذا ذهب ماذا يضرّكم!. ﴿فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾: العائد عليه، وسينكشف. ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾: نخاف أن يصيبنا مما يقول. وكان عليه السلام قد تكلم معهم عن الإيمان بالله ونتائج تكذيبهم عليهم إن لم يؤمنوا وما سيحدث لهم وسيصيبهم في

﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ
ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ﴾

البرزخ والآخرة من آلام وعذاب، المؤمن من آل فرعون كرَّر على قومه ما قاله موسى ﷺ وبيَّن لهم؛ أن ما يصيبكم الآن من شدائد وعذاب هو بعض الذي وعدكم به موسى من بلاء الدنيا وهذا كلّه لا يُذكر أمام الموت. وقد أرسل لكم الله القمل والجراد والدّم والضفادع، لو ظلَّ عليكم القمل والجراد... ماذا تعملون؟! كم أنقذكم، وإلى الآن لم يطلب غير بني إسرائيل. وهذا دليل صدق كلامه وأنه على حق. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾: طبع المسرف ردّ الحق. لقد أصغى قوم فرعون حينما تكلم ذلك الرجل لأنه منهم ويعتمدون عليه ولكن موسى غريب عنهم، ثم أن الله تعالى القادر أعان موسى برجلٍ من قوم فرعون فقاوم الاثنان أمَّة بجملتها وذلك أن الله بيده مقاليد الأمور وهو القاهر القادر ولا حول ولا قوة إلا به.

٢٩ـ ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كان لفرعون يومئذ كيان وسيطرة على كل من حوله من الأمم وكذلك على قومه. ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾: هل يستطيع أحد ردّه؟. ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: تسيرون كما أقول واحذروا مخالفتي. ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: كل كافر يرى الضلال رشاداً ويسير عليه ويريد غيره أن يسير عليه.

٣٠ـــــ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: الذين تحزَّبوا ضدّ الله ورسله، أخاف عليكم أن يصيبكم ما أصابهم من هلاك، إن وقفتم ضد موسى ﷺ يأتيكم الهلاك.

٣١ـ ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ

﴿..ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ..﴾

ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾: لذلك أرسل الله من يرشدكم ويدلّكم على الخلاص.

٣٢- **﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾**: يتنادون ساعة البلاء من خوفهم.

٣٣- **﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾**: تعدون هاربين. **﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾**: ساعتها، لا أحد يخلصكم. **﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾**: من لم يؤمن بلا إلٓه إلا الله ما له خواص [1]، فارجع لبدايتك ونهايتك حتى ترى التربية ومنها تصل إلى لا إلٓه إلا الله وتشهدها.

٣٤- **﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾**: جاءهم بكلام الله وبيانه كما يُبيِّن لكم الآن موسى ﷺ كلام ربِّه. **﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾**: مات حزناً وألماً وإشفاقاً عليكم، سيدنا يوسف نبيٌّ دائماً متنبِّئ من ربه بالحق، شاهد عليه السلام بزمنه ضَعْفاً في قومه وشاهد أن هذا الضَعْف سوف ينعكس على مَنْ سيأتي مِنْ بعدهم "ذريَّتهم" ويضعفون أيضاً، رسول الله ﷺ قال: « **شيّبتني هود وأخواتها..** » [2]، أما عن أصحابه فقد كان راضياً. **﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾**: الناس يقدِّسون فلاناً بعد موته لأنه لا ينهاهم عن شيء ويعارضونه في حياته لأنه ينهاهم عن شهواتهم. هؤلاء قوم

---

١)- من لا يؤمن بلا إلٓه إلا الله ما له خواص: "خواص كلمة عامية شائعة" تفيد المعنى هنا: أن لا فائدة فلابد أن يتراجع وينتكس عن طريق الحق من لا يؤمن بلا إلٓه إلا الله.

٢)- المعجم الكبير رقم/٥٨٠٤/.

﴿..كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا..﴾

فرعون قالوا عن سيدنا يوسف بعد انتقاله "لن يأتي الزمان برجلٍ مثله بالكمالات"، أمَّا بحياته عليه السلام أجدادهم ما عرفوا ذلك لأنه لَمَّا كان معهم خافوا على شهواتهم ومكانتهم فقاوموه لكن بعد موته ذهبت المنافسة. هذا ما قاله المؤمن وذكَّرهم به. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾: مَرَّ بالدنيا وما رجع لبدايته ونهايته، يمر ولا يؤوب.

٣٥ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يُنكرون تسيير الله لها وينسبون الفعل لغيره تعالى، أنكروا أن تكون الأمور كلها بيده سبحانه. ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾: لا دليل لهم على قولهم هذا. ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا يريد لهم الله ذلك الشرك لأنه يحرمهم من الخير الذي أعدَّه لهم ويحرمهم من السعادة والجنة في الآخرة. ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وكذلك الذين آمنوا يتأثرون عليهم. ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾: تكبُّره بعدم تفكيره ببدايته ونهايته جعل عنده جبروت فصار عنده خبث كثير.

٣٦ـ ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ﴾: سيدنا موسى والرجل المؤمن استطاعا أن يؤثرا في فرعون، غلب الرجل المؤمن فرعون بالمنطق والحجّة وأثّر فيه إذ كان من قومه، وكان محبوباً ومقرّباً لديهم وصاحب حكمة ورأي، وبرابطته بسيدنا موسى أصبح تأثيره رهيباً عليهم مما جعل فرعون يطلب الإيمان، لذلك طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحاً. ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾: منظاراً أرى به السموات وهذا دليل على مبلغ ما وصل إليه الفراعنة من علم، وهذا المنظار يتوضَّع في غرفة من الزجاج الصافي "مرصد" لتحمي فرعون من البرد ليلاً لأنه رجل كبير

﴿..لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾

بالسنِ. ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾: أسماء الله الحسنى، فرعون يعرف أن الاستمرار بملكه والوصول إلى غاياته لا يكون إلا إذا سلك بقوانين الآخرة، عرف هذا حين دلّه سيدنا موسى على الله.

٣٧- ﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من يُنزل المطر ويدير أمر الكون، الوصول لله لا يكون إلا عن طريق التفكير بالسموات. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: لا يمكن للمرء أن ينكر وجود الله مهما تعالى وتكبّر، سيدنا موسى كان ابن فرعون بالتبني وله تأثير كبير على فرعون وقد نال فرعون من موسى عليه السلام أحوالاً عالية وشعر بمشاعر النبوّة [١] عن طريقه عليه السلام لذلك طلب الإيمان بالله. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾: استدرك فرعون فكذَّب زعمه، تلافى قوله خوفاً على الملك لَمَّا وقفت الحاشية ضدّه، إذن فالإقرار يحصل من الجميع لكن ذلك لا يعني شيئاً إذ لابدّ من العقل النفسي أي الشهود. ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: شهوته غلبت عليه، حبُّ الملك والسيطرة. ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: من قبل حاشيته، فخاف. ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾: تدابيره لم تغن عنه شيئاً، خسر خسراناً كليّاً أبديّاً، فهو لم يستطع دحض الحق بمعارضته وإجرامه وعادت عليه تدابيره بالخسران، في الدنيا خسر ملكه وهلك، وفي الآخرة خسر ما أعدَّه الله تعالى له من جنات ونعيم فأصبح من أهل النار والخالدين فيها.

---

١)- مشاعر النبوة: شعور القرب من الله تعالى وما ينال المرء الذي يتقرَّب من السادة الأنبياء أو يقدّرهم أو يحبّهم من مشاعر عالية "أذواق أو بوارق أو مشاهدات علويّة" عن طريقهم من الله تعالى، وهذه الأحوال العالية لا تحدث إلا بصحبتهم أو بحبهم والقرب منهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا
هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا
تُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى
ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾

٣٨ـ الآن بيان للدعوة إلى الله وكيفية التدرُّج بها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ﴾: بما أبيّنه لكم من كلام الله. ﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طريق السعادة والنجاة.

٣٩ـ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾: مدة مؤقتة وستتركونها بالموت، الدنيا قليلة بالنسبة للآخرة. ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾: إن آمنتم وعملتم صالحاً تدخلوا الجنة وتستقروا بالنعيم الأبدي الذي لا نهاية له.

٤٠ـ ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا تُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾: يعود عليه عمله بالسوء على قدر ما عمل. ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾: حتى يكون العمل صالحاً؛ شرط الإيمان، ذلك لأن لكلّ عمل غاية في نفس فاعله ولا تصلح النيَّة إلا بعد الإيمان حيث يرى المؤمن ربَّه ناظراً إليه متجلّياً عليه بعطائه لذلك يعمل لله وليس له غايةٌ إلا رضاءه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: بسبب ما قدَّموا من أعمال صالحة عالية. ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: عطاءات لا نهاية لها على نواياهم العالية.

٤١ـ ﴿۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: بالإيمان تنجون من العذاب وتدخلون بالسعادة وتنالون الجنات ذلك بما تقدمونه من أعمال صالحة إنسانية. ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: بالمعاصي والشهوات الخبيثة يقع الإنسان بجهنم ويدخل النار.

﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ..﴾

٤٢ـ ﴿**تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ**﴾: المسيّر لكل شيء. ﴿**وَأُشۡرِكَ بِهِۦ**﴾: أن أجعل للمخلوق فعلاً وحولاً وقوة! ولا فعّال غيره سبحانه. ﴿**مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ**﴾: المؤمن رأى ربَّه ورأى تسييره ولذلك لا يرى لمخلوق فعل مع الله. ﴿**وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ**﴾: كل الخير منه سبحانه، به تعالى تنالون عِزَّ الدنيا والآخرة. ﴿**ٱلۡغَفَّٰرِ**﴾: الشافي لأنفسكم من عللها وأمراضها وشهواتها الخبيثة، كل هذا رحمة منه لتنالوا سعادة الدارين.

٤٣ـ ﴿**لَا جَرَمَ**﴾: هل من شيء قليل يُثبت خلاف هذا؟! هل هناك أي دليل صغير يُثبت أنَّما تدعونني إليه له دعوة، أي له فعلٌ؟!. ﴿**أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا**﴾: ليس له حقيقة ولا يوصل للسعادة بل للشقاء والإجرام والنار، مخلوق مثلهم لا حول له ولا قوة. لا فعّال إلا الله ولا أحد يمدّك سواه. ﴿**وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ**﴾: بالشرك لا ينال الإنسان الجنة بل النار مثواه. ﴿**وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ**﴾: جميعاً. ﴿**وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ**﴾: الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والفواحش.﴿ **هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ**﴾: لهم النار في الآخرة علاجاً ودواءً.

٤٤ـ ﴿**فَسَتَذۡكُرُونَ**﴾: في الآخرة وتعضون بنان الندم. ﴿**مَآ أَقُولُ لَكُمۡ**﴾: ما أرشدكم إليه الآن، ستعلمون في الآخرة أنه الحق. ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ**﴾: هو المتوكل بي وبكم. ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ**﴾: يعطي كل إنسان حقه.

٤٥ـ ﴿**فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ**﴾: من محاولتهم قتله، لم يستطع

﴿..وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

فرعون وجنوده أذاه بل نصره الله عليهم جميعاً. لا إلَه إلا الله، الكل بيده سبحانه، القرآن كله للدلالة على لا إلَه إلا الله وأن الفعل بيده سبحانه، كل شيء بيده تعالى المؤمن والكافر والضعيف والقوي، إن آمن الإنسان بها خلص من الشرك.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: غرقوا جميعاً وماتوا وتدمَّرت بلادهم.

٤٦- ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾: الكافر يرى ساعة موته مصيره المحتوم كما يرى المحكوم عليه بالإعدام المشنقة أمام عينه. ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾: يرون العذاب في الليل والنهار مثل المحكوم عليه بالإعدام يرى حبل المشنقة كلما أفاق وكلما أغفى. ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يوم القيامة. ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾: لما فيهم من آلام وأوجاع شديدة.

٤٧- ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾: الكل يضع اللّوم على غيره، يلومون بعضهم بعضاً. ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾: الذين كانوا تبعاً لغيرهم. ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾: لرؤسائهم. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾: في الدنيا سرنا بأمركم. ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: تحملون عنا شيئاً من عذابها؟.

٤٨- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾: الذين وضعوا القوانين وأمروا الناس بالسير بها وسيّروهم عليها، وهم لخبث نفوسهم رضوا بها واتبعوها لأنها تناسب هواهم وتحقق لهم شهوات أنفسهم، الخبيث يتبع الخبيث والطيب يتبع الطيب. ﴿إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾: بالنار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾: لابدّ منها، يميل

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

كلٌ حسب ما في نفسه من شهوة إلى أمثاله، لو لم يكن أولئك المستضعفون في الفساد مثل فرعون لم يتَّبعوه لذا فقد حكم الله عليهم جميعاً بالنار جزاء أعمالهم.

٤٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾: أهل النار. ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: خزنة جهنم وليس النار وهم الملائكة الذين كانوا معهم بالدنيا "الرقيب والعتيد"، هذان الملكان [١] يَعرضان لهم أعمالهم السيئة التي قاموا بها في الدنيا علاجاً لهم لكي يروا أن ما آلوا إليه من مصير هم كانوا السبب فيه ولا علاقة لأحدٍ به، وهذه الحقيقة تخفِّف عنهم الكثير من آلامهم. وجهنم إنما هي الحال الذي تعيش فيه النفس جرّاء فقدانها كل شيء بعدما رجعت لفطرة الكمال، أي جرّاء فقدانها الجاه العظيم الذي كانت ستناله بطاعتها لربِّها وإيمانها به، فلقد خسرت مشاهدة وجه الله الكريم والجنات، فلَبِسَها حالُ الخسارة والعار، وأعمالها الإجرامية باتت ماثلة أمامها وأمام الخلائق وبذا تحترق بنار الحسرة والندامة فلا تجد إلا حريق النار، نار الله الموقدة نار الرحمة لتطفئ النار التي في هذه النفس. الملائكة يرون ما تحتاج هذه النفس من علاج فيخزِّنون فيها وسائل المداواة. ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾: إلى الآن متكبِّرون على الله، قالوا للملائكة ادعوا لنا ربكم ولم يقولوا ربَّنا كل هذا لأنهم ما آمنوا بالبداية ولا النهاية. ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: التخفيف من الذي نؤم إليه، أي فترة مؤقتة نرتاح بها من النار. عملياً التخفيف حاصل بنار الله الموقدة، ولكن لطالما أن النار "نار الله الموقدة" هي لتخفيف نار الحسرة والندامة وألم الخسارة والعار، فَلِم يطلبون التخفيف يوماً من العذاب، أي يطلبون تخفيفها؟

١)- جاءت الصيغة للتعبير عن الرقيب والعتيد بصيغة الجمع "الملائكة"، "هؤلاء": حيث لكل إنسان رقيب وعتيد وبالتالي فخزنة جهنم هم مجموعة الملائكة "الرقيب والعتيد" لكل الناس الذين دخلوا النار.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا..﴾

في الحقيقة إن المعرض رضيَ بالنار ومع ذلك فآلامها لا تُحتمل، مَثَلُ المتألِّم الذي طلب عملية لخلع ضرسه دون مخدِّر فهو يصرخ من الألم ويطلب التخفيف، وكذلك حال الذين في النار.

٥٠ـ ﴿قَالُوٓاْ﴾: الملائكة لهم. ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: تُبيِّن لكم أن الدعاء لا يجدي إلا من نفس صاحبه بعد أن يُقْبِل على الله ويطهر، أما جاءكم رسل ومرشدون دلُّوكم على الله. الملائكة لفتوهم لرسلهم عسى أن يتوجَّهوا لهم فيخلصوا من هذا الحال. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: جاءنا رسل وبيَّنوا لنا. ﴿قَالُواْ﴾: الملائكة ﴿فَٱدۡعُواْ﴾: أنتم اطلبوا منه تعالى بواسطتهم، أنتم المتألِّمون لذلك توجَّهوا لله عن طريقهم ليشفيكم الله. وسبب هذا أن الإنسان لا يمكن أن يكلِّم الله ويصل دعاؤه إليه سبحانه إلا عن طريق رسوله الكريم، وهنا الملائكة دلّوهم على الطريق وذكَّروهم بما بيَّنه لهم رسلهم من قبل من أن الدعاء لا يجدي إلا من نفس صاحبه بعد أن يُقبل على الله ويطهر، فكل من أتى أهل الحق ولو لحظة واحدة حصل له فيها دخول معهم على الله يخرج من النار. ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: طالما مصرّون على كبرهم وإعراضهم فلابدَّ لهم من العلاج والمداواة بالنار. لا يستطيعون التوجّه بقلوبهم إلى الله من خزيهم وعارهم، من أعمالهم السيئة، فلا يستطيعون الدعاء الخالص، بل هم في ضلال... في ضياع عن الدعاء الصادق المستجاب.

٥١- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾: قانون لا يخطئ. وكل ذلك وقع بالحروب والوقائع حتى شمل المؤمنين الصادقين والصحب الكرام. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: لابدَّ من النصر للمؤمنين. ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: يمكّن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم.

﴿..وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: الرسل. ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: مأخوذة لغوياً من الشهود ومن الشُّهْد، والشُّهْد هو العسل الخالص برحيقه وإكسيره ونقائه ولا يحوي إلا المغذيات. (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ..)[1]: رسولهم الذي شهد لهم الحق ويُشهدهم الحق ويَشهد عليهم، فالأشهاد هم السادة الرسل الأنبياء العظام وكذلك هم خيرة الخلق وأعلاهم وأنقاهم فهم بمثابة الشهد الخالص لا يتطرق لهم الفساد والتلوث مهما طال الأمد. هم يحوون الخيرات الخالصة من الله للبشر، فهم خيرة الله من خلقه وصفوته من عباده اجتباهم هادين مهديين لم تتلوث قلوبهم من حبّ الدنيا أبداً بل ملكهم حب الله وحده، فما في قلوبهم ولا أفكارهم إلا الله كما الماء العذب النقي ذرات نفوسهم الطاهرة التقية النقية المترعة بالتجليات القدسية، أقمار الحقيقة وشموس التقيين وبصحبتهم الجنات العلية السرمدية والمؤمنون بمعيَّة رسلهم يدخلون الجنة في الآخرة، وليس لهم إلا النعيم والسعادة.

٥٢- ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: مهما اعتذروا لا ينفعهم الاعتذار، لذلك لا يؤذن لهم بالاعتذار حيث انتهت الفرصة ولا فائدة منه. ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البعد عن الله، تتباعد نفوسهم عن الله خجلاً فلا يستطيعون الإقبال عليه سبحانه بسبب أعمالهم السيئة. ﴿وَلَهُمْ﴾: على أعمالهم. ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: النار تسوؤهم.

٥٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾: يوصل الناس بالارتباط معه عليه السلام إلى الله. ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الكتاب ما كتب في نفسه عليه السلام من حقائق

١)- سورة النساء: الآية (٤١).

﴿هُدًى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ..﴾

التوراة، ولكن بني إسرائيل لم يعملوا بذلك بل ساروا بالعقائد الفاسدة.

٥٤ـ ﴿هُدًى﴾: كل من يأت بعد موسى عليه السلام يستطيع الانتفاع بالتوراة بقراءتها. ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: تذكّرهم بالله وأسمائه الحسنى. ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: هذا الشيء يحصل لكل من فكر وآمن وشاهد لا إلَه إلا الله فعقلها، **أولو الألباب:** الذين لَبُّوا نداء ربِّهم عن طريق رسولهم وأطاعوه، هؤلاء دائماً تجلِّي الله سبحانه بالحياة على قلوبهم.

٥٥ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: لرحمته عليه السلام خاطبه الله بهذا وأمره بالصبر. ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾: لابد من النصر والفرج. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾: مما يقع بنفسك منهم، لا تستكثر من التحسُّر على مَنْ عَصوا مِنْ خلق الله لِمَا سيحلُّ عليهم. ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: بيّن فضل الله لمن آمن معك وأنعم بهم عليك من المؤمنين. ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: بمجلسيك صبحاً ومساءً. أما خلال النهار فعليهم العمل.

٥٦ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا يعرفون ما فيها من خير. ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾: لا مستند لهم على أقوالهم. ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾: يريدون الاستعلاء في الحياة الدنيا وتحقيق شهواتهم ونواياهم الخبيثة. ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾: مهما نالوا وعاشوا لابد لهم من الموت الذي يقضي على جميع آمالهم ولن يبلغوا ما أصرّوا عليه وصمَّموا. ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾: منهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لقولك. ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بحالك ونيَّتك، فلابدَّ وأن ينصرك

٥٧ـ ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾: فما قيمتك أيها

﴿..وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ
لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ
لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

عليهم.الإنسان، أليس خلق السموات والأرض أعظم من خلقك؟ أفلا يثبت ذلك البعثَ وأنك ستعود إليه سبحانه، فما حالك ساعتها وأنت بين يدي ربك وعملك بارز أمامك. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا يعلمون عن الله وأسمائه الحسنى شيئاً، ولا يعلمون لا إلٰه إلا الله وأنه سبحانه الفعّال المسيّر ويده على الخلق جميعاً.

٥٨- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي﴾: عند الله. ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: الذي ما آمن ما شاهدت نفسه الحقيقة. ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾: الذي آمن وصار يشاهد بنور الله الحقائق. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُ﴾: هل عملهما سواء. ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: ما أصاب من سبقكم، ألا تفكّرون ولو قليلاً بهذا الكون لتؤمنوا!.

٥٩- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾: ساعة الموت. ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾: لا شك فيها. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: يعتقد الناس بالموت ولكنهم لا يؤمنون به، إن الإيمان بالموت معناه دوام الذكرى له وأن ينهاك عن الاستغراق في الدنيا والعمل لها.

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ﴾: اطلبوا منه سبحانه لا من غيره. ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾: إن كنتم قريبون مني مؤمنون بي مطبقين أوامري أستجب لكم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾: الذين ما طلبوا الله، ما نظروا بالكون وما فكَّروا فيه. ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: سيلقون بأنفسهم في النار ليتحوَّلوا عما فيهم من جهنم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمۡ..﴾

٦١ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾: تستريحون فيه من بعد العناء والتعب طوال النهار، فكِّر بفضل الله عليك أيها الإنسان بالنوم، ما حالك لو تعبت ولم تستطع النوم؟. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾: لترى وتقوم بعملك فيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: لولا الليل والنهار ما حالك أيها الإنسان، ألا تفكر بفضله سبحانه عليك؟. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾: الله على هذا الفضل، لا يعملون للآخرة بل لدنياهم.

٦٢ـ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: مسيّر الليل والنهار ومسيّر الأرض. ﴿ٱللَّهُ﴾: صاحب الرحمة والحنان بكم والمتجلّي بأسمائه الحسنى عليكم. ﴿رَبُّكُمۡ﴾: ممدكم بالحياة. ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مسيّر ولا فعال غيره سبحانه هو الخالق المربي الرزاق. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: كيف تتحولون عنه لغيره من المخلوقات وليس لهم حول وقوة ولا يملكون لكم حياة ولا نشوراً ولا يرزقونكم شيئاً!.

٦٣ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾: كل من لم يؤمن بالله عن طريق التفكير بالكون لابدَّ وأن يتحوَّل عن الله سبحانه لغيره ويقع بالشرك والكفر.

٦٤ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا﴾: تستقرون فيها مدة من الزمن، فيها كل ما تحتاجونه من أجل حياتكم. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: السماء منها الخير، بواسطتها تنزل الأمطار فيخرج الزرع وتسقون أنعامكم، فهي التي تبني لكم هذا.﴿ وَصَوَّرَكُمۡ﴾: جعل هذا ذكراً وهذه أنثى ولكلٍّ جعل له لوناً وشكلاً وطولاً

﴿..فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ..﴾

حسب ما يناسبه. ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: جعلكم على هذه الصورة الكاملة.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الأنواع المختلفة من المأكولات. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: فكروا بفضله عليكم وتربيته لكم. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: خيره المتواصل مستمر لا ينقطع عنكم. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ممدها بالحياة والتربية.

٦٥ـ ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾: مصدر حياتك وحياة الكائنات كلها والكون، الحياة والإمداد منه سبحانه. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: المربي المسيّر لكل ما خلق. ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: كلامه تعالى هو الحق فلا تَمِلْ لغير بيانه وكلامه، الشرك: أن يسير الإنسان بغير كلام الله. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: يُحمد على كل ما يسوقه لكم.

٦٦ـ ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الله نهاني أن أسير على غير كلامه وأن أطيع سواه. ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾: لا أسير بهواكم من بعد أن أنزل الله عليَّ هذا البيان وهذا العلم وبيّن لي كل شيء. ﴿وَأُمِرْتُ﴾: بما نلته من ربي من إقبال وعلم ومحبة له. ﴿أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مستسلم له لأنال الخير منه، ما يأمرني به أبلِّغه لكم فلا أسمع غير كلامه.

٦٧ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: فكر بأصلك مما خلقت؟! الطعام كله من التراب يأكل الأب فيصبح الطعام نطفة. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: الطعام صار

﴿..ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ..﴾

نطفة، فكر بهذه الآية كيف أصبح الطعام نطفة أليس مِنْ يَدٍ فعلت هذا!. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: علقت في الرحم، مَنْ خَلَقَ الرحم وجعل فيه ما جعل من الأشياء اللازمة والشرائط المناسبة لتصبح هذه العلقة إنساناً؟. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: صارت هذه النطفة إنساناً كاملاً ألا تفكر بفضله عليك؟ خَلَقَكَ ضعيفاً بحاجة إلى الطعام والشراب وهيَّأ لك كل ما تحتاج وأنت طفل. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: تصبح شاباً قوياً، من جعلك قويّاً من بعد أن كنت ضعيفاً؟. ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾: تكبر وترجع ضعيفاً من بعد أن كنت قوياً.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: شاباً. ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل الشيخوخة. ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: لكلٍّ جعل له أجلاً فإذا جاء الأجل لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: كل هذا جعله لتفكر وتؤمن به فتشاهد أسماءه الحسنى التي يعاملك بها وتعقلها.

٦٨ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: بيده سبحانه، فكر أيها الإنسان كنت لا شيء، من جعلك شيئاً وتجلّى عليك بنوره وأحياك؟ من هو الذي يميتك بعد أن أحياك و ستترك كل شيء وتفارقه، مهما عشت لابد لك من الموت. كذلك إن أقبلت أيها الإنسان على ربّك أحيا نفسك بالأنوار والتجلِّيات والسعادة، وإن أدبرت عنه وتحوّلت لغيره مات قلبك وحلَّ بك الشقاء. ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد شيئاً. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: بكلمة منه سبحانه يكون خلق كل شيء.

٦٩ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: يعترضون ويقولون لم هذه

﴿..أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي
ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ
ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾

ولم هذه، كل هذا بسبب ما في نفوسهم من شكوك بالله. ﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾: انصرفوا إلى الرذيلة، ما انصرفوا للحق والتفكير بالله، هؤلاء نهايتهم الضلال.

٧٠- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾: الذي أنزل على محمد ﷺ. ﴿وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾: سيرون نتائج تكذيبهم، بتكذيبهم سيقعون بالمعاصي وأعمال السوء وستعود عليهم أعمالهم بالآلام والشقاء وغداً لهم النار.

٧١- ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾: الشهوات. ﴿فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾: شهواتهم ساقتهم للخبائث، جرَّتهم للسفالة والانحطاط، لو فكروا ما وقعوا بها. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾: يقيّد ويسحب بها.

٧٢- ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾: بأعمالهم الإجرامية وشهواتهم المنحطة أصبحت نفوسهم ناراً، اشتعلت بهم نار جهنم. ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾: فطرة الكمال عادت لهم وظهروا أمام الخلائق، فصار لهم العار وتشتعل في نفوسهم النار "نار المذلة" وتشتدّ بهم، لذا يجرُّون إلى النار ليخلصوا من العلل والأدران التي فيهم، يسجنون فيها لتطفئ لهم نار جهنم.

٧٣- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾: الذين كنتم تسيرون بدلالتهم.

٧٤- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: ذهبوا عنّا، رأوا الحقيقة لا يوجد غير الله، لا أحد له فعل. ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾: الحقيقة ما كنَّا ندعوا، كنا متَّبعين أهواءنا وشهواتنا ومصالحنا عند زعمائنا. شهدوا على أنفسهم بالكفر حيث شاهدوا أن لا فعل لغيره سبحانه. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥
ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ
ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ..﴾

مرضى القلوب يسهِّل لهم شرب الدواء ليخرج ما بأنفسهم من شهوات خبيثة ثم بعدها يعالجهم بالشدائد ليعودوا.

٧٥- ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: تفرحون بالشهوات المنحطَّة حين تحققونها. ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾: ساروا دون قوانين وأنظمة، حملوا الأمانة وضيَّعوها ولم يسلكوا بالقوانين وبكلام الله، فقط ساروا "بالبسط والكيف".

٧٦- ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: لكل جماعة ما يناسبهم وما يلزمهم من علاج، أبواب المفاسد سبعة: **١- المال الحرام. ٢- والأكل بالحرام. ٣- والنساء. ٤- والسلطان. ٥- والخمر. ٦- والميسر. ٧- والتعلق بالابن رغم ضلاله.**

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾: مكان. ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: بالدنيا، هؤلاء في الدنيا تكبَّروا عن التفكير بآيات الله وعلى الله ورسوله، تكبَّروا أي ما ساروا بالحق ما أعجبهم قانون الله فساروا على غير قانونه تعالى.

٧٧- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: عليهم. ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: بالنصر. ﴿حَقّٞ﴾: لابدّ وأن ينصرك الله لأنك على حق. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾: من الهلاك. ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: لرحمتك لا تستطيع أن تراهم وقد وقع بهم الهلاك. ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾: للمداواة والعلاج.

٧٨- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾: يا محمد. ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا

﴿..بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾

﴿عَلَيۡكَ﴾: بـــالقرآن. ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾: بمعجـزة. ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾: لكـلٍّ مـا يناسـبه، الذين ساروا بالباطل إلى النار، والذين ساروا بالحقِ إلى الجنة. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: الذين يريدون إبطال الحق، خسروا النعيم والجنات وما أعدَّه الله لهم.

٧٩ـ ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر فضله عليك وبما خلق لك أيها الإنسان. ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾: ما تتنعم به. ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾: منها ما يُركَب كالجِمَال. ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾: لحمها، كالغنم والماعز وغيرها.

٨٠ ـــ ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾: صـوفها وجلـدها. ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا﴾: علـى الأنعـام. ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾: السفن. ﴿تُحۡمَلُونَ﴾: تحملون أنتم وأثقالكم.

٨١ـ ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: في خلقها وتذليلها لكم. ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾: وأنتم ترونها بأعينكم.

٨٢ـ ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لينظروا ويفكروا بمن سبق أمماً وأفراداً. ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: الذين كذَّبوا بالحق وما ساروا عليه ماذا حلَّ بهم؟ بماذا عادت عليهم أعمالهم؟ أما هلكوا!. ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: شيَّدوا الأرض وعمروها أكثر مما عمرتموها،

﴿..فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا
كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا
كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ
خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

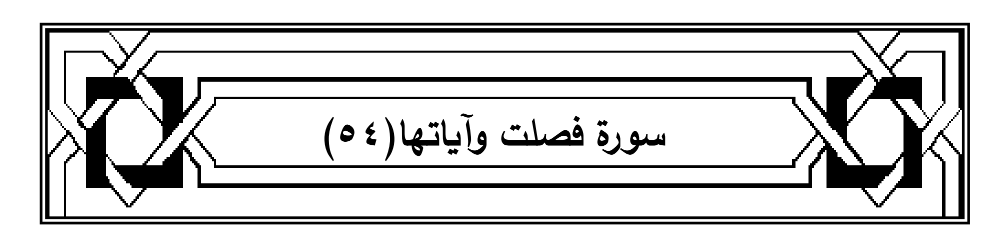
آثارهم إلى الآن باقية مثل الأهرامات. ﴿**فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾: لَمَّا جاءهم الهلاك والموت كل ما بنوه وكل قوتهم وحضارتهم لم تنفعهم.

٨٣ـ ﴿**فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ**﴾: بيَّنوا لهم طريق الإيمان والتقوى وذلك بالتفكير بالكون والسير على أوامر الله. ﴿**فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ**﴾: أنكروا الحق وما ساروا عليه، رأوا علومهم وحضارتهم أحسن مما عند رسلهم. ﴿**وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾: وقع عليهم ما أنكروه وحل بهم البلاء.

٨٤ـ ﴿**فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا**﴾: جاءهم الموت. ﴿**قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ**﴾: آمنوا بلا إله إلا الله. ﴿**وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ**﴾: حين الموت كل إنسان يشاهد الحقائق، هؤلاء علموا لَمَّا جاءهم الموت أن الحول والقوة لله ولا فعل ولا قوة لغيره سبحانه.

٨٥ ـ ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا**﴾: لا يفيد الإيمان حين الموت، الله تعالى أرسلنا للدنيا لنعمل الصالح الطيب، لكن حين الموت انتهت الفرصة ولم يعد بمقدور الإنسان أن يعمل ويغيّر. ﴿**سُنَّتَ ٱللَّهِ**﴾: هذا قانون لكل مستكبر على الله ورسوله. ﴿**ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ**﴾: هذا ما جرى للأقوام الماضية. ﴿**وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾: خسروا ما أعدَّه الله لهم من جنات كانوا سينالونها بإيمانهم لو فكروا، الكافر كل من لم ينظر بالكون ويفكر بآياته ليؤمن، هؤلاء ما نظروا ما فكروا فأنكروا نعمة الله عليهم وخسروا الجنة.

والحمد لله ربّ العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾

١ـ ﴿حمٓ﴾: يا حامداً، يا محموداً، رسول الله ﷺ حمد الله سبحانه لمَّا عرفه ورأى كماله فأقبل عليه وارتشف من كماله فأصبح محمود الصفات ومحمود العمل عند الله وعند الناس. لهذا أنزل عليك الكتاب.

٢ـ ﴿تَنزِيلٌ﴾: بما حَصَلْت عليه من صفات صار تنزيل الكتاب وقد أُنْزِل القرآن جملة واحدة على قلب النبي ﷺ، بيانك لهم هو الذي ينزل عليك. ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: إن ساروا على بيانك وطبقوه عندها يقبلون على الله بمعيَّتك، وبهذا الإقبال تشفى نفوسهم من عللها وأدرانها ويرتشفون الكمال، فيحمدون الله على ما تفضَّل به عليهم من شفاء وعطاء. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: كل هذا لأن ذاته سبحانه رحيم، ليدخلهم الجنة ويسعدوا، هذا مراد الله من خلقكم، فلا غاية له تعالى إلا سعادتكم.

٣ـ ﴿كِتَٰبٌ﴾: كتب الله الحق في نفسك، كتب الله حقائق القرآن في نفسك يا محمد ﷺ. ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بُيِّنت ووُضِّحت بحسب الوقائع. ﴿قُرۡءَانًا﴾: ما تقرأ على الناس، أقواله وأعماله ﷺ كلها قرآن وبوحيٍ من الله سبحانه وهذه هي العصمة، بيانك لهم. ﴿عَرَبِيًّا﴾: واسع البيان غير ضيِّق، ظاهر البيان واضح. ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾: يعلمون لا إلّه إلا الله، يظهر المراد منه لمن له قابلية للعلم بالله، لمن حصل له العلم بلا إلّه إلا الله.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ..﴾

٤ـ ﴿ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾: لهم، هذا القرآن بشيراً للمؤمن، ونذيراً للكافر، وظيفته ﷺ يبشِّر أهل الحق، يبشِّرهم بالجنة، وينذر أهل الفسق والضلال والكفر مما سيصيبهم في الدنيا من مصائب وعلاجات، وما سيحلّ بهم في القبر من عذاب وفي الآخرة من نار. ﴿**فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**﴾: عن بيانك يا محمد، ما صدّقوا بسبب ما فيهم من خبث نتيجة إعراضهم عن الله. ﴿**فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾: من إعراضهم لا يسمعون، النفس هي التي تسمع، هؤلاء قلوبهم متوجِّهة لغير الله فكيف يسمعون؟!.

٥ـ ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾: في ستر، مرتاحة، لسنا محتاجين لما تدعونا إليه، كنّوا للدنيا ولذائذها مع أنها زائلة، بدل أن تكنَّ قلوبهم لما عند الله ورسوله من جنات أبدية خالدة، قالوا ما لنا حاجة قلوبنا مستورة مستريحة. ﴿**مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾: مما تأمرنا به. ﴿**وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ**﴾: لا نريد سماع بيانك، لا نريد أن نسمع إليك. اذهب عنا. ﴿**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾: ستر بيننا وبينك. ﴿**فَاعْمَلْ**﴾: بما ترى. ﴿**إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾: بالذي نشتهيه في دنيانا، عاملون بما نحب.

٦ـ ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾: لي ما للبشر وعليَّ ما عليهم. ﴿**يُوحَى إِلَيَّ**﴾: ولكن أعلم طريق الحق، أشتهي مثلكم لكن بهذا الوحي عرفت السير القويم. ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾: المسيِّر للوجود واحد. ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾: افعلوا الخير وانتهوا عن الشر، سيروا بنوره تعالى، آمنوا به لتسعدوا وتدخلوا الجنة. ﴿**وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾: اطلبوا منه سبحانه الشفاء مما علق في نفوسكم، إن أقبلتم على

﴿.. وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ..﴾

الله صار لكم الشفاء وصار لكم نور منه تعالى به ترون حالكم وحالي مع دلالة الله بعضهم بعضاً. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: المشرك هو الذي يجرُّ تعاسةً وشقاءً لنفسه، هؤلاء ما ساروا ببيانه وبما أرشدهم إليه ﷺ لذلك أشركوا، وبإشراكهم عملوا السوء، وبعملهم السوء ذهبت عنهم الجنة "خسروها" وخسروا الخير الذي أعدَّه الله لهم، وأحلُّوا أنفسهم بالشر والهلاك والشقاء بالدنيا والآخرة.

٧ـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: لا يقبلون على الله لتزكوا نفوسهم، هؤلاء بسبب إشراكهم لا يفعلون الخير الذي يرفع اسمهم، بل عملهم سيّءٌ لا يستحسنه أحد. ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: لا يحسب حساباً للآخرة ومسؤوليَّته فيها.

٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الذين ساروا في طريق الحق بعد أن خيّرهم الله بين الطريقين. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: لهم الجنة على عملهم الطيّب. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:بسبب الاختيار الذي أعطيه الإنسان.

٩ـ هذه السورة وتحديداً هذه الآيات تتكلم عن بداية الخلق، خلق السموات والأرض بعد أن كانت نفوساً مجرّدة لا حجم ولا حول ولا قوة لها، وكيف أمدّها الله بناءً على طلبها أن تكون مُسخَّرة للإنسان، فالله سبحانه يشرح ويفصِّل لنا بها كل حدث جرى في عالم الأزل ويبيّنه على لسان رسول الله ﷺ لأنه ما انقطع عن الله سبحانه وتعالى، ونحن إن تعلَّقنا برسول الله ﷺ وصار لنا به ارتباطٌ نفسيٌّ ومحبةٌ هنالك يعيد علينا تعالى ويكرِّر هذه المشاهد والأحداث التي أشهدها الله لرسوله فنراها بمعيَّته، فهو ﷺ من جعله ربّنا سراجاً منيراً لنا، لذلك قال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾: أيُكفر بهذا

﴿..وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ..﴾

الخالق ! الذي جعل لها الليل والنهار، إذن الليل والنهار موجودان على الأرض دون السماء وأنوارها، فالله سبحانه جعل للأرض ترتيباً كاملاً دون هذه السماوات، اليوم من أمَّ يَؤمُّ، فالله تعالى جعل حال الأرض يؤم إلى هذين اليومين "الليل والنهار" أو جعلها الله في يومين ليل ونهار. ﴿**وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗا**﴾: مماثل، لو عرفوا الله بالإيمان ما جعلوا معه شركاء بالفعل والتسيير. ﴿**ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾: ممدُّ العوالم كلها بالتربية والإمداد.

١٠- ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ**﴾: الجبال سمّاها تعالى رواسي لأنها تثبّت الأرض من الانسياح. ﴿**مِن فَوۡقِهَا**﴾: على ظهرها. ﴿**وَبَٰرَكَ فِيهَا**﴾: جعل لها أنظمة يكون بها خيرها متواصلاً، فهي كل عام تأتي بخيرات جديدة. ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا**﴾: قدّر لكل نبت زمناً وكيفية نبات، هناك محاصيل شتوية وهناك محاصيل صيفية، منها تخرج أشجاراً ومنها نبات. ﴿**فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ**﴾: في أربعة فصول، الفصول الأربعة: شتاء، ربيع، صيف وخريف. ﴿**سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ**﴾: جعل تعالى هذا النظام لضمان حياة كل المخلوقات، وهذه الأنظمة يدركها كل إنسان ولا يحتاج الأمر للسؤال، فالكل يعلم ويرى الفصول الأربعة والليل والنهار.

١١- ﴿**ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾: تجلّى الله عليها بأسمائه الحسنى كلها وأذاقها النعيم وأطربها به عندها سألها التسخير بعد أن أغراها بأسمائه كلها، فرضيت. ﴿**..إِلَى ٱلسَّمَآءِ..**﴾: إلى السماء وليس على السماء لأن هذا الشيء رحمة وتنازل من الله فلقد أعطاها أجرها سلفاً حتى يشجِّعها على القبول. ﴿**وَهِيَ دُخَانٞ**﴾: السماء نفس لا شيء فيها، والنفس كالمرآة بحسب ما يصبّ الله فيها يكون حالها

﴿..فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا..﴾

وتصبح فيه. الأرض؛ لَمَّا عرض الله عليها العمل والتسخير لخدمة الإنسان رضيت على الفور، والله تعالى حمد لها هذا الموقف ورضيَ عنها لذلك سمِّيت أرض، أي: أرضت الله بعملها هذا، أمَّا السماء فقد غيّرت عهدها مع الله تعالى من بعد أن رضيت بالخدمة والتسخير لهذا الإنسان المكرم وبتراجعها عن عهدها هذا وتأخّرها عن تلبية خالقها انطفأت أنوارها وزالت عنها فأصبحت نفسها دخاناً بعد أن كانت صافية نقية تتلألأ بالأنوار. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾: بهذه الآية الكريمة يبيّن لنا الله تعالى كيف شجَّع السماء وحثَّها على التلبية والاستجابة، حيث قرن الأرض معها بالطلب مرة ثانية، وأراها كيف أنَّ الأرض رضيت واستجابت، كل هذا حنان من الله عليها لتفي بعهدها ولتعود لها أنوارها ونعيمها [١]. ﴿ٱئْتِيَا﴾: لوظيفتكما. ﴿طَوْعًا﴾: برغبة ورضا أي لا أريد جبراً، الله سبحانه لا يجبر أحداً، عندها رضيت السماء ورجعت إلى عهدها الذي عاهدت الله عليه بالتسخير، وبهذا ربحت من ربِّها ربحاً كبيراً وصارت سبع سماوات، وازدانت

١)- الله تعالى صاحب رحمة وحنان على خلقه ويريد لهم الكسب الدائم ولا يريد لهم الإعراض والخسارة أبداً، فكما جمع تعالى السماء المتراجعة عن عهدها مع الأرض الملبّية له تعالى بعهدها وطلب منهما "ائتيا" لوظيفتكما حيث كسبكما وعطاؤكما الأبدي، وبذلك لَمَّا شاهدت السماء تلبية الأرض ومسارعتها وهنالك تأثَّرت بها ولبَّت نداءه تعالى وبالتالي تداركت أمرها وعادت لكسبها، تماماً "ولله المثل الأعلى" كما تجمع إدارة المدرسة الحكيمة الطالب الكسول مع الطلاب المجتهدين فلعله يتأثر بهم فينجح مثلهم. وهذا تماماً كان قد فعله الله تعالى مع إبليس عندما جمعه مع الملائكة وطلب منهم السجود لسيدنا آدم عليه السلام فلعله يتأثر بهم ويسجد مثلهم لينال ما أعدَّه الله له من جنان وعطاء عظيم عن طريق رسوله الكريم سيدنا آدم العظيم عليه السلام ولكنه أبى واستكبر وخسر، فالله تعالى جمعه مع الناجحين "الملائكة الكرام" لعلّه يتأثر بهم فيسجد مثلهم ويدخل من باب سيدنا آدم عليه السلام. كل هذا الترتيب الحكيم من رحمته تعالى بخلقه جميعاً، فالله تعالى لا يريد لخلقه الخسارة أبداً بل يريد لهم الربح الدائم يريد لهم أن يأخذوا من عطائه العظيم بشكل مستمر ودائم.

﴿..أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي
كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣..﴾

بالكواكب والأنوار وأخذت عطاء عظيماً من ربِّها. ﴿أَوۡ كَرۡهٗا﴾: بالإكراه لا أريد، أنا لا أجبر أحداً، ليس هذا من أسمائه سبحانه. ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾: لك يا رب أتينا عن رضى.

١٢- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: لما رضيت السماء ربطها وربط وظيفتها سبحانه وتعالى بنظام الأرض، فأصبحت سبع سماوات متحدة متناسقة في العمل مع الأرض في الليل والنهار. ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ﴾: الوظيفة التي تقوم بها بعد أن جعلها سبع سماوات. ﴿أَمۡرَهَا﴾: ما يجب أن تقوم به من عمل. ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾: التي تدين إليها أيها الإنسان. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: زينَّاها بالكواكب والشمس والقمر وأنوارها. ﴿وَحِفۡظٗا﴾: يده سبحانه عليهم يحفظهم من السقوط علينا وعلى الأرض، فالكل يسير بمداره ووظيفته على الكمال. ﴿ذَٰلِكَ﴾: كل هذا من أجلك أيها الإنسان المُكلَّف الغالي على ربك، ذلك جعله ربك لك حتى تؤمن به تعالى وترجع إليه وتنال ما أعدَّه لك من جنات. ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾: الذي تُدعون لطاعته. **العزيز**: كل الخير يأتي منه تعالى لا من غيره، العليم بأنفسكم وما يناسبها لذلك جعل لكم هذا الترتيب فإن فكَّرتم بصنعه قدَّرتم الصانع جلَّ وعلا فتقبلوا بأنفسكم عليه وتعملوا الصالحات وتدخلوا الجنة.

١٣- بعد هذا البيان وهذا التفصيل ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾: عن طاعته، عن سماع كلامه. ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ﴾: عذاب فيه فزع. ﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾: كالساعة التي جاءت قوم عاد وثمود لَمَّا أعرضوا عن الله وكذَّبوا رسلَهم وما أنزل الله عليهم من بيان ودلالة.

﴿..إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ
لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ
هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا
صَرۡصَرٗا..﴾

١٤ـ ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾: أرسل الله لهم رسلاً ليبلغوهم كما أرسل إليكم.

﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: في حياتهم. ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: من بعدهم. ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: اسمعوا كلام الله لتسعدوا، لا تطيعوا غيره سبحانه وتعالى بأن تسيروا على غير كلامه فتقعوا في الشقاء والآلام. ﴿قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾: بدلاً منكم. اعترضوا على رسلهم: أن كيف يرسلهم الله بشراً، قالوا لو شاء الله لأنزل ملائكة. صحيح يمكن لله أن ينزل ملائكة، ولكن ألا يجب أن نفكّر بالكلام الذي نسمعه أحق هو أم لا؟. ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: ما دمتم بشراً مثلنا فلن نطيعكم.

١٥ـ ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: اعتزُّوا بقوتهم، سيطروا. ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: كانوا دولة عظمى كالدول العظيمة اليوم، كانوا مسيطرين على الأمم حيث عندهم البناء والحضارة والسلاح ويتفاخرون بذلك أمام الأمم، مستبصرون بعلوم الدنيا كأمم هذا الزمان. ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾: لو أطاعوا رسولهم وآمنوا بالله لشاهدوا هذا وما استعلوا على غيرهم. ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾: يرونها وينكرونها.

١٦ـ ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾: له دوي؛ تدوي ذات صرير، جاء وصف الريح بهذه الكلمة: ﴿صَرۡصَرٗا﴾: لتدل على كيفية نزول الهلاك بهم فلقد جاءهم بالتدريج شيئاً فشيئاً، أي ضربة بعد ضربة، ففي البداية وأوّلاً "صَرَّت" أي: جمعت

﴿..فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾..﴾

ودمَّرت لهم كل شيء مما كانوا يتفاخرون ويعتزون به، فرأوا حضارتهم من أبنية ومزارع وقوة "بُنى تحتية" وهي تنهار وتُدمَّر أمام أعينهم، ثم وفي المرحلة الثانية "صرَّتهم" أي قضت عليهم وأهلكتهم بعد أن قضت على حضارتهم. ﴿**فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ**﴾: عليهم، فهم "المناحيس" حيث خسروا بالدنيا كل شيء بنوه من حضارة، وذهب عنهم البسط واللذائذ وكذلك بالآخرة خسروا الحياة الأبدية والجنات.﴿ **لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**﴾: بالدنيا ظهر ذلّهم أمام الأمم التي كانوا يحكمونها حيث زالت عنهم حضارتهم فذاقوا مرارة الخسارة والحرمان والفقر وحاق بهم الذلُّ والخزي أمام العالم بعد انهيار حضارتهم فأصبحوا فقراء يستجدون من غيرهم وذلك قبل أن تهلكهم الريح. ﴿**وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ**﴾: كذلك لهم الخزي في الآخرة أمام الخلائق، حيث أعمالهم السيِّئة ستراها الخلائق كلها فيلبسهم الذّل والعار. ﴿**وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ**﴾: عندها لا ناصر لهم.

١٧- ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ**﴾: بمعجزة أقرّوا بها، طلبوا معجزة فأرسلنا إليهم ناقة مع ابنها. ﴿**فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ**﴾: أعرضوا عن الله، ما أقبلوا على الله ورسوله ليصبح لهم نور منه تعالى يرون به الحقائق. ﴿**فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ**﴾: عذاب فيه إهانة، جاءهم العذاب لـمَّا عصوا رسول ربّهم ولم تغنِ عنهم قوتهم وحضارتهم شيئاً. ﴿**بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ**﴾: من أعمال سيئة، أعمالهم عادت عليهم بهذا العذاب.

١٨- ﴿**وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾: من الفريقين "عاد" و"ثمود". ﴿**وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا
جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

مع التقوى، وبكل زمان الله تعالى ينجي المؤمنين ويحفظهم من البلاء.

١٩ـ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: يوم القيامة ليس لهم إلا النار لتطفئ نار خزيهم وندمهم وجهنم التي بنفوسهم. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يساقون كلٌّ لمكانه المناسب، كلٌّ له عذاب على حسب أمراض وعلل نفسه.

٢٠ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾: بما سمعوا، الإنسان مسؤول عن سمعه، الأذن تزني وزناها السمع. ﴿وَأَبْصَـٰرُهُمْ﴾: وما أبصروا، العين تزني وزناها النظر. ﴿وَجُلُودُهُم﴾: ما لمسوا من حرام. ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: يوم القيامة جوارحه كلها تتكلم وتشهد عليه بكل شيء فعله في الدنيا.

٢١ـ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾: الجسد حيادي، ثوب أعاره الله لهذه النفس مساعدة لها لتخرج من عماها وترجع إلى الله وتستنير، وغداً يشهد عليها. ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾: لا تلومونا وارجعوا لعملكم الذي أوقعكم بهذا.﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: غداً ينطق عليك هذا الجسد بما فعلته أيها الإنسان في الدنيا من عمل. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: نفساً بلا جسد. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: في كل أموركم، الخِيرَة لكم، كما تختارون يعطيكم، ارجعوا إليه ليغيّر حالكم.

٢٢ـ يقال لهم أنتم في الدنيا ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: ما عبأتم بكل هذا وما صدَّقتم بالذي يصيبكم الآن.﴿ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ظننتم أنه سبحانه

﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ..﴾

بعيد لا يراكم لأنكم ما آمنتم، لذلك ما رأيتم أن الله قريب منكم بل ظننتم أنه بعيدٌ عنكم غير مشاهد أعمالكم.

٢٣ـ ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ﴾: ظنكم أنه بعيد لا يراكم. إنه لا يعلم أن الله تعالى ناظر إليه. ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: رماكم بالهلاك. ﴿فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: فضله وسعادتكم. على الإنسان أن يسعى للإيمان وللوصول إلى الله ليراه قريباً منه ناظراً إليه، فلا يقع بعدها بمنكر بل يعمل العمل الصالح.

٢٤ـ ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾: المكان الموافق لهم، كما أنَّ المريض مكانه المستشفى كذلك هم، النار توافق ما فيهم من آلام وهي المكان المناسب لهم. ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾: لا يفيدهم العتاب، متى يعاتَب الإنسان؟ إذا كان قابلاً للرجوع عن ذنبه.

٢٥ـ كيف خرج الشر من نفوسهم وارتكبوا ما ارتكبوا من أعمال السوء؟.

﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾: في الدنيا قيَّضنا لهم بعد أن استحكمت الشهوات في نفوسهم، بعثنا عليهم من شياطين الإنس أو الجن الذين اختاروا الدنيء من الفعل. ولكن كيف تخرج الشهوات من نفوسهم؟. ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾: زيّنوا لهم فعل السوء، ﴿..فَزَيَّنُواْ لَهُم..﴾: سمحنا للقرناء فعل ذلك لنخرج ما في نفوسهم من خبائث الشهوات التي في أنفسهم الناتجة من إعراضهم عن الله سبحانه، فلعلَّهم إن نفَّذوها ومن بعد الشدائد يسيرون بالحق. لو فكَّروا وساروا بالحق لأرسل الله عليهم الملائكة، ذلك أن الملائكة ملَّكوا نفوسهم لله كي يجعلهم أداة خير، فإذا صدق الإنسان بطلب الحقّ أرسل الله له ملائكة يرشدونه السبيل.

﴿..ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ..﴾

﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الحال [1]، من الدنيا وشهواتها. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: المستقبل. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: في العذاب. ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت. ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: الذين خانوا عهدهم مع الله فما آمنوا. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: خاسرين جميعاً فضل الله المُعدّ لهم.

٢٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بعد هذا البيان الذي أنزله الله من أجلهم ومن أجل أن يسعدوا بدؤوا يكيدون ويخطِّطون لرد الحق. ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾: قولوا أنه باطل، أدخلوا فيه ما يمحق منه الحق. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: محمداً ﷺ.

٢٧- ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كأولئك. ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: إذا ارتكب أحدهم جريمة السرقة والاعتداء و... ثم القتل فحوكم أُخِذَ بالجرم الأشد عقوبة، كذلك عند الله تعالى.

٢٨- ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾: في الآخرة، يوم القيامة. ﴿ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾: يتهافتون عليها كي يخلدوا إليها. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: رأوها وأنكروها، ما فكروا ليروا عظمتها وينتقلوا منها لعظمة الله تعالى، رأوا صورتها بأعينهم لكن ما رأوا بأنفسهم الحقيقة والأنوار وأن الله ممدها.

٢٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: عند فراقهم لهذه الدنيا. ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ

---

١)- الحال: الآن، الحاضر.

﴿..أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ
وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: شياطين الجن. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: الذين كانوا سبباً في ضلالنا، آباؤنا وأجدادنا الذين ساروا قبلنا على غير كلامك وهديك فتبعناهم وسرنا على سيرهم. ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: لا أحد يُضلّ أحداً، الطيب لا أحد يضلّه، هم أضَلُّوا أنفسهم بما فيها من خبث وشهوات.

٣٠ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾:لكن المؤمنين. ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾:بالبشارات والاطمئنان. ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾: بعد الآن دائماً بالسعادة والنعيم. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: على الدنيا، حيث وجدوا خيراً منها بعد الموت فلا يحزنون عليها. ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: بها على لسان رسلي، لما آمنوا بشَّرهم رسلهم بالجنة.

٣١ـ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: نحن كنا نرشدكم إلى طريق الهدى في الحياة الدنيا. ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: كذلك نحن أولياؤكم، وليس لكم إلا السعادة والجنات. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾: من اللذائذ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: ما يطلبونه يجدونه حاضراً أمامهم، ولا يطلبون إلا الحق.

٣٢ـ ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾: يتنزّلون بجنات كثيرة وليس بجنة واحدة.

٣٣ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾: رسول الله ﷺ، هل من إنسان أحسن منه؟. ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: دلالته وبيانه كلها يدعوك بها إلى الله وإلى الجنات والسعادة. ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾: جاهد الناس ليؤمنوا بالله ويدخلوا الجنات.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ..﴾

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مستسلم إلى الله تعالى بكل أموري.

٣٤ــ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: هل فعلك وفعلهم سواء!. ﴿ٱدْفَعْ﴾: لهم. ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: ما عاملهم ﷺ بعملهم بل بالرحمة والإحسان لهم.﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾: حين تعامله بالإحسان. ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: فانظر إلى رحمته تعالى بعباده، هذه ثمار الإيمان بالله، أن نكون متحابِّين بالله متراحمين مع بعضنا بعضاً. هذه هي الزبدة من غاية وجودنا في الحياة، أن ندخل في السلم كافة.

٣٥ـ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: هذه الحالة العالية. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: على أمر الله حتى رأى، حتى حصلت له التقوى. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: ليس يظفر بمرتبة الإحسان إلى العدو. ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

٣٦ـ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾: أيها الإنسان. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: حَدَّثَك بشيء لا يرضى الله به. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: التجئْ إلى الله تعالى. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لندائك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنفسك، يدافع عنك ويرد الأذى ويخلِّصك مما أنت فيه.

٣٧ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: الدالَّة على عظمته سبحانه وتعالى. ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾: فكِّر بهما وبتعاقبهما لتصل لعظمة الخالق. ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: كل الخير والفضل من الله الذي يُسيِّر ويمد الشمس والقمر، القمر جماد هل لوحده يسير ويدور؟ هل له فكر وعيون؟ الله سبحانه هو الذي يُسيِّره ويمده، ولا خير إلا منه سبحانه.

﴿..لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ..﴾

الذي فكَّر عظَّم، الذي ما فكَّر ما عظَّم هذا وقع بالشرك. ﴿**لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ**﴾: لا تطلبوا الخير منهما. ليس القمر هو الذي يسبب المدّ والجزر ولكن الذي جعل فيه هذه الخاصيّة وخلقه هو سبحانه الخير منه. ﴿**وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ**﴾: ارجع إلى الله هو الذي جعل فيهن الخير، اطلبوا الفضل منه سبحانه لا من المخلوق، لا تسجدوا لبعضكم البعض ولا للشمس ولا للقمر. ﴿**ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ**﴾: جاءت خَلقهُنَّ للتصغير، أي لا شيء منهن بل كل الخير من الله، ارجع إليه بالإيمان يعطيك ويتفضل عليك بالجنات، أنت إنسان مقامك عالٍ، خلقك من أجله ومن أجل جناته لا من أجل غيره. ﴿**إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ**﴾: تفعلون هذا، تطيعون الله، لا تسجدوا لبعضكم بعضاً، لا للغرب ولا للشرق بل كونوا مع رسول الله ﷺ وأطيعوه، فهو ﷺ لم يأخذ علومه لا من الشرق ولا من الغرب بل من الله، وبطاعته ﷺ تطيعون الله.

٣٨- ﴿**فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ**﴾: عن هذا الكلام، استكبروا وما ساروا ببيانك الذي بينته لهم عن الله. ﴿**فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ**﴾: فالمقبلون الذين صار لهم علم بلا إلّه إلا الله وأسمائه الحسنى. ﴿**يُسَبِّحُونَ لَهُۥ**﴾: يسبحون نفوسهم بفضل الله حتى ينالوا الخيرات، ويدلّون غيرهم على الله. ﴿**بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩**﴾: رأوا الله هو الرحيم الشفوق المتفضِّل عليهم لذلك نفوسهم بصلاةٍ دائميَّةٍ مع الله لا ينفكون عنه سبحانه طرفة عين.

٣٩- ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ**﴾: لك أيها الإنسان لتفكر بها. ﴿**أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً**﴾: ساكنة جرداء لا حياة فيها. ﴿**فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ**﴾: المطر.

﴿..ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ
ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ..﴾

﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾: دبَّت الحياة فيها. ﴿وَرَبَتۡ﴾: نمت بالنبات والأثمار، الأرض بنزول الماء والحياة عليها تُظهر ما فيها من خيرات، فمن غيره سبحانه يفعل هذا؟ هل لأحد يد أو فعل بهذا؟ هل من أحد يُشرِق الشمس ويسلِّط أشعتها على البحار لتبخر الماء؟ فكر بهذا لتعظم ربك وترى رحمته وحنانه فتقبل عليه وتدخل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا﴾: أحيا الأرض بالماء وأنبتها. ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾: يوم القيامة يحييكم مرة ثانية، يبقى للإنسان بعد موته بذرة صغيرة يكون منها منطلقه في الحياة الآخرة. ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: قادر على خلقك وبعثك، الحياة والخلق والإمداد منه سبحانه.

٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: الذين لا يدركون حقيقتها لذلك انطلقوا يسعون في الأرض فساداً ظناً منهم أن الله ظالمهم. ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾: نعلمهم وسيجزون بعملهم. ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾:

أيهما أحسن يا عبادي؟ الدنيا مؤقتة وجهاد الهوى والنفس فيها قليل ثم يعقب هذا الجهاد السعادة لكم في الدنيا، وكذلك في الآخرة لكم الجنات على ما قدَّمتم من أعمال صالحة. ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾: لكم الاختيار، الله سبحانه أعطى الأنفس اختيارها ولا ينازعها فيه. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: مشاهد أعمالكم، وسترون هذا يوم القيامة وعندها الندم لا ينفع.

٤١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾: إن من يكفر بالقرآن ويتمسك بالتوراة أو الإنجيل فهذا دليل منه على أنه كافر بالتوراة والإنجيل ولو آمن بهما

﴿..وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ..﴾

لآمن بالقرآن. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾: كلامه سبحانه إن سرت به وطبَّقته جاءك الخير، كل الخير بالقرآن.

٤٢- ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ﴾: كل ما فيه حقّ فهو تنزيل من الله صاحب الأسماء الحسنى على لسان رسوله ﷺ. ﴿مِّنۡ حَكِيمٍ﴾: بنفوسكم وما يناسبها لذلك أنزله عليكم ولا حكم إلا به. ﴿حَمِيدٖ﴾: يُحمد الله على ما أنزل من بيان لما فيه خيركم وسعادتكم.

٤٣- ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾: الذين ذكروا في القرآن أو لأي رجل صالح يهدي إلى الحق، ماذا قيل لهم؟ (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ) (١)، فما قام به الأولون "الذين لم يؤمنوا" من قول أو فعل لا يختلف من حيث الجوهر عما قالوه الآن، فإن لم يتوبوا ويؤمنوا بك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: يا محمد ﷺ. ﴿لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾: من رحمته تعالى لا يتركهم بل يُرسل عليهم الشدائد ليعودوا لسعادتهم. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾: لا يترك لهم صغيرة ولا كبيرة، معقّب لنفوسهم، وفي كل لحظة يُرسل لهم المصائب ليغفر لهم، فالشدائد ليشفيك لأنه تعالى رحيم بك أيها الإنسان عطوف عليك.

٤٤- ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا﴾: ضيّق المعاني، وهذا ما لم يكن بل هو واسع المعاني مبين. ﴿لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: بُيِّنت ووُضِّحت،

---

١)- سورة الذاريات: الآية (٥٢).

﴿..ءَاْعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ..﴾

غير المؤمن لا يفهم كلام الله العظيم لأنه في وادي الجاهلية يرتع ويَصِمُ القرآن بأنه أعجمي غير واضح. والرسول الكريم ﷺ يخاطبهم على حسب عقولهم: ﴿**ءَاْعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ**﴾: غامض وظاهر هل يعقل هذا؟!. كيف ظاهر بيّن واضح لأناس مؤمنين وغير مفهوم لكم!. ﴿**قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى**﴾: يستضيء به المؤمن، واضح بيّن له، كله آيات دالة على لا إلَه إلا الله، المؤمن بصحبة رسول الله ﷺ يهتدي بها إلى الله وإلى عمل المعروف والإحسان ويتجنب المهالك، وبه تستنير نفسك ويصبح لها نور وبصيرة. ﴿**وَشِفَآءٞ**﴾: بالإقبال عليه سبحانه تطهر نفسك وتشفى من الأدران، فلا تشتهي إلا الخير والفضيلة وذلك بالكمال الذي اشتقَّته من الله، فتكره الرذيلة وتعافها. ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ**﴾: شهواتهم ملازمة لهم لا ينفكون عنها فهي سدٌّ تسدّهم عن فهم كلام الله وتمنعهم من الإقبال عليه سبحانه.

﴿ **وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى**﴾: لا يرون الحق الذي بالقرآن، ولا يرون الخير فيه ولا يفقهون معانيه السامية. ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ**﴾: يسمع صوتاً ولكن لا يفقه شيئاً. يسمع ألفاظ القرآن ولا يرى ما وراءها من سموٍّ وعلوٍّ وجناتٍ.

٤٥ــ ﴿**وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ**﴾: التوراة. ﴿**فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ**﴾: كذلك الآن اختلفوا معك بالحق، متى اختلف اليهود فيه؟ اختلفوا فيه من بعد موسى عليه السلام وذلك لأنهم ساروا على أهوائهم المنحرفة ونسبوا ما ساروا فيه لله ولسيدنا موسى عليه السلام، ثم صارت الأجيال من بعد ذلك يأخذون دينهم عن طريق ما كُتب لهم من الكتب المليئة بالكذب والضلال لا عن طريق التوراة، ولَمَّا لم يرجعوا لكتاب الله

﴿..وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ..﴾

ورأوا أن كل ما هو مكتوب من كتب إنما هو مجرَّد خرافات هنالك هجروا الدين للكفر وللحضارة وللعلوم الدنيوية كما هو حاصل الآن، أعداء الإسلام كلامهم كله من الكتب والدسوس والشكوك وليس من القرآن، رجعوا إلى الأقوال الخاطئة وكتبوا منها وقالوا محمد فعل كذا وكذا، غيرهم قالوا كشف الوجه ليس بعورة، الربا بنسبة قليلة ليس بحرام، رجعوا إلى كتب الآباء والأجداد وأخذوا عنهم ولم يأخذوا عن الله وبهذا هجروا القرآن. ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ**﴾: بأن لكل واحد منهم أجلاً ويوماً. ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾: لجاءهم الهلاك. ﴿**وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ**﴾: (**مِّنْهُ**) وليس فيه، لأنهم لو رجعوا لكتاب الله لما حدث لهم الشك، ولكنهم رجعوا لما قالوا عنه من شروح وتفاسير ما أنزل الله بها من سلطان، فكل واحد منهم فَسَّر التوراة من بعد موسى عليه السلام على حسب هواه وكما يريد. ﴿**مُرِيبٍ**﴾: بهجرهم لكتاب الله تحوَّلوا من حالة لحالة أدنى وذلك بسبب الشكوك، وهكذا حتى انحطوا.

٤٦- ﴿**مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ**﴾: العائد له، له السعادة دنيا وآخرة. ﴿**وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا**﴾: أذاه يرجع عليه، عمله السوء يسوؤه. ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾: كل إنسان وعمله عائد عليه، الجنة بالعمل الصالح والنار بالعمل فلا ظلم.

٤٧- ﴿۞ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ**﴾: ساعة موت الإنسان، عندئذ يقطع رزقه ويوصل رزق غيره. ﴿**وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ**﴾: من بشر وحيوان ونبات، يعلم الله كلاً وما تحمل من ذكر وأنثى، ولا يعلم

﴿..وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا

مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ
﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ
أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ
قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا
عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾

الغيب إلا الله. ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾: كل هذا بعلمه سبحانه. ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾: الذين جعلتم لهم حولاً وفعلاً وقوة مع الله فسرتم على كلامهم. ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾: فهم يطلبون الإذن بالكلام لأنهم لا يستطيعون الكلام. ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾: الآن شاهدنا الحقيقة لا فعل لغيرك يا رب.

٤٨ـ ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾: ذهب عنهم. ﴿مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ﴾: من أن لغير الله فعلاً وحولاً وقوةً. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: في الدنيا. ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾: مهرب من العلاج، لا بد لهم من النار للمداواة.

٤٩ـ ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾: لا يفكر لماذا جاءه الشر ولِمَ عاملناه هذه المعاملة، ييئس ويقنط من رحمة الله عند الشدّة، الله عامله بهذا رحمة به وحناناً عليه حتى لا يخسر الآخرة.

٥٠ـ ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾: أعطيناه مالاً أو جاهاً وصحة وقوة. ﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾: من بعد فقر وإهانة ومرض. ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: ينكر فضلنا عليه وينسبه لنفسه ولغيرنا. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾: كل هذا لا أصل له. ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ﴾ لَلۡحُسۡنَىٰ؟: (هنا استفهام) هل أجد الحسنى؟!. ينكر الآخرة وما فيها. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾: يوم القيامة. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾: تتكشف أعمالهم. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: النار عليهم.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ

﴿عَرِيضٍ ۝٥١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ..﴾

٥١ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: ما كان لهم اسم ولا عندهم شيء، أعطيناهم مالاً وجاهاً وصحة وأغناهم الله بفضله المادي والمعنوي بعد اجتماعهم مع الرسول ﷺ وهو النعمة الكبرى. ﴿أَعْرَضَ﴾: لم يكمل الطريق بالإيمان، لم تتفتح عين البصيرة منه، بل أعرض عن ربه، يرى أنه بجهده نال ما نال. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: أهكذا يجدر بالإنسان إن أكرمه الله وأعطاه أن يمسك يده ويقابل عطاء الله له بالمنع عن عباده؟!. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ابتعد عن الله ورسوله. ما الذي جعله يجانب الله ورسوله؟! بدل أن يضعهما بقلبه جانبهم ووضع الشهوات الدنيوية من ولد وزوجة.. فاستحقّ بذلك العلاجات المرة ليعود لصوابه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الشر الذي بنفسه عاد عليه. أخلص للدنيا فعادت عليه بالشر، أرسل الله له ذلك ليقطع المنكر وأهله ويعود للحق وأهله. ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: يطلب من الله أن يخلِّصه مما فيه. يعترض على ربِّه لماذا بعثت لي هذه... وهذه... لماذا أفقرتني... لِمَ أمرضتني؟!. أهكذا يفعل بي؟!. ماذا فعلت حتى سلّط عليّ "والعياذ بالله".

٥٢ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾: بياني هذا. ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: ما أقوله لكم، الله أمرني به لأبلغكم إياه. ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾: أنكرتم وما آمنتم به. ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾: منكم، بحبكم للدنيا ولذائذها ضللتم طريق السعادة. ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: خائفون على دنياهم لذلك يشاقّونك، كل هذا من بعدهم عن الله.

٥٣ـ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: سَيَرون حقيقة ما تكلم به ﷺ من بيان. ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: ما ترك شيئاً ﷺ إلا وأخبرهم به، وتفوق على علوم وحضارات الأزمان

﴿..وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾

في كافة المجالات، فالله أطلع رسوله على المستقبل. ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: تكلَّم ﷺ عن الأشخاص. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾: كما أنه يخاطب كل نفس بما يخصّها ويغمرها بحال عالٍ يذهب عنهم شقاءهم ويبدلهم بالنعيم، وهذه آية لهم في أنفسهم ليؤمنوا بأن كلامه ﷺ حقٌّ من عند الله. ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: لا شيء يخفى عليه سبحانه، وهو الذي أطلع رسوله الكريم على كل شيء، فوظيفته ﷺ مع المؤمن والكافر، للمؤمن رفع درجات وللكافر ليدفع عنه البلاء ويفشل خططه.

٥٤- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: في شك لأنهم ما آمنوا بلا إلـه إلا الله فما شاهدت نفوسهم لذلك شكُّوا. ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾: كل عملهم بعلمه سبحانه ولا فعل لهم، وكل إنسان يعطيه الله ويسوق له بحسب ما في نفسه.

والحمد لله ربِّ العالمين

تمَّ بعون الله تعالى المجلَّد الخامس من

تأويل القرآن العظيم

ويليه المجلَّد السادس

للمزيد يمكن متابعتنا على الموقع الإلكتروني:

www.amin-sheikho.com

info@amin-sheikho.com


جل جلاله
ISBN 978-1-5192-6906-5
9 781519 269065 >